الدبلوماسي

السنة السادسة والعشرون العدد 259 - 260
سبتمبر - أكتوبر 2017م الثمن 6 جنيهات

عدد تذكاري

القاهرة الخديوية ..
درة الشرق

طابع البريد التذكاري

المهندس حسين صبور علامة مضيئة فى مجال التشييد والبناء

العاصمة الادارية اعجاز جديد بأيدى مصرية تأخر بناءه كثيراً

المهندس حسين صبور اسماً لمعاً فى مجال البناء والتعمير فى مصر ارتبط اسمه بالكثير من الانجازات العملاقة وتجاوزت نجاحاته الحدود فهو المهندس الاستشارى ذائع الصيت على العالم العربى فهو كان رئيس أحد اكبر النوادى المصرية " نادى الصيد "ورئيس مجلس ادارة بنك " المهندس " لمدة ٥ سنوات ورئيس جمعية " رجال الاعمال المصرية " ورئيس المكتب الاستشارى حسين صبور ورئيس مجلس ادارة شركة الاهلى للتنمية العقارية

بدا المهندس صبور حياته العملية فى الخمسينات من القرن الماضى بعد تخرجه من كلية الهندسة جامعة القاهرة ١٩٥٧ تقاضى مقابل أول مشروع فى حياته "تصميما وتنفيذا" ١٥٠ جنيها يمتلك رؤية ا قتصا د ية تر كز على ا لجا نب الاجتماعى وتنبع من احساس وطنى وشعور بالمسئولية فهو بحق يعد رجل استثنائى سواء على المستوى العملى او الانسانى التقت به مجلة الدبلوماسى مؤخرا وكان له عدة تصريحات هامة حول شركة الاهلى لتنمية العقارية من حيث بدأ نشأتها والانجازات التى قامت بها وكانت اجابته: البداية كانت مع المكتب الاستشارى حسين صبور الذى انشئ عام ١٩٥٧ وكانت من ضمن اعماله البنك الاهلى المصرى وفى عام ١٩٩٤ اقترح البنك انشأ شركة الاهلى لتنمية العقارية وقانونا لا يسطيع البنك ان يساهم باكثر من ٤٠٪ ولذلك الت باقى حصص الشركة وتقدر بـ ٦٠٪ لعائلة صبور ومن اهم المشروعات التى قامت بها الشركة هو "اركاديا مول " هذا المشروع الذى يبلغ قيمته نصف مليار جنيه وكان وقتها راس مال الشركة ٥ مليون جنيه وقد سألت من الكثير هل تعلم قيمة المجازفة التى سوف تقوم بها قلت انا اعلم قيمة اسم "صبور" فى عالم التشييد والبناء وبالفعل بدأت المشروع وانتهيت منه ورأس مال الشركة ٢٠ مليون جنيه وكان اعجاز بمعنى الكلمة.. واول مشروع فى مجال الكامبوند قامت به الشركة فى القاهرة الجديدة وكان الهدف منه انه تكون الفيلا بثمن الشقة وكانت بمبلغ ٧٢ الف جنيه واستمرنا نعمل من اجل توفير سكن الفوق المتوسط بسعر المناسب وهناك ايضا مشروعات قومية قمنا بها مع القوات المسلحة وطلبنا مساحة ٢٠٠ الف فدان بالعاصمة الادارية الجديدة لتعميرها ولم يتم الانتهاء من الموافقات .. وبالنسبة لمشروعتنا الان نعمل حاليا على تنفيذ المرحلة الرابعة من مشروع امواج فى الساحل الشمالى وقد تم الانتهاء من ٣ مراحل منه وفى القاهرة هناك مشروع ذا سكوير وهناك مشروع لافينير صبور هو احدث مشروعات الشركة بمدينة المستقبل بالقاهرة الجديدة

وقد علق على الاخبار المتدولة حول تعليق العمل فى مشاريع الاتفاقيات التى تم توقيعها مع وزارة الاسكان السعودية بشأن انشاء مشروعات سكنية بالمملكة العربية السعودية لاجل غير مسمى.. هناك بالفعل مشكلة سكنية فى المملكة العربية السعودية وقد قررت المملكة انشأ مجمعات سكنية فى كل مناطق من اجل حل هذه المشكلة وقد اعلنت المملكة فى وقت سابق انها سوف تكون الوسيط بين الشركات المسؤولة عن البناء والمواطنين لضمان الجدية وايضا كانت مهمة الدولة تحديد المناطق التى سوف يقام بها المجمعات السكنية وايضا المساحات المطلوبة بما فى ذلك اقراض المواطن ليتمكن من شراء الوحدة وقد وقع اختيار الدولة السعودية على اربع شركات نحن من بينهم وفى الحقيقة ان المشروع تعطلت بموت الملك " عبد الله " رحمه الله وقد تم احياء المشروع مرة اخرى مؤخراً وطلب منا التواجد لمناقته وكيفية اتمامه وقد بدأنا بالفعل بمدينتين ووافقت الدولة السعودية على الرسومات التى تم تنفيذها بالقاهرة ونتوقع امتداد العمل بيننا وبين المملكة خلال الفترة القادمة وللعلم ان العمالة سوف تكون " مصرية " وجميع المنتجات المستخدمه فى البناء من اسمنت وحديد وسيراميك وخلافه "مصرية" وحول الجدوى الاقتصادية من العاصمة الادارية الجديدة قال ان المخططين المصريين الذين قراروا تنفيذ هذا المشروع العملاق برعاية الرئيس السيسى الان سوف يقدموا لمصر انجاز كبير وقد تأخر تشييد هذا الصرح كثيراً . وعلى سبيل المثال ان فكرة تنفيذ الحى ا لحكو مى با لعا صمة الادارية الجديدة بأيدى مصرية خطوة ايجابية تتقلل الاعباء التى كانت ستتحملها خزينة الدولة المصرية حال تنفيذ المشروع من خلال الشركة الصينية فالجانب الصينى كان سيقرض مصر قرضا كبيرا للتمويل وكانت الشركة الصينية ستتعاقد مع شركات مصرية كمقاول من الباطن كما ان السعر المقدم من الشركة الصينية كان مرتفعا للغاية فبما ان قيمة الجنية تقل مقابل العملة الاجنبية فكانت مصر ستسدد قيمة القرض بعد سنوات طويلة قد تضاعفت عدة مرات .. فقط اود ان اشدد على ان الايادى المصرية قادرة على تنفيذ اى مشروع بأعلى جودة خاصة فمصر لديها شركات مقاولات على اعلى مستوى

مجلة شهرية منوعة
تأسست مارس ١٩٩٢

يصدرها النادى الدبلوماسى المصرى

رئيس مجلس الإدارة
السفير ياسر مراد

رئيس التحرير
السفير سعد الفرارجى

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار القانونى
رجائى عطية

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

نواب رئيس التحرير
السفير عبد الفتاح عز الدين
السفير هشام الزميتى
السفير رضا الطايفى

مساعدو رئيس التحرير
سكرتير أول هبة مصطفى
سكرتير أول أسامة حمدى
سكرتير أول فاطمة صابر
سكرتير ثان مينا باسيلى
سكرتير ثالث حازم غيث

توجه المراسلات إلى مجلة « الدبلوماسى » على عنوان
مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو
الدور ٢٨ - غرفة ٢٨٢٠ تلفاكس ٢٧٧٣٥٤٥٧ (٢٠٢)

Email diplomatmagazine92@gmail.com

في هذا العدد

نهج جوتيرس فى تسيير الأمم المتحدة.. بقلم السفير سعد الفرارجى	6
حقيبة الأخبار	10
التقارير الإخبارية	19

النصر العظيم: 43 سنة منذ الانتصار

حرب أكتوبر من منظور الأمن القومى العربى.. أ.د. أحمد يوسف	24
الدولة العربية من الهشاشة إلى التعافى ..... أ.د. عبدالمنعم المشاط	28

القضايا السياسية

الشئون العربية

فلسطين:

تحديات ومسئوليات ومتطلبات ..... لواء محمد إبراهيم	30
انتهاكات إسرائيل للمواثيق الدولية ..... سفير إيهاب وهبة	34
حل الدولتين فى مهب الريح ..... سوزى الجنيدى	36
البوابات الإليكترونية تكشف مخطط التقسيم . سكرتير ثالث حازم غيث	38

ليبيا:

مصر ودعم الحل السياسى للأزمة الليبية..... د. أحمد سيد أحمد	41
اتفاق باريس وآفاق الحل السلمى فى ليبيا ..... أ.د. هشام مراد	44
فى ليبيا الحل السلمى كفيل وحده ..... هادية الشربينى	47
معضلة الأزمة الليبية..... سفير د.محمد بدرالدين زايد	50

كردستان:

حق تقرير المصير فى التجربة العراقية ..... أ.د. نيفين مسعد	52
استفتاء كردستان وتحديات إعلان الدولة..... أ.د. نورهان الشيخ	54
استفتاء الأكراد.. هل حان وقت الحساب؟ ..... محمد صابرين	56
بين تحرير فلسطين واستقلال كردستان ..... محسن عوض الله	58

أزمة قطر:

الأزمة مع قطر.. إلى أين؟ ..... سفير سيد أبوزيد عمر	60
تطورات الأزمة مع قطر ..... سفير رخا أحمد حسن	64
فى المسألة القطرية..... سفير د.محمود سليمان	70

الأوضاع فى أفريقيا

ملف منطقة البحيرات العظمى الأفريقية ..... سفير د.عبير بسيونى	71
الأمن فى البحر الأحمر خط أحمر ..... سفير د. صلاح حليمه	84
طريق الحرير: رؤية أفريقية ..... سفير عبدالفتاح عزالدين	86

الملف الآسيوى

القيادات الكاريزمية وتجارب التنمية فى آسيا.. سفير رضا الطايفى	89
الصعود الصينى والتراجع الأمريكى والجمود الروسى . سفير د.علاء الحديدى	92

أمريكا اللاتينية

أثر التطورات السياسية على المنظمات الإقليمية فى أمريكا اللاتينية .. سفير عبدالفتاح عزالدين	98

عدد تذكارى 259 - 260

سبتمبر - أكتوبر 2017

الغلاف للفنان

جمال عبدالنبى

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبرعن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة
والخرائط المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

توجه المراسلات والمقالات على عنوان المجلة

باسم رئيس التحرير

Email: diplomatmagazine92@gmail.com

للإعلان فى المجلة يرجى الاتصال برقم

01000722134

ترحب «الدبلوماسي» بإسهامات واقتراحات
السادة أعضاء السلك الدبلوماسى
والقنصلى بما يقدمونه من مقالات تثرى
المجلة بثقافاتهم وتجاربهم الدبلوماسية

أوروبا

النزاع الأوكرانى الروسى..... سفير أسامة توفيق بدر 103

الولايات المتحدة

بريجينيسكى صانع الجهاديين ..... منى الدالى 105

ملف التنمية: استراتيجية التنمية

أجندة التنمية 2030 وأهداف التنمية المستدامة ..... . سفير أشرف إبراهيم 107

خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة 2030 .... . سفير د. عادل عبداللطيف 122

إطلالة على استراتيجية التنمية.....وزير مفوض د.حسام حسين 124

الإدارة التعاونية لموارد المياه المشتركة ..... أ.د.حسام الإمام 126

ملف خاص: السياسة والصحة والتنمية

العلاقة بين السياسة الخارجية والصحة العامة والتنمية سفير عمرو رمضان 130

العلاج عن بعد ..... سكرتير ثان مينا باسيلى 134

الشيخوخة وهم أم حقيقة ..... سكرتير ثان عبدالرحمن حسن 136

تاريخنا العظيم

لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية..... أ.د.محمد إبراهيم على 140

المتحف المصرى الكبير.. هدية مصر للإنسانية .. سفير هشام الزميتى 148

أسماء عريقة لمدن مصرية.. جزء3 .....سفير محمد عهدى خيرت 151

مصر والأجانب فى الألفية الأولى قبل الميلاد .....أحمد سعيد المصرى 154

2017 عام المرأة المصرية

الملكة الجميلة نفرتيتى ..... أ.د ممدوح الدماطى 156

البعد الدولى لاستراتيجية تمكين المرأة المصرية ..... د.مايا مرسى 160

اغنيتى حريتى ..... هبة عبدالعزيز 162

بنت النيل

لوحات فنانات رابطة زوجات الدبلوماسيين..... نادية الريس 164

الملف التذكارى: القاهرة.. باريس الشرق

القاهرة الخديوية.. درة الشرق.....عادل عبدالصمد 166

القاهرة الخديوية.. بين قاهرتين ..... حسام نصار 172

القاهرة الخديوية وعودة الروح . مهندس استشارى محمد أبوسعده 174

قاهرة المعز وقاهرة الخديوى إسماعيل.....سامح عبدالله 176

إعادة إحياء منطقة درب اللبانة..... أمينة شريف عبدالمجيد 178

القاهرة.. مرفع الرأس.....أ.د. نعمات أحمد فؤاد 180

التماثيل فى مصر..... أ. د. راندا بليغ 182

ثقافة وفنون

فنون تشكيلية.....سفير فخرى عثمان 188

التراث والتنمية المستدامة ..... أ.د. أحمد مرسى 190

زمن التصوير الضوئى الجميل..... سفير د. محمد حسونة 192

عمر الشريف الأسطورة..... سفير د. هادى التونسى 194

مشاهد نقدية لفيلم «دانكيرك» .... سفير د. وليد محمود عبدالناصر 196

خمس عقبات ثقافية أمام التنمية .....وزير مفوض محمد مصطفى عرفى 199

ألوان من القصص مع محمد التابعى أمير الصحافة.. شريفة محمد التابعى 202

نشاهده من نوافذ الوزارة ... قصر عائشة فهمى..... 206

نهج جوتيرس فى تسيير الأمم المتحدة

فى الأول من يناير 2017 تولى أنطونيو جوتيرس منصب الأمين العام للأمم المتحدة. بدأت مسيرة جوتيرس بخلفية سياسية حزبية أهلته لرئاسة الوزارة فى البرتغال، وكان نشاطه فى الدولية الاشـــتراكية مجالاً حقق فيه اتصالات أوروبية ودولية، دفعت به إلى خضم اتجاهات فكرية متباينة.

وكان توليـــه منصب المفوض الســـامى لشئون اللاجئين التابع للأمم المتحدة وهو عاشر من تولوه، عتبة جديدة للدخول فى أتون أهم مشكلة إنسانية وأكثرها اشتعالا فى الســـنوات العـــشر الأخيرة، مشـــكلة تداخلت فيها الصراعات والحروب وأنبتت الإرهاب، باعثاً عـــلى التعصب والكراهية والعنف، كما أظهرت شـــح القادرين على غوث الضحايا والمنكوبين.

أما عن الثقافة وتنـــوع المعرفة والدراية بالتاريـــخ فإن مجيئه من شـــبه جزيرة أيبيريـــا وأثر العـــرب فى ثقافة الأندلس وتعمقـــه فى الشريعة الإســـلامية، رأينا صدى ذلك فى مقاربته بين قوانين اللجوء الدولية وحمايـــة اللاجئ والنص القرآنى فى الآية السادسة من ســـورة التوبة عن أن حمايـــة اللاجئ واجب وحق للمؤمنين وغـــير المؤمنين، وســـاهمت المفوضية فى إصدار كتاب بعنوان «حـــق اللجوء بين الشريعة الإســـلامية والقانـــون الدولى للاجئين - دراســـة مقارنة» ألفه أستاذ مصرى ونشر فى الريـــاض عام 2009، ويتباهى جوتيرس بهذا فى القاعة الكبرى لجامعة القاهرة فى 15 يناير 2017، ومن منصة القمة العربية فى عمان بالأردن يوم 29/3/2017 فضلاً عن إشادته بفضل العرب على الثقافة والعلوم.

أنطونيو جوتيرس الأمين العام التاســـع للأمم المتحدة جاء فى وقت عصيب تعانى فيه المنظمة من تضـــاؤل الثقة والترهل وخصـــام بـــين الاعتبارات السياســـية والاقتصادية والوظيفية، وصفها أحدهم بالقول إن دور الأمم المتحدة يقتصر على إدارة التوافق الدولى حين يكون متواجداً، وعلى تلطيف مساوئه عندما يكون غائباً.

سجل أنطونيو جوتيرس وما يتحلى به من قيم وقدرة على الإنجاز، وما رشح عنه من أفكار وصدر عنه من تصريحات وبيانات وتقارير ولقاءات خـــلال الفترة الوجيزة - تســـعة أشهر حتى الآن - قد تبعث على الأمل فى أن نرى مبادئ وقيم الميثاق تحتل مكاناً على سلم السياسات الدولية، يحقق بعض النجاح فى التغلـــب على ما اعتبره جوتيرس نفسه أخطر نقائص نظام الأمم المتحدة عجزها عن منع نشـــوب الحروب والوقاية منها - فالوقاية خير من العلاج.

***

العالم الذى نعيشـــه تجتاحـــه تيارات واتجاهـــات متعددة تزيـــد من مخاطر الحياة وتضعف متعة الســـلامة بقدر لم نعهده من قبـــل. أول هذه المخاطر حالة السيولة فى النظام الدولى الناتجة عن تغير الأوزان النســـبية للقوى الدولية، نعيش فيها مخـــاض مولد نظـــام جديد طال الانتظـــار أو قصر، يتوازى مع هذا أنه فى الوقت الذى أحدثـــت فيه العولمة والتقدم التكنولوجى نمواً اقتصادياً غير مسبوق تلازم معه تركز وتراكم الثروة فى يد أقل القلة، جعلت من عدم المساواة والتنافس على مـــوارد متناقصة ظواهـــر تنال من التماســـك الاجتماعى والبناء المؤســـسى للدول، مما ولد موجات من التوتر والنزاع والعنف، بل والحرب أيضاً.

يضاف إلى ذلك تغير طبيعة النزاع وتعدد أطرافـــه، واتباعهم طرقـــاً غير معهودة تمثلـــت فى الإرهاب وتهريب الأســـلحة

بقلم السفير
سعد الفرارجى
رئيس التحرير

اجتماع الرئيس السيسى مع جوتيرس أثناء زيارة القاهرة

والجرائم غير المنظمة عبر الحدود، فضلاً عن الأوبئة الفتاكة والتغيرات المناخية، وهى متغيرات تهدد السلم والأمن الدولى، وتضرب الاستقرار داخل الدول، وتنال من النسيج الاجتماعى وسبل العيش والحياة.

أمام كل هذا تواجه الأمم المتحدة تحديات جسام لتحقيق مهامها فى صيانة السلم والأمن الدولى، وقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وحقوق الإنسان، وإذا كان لهذه الركائز الثلاث التى يرتفع بها بناء الأمم المتحدة، أن تعمل بتفاعل وترابط فيما بينها، فإن حتمية النظر فيما تحتاجه من مال ورجال وإدارة وتنظيم وتمويل، وقيادة نشطة ذات رؤية وقدرة على الإنجاز تتمثل فى شخص الأمين العام، ففى المقابل إن التحديات الدولية تتطلب منه تقديم إصلاحات عميقة وعملية تهيئ المنظمة كمصدر قرار وجهة إدارة لتسيير أمور عالم معقد.

***

أمام الدورة القادمة للجمعية العامة للأمم المتحدة والتى ستبدأ فى 12 سبتمبر 2017 – الدورة الثانية والسبعين – ما يزيد على 170 بنداً، ولكن يظل التركيز على بعض المسائل محل الاهتمام الدبلوماسى وفى مقدمتها المتعلقة بالسلم والأمن.

لقد حفلت الفترة الأخيرة من ولاية الأمين العام السابق بان كى مون بالعديد من اللجان والتقارير حول السلم والأمن، كما صدرت قرارات من مجلس الأمن والجمعية العامة لمراجعة هيكل بناء السلم، ولا شك أن هذه الدورة مع بداية عمل الأمين العام الجديد ستكون المناسبة لبذل جهوده والتعبير عن آرائه فى الإصلاحات الواجبة، وهو ما عبر عنه فى بداية ولايته بما سماه إحداث «طفرة فى دبلوماسية السلم» وهذه الطفرة فى مكوناتها تعتمد على الشراكة مع المنظمات الإقليمية والقوى والفئات ذات النفوذ فى المجتمع ورجال الأعمال، كما تعتمد على زيادة قدرة الأمم المتحدة على الوساطة، واللجوء إلى الحلول السلمية للمنازعات، وفقاً للفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة، فكما نعلم فإن الأمين العام تقع على عاتقه مسئولية بذل المساعى الحميدة والوساطة وبناء جسور التواصل ورسول سلام، يتوازى مع هذا أن الأمم المتحدة مكان التجمع وحلبة الحوار، مما ييسر لتخفيف التوترات وتيسير الحلول السلمية فى إطار دبلوماسية السلم والدبلوماسية الوقائية.

ومما يعزز السلم والوقاية من أخطار نشوب النزاعات المسلحة هو معالجة ما ظهر فى حالات كثيرة من أن أسباب غياب السلم واندلاع الحروب هو هشاشة مؤسسات بعض الدول وضعف قدراتها.

وقد أصبح تحليل هذه الاحتمالات والمعاونة فى درء نتائجها السلبية، محل اهتمام جوتيرس فى تكوين وتشكيل مهام الدوائر القريبة من عمله فى الأمم المتحدة.

كما يدخل فى إطار الوقاية واتقاء الحروب فى تقديرات الأمين العام كمهمة أساسية محاربة الإرهاب، وقد عبر عن هذا بالقول «فوفقاً للميثاق القوة يجب استخدامها عند الضرورة، ويجب ألا ننسى أنها معركة من أجل إعلاء القيم، وهى معركتنا المشتركة، فهجمات الإرهاب لا تستهدف فقط ضحاياه المباشرين، بل وكل المنتمين لمبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة، كما أن المجتمع الدولى له الحق قانوناً وعليه الواجب أخلاقياً لوضع نهاية للإرهاب فى كل أشكاله ومظاهره، كائناً من كان مرتكبه وفى أى مكان ولأى هدف، وبهذا لن نكون قد أذعنا للخوف أو تخلينا عن قيمنا».

وبالإضافة إلى تقديره لدور المرأة فى الأسرة والمجتمع والتنمية، فإن الأمين العام جوتيرس يرى وجوباً أن تتحقق للمرأة المساواة، وأن دورها فى دبلوماسية السلام وفى مناطق النزاع والتوترات وجهود الوساطة قد أتى بنتائج طيبة، تجعل من الواجب عليه أن تصل المرأة إلى أعلى المناصب القيادية فى الأمم المتحدة، وأن تتساوى عددياً مع الرجال فى الوظائف، وينحى باللائمة على المنظمة تخلفها عن تحقيق هذا الهدف منذ إعلانه من ستة عشر عاماً، كما لا يغفل دور الشباب وأن تعطله مصدر عدم استقرار فى المجتمع ونشأة بؤرة تنال من السلم والأمن الدولى، فضلاً عن توفير بيئة حاضنة للإرهاب.

أما عن عمليات حفظ السلام والتى تستنزف ما يزيد على 70 ٪ من ميزانية الأمم المتحدة، فالأمين العام يرى ضرورة إصلاحها، وفى هذا يحذر من الإفراط فى الاستعانة بعمليات حفظ السلام دون تقييم دقيق لصلاحيتها وفاعليتها، ويرى فى ذلك ألا توفد مهام لكى تفرض السلام أو تحارب الإرهاب، كما ينظر إلى إقامة شراكة استراتيجية مع المنظمات الإقليمية، تتيح تمويل ودعم تلك العمليات الإقليمية سياسياً ولوجستياً، وأخيراً التشديد للحد من جرائم العنف والاستغلال الجنسى التى ترتكبها قلة تحت راية الأمم المتحدة. مراجعة واستعراض عمليات حفظ السلم وبناء السلام ودور المرأة والسلم والأمن

نهج جوتيرس
فى تسيير الأمم المتحدة

ستتيح فرصة فريدة لتطوير إقامة عمليات سلم فعالة وحديثة وشاملة، تضم الوقاية وحل المنازعات وحفظ السلم وبناء السلم والتطوير على المدى الطويل، وهو ما يمكن أن نسميها «سلسلة السلم» أو «مجموعة السلم» لما بين مكوناتها من ترابط وتواصل، هذه المراجعات لا يجب أن تعامل كحزمة واحدة، ولكن كسياسات واستراتيجيات تخضع للبحث والدراسة، وعلى الأمم المتحدة أن تؤكد أولوية الحلول السياسية فى جميع المراحل، وأن تعطى الأسبقية للمناهج الوقائية، هذه هى أسس أية عملية سلام.

ومهما طال الجدل فلا يمكن تحقيق تقدم دون توفير موارد مالية بالقدر والتدفق الكافيين، فإحداث «طفرة فى دبلوماسية السلام» لن تتحقق دون هذا، فالوقاية من أجل سلام مستدام لا يمكن تأمينها اعتماداً على مساهمات موسمية أو تطوعية فعبارة «دبلوماسية السلام» فى القانون تسبقها كلمة «نزاع» وفى السياسة كلمة «أزمة» ولتفادى نشوب النزاع أو استمرار الأزمة لابد من توفير الموارد وضمان انتظام تدفقها، هذا هو الإطار الجديد الذى يسعى إليه جوتيرس لدبلوماسية السلام.

***

لقد مثل عام 2015 علامة فارقة فى تاريخ التعاون الدولى من أجل التنمية، حيث تم إطلاق أجندة التنمية المستدامة 2030 خلال الدورة السبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، كما انعقد مؤتمر الأمم المتحدة الثالث للتمويل من أجل التنمية فى أديس أبابا وصدر عنه برنامج أديس أبابا 2015، وتم التوصل إلى اتفاقية إطارية للأمم المتحدة بشأن المناخ «باريس - ديسمبر 2015» كما تم التوصل إلى "سندای" الإطارية للحد من مخاطر الكوارث.

وبنظرة إلى أجندة 2030 للتنمية المستدامة نجد أنها من أشمل وأكمل ما أنجز فى سير عمليات الأمم المتحدة، وهى الإطار العالمى لخمس عشرة سنة قادمة، فيها وعد قطعته الدول الأعضاء على نفسها «بألا يتخلف عن الركب أحد وراءه»، وهى خلاصة تعبر عن العالم الذى نريد أن نعيش فيه، وفى تضمين الأجندة 17 هدفاً تلتزم بتحقيقه كل من الدول وأصحاب المصالح.

هى أجندة طموحة تجمع بين الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للتنمية المستدامة، كما تعالج حقوق الإنسان والأمور المتصلة بالفقر والجوع والأوبئة، وعدم المساواة ووقف التدهور البيئى والهجرة الإجبارية والعنف والتطرف.

أجندة 2030 للتنمية المستدامة عقد اجتماعى جديد فى العالم، يزداد الإدراك العالمى بمحتواه ورسالته التحولية، وما ينجم عنه من مجموعة حقوق ومسئوليات هو شراكة بين الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدنى والسلطات المحلية والمدارس والجامعات.

وعودة إلى مقولات أنطونيو جوتيرس الأمين العام للأمم المتحدة فإنه دائم التذكير بثلاثية الأهداف التى تكون صلب عمل المنظمة والأعمدة الثلاثة التى تقوم عليها وهى السلم والأمن، والتنمية المستدامة وحقوق الإنسان، والتفاعل بينها فى علاقة تكاملية لا انفصام بينها، وأن أفضل وقاية من نشوب النزاعات وتجنب الحروب بآثارها المدمرة، هى التنمية المستدامة والشاملة للجميع، وفى هذا الإطار علينا أن نستفيد من الاتفاقات الطموحة التى حفل بها عام 2015، وأن تحول هذه الاتفاقات إلى مجالات عمل للوقاية من نشوب المنازعات وما يواجهنا من نكسات، وهذا يعنى أن نستثمر فى تعزيز قدرات المجتمعات على الصمود فى مواجهة الأزمات والقدرة على التكيف لنعود إلى نقطة التوازن، وفى رأى الأمين العام للأمم المتحدة أن أجندة 2030 وباقى الاتفاقات المشار إليها هى خير عون لبلوغ ذلك، وعلينا أن نستثمر فى الاحتياجات الأساسية للشعوب مثل التعليم والصحة والمياه، وأن نجمع بين العمل الإنسانى والتنموى.

أخيراً يخاطب جوتيرس مجتمع المال والأعمال والسياسة فى دافوس بلغة الأرقام، أن تنفيذ أهداف التنمية المستدامة بالكامل سيعود على الاستثمار بحوالى 30 بليون دولار سنوياً، وبهذا تتحقق منفعة متبادلة تفتح المجال لشراكات جديدة مع مجتمع دافوس فى ظل تطبيق أهداف التنمية المستدامة.

***

أما عن الركيزة الثالثة فهى حقوق الإنسان جزء لا يتجزأ من أعمدة عمل الأمم المتحدة، وفى رأى الأمين العام جوتيرس أن

جوتيرس فى القاعة الكبرى لجامعة القاهرة فى 15 يناير 2017

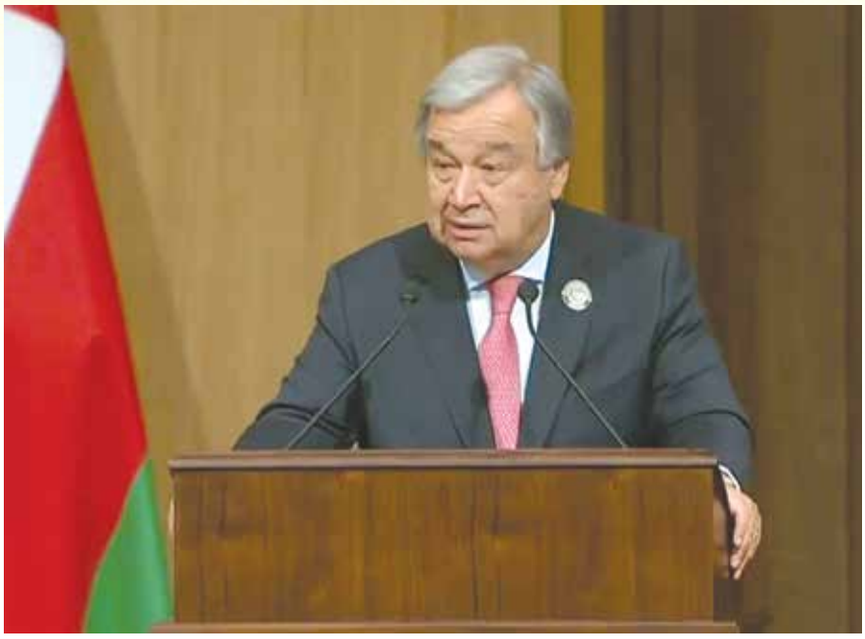

جوتيرس يخاطب القمة العربية فى عمان- الأردن 29 مارس 2017

مجلس حقوق الإنسان يمكن أن يكون محوراً للوقاية بتحذيره المبكر من الأزمات وإلقائه الضوء على السياسات، ورغم ما ينشب من خلافات بين الأعضاء، فعلى المجلس أن يعمل لمصلحة جميع الدول، فحقوق الإنسان يجب معالجتها بطريقة محايدة متجنبين ازدواج المعايير، وأن يكون استثمارنا فى حقوق الإنسان كقيم وأهداف مجردة، وألا نسمح بتحويلها إلى أداة سياسية.

كما يرى الأمين العام أنه فى عالمنا اليوم تجد نزاعات ويتضاعف عدد القائم منها وكلها متصلة بالإرهاب العالمى والتطرف المعنف، وهم لا يقفون عند حد الإرهاب، بل يقفزون إلى استغلال أية إساءة لحقوق الإنسان لتكون مقدمة لمزيد من الإرهاب.

أما عن حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فيجب ألا نعتبرها من أمور الرفاهية التى يمكن أن نؤجلها إلى الغد أو ندخرها لوقت آجل.

أخيراً فإن بناء مؤسسات أكثر فعالية تخضع للمساءلة وحماية حقوق الإنسان تعد استثماراً فى استدامة السلام، وهو أمر يحتاج إلى مزيد من البحث والتشاور.

***

ومتابعة لما عبر عنه الأمين العام من وضع رؤية لتطوير الأداء تجعل من الأمم المتحدة جهازاً قادراً على أداء المهمة المرجوة منها للسلام والتنمية وحقوق الإنسان، فقد بدأت عملية الإصلاح الإدارى والتنظيمى، تأخذ بالمرونة وعدم المركزية وثقافة الشفافية وروح المسئولية، وتوثيق الصلة بين مقر الأمم المتحدة والأجهزة العاملة فى الميدان والعواصم، وتعزيز فعالية تواجدها قطرياً وإقليمياً، وإيجاد نظام تمويل وإنفاق مرشد، والكفاءة فى الأداء والتخصص.

أما عن الهياكل والبنية الإدارية، فقد استهدف التطوير تعزيز بنية مكتب الأمين العام وفى القلب منه التنسيق الاستراتيجى الذى يربط المحاور الثلاثة السلم والأمن الدولى، والتنمية المستدامة، وحقوق الإنسان، كما أعيد هيكلة إدارات حفظ السلم والشئون السياسية، لتعزيز قدرة المنظمة على الوقاية واستدامة السلم والتخطيط للعمليات والتدريب، كما نال قطاع مكافحة الإرهاب الذى يعانى تعدد أجهزته ترشيداً يمكنه من تنفيذ استراتيجية الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب سيكون محل نظر الجمعية العامة بالإضافة إلى متابعة قرارات استدامة السلام الصادرة من قبل الجمعية العامة ومجلس الأمن.

وإزاء القرارات الطموحة المتعلقة بالتنمية المستدامة والتمويل للتنمية التى تم التوصل إليها فى عام 2015، فقد حظى نظام الأمم المتحدة للتنمية باهتمام خاص فى تقرير قدمه الأمين العام إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى جعل عنوانه «إعادة التموضع» والهدف هو إعادة تأهيل نظام الأمم المتحدة للتنمية لكى ينهض بأعباء أجرأ برنامج تنموى أقدم عليه العالم، ومن خلال برنامج يتكون من 38 نقطة سيتم إعادة موصفة جهاز التنمية للأمم المتحدة، ومازال للبرنامج بقية تعلن فى نهاية هذا العام، ويعيد الأمين العام تأكيد أن التنمية المستدامة هى الوسيلة لتحسين حياة الشعوب، وطريق التقدم لتحقيق الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للجميع، وتمكين للأمن والسلم، وتعطى للوقاية فرصة وأولوية.

وفى مواجهة مشكلة التمويل والثقة فى ميزانية مستقرة، واعتمادات تفى بتنفيذ الخطط والبرامج يسعى الأمين العام إلى إقامة «اتفاقية تمويل» يضمن قدراً من التيقن وضمان تدفق الموارد المخصصة للأمم المتحدة.

***

تشير الدلائل إلى دورة الجمعية العامة الثانية والسبعين والتى ستبدأ فى 12سبتمبر 2017، ستحظى بحضور عدد من الرؤساء والقادة، وستكون المناسبة الأولى لقدوم الرئيس الأمريكى ترامب لمقر الأمم المتحدة، وهى أيضاً الدورة الأولى للأمين العام جوتيرس، ووسط هذا يتردد الحديث عن أن الإصلاحات التى قدمها حول تسيير المنظمة قد لا تكون الوحيدة على الساحة.. بلا منازع.

***

حرصت القيادة المصرية على مدى الدورات الثلاث الماضية للجمعية العامة للأمم المتحدة أن تكون حاضرة للتعبير عن المصالح الوطنية والإقليمية ودعم السلام والتنمية، مؤكدة دور مصر المحورى سواء فى إطار الأمم المتحدة أو خارجها، وأن الدبلوماسية المصرية تتصف حقاً بالتوازن والموضوعية، وأعتقد أن دورة الجمعية العامة الحالية ستشهد هذا وتؤكده وتجدده.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد وزير الخارجية سامح شكرى نشاطا مكثفا

ليبيـــــا

أكد ســـامح شـــكرى وزير الخارجية أن الأمن القومى لليبيا جزء لا يتجزأ من الأمن القومى المـــصرى، وأشـــار إلى أهميـــة الحفاظ على المؤسســـات الليبية وفى مقدمتها الجيش الليبى بما يمكنها من بسط سيطرتها على كامل الأراضى الليبية واستعادة الأمن فى ليبيا ومكافحة الإرهاب.

وأوضـــح وزيـــر الخارجية أن مصر ســـتواصل حربها ضد الإرهاب مشيرا إلى الموقف المصرى فى إطار دول الرباعى العربى فيما يخص الأزمـــة القطرية والقائم على ضرورة التصدى للتهديدات القطرية للأمن القومى العربى على ضوء مخالفتها لالتزاماتها الدولية فى مجال مكافحة الإرهاب.. جاء ذلك خلال لقاء شكرى مع المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطنى الليبى، لبحث تطورات الملف الليبى خلال زيارته لباريس، وحيث أكد شـــكرى أن مصر لن تتهاون مع مـــن تلوثت يداه بدمـــاء أبنائها. وأضاف أن مصر تضررت من دعم قطر للإرهاب وتدخلها الســـلبى فى زعزعـــة اســـتقرار البلاد منذ عام 1996 مـــع بداية احتضانها للفكر المتطرف لمحاولة لعب دور إقليمى، وأشـــار إلى أن هذا التأثير السلبى زاد مع اندلاع ثورات الربيع العربى وبزوغ ما يسمى بالإسلام السياسى ودعم الغرب لهذا التيار، وشدد على رفض الشعب المصرى للتيار الإسلامى المتطرف.

ومن جانبه، أعرب «حفتر» عن تقديره لمـــا تبذله مصر من جهود لتفعيل المســـار السياسى من خلال الحل السلمى والحوار بـــين الأطـــراف الليبيـــة، وأكد خصوصية العلاقـــة التى تربط بين البلدين، مثمنا الدور المصرى المحـــورى والرائـــد فى المنطقة، ومواقـــف القيادة السياســـية المصرية الداعمـــة للأمة العربية كلها، وشـــدد على أن مســـاندة ودعم مصر لليبيـــا مكنتها من الصمـــود أمـــام التحديات التى واجهتها على مختلف الأصعدة.

وأشار قائد الجيش الوطنى الليبـــى، فيما يتعلـــق بالأزمة القطرية، إلى الدور السلبى الذى لعبته قطر فى المنطقة بشـــكل عام وفى مـــصر وليبيا على وجه الخصوص، شـــدد شكرى على الموقـــف المـــصرى القائم على ضرورة التصدى لتهديدات قطر لأمنها القومى موضحا أن مصر ستواصل حربها ضد الإرهاب.

كما رحب شـــكرى فى لقائه برئيس المجلـــس الرئاسى الليبى فايز السراج بنتائج اللقاء الذى جمعه مع المشير حفتر والرئيس ماكرون كخطوة إضافية مهمة على مســـار تحقيـــق المصالحة الوطنية ورأب الصـــدع الليبى. وفى إطار الجهود الدبلوماســـية المصرية المستمرة لإنهاء الانقسام وترســـيخ المصالحة الوطنية فى ليبيا، استقبلت اللجنة المصرية المعنية بليبيا برئاســـة الفريق محمود حجـــازى، رئيس أركان حرب القوات المسلحة، على مدار 3 أيام وفديـــن ليبيين من برقة ومدينة مصراتة، وتمت اللقاءات والمشاورات بشـــكل منفرد مع كل وفـــد على حدة، ثم بشـــكل مشترك مع ممثلين عن الوفدين دون شروط مسبقة حيث اتفق المشـــاركون على خارطة عمل تشـــمل عـــودة الوفدين لإطلاع قواعدهمـــا الاجتماعيـــة على مجريات المشـــاورات الحالية، ، كما تناولت المشاورات عددا من الشـــواغل التى يتعين معالجتها لإنجـــاز المصالحـــة المنشـــودة وأبرزها نبـــذ ومكافحة الإرهاب

القـــــــــدس

أكد سامح شكرى وزير الخارجية فى كلمته أمام مجلس وزراء الخارجية العرب فى اجتماعهم الطارئ ضرورة عدم تكرار إغلاق المســـجد الأقصى مســـتقبلا، وطالب إسرائيل بضبط النفس والامتناع عن اتخاذ إجراءات غير قانونية من شـــأنها زيادة الاحتقان على الأرض، وتأجيج الصراع من خلال استثارة المشاعر الدينية، وبـــذل الجهود لعودة الهدوء مرة أخرى، وقال إن مصر حذرت من خطورة هذه الإجراءات وقامت باتصالات مكثفة مع الأطراف المعنية من أجل نزع فتيل الأزمة.

وأضاف وزير الخارجية: تؤكد مصر على قـــرارات مجلس الأمن ذات الصلة وبخاصة تلك التى تتعلق بوضع القدس الشرقية والاتفاقات المبرمة بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى وكذا الامتناع عن أى أعمال اســـتفزازية أو تحريضية وأكد شـــكرى ضرورة العمل على تهدئة الوضع على الأرض وإعادة بناء الثقة، وإظهار الالتزام الصادق بحل الدولتين والســـعى إلى تهيئة الظروف اللازمة لتعزيز فرص السلام من خلال السياسات والإجراءات.

كما أكد ضرورة العمل على اســـتئناف عملية السلام بناء على حل الدولتين وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على حدود الرابع من يونيو 1967 وعاصمتها القدس الشريف، التى ستظل محلا لحماية ورعاية والدفاع من كافة الدول العربية والإسلامية. وأضاف: إن الممارسات الإسرائيلية أدت إلى موجات غضب تنذر بتفجر الأوضاع برمتها لما للمسجد الأقصى من قدسية لدى المسلمين.

سامح شكرى خلال لقائه المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطنى الليبى

والجماعات المتطرفة وجماعات الجريمة المنظمة وجميع المليشيات الخارجة عن القانون وتثبيت سلطة الدولة وتسليم المطلوبين للعدالة، والتأكيد على دعم الجهود التى تمت لمكافحة الإرهاب، وبحث سبل إيجاد آلية للتعويض عن الأضرار.

* كما التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع مبعوث الأمم المتحدة لليبيا غسان سلامة للتباحث حول جهود تسوية الأزمة الليبية حيث حرص على إطلاع المبعوث الأممى على رؤية مصر تجاه آخر المستجدات فى الشأن الليبى على الصعيدين السياسى والأمنى والتحديات التى تواجهها القاهرة من استمرار حالة الانفلات الأمنى فى ليبيا فضلا عن التعرف على نتائج الاتصالات والمشاورات التى قام بها «سلامة» مؤخرا .وتطرق الجانبان إلى كيفية البناء على نتائج اللقاء الذى جمع بين فايز السراج، رئيس المجلس الرئاسى الليبى والمشير خليفة حفتر القائد العام للجيش الوطنى الليبى بفرنسا من أجل تحقيق المصالحة الوطنية ورأب الصدع بين الأطراف الليبية المختلفة وأحاط وزير الخارجية المبعوث الأممى بالجهود التى قامت بها مصر مؤخرا لتعزيز بناء التوافق والمصالحة الوطنية فى ليبيا، بما فى ذلك لقاءات «شكرى» مع كل من «السراج» و«حفتر» فى باريس يوم 26 يوليو الماضى والمشاورات التى أجراها مع فيديريكا موجيرينى الممثلة العليا للاتحاد الأوروبى للسياسة الخارجية والأمنية بشأن ليبيا يوم 25 يوليو الماضى ببروكسل وتمت إحاطة المبعوث الأممى بنتائج اجتماعات وفدى برقة ومصراتة التى استضافها الفريق محمود حجازى رئيس اللجنة الوطنية المعنية بالشأن الليبى.

السودان

أكد سامح شكرى، وزير الخارجية، أهمية عقد اجتماعات لجنة المشاورات السياسية بصورة دورية، بما يعكس خصوصية وعمق العلاقات الثنائية وتطلع مصر لتطويرها فى كل المجالات، مشيرا إلى الدور المهم للجان الفنية المتخصصة بين الجانبين فى تذليل كل العقبات أمام تطوير العلاقات الثنائية وبما يمهد لانعقاد اللجنة العليا المشتركة على المستوى الرئاسى فى أكتوبر 2018.جاء ذلك خلال رئاسة سامح شكرى وزير الخارجية بالخرطوم وفد مصر فى لجنة المشاورات السياسية مع الجانب السودانى برئاسة إبراهيم غندور وزير الخارجية السودانى، وذلك فى إطار الاتفاق على دورية انعقاد لجنة المشاورات السياسية المنبثقة عن اللجنة العليا المشتركة على المستوى الرئاسى حيث تناول الاجتماع سبل تطوير العلاقات الثنائية فضلا عن مناقشة عدد من القضايا الإقليمية فى ليبيا واليمن وسوريا.

وتناول الاجتماع التعاون الثنائى فى المجال الأمنى ومكافحة الإرهاب، والعمل على احتواء التصعيد الإعلامى السلبى وتفعيل توقيع ميثاق شرف إعلامى بين الجهات المعنية فى البلدين فضلا على التعاون بين البلدين فى مجال نقل الخبرات وبناء الكوادر من خلال تدريب مجموعة من الدبلوماسيين السودانيين فى معهد الدراسات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية بالقاهرة، كما أكد الوزير شكرى ترحيب المهندس شريف إسماعيل رئيس مجلس الوزراء باستقبال بكرى حسن صالح رئيس الوزراء السودانى فى مصر فى أقرب فرصة ممكنة.أكد الوزير شكرى أهمية استئناف اجتماعات اللجنة الفنية الثلاثية فى أسرع وقت لضمان الانتهاء من الدراسات التى تقوم بها المكاتب الاستشارية فى أقرب فرصة ممكنة كما تناول وزير الخارجية سامح شكرى قمة حوض النيل التى عقدت أخيرا فى أوغندا ونتائجه.كما تناول الاجتماع العلاقات القنصلية بهدف تذليل جميع العقبات أمام حركة المواطنين وخلال زيارته للخرطوم التقى شكرى بالفريق أول ركن بكرى حسن صالح النائب الأول للرئيس السودانى رئيس مجلس الوزراء، حيث تناول اللقاء العلاقات الثنائية بين البلدين.

الجزائر

أكدت مصر والجزائر حرصهما على دعم التعاون الثنائى بين البلدين فى مختلف القضايا والملفات الإقليمية والدولية والحل السلمى فى ليبيا ودعم استقرارها ومكافحة الإرهاب قال سامح شكرى وزير الخارجية فى مؤتمر صحفى مشترك مع نظيره الجزائرى عبدالقادر مساهل عقب جلسة المباحثات المشتركة إن الوزير الجزائرى حمل رسالة مكتوبة من الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة إلى الرئيس السيسى مشيرا إلى أن اللقاء استعرض جميع أوجه العلاقات والاهتمام بتعزيزها وتكاملها.

وأشار شكرى إلى أنه تم التطرق خلال اللقاء إلى القضايا الإقليمية، والوضع فى ليبيا وتأثيره على الأمن فى مصر والجزائر، وأكد شكرى أنه ليس لمصر أو الجزائر أى أطماع فى ليبيا وهدفنا هو تحقيق استقرار الشعب الليبى والاستفادة من مقدراته، مضيفا أنه تم الاتفاق على تعزيز التعاون والحوار وتوفير المعلومات المشتركة حول الجهود التى ترعاها مصر والجزائر، كما أن وزير الخارجية الجزائرى يأتى لمصر فى إطار جولة له بالمنطقة تضم العراق والسعودية والإمارات وسلطنة عمان.

أضاف شكرى أننا نعمل على إنهاء الأوضاع القائمة فى سوريا واليمن والعراق واستعادة وحدة العرب والهوية العربية واضطلاع الدول العربية بدورها فى منظومة الأمن القومى العربى، وقد اتفقنا على إنشاء آلية مصرية جزائرية للتنسيق فيما يتعلق بتعزيز دور الجامعة العربية.

ومن جانبه قال عبدالقادر مساهل وزير الشئون الخارجية الجزائرى إنه كان له شرف نقل رسالة إلى الرئيس السيسى من أخيه الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة مضمونها تعزيز العلاقات بين البلدين وتوسيع الشراكة بينهما بالتنسيق والتشاور الدائم فيما يتعلق باستمرار بلدينا وكل ما يتعلق بوحدة واستقرار أمتنا العربية مشيرا إلى أنه فيما يتعلق بالتعاون الثنائى فمن المقرر أن يعقد اجتماع اللجنة العليا المشتركة للتعاون بين مصر والجزائر قبل نهاية العام، وستجتمع اللجان للإعداد لها كما تم الاتفاق على إنشاء آلية بين وزيرى الداخلية فيما يتعلق بالقضايا الأمنية وتسهيل المرور لأبناء البلدين.

كما تم الاتفاق على تحضير منتدى لرجال الأعمال على هامش اللجنة العليا.

أشار مساهل إلى أنه تم التطرق خلال المباحثات للوضع فى المنطقة وأكد مساهل على خصوصية العلاقات التى تربط البلدين، معربا عن تطلع بلاده إلى مواصلة العمل على تعزيز العلاقات الثنائية على مختلف المستويات.

وأعرب وزير الخارجية عن تطلع مصر لتنسيق المواقف مع الجزائر سواء فى الإطار العربى أو من خلال الأمم المتحدة للتصدى بحزم للدول الراعية للإرهاب.

جهود مصر والأردن وفلسطين لإنهاء جمود عملية السلام

شكرى والمالكى والصفدى يطالبون إسرائيل باحترام الوضع التاريخى والقانونى للأقصى

اجتمع وزراء خارجية مصر والأردن وفلسطين بالقاهرة أمس، فى ختام اجتماع آلية التنسيق الثلاثية المعنية بمتابعة تطورات القضية الفلسطينية، وسبل دعم عملية السلام، وأكدوا فى بيان، أنه يجب احترام الوضع التاريخى والقانونى للمسجد الأقصى، ومواجهة تهديدات الاحتلال الاسرائيلى لتغييرها.

وجاء الاجتماع قبل أيام من وصول وفد أمريكى إلى المنطقة لمناقشة أوضاع القضية الفلسطينية. ودعا وزير الخارجية سامح شكرى، المجتمع الدولى إلى تكثيف الجهد لتجسيد حل الدولتين، واضاف أن عدم حل القضية الفلسطينية، يؤثر على استقرار المنطقة. واكد على أن البيان الصادر عن الاجتماع، أشار إلى أنه بات من الضرورى تخطى حالة الجمود الحالية والعمل على اطلاق مفاوضات بين الجانبين الفلسطينى والاسرائيلى تنهى الاحتلال. وشدد الوزراء على ضرورة احترام الوضع التاريخى والقانونى للمسجد الأقصى ومواجهة تهديد الهوية الذى تقوم به إسرائيل، كما دعوا فى بيان لهم المجتمع الدولى إلى استمرار جهوده للبدء فى عملية تفاوضية وفقا للقوانين الدولية واتفاق سلام على أساس حل الدولتين. وتطلع البيان المشترك إلى تكثيف أمريكا جهودها ومساعيها من أجل الوصول إلى اتفاق سلام ينهى الاحتلال ويفضى إلى حل شامل. ودعم الوزراء جهود الرئيس الفلسطينى محمود عباس، لإتمام المصالحة، ومساعى مصر وفقا لإتفاق القاهرة عام 2011. واتفق وزراء الخارجية على استمرار التشاور بينهم واستمرار التواصل مع الأطراف الإقليمية والدولية على أساس حل الدولتين. وقال وزير الخارجية الفلسطينى رياض المالكى، إنه يُقدر التنسيق المهم على المستوى الثلاثى وأكد أهمية استمرار التنسيق خاصة بعد أحداث المسجد الأقصى ومحاولة إسرائيل تغيير الوضع القانونى والتاريخى وفرض سيادتها على المكان. وأضاف: "يجب التنسيق على المستوى العربى والإسلامى والدولى أيضًا، ومن اهمها وجود رؤية واضحة قبل اجتماعات الأمم المتحدة فى سبتمبر المقبل". وتابع أن الأراضى المحتلة تواجه تحديات يجب التنويه عنها، مثل الاستيطان الذى يحاول أن يقضى على حل الدولتين وافشال إقامة الدولة الفلسطينية المتواصلة جغرافيا، ومحاولات إسرائيل لمصادرة الأراضى. وأكد أنه يجب التصدى لهذه الإجراءات ومواجهتها. وقال أيضا إن ما حدث فى المسجد الأقصى مهم لاستخلاص العبر وأن الجولة المقبلة ستكون أعنف وأشرس من الجانب الإسرائيلي". ومن جانبه قال وزير الخارجية الأردنى، أيمن الصفدى، إن أمن المنطقة يتطلب إنصاف الشعب الفلسطينى، وأن السلام خيار استراتيجى عربى "نريد سلام دائم" وحتى تقبله الشعوب يجب أن يلبى للشعب الفلسطينى الأمن والحرية. وأكد على ضرورة وقف إسرائيل جميع الحملات الأحادية لفرض حقائق جديدة على الأرض والتى تقوض فرص قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة، بجانب ايقاف تهديداتها بتغيير الوضع فى الحرم القدسى التى تعتبر استفزازا يهدد أمن المنطقة برمتها. وأكد أن الظروف على الأرض صعبة وغياب الأفق السياسى يهدد بانفجار الأوضاع فى أى لحظة. ودعا وزراء الخارجية، المجتمع الدولى إلى تكثيف جهوده للمساعدة فى خلق المناخ المناسب والظروف الملائمة من أجل البدء فى عملية تفاوضية، وفقاً لمقررات الشرعية الدولية وفى إطار زمنى محدد، ومساعدة الطرفين على التوصل إلى اتفاق سلام على أساس حل الدولتين، معربين عن تقديرهم للدور الأمريكى من أجل تحقيق السلام بين الطرفين، وتطلعهم لتكثيف إدارة واشنطن، جهودها خلال الفترة المقبلة، مؤكدين على دعمهم لأى جهود تنهى الإحتلال الاسرائيلى، وتفضى إلى التوصل لحل نهائى وشامل وعادل للقضية الفلسطينية

سامح شكرى، تعقيبا على إتهامات قطر الكاذبة للدول الأربعة:

هذه مهاترات وكلمات غير ملائمة وعبارات متدنية، ونعلم التاريخ القطرى فى دعم الإرهاب وما تم توفيره من أسلحة وأموال لعناصر متطرفة فى ليبيا وسوريا واليمن وداخل مصر وأدت إلى استشـــهاد العديد من أبناء مصر وهذه الحقوق لن تضيع وسوف نســـتمر فى الحفاظ على مصالحنا والدفاع عن أبنائنا واتخاذ كافة الإجراءات التى تكفلها لنا كل القوانين الدولية والســـيادة التى نتمتع بها، فنحن شـــعوب ورائنا 7000 سنة من الحضارات ونتصرف بمســـئولية ولا نقبل كلام خارج، لا يجب أن يثار.

اجتمع وزير الخارجية ســـامح شكرى مع مبعوث وزير الخارجية الأمريكى لأزمة قطر، الجنرال المتقاعد أنتونى زينى، وتيم ليندر كينج نائب مســـاعد وزير الخارجية لشـــئون دول الخليج والوفد المرافق لهما وذلك فى إطار جولتهما فى عدد من دول المنطقة لبحث مســـتجدات الأزمة وســـبل حلها حيث طرح الشواغل المصرية حيال استمرار الدور السلبى الذى تقوم به قطـــر فى رعاية الإرهاب والتطرف عبر توفير التمويل والمـــلاذ الآمن للإرهابيين ونشر خطاب الكراهية والتحريض، وتدخلاتها فى الشـــئون الداخلية للدول العربية بما يهدد الأمن الإقليمى العربى والسلم والأمن الدوليين.

وأكد وزير الخارجية التضامن والتنسيق الوثيق بين الدول العربية الأربعة، والتوافق فيما بينها حيال ضرورة تنفيذ قطر قائمة المطالب الثلاثة عشر التى قدمت إليها والالتزام بالمبادئ الســـتة الحاكمة لها والتى تتســـق مع القانون الدولى وفقا لما تـــم التأكيد عليه فى اجتماعى القاهرة والمنامة. من جانبه، أعرب المبعـــوث الأمريكى عن تطلعه لحدوث انفراجة فى الأزمة خلال المرحلة المقبلة مؤكدا استمرار دعم الولايات المتحدة جهود الوساطة الكويتية وحرصها على التواصل مع جميع الأطراف.

رومـــــانـــيـــا

بعـــث الرئيـــس عبدالفتاح الســـيسى رســـالة إلى الرئيـــس الرومانى كلاوس يوهانس تتضمن دعوة الرئيـــس الرومانى لزيارة مـــصر فى أقرب موعد وتأكيد تطلع مـــصر لتعزيز وتطويـــر علاقات الصداقـــة التاريخية التى تربطها برومانيا، ســـلمها سامح شكرى وزيـــر الخارجية. وأشـــار وزير الخارجية إلى تلقـــى مصر دعوة رومانيا للرئيس لحضور الاجتماع الرئاسى بشأن الشباب وحمايتهم من التطرف والذى تنظمه رومانيا على هامـــش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ســـبتمبر المقبـــل، مؤكـــدا تطلـــع الرئيس للمشـــاركة بـــه حال ســـمحت ارتباطات ســـيادته بذلك.وتناول وزيـــر الخارجيـــة فى لقائـــه مع الرئيس الرومانى تطورات المرحلة الحاليـــة فى مصر وما تواجهه من تحديـــات جمة، كمـــا تطرقا إلى قضية الهجرة غير الشرعية. ومن جانبه حرص الرئيـــس الرومانى على تثمين مواقف مصر التى تجعل منها حجر الزاوية فى الاســـتقرار والأمن الإقليمى.

كما التقى وزير الخارجية بكل من ليفيـــو درجنيا رئيس مجلس النواب الرومانى، وكالين بوبسكو تارشيانو رئيس مجلس الشيوخ الرومانـــى فى لقاءيـــن منفصلين حيث أحاطهما بنتائج مباحثاته مع وزيـــر الخارجيـــة الرومانى. أشـــاد رئيســـا مجلـــس النواب والشـــيوخ الرومانى بالمســـتوى المتميـــز للعلاقـــات بـــين مصر ورومانيا التى ترقى إلى مســـتوى الصداقة التاريخيـــة بمرور 111 ســـنة على العلاقات الدبلوماسية هذا العام. واستعرض أمام الملتقى السنوى لسفراء رومانيا بالخارج كأول وزير خارجيـــة من خارج الاتحاد الأوروبى يتم دعوته لإلقاء محاضرة أمام الملتقى، وشـــهدت الزيارة التوقيع على ثلاث مذكرات تفاهـــم بـــين مـــصر ورومانيا، الأولى حـــول تبـــادل الإعفاء من التأشـــيرة لجـــوازات الســـفر الدبلوماسية، والثانية حول إنشاء آلية للمشـــاورات السياسية بين البلدين، والثالثة بروتوكول تعاون بـــين وزارتى الســـياحة المصرية والرومانية.

ســـوريـــــا

نجحت مـــصر بالتعاون مع روســـيا للمرة الثانية خلال أقل من أســـبوعين فى التوصل لاتفاق هدنـــة بريف حمص الشـــمالى وسط ســـوريا والذى دخل حيز التنفيذ فى ضـــوء حرص الرئيس عبدالفتاح الســـيسى على وقف إراقة الدماء فى ســـوريا وبذل كل جهد ممكـــن للحفاظ على حياة السوريين.

وبدأ وقف إطلاق النار على أن يتم إدخال المساعدات الإنسانية إلى ريف حمص الشمالى ويشكل الاتفاق نجاحـــا مصريا جديدا بعد توقيـــع اتفـــاق الهدنة فى منطقة الغوطة الشرقية بدمشق على الرغم مـــن الانتهاكات التى يتعـــرض لهـــا الاتفـــاق إلا أنه نجـــح فى تخفيف حـــدة التوتر واستضافت مصر اجتماعات بين الجانـــب الروسى مع ممثلين عن فصائل المعارضة السورية حتى تم التوقيع على الاتفاق.وأعلنت وزارة الدفاع الروســـية أن اتفاق إنشـــاء منطقة ثالثة لتخفيف التوتـــر شـــمال مدينة حمص فى ســـوريا دخل حيـــز التنفيذ وأشـــاد المتحدث باســـم وزارة الدفاع الروســـية اللـــواء ايجور كوناشـــينكوف بالجولة الأخيرة من المفاوضات بين العســـكريين الروس وممثلى المعارضة المعتدلة فى القاهرة فى 31 يوليو الماضى.

أكد سامح شـــكرى وزير الخارجية دعم مصر لدور الأمم المتحـــدة فى رعايـــة المفاوضات بين الأطراف السورية المختلفة، وأهمية تنسيق الجهود الإقليمية والدولية من أجل إطلاق محادثات مهمة واضحة الأهداف، وأشار إلى أن تلك المحادثات تســـتهدف التســـوية السياســـية الشاملة للأزمة السورية، جاء ذلك خلال اتصال هاتفى تلقاه شكرى من "ستيفان ديمســـتورا" مبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا.

الحوار السياسى العربى اليابانى

أكد وزير الخارجية سامح شكرى إن العالم العربى يتمسك برؤيته المشتركة لحل الصراع العربى الإسرائيلى، وفق قرارات مجلس الأمن ذات الصلة، ومبدأ الأرض مقابل السلام، وحل القضية الفلسطينية وفق رؤية الحل المبنى على قيام دولتين تعيشان جنبًا إلى جنب فى سلام وآمان.وقال شكرى خلال كلمته فى الدورة الأولى للاجتماع الوزارى للحوار السياسى العربى اليابانى، أن المبادرة العربية للسلام لعام 2002، والتى جسدت بشكل واضح خيار العرب الاستراتيجى للسلام، واضاف ان ما تموج به المنطقة العربية من أزمات يستدعى منا دائماً التأكيد على وجهة النظر العربية إزاء تلك الأزمات وكيفية حلها.. وتأتى فى هذا الصدد قضية العرب الأولى وهى القضية الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى، وتعد المبادرة العربية للسلام لعام 2002، والتى جسدت بشكل واضح خيار العرب الاستراتيجى للسلام، خير دليل على تمسك العرب بالحل السلمى للصراع العربى الإسرائيلى من أجل تحقيق السلام العادل والشامل فى المنطقة. وعلى صعيد الحرب على الإرهاب، فلقد بات من الضرورى تبنى المجتمع الدولى مقاربة شاملة لمكافحة الإرهاب لا تقف عند حدود المواجهات العسكرية والتعاون الأمنى.

واوضح الوزير إن التزام مصر بنزع السلاح النووى ومبادئ معاهدة عدم الانتشار النووى ثابت على مدار العقود الماضية، وتحتل تلك القضية أولوية قصوى للسياسة الخارجية المصرية على ضوء الإيمان الراسخ بأن ازالة الأسلحة النووية يتطلب عملاً دولياً مشتركاً. وقد أدانت مصر بأشد العبارات التجربة النووية السادسة لكوريا الشمالية، وإطلاقها لصاروخ بالستى الذى انتهك الأجواء اليابانية .

ومن هذا المنطلق فإننا نتطلع لأن تتخذ اليابان موقفاً مبدئياً مماثلاً يدعم الموقف العربى من القدرات النووية الإسرائيلية، فليس من المقبول استمرار انعدام التوازن فى الالتزامات فى المجال النووى بين الدول العربية من جانب وإسرائيل من جانب آخر حيث ما زالت إسرائيل هى الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى ترفض الانضمام لمعاهدة عدم الانتشار النووى، وعدم التزام برنامجها النووى بضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

واضاف شكرى إن الاجتماع يمثل فرصة لتعزيز الحوار السياسى بين الدول العربية واليابان ليتكامل مع التعاون بين الجانبين فى مجالات عديدة أهمها نقل الخبرات اليابانية الرائدة فى مجالات التنمية والتكنولوجيا والطاقة والبنية التحتية والتدريب المهنى للشباب.

● استقبل سامح شكرى وزير الخارجية وزير خارجية اليابان «تارو كونو» فى أول زيارة له عقب توليه مهام منصبه مؤخرا، حيث أجرى الوزيران مباحثات تناولت التعاون الثنائى والقضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك حيث استهل اللقاء مشيدا بالعلاقات التاريخية بين البلدين، وهو ما عكسته زيارة رئيس الوزراء اليابانى «شينزو آبي» للقاهرة فى يناير 2015، وزيارة الرئيس السيسى لطوكيو فى 28 فبراير 2016، والى تضمنت إلقاء الرئيس كلمة أمام البرلمان اليابانى كأول رئيس مصرى وعربى يتحدث أمام البرلمان اليابانى، فضلا عن العديد من الزيارات المتبادلة الناجحة.

وتناول اللقاء التعاون الثنائى، حيث شكر وزير الخارجية الجانب اليابانى لدعم مصر فى مشروع المتحف المصرى الكبير، معربا عن تطلع مصر لمشاركة رئيس الوزراء اليابانى فى افتتاح المتحف، فضلا عن دعم اليابان لمركز القاهرة الدولى للتدريب على تسوية النزاعات وحفظ وبناء السلام منذ عام 2008 من خلال برنامج الأمم المتحدة الإنمائى. كما تتطلع مصر لزيادة الاستثمارات اليابانية، منوها إلى قانون الاستثمار الموحد وما يوفره من فرص حقيقية وآفاق كبيرة للاستثمار الأجنبى المباشر، فضلا عن مميزات السوق المصرى وما يوفره من عناصر جذب للمستثمرين اليابانيين. وتناول اللقاء عددا من القضايا مثل التوتر فى شبه الجزيرة الكورية والآثار الناجمة عن التجربة النووية الأخيرة لكوريا الشمالية، واستمرارها فى تطوير قدراتها الصاروخية بما يشكل تهديدا لجيرانها، حيث أكد الجانبان على أهمية إلتزام كوريا الشمالية بتنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

كما تم كذلك تناول القضية الفلسطينية وأهمية التوصل إلى سلام عادل ودائم للصراع العربى الإسرائيلى من خلال قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، والوضع فى سوريا وليبيا، بالإضافة إلى مكافحة الإرهاب والفكر المتطرف، حيث استعرض وزير الخارجية الدور البارز للأزهر الشريف ودار الإفتاء فى هذا الصدد.

من جانبه، أعرب وزير خارجية اليابان عن سعادته بزيارة مصر، مؤكدا على أن تعزيز العلاقات اليابانية العربية بشكل عام، والعلاقات مع مصر على وجه الخصوص، يمثل أولوية خاصة له، فضلا عن سعادته بعقد الجلسة الأولى من الحوار العربى اليابانى خلال فترة توليه منصب وزير الخارجية. كما أعرب الوزير تارو كونو عن اهتمام بلاده الخاص بتعزيز الشراكة مع مصر فى المجالين الثقافى والتعليمى.

ليتوانيا

سلم وزير الخارجة سامح شكرى رسالة من الرئيس السيسى إلى السيدة داليا جريبوسكايبى رئيسة ليتوانيا تأكيد لأهمية تعزيز العلاقات الثنائية بن مصر وليتوانيا، وتنسيق المواقف فى المحافل الدولية. كما عقد مباحثات مع نظيره وزير الخارجية الليتوانى، ومع رئيس الوزراء هناك.

وخلال المؤتمر الصحفى أوضح وزير الخارجية ان مصر تحترم حرية الصحافة والرأى وأن هناك دستور أو قوانين تنظم الإعلام، موضحا أن هناك أشياء تكون خارج الدستور والقانون لا يمكن تجاهلها مستشهدًا بمقاضاة محمد فهمى مراسل الجزيرة الأسبق للقناة وفضح أساليبها فى العمل وتغطيتها غير الموضوعية وذلك ردا على سؤال بشأن موقف مصر تجاه قناة الجزيرة وموقف حرية الإعلام والتعبير وحول الملف الليبى قال إن خبرة التدخل الأوروبى فى ليبيا غير إيجابية، وذلك ردا على سؤال حول التدخل الأوروبى.

استونيا

أعربت رئيسة جمهورية استونيا السيدة كريستى كالجولاند عن تقديرها لمصر قيادة وشعبًا منوهة بمحورية الدور المصرى فى تعزيز الأمن والاستقرار فى الشرق الأوسط، وذلك خلال استقبالها وزير الخارجية سامح شكرى الذى سلمها رسالة خطية من الرئيس السيسى. وقد أكد شكرى ثقة مصر فى رئاسة استونيا الحالية للاتحاد الاوروبى خلال مرحلة تشهد تحديات غير مسبوقة خاصة فى ظل الهجمات الإرهابية التى تتعرض لها أوروبا.

كما اشار وزير الخارجية إلى ضرورة تعزيز آفاق التعاون فى شتى المجالات، خاصة الاقتصادية والاستثمارية، حيث استعرض النتائج الإيجابية لبرنامج الإصلاح الاقتصادى فى مصر، والجهود الرامية لتعزيز المناخ الاستثمارى، وذلك على ضوء قانون الاستثمار الجديد.

روسيا

اجرى سامح شكرى وزير الخارجية محادثات سياسية مع نظيره الروسى سيرجى لافروف خلال زياته إلى موسكو، سلم خلالها رسالة مع الرئيس السيسى إلى بوتين، تأكيدًا على اعتزاز مصر بخصوصية العلاقات الوثيقة وتطلعها إلى الاستمرار فى الارتقاء بها وتطويرها.

شكرى أعرب عن تقديره لمستوى الشراكة والحوار الاستراتيجى بين مصر وروسيا القائم، وفق صيغة «2 + 2» عبر وزيرى الدفاع والخارجية فى كلا البلدين وتم التأكيد على محورية الدور المصرى فى استعاد ة الأمن والاستقرار فى ليبيا، وإنهاء حالة الانقسام وترسيخ المصالحة الوطنية وأن الوزيرين بحثا كذلك التطورات الراهنة فى سوريا، وأهمية التنسيق والذى أثمر موخرًا عن التوصل إلى اتفاق للهدنة فى كل من حمص والغوطة الشرقية.

وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، استعرض شكرى تقييم مصر للأوضاع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، ونتائج اجتماع وزراء خارجية مصر والأردن وفلسطين فى القاهرة مؤخرًا وتقييم الموقف الدولى تجاه فرص استئناف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية.

وقد أكد لافروف اعتزازه بالعلاقات الوثيقة التى تجمع البلدن، مشيرًا إلى ما تمثله الزيارات المتبادلة من فرصة مهمة لدفع مسار العلاقات الثنائية التى تكتسب أهمية متزيادة ، وذلك بالاضافة إلى مناقشة ملف استئناف الطيران الروسى إلى القاهرة والمنتجعات السياحية فى البحر الأحمر، حيث اتفق الوزيران على استمرار التعاون فى مجال أمن الملاحة الجوية، بما فى ذلك إتمام التوقيع على البروتوكولات اللازمة فى هذا المجال، وقد أعرب شكرى عن تطلع مصر لاستئناف الطيران الروسى المباشر وحركة السياحة الروسية إلى المنتجعات المصرية فى أقرب فرصة.

مراكز حفظ السلام

قال سامح شكرى، وزير الخارجية، فى افتتاح المؤتمر السنوى الثالث والعشرين للرابطة الدولية لمراكز التدريب على حفظ السلام، أن مصر تعتبر الدولة السابعة على مستوى العالم مساهمة فى حفظ السلام، مؤكدا ان مصر دربت ما يقرب من 17 ألف فرد منهم 7 الآف من قوات حفظ السلام.

وأكد شكرى، أن مصر تعمل على حفظ السلام فى ظل التحديات التى تواجهنا من تخريب جماعات إجرامية، داعيا لحفظ السلام عبر تشكيل لجان خاصة لإقرار السلام فى إفريقيا.

وأشار وزير الخارجية، لتنظيم مصر لحوار مفتوح لتحسين المهام الموكلة لقوات لحفظ السلام، موضحا أن مصر عملت مع الأمم المتحدة لتحقيق السلام وسط النزاعات، مؤكدا أن إدارة النزاعات تجمدها ولا تحلها وهو تحد كبير يواجهنا فى المنطقة العربية، فى ظل غياب حل سياسى لتلك النزاعات.

غينيا

بحث وزير الخارجية سامح شكرى ونظيرته الغينية مكالى كمارا تعزيز التعاون والتنسيق بين البلدين فى إطار المحافل والمنظمات الدولية لاسيما مع تفاقم حجم التحديات التى تواجه دول القارة الأفريقية وعلى رأسها مكافحة الإرهاب وحفظ السلم والأمن وتسوية النزاعات وذلك فى ضوء رئاسة غينيا الناجحة حاليا للاتحاد الأفريقى وعضوية مصر فى كل من مجلس السلم والأمن بالاتحاد الأفريقى ومجلس الأمن. كما تبادلا الرؤى حول الإصلاح المالى والمؤسسى بالاتحاد الأفريقى حيث أعربت وزيرة خارجية غينيا عن تقديرها باعتبار مصر من أكبر الدول المساهمة فى ميزانية الاتحاد ومن الدول ذات التأثير السياسى والاقتصادى المهم على مستوى القارة.

كما أكد شكرى اهتمام مصر بتطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية والزراعية بين البلدين بما يرتقى لمستوى العلاقات المتميزة من جانبها أكدت وزيرة خارجية غينيا عمق وقوة العلاقات المصرية الغينية معربة عن تطلعها لأن يشهد التعاون طفرة حقيقية تعكس العلاقة الخاصة والفرص المتاحة لتعزيز التعاون فى مجالات الزراعة والتجارة والتعليم والموارد المالية.

ألمانيا

أشاد وزير الخارجية سامح شكرى بالعلاقات المصرية الألمانية واصفا المباحثات التى أجراها فى برلين بالمثمرة.

وقال شكرى خلال مؤتمر صحفى مشترك مع نظيره الألماني: إن مصر تتطلع لشراكة كاملة بين مصر وألمانيا تحت قيادة الرئيس السيسى مضيفا: «أننا نقدر ما حققناه فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية أخيرا خاصة على الصعيد السياسى والاقتصادى والتجارى فضلا عن التعاون العسكرى والأمنى والهجرة ومحاربة الإرهاب، وكذا التعاون الثقافي».

كما أكد وزير الخارجية الألمانى، زيجمار جابرييل أن هناك تعاونا مكثفا بين مصر وألمانيا فى جميع المجالات، لاسيما فى مكافحة الإرهاب. وأن بلاده تدعم مصر فى محاربة الإرهاب، مشددا فى الوقت نفسه على أن استقرار مصر يعد مهما للعالم أجمع.

وأضاف: تناقشنا بشأن قضية خلافية تتعلق بما يحدث بين دول حوض النيل، ولدينا تفهم كبير ودعم لمصر وموقف أصدقائى المصريين، إن كل ما يحدث بشأن النيل يؤثر على مصر، النيل هو قلب مصر وهو مسألة وجودية بالنسبة لها، ومياه النيل لمصر هى مثل الماء بالنسبة للجسد، ومثل الدماء بالنسبة للقلب، على سبيل المثال إن أى مشروع فى نهر الراين يستلزم التنسيق بين الدول المشاطئة له، وإن أى مشروع فى أعالى النيل ينبغى أن يكون بالتنسيق مع مصر وبالتوافق معها، أى مشروعات فى حوض النيل ينبغى أن تراعى المصالح المصرية، وألمانيا مستعدة للوساطة فيما يتعلق بذلك بين الأطراف المختلفة، وأتفهم تماما الموقف الذى عبر عنه وزير الخارجية بشأن هذه القضية المركزية بالنسبة لمصر وشعبها.

وقد شهدت الزيارة التوقيع على ورقة العناصر المشتركة للتعاون بين الجانبين فى مجال الهجرة فى إطار من الشراكة واحترام حقوق اللاجئين والمهاجرين، بما يتسق مع القانون الدولى، وفى إطار منظور شامل للتعامل مع ملف الهجرة يشمل معالجة الأسباب الجذرية لظاهرة الهجرة غير المشروعة على المستويين الاقتصادى والاجتماعى، وعدم قصر التعامل معها على المنظور الأمنى.

الاتحاد الأوروبى: مجلس المشاركة

رأس الوزير سامح شكرى وفد مصر لدى مجلس المشاركة بين مصر والاتحاد الأوروبى الذى اجتمع فى بروكسل بعد توقف دام سبع سنوات وقد مثل الاجتماع فرصة مهمة للإعراب عن شواغل مصر الرئيسية إزاء أسلوب تعامل الاتحاد الأوروبى مع العديد من القضايا، حرصا على إيجاد مناخ صحى وملائم بين الجانبين يساعد على مواجهة التحديات المشتركة وقد شدد وزير الخارجية على أن علاقات الشراكة بين الطرفين يجب أن تقوم على الاحترام والتقدير المتبادل، رافضا ما يوجهه الاتحاد الأوروبى من انتقادات للأوضاع الداخلية فى مصر استنادا إلى معايير مغلوطة ومنطق متناقض يفتقر إلى الموضوعية، منوها بأن أحدا لا يملك الحق فى تنصيب نفسه حكما على الآخرين، مضيفا أن مصر دعت الاتحاد الأوروبى فى إطار من المصارحة والمكاشفة إلى وقفة صادقة مع النفس فيما يتعلق بموقفه السلبى تجاه سبل التعامل مع خطر الإرهاب، والتطرف، والذى يصل إلى حد غض الطرف عن ممارسات بعض الدول والكيانات الإقليمية التى تقدم دعما صريحا للتنظيمات الإرهابية، سواء بالتمويل أو بالسلاح أو بالإيواء أو بالدعاية والترويج الإعلامى. كما أعربت عن بالغ انزعاجها إزاء عدم اتخاذ الاتحاد الأوروبى لخطوات فعالة لمنع نشر أفكار التطرف التى تبثها قنوات تابعة لتنظيمات متطرفة أو إرهابية عبر الأقمار الصناعية الأوروبية.

وأعرب عن رفض مصر تزايد حالات الإسلاموفوبيا وجرائم الكراهية فى أوروبا، مشددا على ضرورة البعد عن سياسة غلق الحدود والتصدى للنزعات الحمائية، والتأكيد على المسئولية المشتركة فى تناول قضايا الهجرة، وتحقيق التوازن المنشود فى هذا الإطار بين البعدين التنموى والأمنى.

شكرى وموجيرينى ويوهانس هال

وانتقد بشدة خلال الاجتماع موقف الاتحاد الأوروبى السلبى بالإصرار على إقرار برنامج التعاون فى إدارة الموارد المائية فى حوض النيل بالتعاون مع مبادرة حوض النيل، رغم تجميد مصر مشاركتها فى المبادرة، وهو الأمر الذى ترى مصر أن من شأنه أن يزيد من حالة الانقسام بين دول الحوض بدلا من تشجيعها على التوافق ورأب الصدع، فى مخالفة صريحة لقواعد القانون الدولى والممارسات التى يلتزم بها الاتحاد الأوروبى نفسه فى تناوله لموضوعات التعاون فى أحواض الأنهار العابرة للحدود فى أوروبا وغيرها من المناطق على مستوى العالم.

وأكدت مصر حرصها على مد جسور الشراكة مع الاتحاد الأوروبى، وتدشين مرحلة جديدة على مسار التعاون والتنسيق من خلال الحوار الصريح والبناء، وفى إطار من الاحترام المتبادل، تحقيقا للمصالح المتبادلة، وإدراكا لأهمية العمل معاً من أجل تعزيز الأمن والاستقرار على جانبى المتوسط، ودرءا للأخطار المتصاعدة التى تحيق بنا جميعا.

كما أعربت عن حرصها على تنفيذ برامج ومشروعات التعاون المشتركة مع الاتحاد الأوروبى بشكل يعود بالنفع والمصلحة المشتركة على الطرفين، خاصة وأن الاجتماع جاء تتويجا لجهود متواصلة خلال العامين الماضيين بهدف إعادة إحياء البنية المؤسسية لاتفاقية المشاركة بين مصر والاتحاد الأوروبى وهو ما تمخض عنه التوصل إلى اتفاق فى ديسمبر الماضى حول «وثيقة أولويات المشاركة المصرية الأوروبية» والتى تحدد المبادئ والأطر التى ستحكم التعاون بين الجانبين خلال فترة الأعوام الثلاثة 2017 /2020، وتشمل عددا من المجالات الحيوية اتساقا مع أولويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المصرية التى أفردتها «رؤية التنمية المستدامة: مصر 2030».

وقد أكد الجانبان المصرى والأوروبى عزمهما على البدء الفورى فى ترجمة وثيقة أولويات المشاركة إلى برامج تعاون محددة خلال الفترة القادمة، حيث يتوقع أن يتم إقرار حزمة من البرامج التنموية بتمويل أوروبى فى مجالات دعم الصناعات الصغيرة والمتوسطة والطاقة ودعم المرأة والشباب ومواجهة ظاهرة الهجرة غير الشرعية وتعزيز قدرة مصر على التعامل مع التبعات الاقتصادية والاجتماعية لظاهرة الهجرة.

أكد الاتحاد الأوروبى على دعمه الكامل لبرنامج الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الذى تنفذه مصر بالتعاون مع صندوق النقد الدولى، معرباً عن التزامه بمساندة مصر لتحقيق الاستقرار والتنمية المنشودة، باعتبار ذلك يعد حجر الزاوية لاستقرار منطقة الشرق الأوسط وجنوب المتوسط، وبما يصب بشكل مباشر فى مصلحة تحقيق الاستقرار والأمن والرخاء فى القارة الأوروبية.

منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية

عقد وزير الخارجية سامح شكرى لقاء مع السيد أنجيل جوريا السكرتير العام لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية فى باريس حيث أعرب خلال اللقاء عن التقدير المصرى لمستوى التعاون المتميز حاليا بين الحكومة المصرية والمنظمة فى كافة المجالات، والتأكيد على الأهمية التى توليها الحكومة المصرية لمزيد من الدعم الفنى الذى تقدمه المنظمة فى مجالات الارتقاء بالسياسات الاستثمارية والحوكمة.

كما أعرب وزير الخارجية عن ترحيب الجانب المصرى بالتعاون الحالى بين المنظمة والهيئة العامة للمنطقة الاقتصادية لقناة السويس للارتقاء ببيئة الأعمال ومناخ الاستثمار بها، والتأكيد فى هذا الصدد على الأولوية المتقدمة التى توليها الحكومة لهذا المشروع القومى الضخم.

ومن جانبه أكد جوريا الآفاق الواعدة التى تنتظر الاقتصاد المصرى مستقبلا على ضوء برنامج الإصلاح الاقتصادى للحكومة المصرية، وما يمثله قرض صندوق النقد الدولى من شهادة ثقة فى قدرة الاقتصاد المصرى على التعافى من الفترة العصيبة التى مر بها خلال السنوات الأخيرة.

قام الوزير سامح شكرى بزيارة إلى باريس عقد خلالها مباحثات مع وزير الخارجية الفرنسى جان إيف لودريان عكست النقلة النوعية التى شهدتها العلاقات المصرية الفرنسية خلال الفترة الأخيرة، لاسيما فى المجالات الاقتصادية والعسكرية على ضوء اهتمام قيادتى البلدين بإعطاء دفعة قوية للعلاقات الثنائية، بالإضافة إلى التنسيق بينهما فى المحافل الدولية فيما يتعلق بالقضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك ومكافحة الإرهاب. كما ناقش الوزيران أهمية الإعداد لزيارات متبادلة للرئيسين عبدالفتاح السيسى وإيمانويل ماكرون إلى كل من باريس والقاهرة خلال الفترة القادمة.

واستعرض الوزير مع نظيره الفرنسى الخطوات المتخذة على صعيد برنامج الإصلاح الاقتصادى فى مصر، مع تقييم مرحلى للنتائج التى تمخضت عنها هذه الخطوات على مدار الأشهر الأخيرة، وإبراز ما تحقق من استقرار للمؤشرات الاقتصادية الكلية من ناحية، وإجراءات الاستجابة التى اتخذتها مصر من أجل معالجة الآثار الجانبية لبرنامج الإصلاح وتخفيف المعاناة عن كاهل المواطن المصرى.

كما تناول الجانبان نتائج الاجتماع الذى شارك فيه أمس الأول بقصر «سيل سان كلو» قرب باريس والذى أسفر عن اتفاق المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطنى الليبى ورئيس حكومة الوفاق فايز السراج وذلك فى إطار التنسيق الوثيق بين القاهرة وباريس بشأن الأزمة الليبية.

كما تناول لودريان نتائج جولته فى الخليج لتسهيل حل الأزمة مع قطر فى ظل تأكيد شكرى ولودريان على أن مكافحة الإرهاب وتمويله تتطلب حشد كافة الدول لجهودها بنفس درجة الالتزام.

وفى لقاء مع قناة «فرانس 42» التليفزيونية، أكد وزير الخارجية سامح شكرى أن مصر تأمل فى نجاح الاتفاق الليبى الذى تم التوصل إليه فى باريس،

وقال شكرى إن هذا الاتفاق تم بجهد الحكومة الفرنسية ويأتى فى إطار سلسلة طويلة من الحوارات شاركت مصر فيها لتقريب وجهات النظر والوصول إلى نقطة التوافق حول بناء الثقة بين الأطراف الليبية المختلفة.

أكد شكرى أهمية التنسيق الوثيق بين مصر وفرنسا لتحقيق استقرار ليبيا وما يعم على باقى المنطقة من ذلك، مشيرا إلى تأثر مصر من الأوضاع فى هذا البلد نظرا لنفاذ الإرهاب من خلال الحدود الغربية وخطورة استمرار الأوضاع بدون اكتمال المؤسسات الليبية.أشاد شكرى بالتعاون القائم فى هذا الصدد مع الشركاء فى الاتحاد الأوروبى وخاصة فرنسا لتوفير الدعم لمواجهة هذا التحدى.

و أشار شكرى إلى طرح الرئيس عبدالفتاح السيسى خلال القمة الإسلامية فى الرياض الكثير من الأسئلة التى سيتوجب الرد عليها وهى أنه لا يمكن أن تعمل هذه التنظيمات بهذه الكفاءة وهذا الانتشار المستمر والتسليح المتقدم دون أن تكون هناك دول ترعاها وتوفر التمويل والوسائل لتوصيل هذه الأسلحة ودعم هذه الحركات وكذلك توفر منصات إعلامية تروج لفكرها المغلوط مثل قناة الجزيرة وما طرح عليها من أقاويل مع ما يسمى بالشيخ يوسف القرضاوى وتبريره للتفجير واستهداف المدنيين طالما كان بتوجيه من تنظيم الإخوان الإرهابى.

وحول الحد الأدنى للشروط التى يجب أن تقبل بها قطر، أكد شكرى أنه لا توجد شروط بل مجموعة من الإجراءات والشواغل التى يجب مواجهتها بشكل مباشر، مشيرا إلى احتضان قطر لشخصيات متورطة فى أعمال إرهابية صدرت بحقها أحكام قضائية،وحول التوتر الجديد بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، أكد شكرى أن مصر تسعى دائما لتحقيق الاستقرار والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وتدعو إلى عدم اتخاذ أى طرف إجراءات أحادية تلهب المشاعر وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمسجد الأقصى ومكانته المميزة لدى المسلمين.

كما بحث سامح شكرى وزير الخارجية مع رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية فرانسوا دى روجى، عددا من الموضوعات على رأسها مواجهة خطر الإرهاب والأوضاع فى المنطقة العربية، وتعزيز التعاون بين البلدين، بحضور رئيسة لجنة العلاقات الخارجية بالجمعية، وأعرب شكرى خلال اللقاء عن تطلع مصر لاستمرار التعاون بين الجمعية الوطنية ومجلس النواب المصرى،،من جانبه ثمن «دى روجى» العلاقات المصرية الفرنسية، مشيرا إلى سابق عضويته فى لجنة الدفاع بالجمعية الوطنية حيث شهد بنفسه عمق العلاقات المصرية الفرنسية فى مجال الدفاع.

واستعرض وزير الخارجية مع رئيس لجنة الشئون الخارجية والدفاع والقوات المسلحة بمجلس الشيوخ الفرنسى، كريستيان كامبون، الموقف المصرى المتضرر من دعم قطر للإرهاب وتدخلها فى زعزعة استقرار مصر منذ عام 1996، مع بداية احتضان قطر الفكر المتطرف لمحاولة لعب دور إقليمى فى المنطقة.

قال وزير الخارجية إن تأثير الدور القطرى تنامى مع اندلاع ثورات الربيع العربى وبزوغ ما يسمى «الإسلام السياسى» ودعم الغرب هذا التيار، مشيرا إلى أن رفض الشعب المصرى التيار الإسلامى المتطرف جعل الموقف القطرى يتجه نحو دعم التنظيمات الإرهابية لزعزعة استقرار مصر ومحاولة الإضرار بالوحدة الوطنية للشعب المصرى.

وأبدى شكرى أسف مصر من بعض المواقف الغربية التى تأبى أن تدرك مخاطر المواقف والتصرفات القطرية وتأثيرها السلبى على استقرار المنطقة المصريين.

واتفق النائب الفرنسى مع رؤية مصر بشأن خطورة ظاهرة الإرهاب، مؤكدا دعم فرنسا جهود مصر فى محاربته.

التقارير الإخبارية

اجتماع الرئيس السيسى مع السفراء المرشحين للخارج

اجتمع الرئيس عبدالفتاح السيسى مع مجموعة السفراء المرشحين للعمل كرؤساء بعثات دبلوماسية، بحضور وزير الخارجية سامح شكرى حيث أكد الرئيس أهمية الدور الذى تقوم به الدبلوماسية المصرية باعتبارها الواجهة التى تبرز الصورة الحضارية لمصر وتدافع عن مصالح الوطن فى الخارج معرباً عن ثقته فى قدرة الدبلوماسيين المصريين على تمثيل مصر بصورة مشرفة تعكس تاريخها العريق وتطلعات شعبها نحو مستقبل أفضل.

كما استعرض الرئيس ثوابت السياسة الخارجية المصرية مؤكدا فى هذا الصدد أهمية استمرار العمل على تطوير العلاقات المتوازنة التى تجمع بين مصر ومختلف دول العالم فضلا عن مواصلة تعزيز علاقاتها بالقوى الدولية التقليدية والبازغة ومن خلال المنظمات المتعددة الأطراف وذلك فى إطار استقلالية قرار مصر ودورها الإقليمى النشط.

وشدد السيسى كذلك على أهمية الاستمرار فى بذل الجهود الرامية لتثبيت دعائم الدولة والحفاظ على ما تحقق من استقرار وكذلك مواصلة العمل الدؤوب مع المجتمع الدولى لحشد الجهود لمواجهة ظاهرة الإرهاب على المستويات كافة بهدف القضاء على هذا الخطر غير المسبوق الذى يهدد العالم بأسره والمساهمة فى استعادة الأمن والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط وإنهاء المعاناة الإنسانية التى تمر بها شعوبها منذ سنوات.

وأكد أهمية نقل الصورة الحقيقية لما يجرى فى مصر من جهود لتنفيذ برنامج النمو الاقتصادى المستدام الذى يهدف لتحقيق التنمية الشاملة، والعمل على جذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية الجديدة خصوصا فى ضوء ما يتم إنجازه فى مصر من مشاريع عملاقة توفر العديد من الفرص الاستثمارية مطالبا السفراء بالعمل المستمر على إيجاد حلول غير تقليدية للتحديات التى تواجه مصر مشددا على ضرورة أن تراعى أية حلول مقترحة الظروف الواقعية لمصر ومتطلباتها التنموية.

وشدد الرئيس على أهمية الدور الذى تقوم به البعثات المصرية فى تقديم الخدمات القنصلية لأبناء الجاليات المصرية فى الخارج موجها بالعمل على إيلاء مزيد من الاهتمام لحل مشكلات المواطنين المصريين فى الخارج، وربطهم بوطنهم الأم وأشار إلى أهمية بذل مزيد من الجهد لحشد طاقات المصريين فى الخارج للمساهمة فى عملية التنمية من خلال نقل المعرفة والخبرات التى يكتسبونها فى الخارج إلى وطنهم فضلا عن مشاركتهم فى تقديم الوجه الحضارى لمصر وأبنائها.

كما أكد السيسى خلال الاجتماع أهمية مواصلة العمل على تطوير أداء وزارة الخارجية فى إطار التطوير المؤسسى الشامل لمختلف أجهزة ومؤسسات الدولة مشيرا إلى أهمية التطوير المستمر لعمليات الانتقاء والتأهيل والتقييم لأعضاء السلك الدبلوماسى بما يضيف إلى الأداء الراقى للدبلوماسية المصرية ويعزز جهودها فى الدفاع عن مصالح مصر فى الخارج.

جولة الرئيس الأفريقية: مستقبل مشترك وتعاون بناء

الرئيس يزور تنزانيا ورواندا والجابون وتشاد فى جولة مهمة تعمق التعاون بين مصر والأشقاء الأفارقة

تنزانيا: مع الرئيس جون ماجوفولى

أكد الرئيس عبدالفتاح السيسى أن الشعب التنزانى يرتبط بالشعب المصرى بعلاقات تاريخية وممتدة، مشيراً إلى أن العلاقات بين مصر وتنزانيا كانت دوما نموذجا للتعاون البناء والمثمر بين دولتين شقيقتين يربطهما النهر الخالد وطريق طويل من الكفاح بقيادة رموز تاريخية مثل الزعيمين الراحلين جمال عبدالناصر وجوليوس نيريرى اللذين سعيا لتحقيق الوحدة الأفريقية والدفاع عن قضايا القارة فى مختلف المحافل الدولية.

وأضاف الرئيس فى كلمته خلال المؤتمر الصحفى المشترك مع نظيره التنزانى جون ماجوفولى عقب جلسة مباحثات مشتركة فى العاصمة دار السلام، أن مصر وتنزانيا تنظران إلى المستقبل بثقة وتفاؤل لتلبية تطلعات شعبيهما نحو تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة.

وأشار الرئيس إلى التعاون المتزايد بين القطاع الخاص فى البلدين خلال السنوات الماضية وزيادة أنشطة الشركات المصرية فى تنزانيا خاصة فى مجالات الإنشاءات والاستشارات الهندسية ومشروعات البنية التحتية.

وأكد الرئيس أهمية اتخاذ كل الإجراءات والخطوات اللازمة لتيسير وتشجيع التبادل التجارى بين البلدين والمشروعات المشتركة فى القطاعات الاقتصادية المختلفة خاصة فى مجالات الزراعة والصناعة والصناعات الدوائية والطاقة والثروة المعدنية.

كما أشار الرئيس إلى التعاون القائم بين مصر وتنزانيا فى مجالات بناء القدرات وتبادل الخبرات والمشروعات التنموية التى تعمل الدولتان على تنفيذها من خلال الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية والمبادرة المصرية لتنمية دول حوض النيل وفقاً لأولويات الأشقاء فى تنزانيا،

وأشاد الرئيس بجهود نظيره الدكتور ماجوفولى الملحوظة فى مجال مكافحة الفساد وتطوير الأداء الإدارى للدولة والاهتمام بتعزيز التعاون القائم بين المؤسسات الرقابية بين مصر وتنزانيا فى هذا المجال لاسيما فى ضوء ما تقوم به مصر من جهود مكثفة لمكافحة الفساد وتبنى الدولة للاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد 2014 – 2018.

وأضاف الرئيس أن مصر تحرص على التشاور المستمر مع الجانب التنزانى بغرض تعزيز الاستقرار وتحقيق السلم والأمن فى القارة الأفريقية والتنسيق فى مختلف القضايا الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك.

وقال الرئيس «أود أن أنتهز هذه الفرصة لأؤكد عميق تقديرنا لدور تنزانيا والرئيس ماجوفولى فى تعزيز السلم والأمن فى القارة الأفريقية بشكل عام، لاسيما قضايا منطقة البحيرات العظمى بما فى ذلك جهود الرئيس التنزانى السابق بنجامين مكابا لتيسير الحوار الوطنى فى بوروندى والأعباء التى تتحملها الحكومة التنزانية للتعامل مع تدفقات اللاجئين جراء الأزمات التى تشهدها المنطقة وهى الجهود التى نرى أهمية توفير الدعم الدولى اللازم لها.كما شكر الرئيس السيسى الرئيس ماجوفولى على حفاوة الاستقبال،كما جدد الرئيس الدعوة للرئيس ماجوفولى لزيارة مصر فى القريب لمتابعة المناقشات حول سبل تعزيز العلاقات المهمة بين البلدين الشقيقين.

واختتم الرئيس كلمته بتقديم شكره وتقديره الشديد للرئيس التنزانى والحكومة وتقديره واحترامه للشعب التنزانى ووعد بانطلاق اجتماعات اللجنة المشتركة بين البلدين لتحول ما تحدثا فيه إلى أفعال وليس مجرد أقوال فقط.

رواندا: مع الرئيس بول كاجامى

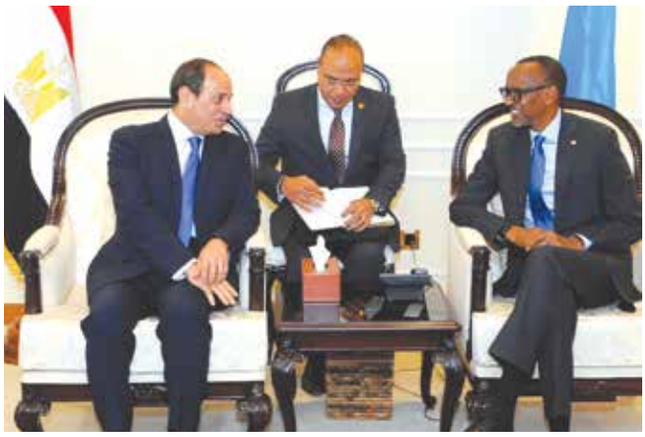

لدى وصول الرئيس السيسى إلى كيجالى، استقبله الرئيس الرواندى بول كاجامى وكبار المسئولين حيث توجه الرئيس بعد مراسم الاستقبال الرسمية لزيارة النصب التذكارى لضحايا الإبادة الجماعية فى رواندا والتى وقعت عام 1994 حيث وضع الرئيس السيسى اكليلا من الزهور على النصب التذكارى وتفقد المتحف الذى يحوى توثيقا للمذابح التى جرت فى رواندا وقد وقع الرئيس فى سجل الزيارات حيث أعرب عن أسفه لسقوط الضحايا الأبرياء، وأكد أهمية التعايش المشترك بين مختلف أطياف البشر، ليكون التعاون والحوار والسلام هو اللغة السائدة بين مختلف شعوب العالم، معرباً عن تمنياته ألا تتكرر مثل هذه الأعمال البشعة وأن يعم السلام جميع بقاع العالم.

كما عقد الرئيس السيسى وكاجامى جلسة مباحثات تناولت سبل تعزيز العلاقات الثنائية وتعميق التعاون على الصعيدين الاقتصادى والتجارى كما بحث اللقاء سبل التصدى للتحديات المشتركة التى تواجه القارة الأفريقية ومستجدات القضايا الإقليمية خاصة ما يتعلق بحفظ الأمن والسلم فى القارة وذلك على خلفية جهود مصر كعضو غير دائم فى مجلس الأمن الدولى وفى مجلس السلم والأمن الأفريقى وبحثا

التقارير الإخبارية

تعزيز التعاون الثنائى وكيفية التصدى للتحديات المشتركة التى تواجه القارة الأفريقية وناقشا مستجدات القضايا الإقليمية خاصة ما يتعلق بحفظ الأمن والسلم بالقارة أخذا فى الاعتبار عضوية مصر الحالية فى مجلس الأمن الدولى ومجلس السلم والأمن الأفريقى وأهمية تطوير العلاقات المصرية- الجابونية على جميع الأصعدة،وتصدر الملف الاقتصادى مباحثات الرئيسين لتدعيم العلاقات والشراكات الاقتصادية القائمة بين التكتلات والتجمعات الأفريقية المختلفة وسبل دفع وتطوير العلاقات الثنائية خاصة فى مجالات الزراعة والرعاية الصحية والتعليم والتعدين فضلا عن مساهمة الشركات المصرية فى جهود تطوير البنية الأساسية بالجابون وما تحتاجه من مرافق ومشروعات.

أشاد الرئيس عبدالفتاح السيسى بتميز العلاقات الثنائية بين مصر والجابون وتنوع مجالات التعاون المشتركة بينهما، مؤكداً عزم مصر على تطوير آفاق التعاون بين البلدين على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية، فى ضوء اهتمام مصر بمد جسور التعاون مع الجابون والدول الأفريقية الشقيقة بهدف تعزيز التنمية والاستقرار والبناء.

وأكد خلال المباحثات الثنائية مع نظيره الجابونى على بونجو حرص مصر على تعزيز الاستثمارات فى الجابون وتنشيط التعاون بين القطاع الخاص فى البلدين فى المجالات كافة.

كما أكد الرئيس حرص مصر على مواصلة تقديم الدعم الفنى للجابون فى مجال بناء القدرات وذلك من خلال الدورات التدريبية التى تقدمها الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية للكوادر الجابونية فى مختلف التخصصات المدنية والعسكرية المختلفة كما قدم التهنئة للرئيس بونجو والشعب الجابونى بمناسبة الاحتفالات بالعيد الوطنى للجابون.ومن جانبه أشاد الرئيس الجابونى بالعلاقات الوثيقة بين البلدين، مؤكداً حرص بلاده على تعزيز العلاقات مع مصر فى مختلف المجالات، وتطوير أطر التعاون المشترك خاصة فى المجالات الاقتصادية والتجارية وأكد الرئيس بونجو أن مصر تعد قوة اقتصادية كبيرة فى أفريقيا مشيداً بتوجه الرئيس نحو الانفتاح على القارة الأفريقية واستعادة دور مصر النشط فيها،

ومن جانب آخر وجه الرئيس الدعوة للرئيس الجابونى للمشاركة فى المؤتمر الدولى للشباب ومنتدى «أفريقيا 2017» المقرر عقدهما فى شرم الشيخ فى نوفمبر وديسمبر المقبلين، وقد رحب الرئيس بونجو بالدعوة مؤكداً تطلعه لزيارة مصر فى أقرب فرصة واتفق الرئيسان على عقد اللجنة المشتركة بين الدولتين قبل نهاية العام الجارى فى الجابون، بهدف تفعيل أطر التعاون بين مصر والجابون على المستويات كافة كما شهد الرئيسان التوقيع على اتفاق لتعزيز العلاقات التجارية بين الدولتين وقام الرئيسان بتفقد معرض لمنتجات الأخشاب الجابونية فى ضوء تطلع الدولتين لتعزيز التعاون المشترك فى مجال تصنيع الأخشاب الجابونية عالية الجودة لتوفير الاحتياجات الكبيرة للسوق المصرى من الأخشاب فى ضوء تنفيذ مشروع مدينة الأثاث فى دمياط والمدن الجديدة الجارى إنشاؤها فى كافة أنحاء مصر.

الجابون: مع الرئيس على بونجو اونديمبا

عقد الرئيس عبدالفتاح السيسى جلسة مباحثات مع نظيره الجابونى على بونجو أونديمبا بمقر رئاسة الجمهورية فى ليبرافيل، وبحثا تعزيز التعاون الثنائى وكيفية التصدى للتحديات المشتركة التى تواجه القارة الأفريقية وناقشا مستجدات القضايا الإقليمية خاصة ما يتعلق بحفظ الأمن والسلم بالقارة أخذا فى الاعتبار عضوية مصر الحالية فى مجلس الأمن الدولى ومجلس السلم والأمن الأفريقى وأهمية تطوير العلاقات المصرية- الجابونية على جميع الأصعدة، فضلا عن مواصلة برامج الدعم الفنى المقدمة من خلال الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية.

وتصدر الملف الاقتصادى مباحثات الرئيسين لتدعيم العلاقات والشراكات الاقتصادية القائمة بين التكتلات والتجمعات الأفريقية المختلفة وسبل دفع وتطوير العلاقات الثنائية خاصة فى مجالات الزراعة والرعاية الصحية والتعليم والتعدين فضلا عن مساهمة الشركات المصرية فى جهود تطوير البنية الأساسية بالجابون وما تحتاجه من مرافق ومشروعات.

أشاد الرئيس عبدالفتاح السيسى بتميز العلاقات الثنائية بين مصر والجابون وتنوع مجالات التعاون المشتركة بينهما، مؤكداً عزم مصر على تطوير آفاق التعاون بين البلدين على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية، فى ضوء اهتمام مصر بمد جسور التعاون مع الجابون والدول الأفريقية الشقيقة بهدف تعزيز التنمية والاستقرار والبناء.

وأكد خلال المباحثات الثنائية مع نظيره الجابونى على بونجو حرص مصر على تعزيز الاستثمارات فى الجابون وتنشيط التعاون بين القطاع الخاص فى البلدين فى المجالات كافة.

وأعرب عن اهتمام مصر بتعزيز التعاون مع الجابون فى المجال الصحى، فى ضوء وجود مستشفى مصرى فى الجابون يقدم الخدمات الطبية للشعب الجابونى.

كما أكد الرئيس حرص مصر على مواصلة تقديم الدعم الفنى للجابون فى مجال بناء القدرات وذلك من خلال الدورات التدريبية التى تقدمها الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية للكوادر الجابونية

فى مختلف التخصصات المدنية والعسكرية المختلفة كما قدم التهنئة للرئيس بونجو والشعب الجابونى بمناسبة الاحتفالات بالعيد الوطنى للجابون.

ومن جانبه أشاد الرئيس الجابونى بالعلاقات الوثيقة بين البلدين، مؤكداً حرص بلاده على تعزيز العلاقات مع مصر فى مختلف المجالات، وتطوير أطر التعاون المشترك خاصة فى المجالات الاقتصادية والتجارية

وأكد الرئيس بونجو أن مصر تعد قوة اقتصادية كبيرة فى أفريقيا مشيداً بتوجه الرئيس نحو الانفتاح على القارة الأفريقية واستعادة دور مصر النشط فيها، كما أشاد بالشركات المصرية وما تتمتع به من سمعة طيبة فى أفريقيا، معرباً عن تطلعه لزيادة أنشطتها فى الجابون.

ومن جانب آخر وجه الرئيس الدعوة للرئيس الجابونى للمشاركة فى المؤتمر الدولى للشباب ومنتدى «أفريقيا 2017» المقرر عقدهما فى شرم الشيخ فى نوفمبر وديسمبر المقبلين، وقد رحب الرئيس بونجو بالدعوة مؤكداً تطلعه لزيارة مصر فى أقرب فرصة واتفق الرئيسان على عقد اللجنة المشتركة بين الدولتين قبل نهاية العام الجارى فى الجابون، بهدف تفعيل أطر التعاون بين مصر والجابون على المستويات كافة كما شهد الرئيسان التوقيع على اتفاق لتعزيز العلاقات التجارية بين الدولتين وقام الرئيسان بتفقد معرض لمنتجات الأخشاب الجابونية فى ضوء تطلع الدولتين لتعزيز التعاون المشترك فى مجال تصنيع الأخشاب الجابونية عالية الجودة لتوفير الاحتياجات الكبيرة للسوق المصرى من الأخشاب فى ضوء تنفيذ مشروع مدينة الأثاث فى دمياط والمدن الجديدة الجارى إنشاءها فى كافة أنحاء مصر..

تشاد: مع الرئيس إدريس ديبى

أشاد الرئيس عبدالفتاح السيسى بالعلاقات التاريخية التى تربط بين مصر وتشاد، مؤكداً حرص مصر على تعزيز وتطوير العلاقات مع تشاد على مختلف المستويات، أخذاً فى الاعتبار وجود البلدين فى منطقة تشهد تحديات مختلفة. جاءت تصريحات الرئيس خلال جلسة مباحثات ثنائية مع نظيره التشادى أعقبها جلسة مباحثات موسعة بحضور وفدى البلدين حيث أكد الرئيس وجود آفاق واسعة لتطوير التعاون الاقتصادى وزيادة التبادل التجارى فى مجالات الثروة الحيوانية والصحة والزراعة والرى والبنى التحتية والطاقة. كما أكد الرئيس اهتمام مصر بمواصلة التعاون مع الأشقاء فى تشاد فى مجال بناء القدرات وذلك من خلال الدورات التدريبية التى تقدمها الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية فى مختلف التخصصات المدنية والعسكرية.

وقد رحب الرئيس التشادى بزيارة الرئيس السيسى، مشيراً إلى أنها الزيارة الأولى لرئيس مصرى لتشاد فى تاريخ العلاقات وأشاد الرئيس ديبى بالجولة التى يقوم بها الرئيس فى عدد من الدول الأفريقية، والتى تؤكد الانتماء الأفريقى لمصر وتوجه الرئيس نحو استعادة دورها

على الساحة الأفريقية. وأشاد الرئيس ديبى خلال المباحثات بالعلاقات الوطيدة بين مصر وتشاد والروابط الممتدة التى تجمع بينهما، مؤكداً حرص بلاده على تطوير التعاون المشترك مع مصر فى مختلف المجالات.

كما أعرب الرئيس التشادى عن حرص بلاده على تشجيع الاستثمارات المصرية فى تشاد مشيراً إلى قرار حكومته بإعفاء رجال الأعمال المصريين من الحصول على تأشيرات دخول لتشاد فى إطار الحرص على جذب المستثمرين المصريين وتوفير التسهيلات اللازمة لهم، وأشاد الرئيس ديبى بنشاط الشركات المصرية التى تعمل فى تشاد، مؤكداً حرص الحكومة التشادية على تذليل العقبات التى تواجه شركتى المقاولون العرب ومصر للطيران. ومن جانب آخر أعرب الرئيس ديبى عن تقديره لما تقدمه مصر لتشاد من برامج بناء القدرات والتدريب فى المجالات العسكرية والمدنية لاسيما فى مجال التعليم وقد شهدت المباحثات بين الرئيسين تطابقا فى وجهات النظر حول الموضوعات الإقليمية والدولية، كما أعرب الرئيسان عن إدانتهما لكافة الجرائم الإرهابية التى ترتكب فى مختلف دول العالم وآخرها الحادث الإرهابى فى بوركينا فاسو والذى أسفر عن سقوط عدد من الضحايا والمصابين. وفى هذا السياق أشاد الرئيس ديبى بجهود ومواقف الرئيس الحاسمة فى مواجهة الإرهاب والتطرف.

كما أشاد الرئيس بجهود تشاد فى مكافحة الإرهاب فى منطقة الساحل الأفريقى، معرباً عن تقديره للتضحيات الكبيرة التى تقدمها فى هذا الشأن واتفق الرئيسان على أهمية تكثيف الجهود على المستويين الإقليمى والدولى لمجابهة التنظيمات الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة، وبحث الرئيسان أيضاً مستجدات الأوضاع فى ليبيا، حيث أكدا أهمية استمرار الجهود من أجل دعم الحوار بين الأطراف الليبية بهدف مساعدتهم على التواصل إلى تسوية سياسية للأزمة فى هذا البلد الشقيق، وبما يتيح ترسيخ دعائم مؤسسات الدولة وتلبية طموحات الشعب الليبى فى حياة كريمة ومستقرة.

وفى هذا الإطار أشاد الرئيس التشادى بالجهود التى يقوم بها الرئيس للتوصل إلى تسوية سلمية للأزمة الليبية. وفى ختام المباحثات اتفق الرئيسان على تفعيل دور اللجنة المشتركة بين البلدين وعقد دورتها القادمة فى مصر قبل نهاية العام الجارى، بهدف دفع مجالات التعاون على مختلف الأصعدة. ومن جانب آخر، وجه الرئيس الدعوة للرئيس التشادى للمشاركة فى المؤتمر الدولى للشباب ومنتدى الاستثمار فى أفريقيا 2017، المقرر عقدهما فى شرم الشيخ فى نوفمبر وديسمبر المقبلين، وقد رحب الرئيس ديبى بالدعوة مؤكداً تطلعه لزيارة مصر فى أقرب فرصة.

مجلس الأمن ضد الإرهاب

استهلت مصر رئاستها مجلس الأمن خلال شهر أغسطس باعتماد القرار رقم 2370 حول منع حصول الإرهابيين على السلاح والذى صدر بإجماع الآراء، وقد جاء اعتماد القرار خلال جلسة الإحاطة التى عقدتها الرئاسة المصرية لمجلس الأمن لبحث ما يشكله الإرهاب من تهديد للسلم والأمن الدوليين بمشاركة رئيس مكتب الأمم المتحدة للمخدرات والجريمة ومكتب مكافحة الإرهاب بالأمم المتحدة وسكرتير عام الإنتربول والمديرية التنفيذية التابعة للجنة مكافحة الإرهاب بمجلس الأمن.

والقرار جاء كمبادرة مصرية فى إطار جهودها الحثيثة من أجل الارتقاء بأجندة مكافحة الإرهاب داخل المجلس وبناء على القرار رقم 2354 بشأن مكافحة خطاب وأيديولوجية الإرهاب الذى اعتمده المجلس فى شهر مايو الماضى الأمر الذى يعكس الاهتمام الخاص الذى توليه مصر لتعزيز جهود مكافحة الإرهاب من منظور شامل يتناول مختلف أبعاد الظاهرة وفقا للرؤية التى طرحها الرئيس السيسى خلال القمة الإسلامية العربية الأمريكية بالرياض.

وجاء اعتماد قرار مجلس الأمن الجديد تتويجا لجهود متواصلة بذلتها البعثة المصرية لدى الأمم المتحدة فى نيويورك على مدار الأشهر الثلاثة الأخيرة حيث نجحت من خلال رئاستها للجنة مكافحة الإرهاب التابعة لمجلس الأمن فى تنظيم جلسة إحاطة مفتوحة حول موضوع منع حصول الإرهابيين على السلاح فى شهر مايو 2017 وذلك بمشاركة جميع الدول والمنظمات الدولية ذات الصلة وهى الإحاطة التى استندت إليها مصر فى إعداد القرار الجديد حرصا على الأخذ بآراء وتوصيات كافة الدول الأعضاء بالأمم المتحدة ويطالب القرار الدول بالتزامات مهمة سواء على الصعيد الوطنى أو الدولى فيما يتعلق بمنع إمداد الإرهابيين بالسلاح والتشديد على ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة وعلى أهمية تصدى المجلس لحالات عدم الامتثال لتلك القرارات فضلا عن منع تهريب السلاح إلى الإرهابيين فى مناطق النزاعات وتعزيز التعاون الدولى لهذا الغرض والتعاون القضائى فى مجال إنفاذ القانون لمنع حصول الإرهابيين على السلاح ويطالب كذلك لجنة مكافحة الإرهاب وفريق الرصد التابع للجنة عقوبات داعش والقاعدة بإيلاء موضوع منع حصول الإرهابيين على السلاح الاهتمام والتركيز اللازمين.

وأعربت مصر فى بيانها أمام المجلس عن شكرها لكل من أسهم بإيجابية وبشكل بناء فى المفاوضات التى جرت حول هذا القرار المهم الذى تم اعتماده خاصة مع كونه الأول من نوعه الذى يتناول بشكل مفصل موضوع منع الإرهابيين من الحصول على السلاح.

وأكدت مصر أن أهمية موضوع منع حصول الإرهابيين على السلاح هى التى جعلت الرئاسة المصرية للجنة مكافحة الإرهاب حريصة على تنظيم إحاطة مفتوحة حول الموضوع فى إطار لجنة مكافحة الإرهاب فى شهر مايو 2017 وذلك بمشاركة جميع الدول أعضاء الأمم المتحدة والمنظمات ذات الصلة وهى الإحاطة التى استندت البعثة المصرية إلى خلاصاتها ونتائجها لإعداد النسخة الأولى من مشروع القرار الذى تم اعتماده وذلك فى إطار حرص مصر على أخذ آراء وتوصيات كافة الدول، بما فى ذلك من غير أعضاء مجلس الأمن فى الاعتبار عند وضع سياسات

السفير عمرو أبو العطا

مكافحة الإرهاب بواسطة المجلس.

وأشار البيان أن تسليح الإرهابيين والتنظيمات الإرهابية هو أمر غاية فى الخطورة بل جريمة لا تقل بشاعتها عن العمل الإرهابى نفسه فإمداد الإرهابيين بالسلاح يعنى بشكل مباشر إمدادهم بالوسيلة التى يستخدمونها فى ارتكاب جرائم القتل والتدمير والترويع بما فى ذلك ضد النساء والأطفال وأكد السفير عمرو أبو العطا مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك رئيس مجلس الأمن أن القرار هو الأول من نوعه الذى يتناول بشكل مفصل موضوع منع حصول الإرهابيين على السلاح.

شدد أبو العطا على أن تسليح الإرهابيين والتنظيمات الإرهابية هو أمر غاية فى الخطورة وجريمة لا تقل بشاعتها عن العمل الإرهابى نفسه وأكد أبو العطا على ضرورة وجود محاسبة من جانب مجلس الأمن للدول التى لا تمتثل لتلك القرارات وأن تعمل كل دولة من الدول أعضاء مجلس الأمن على خلق الإرادة السياسية فى إطار المجلس لمحاسبة الدول المارقة التى تتعمد انتهاك قرارات المجلس وأشار إلى أن مصر قد عانت بشكل مباشر وغير مباشر،

مجلس الأمن: نظام العقوبات

عقد مجلس الأمن جلسة إحاطة برئاسة مصر حول تحسين فاعلية نظام العقوبات الأممية وأكدت مصر خلال الجلسة التى عقدت بمبادرة منها أهمية استمرار العمل من أجل تطوير وزيادة فاعلية نظم العقوبات مع تخفيف تداعياتها السلبية غير المقصودة ومسئولية مجلس الأمن فى دراسة سبل إحداث تطوير نوعى وموضوعى لتلك الأداة المهمة عبر إيجاد آليات حوار مناسبة وطلبت مصر رصد وتقييم الدروس المستفادة من تجارب نظم العقوبات المختلفة والتعرف على رؤى الأطراف المعنية موضحة أن ضمان عدالة نظم العقوبات سيجعلها أكثر فاعلية وأن إساءة استخدامها سيضر بمصداقية المجتمع الدولى وقد يترتب عليه تداعيات سلبية تفاقم من بعض الأزمات بدلا من المساهمة فى تسويتها كما دعت مصر المجلس إلى تحمل مسئولياته الجماعية لتحويل المواقف المعلنة من قبل أعضائه والدافعة نحو مزيد من التطور لمنظومة العقوبات إلى أفعال تثبت صدق وجدية النوايا تكون بمثابة رسالة عملية للمجتمع الدولى بأن المجلس حاضر ومدرك لأهمية هذه الآراء وضرورة تطويرها على النحو المطلوب ويأتى استكمالا للأنشطة المصرية ذات الصلة بنظم العقوبات فى الأمم المتحدة حيث نظمت البعثة المصرية فى نيويورك فى يوليو الماضى اجتماعا غير رسمى لمجلس الأمن للاستماع إلى تجارب 3 دول أفريقية حول دور العقوبات فى تسوية النزاعات وإعادة الاستقرار. كما استضافت مصر فى الشهر ذاته بالتعاون بين وزارة الخارجية ومركز القاهرة الدولى لتسوية النزاعات وحفظ السلام مائدة مستديرة حول نظم العقوبات بمشاركة ممثلين عن الأمم المتحدة

قطـــــــــــــر

ردا على الشـــكوى القطرية إلى مجلـــس الأمن ضـــد مصر، والتى اعتبرتهـــا القاهرة مليئة بالمغالطات بشأن عضوية مصر فى مجلس الأمن، صرح الســـفير عمرو أبو العطـــا مندوب مصر الدائم لـــدى الأمـــم المتحدة أن شـــكوى قطر مليئة بالمغالطات والأكاذيب.

وأن دولـــة قطـــر تقـــوم بانتهاكاتها المســـتمرة لقرارات مجلس الأمـــن وتدعى أنها دولة محاربة للإرهاب ومن الطبيعى ألا تتفهم دولـــة قطر التى تتخذ من دعـــم الإرهـــاب والتدخل فى الشئون الداخلية للدول سياسة لها التـــزام كل الـــدول أعضاء الأمم المتحـــدة ومن بينهم مصر وفقا لأحكام الاتفاقيات الدولية وقرارات مجلـــس الأمن الملزمة بمكافحـــة الإرهـــاب بجميـــع أشكاله وصوره وهو ما يفرض على مصر كشـــف ممارســـات وأنشـــطة دولـــة قطـــر والتى تقدم الدعـــم المالى والأيديولوجى للجماعات الإرهابيـــة والتى لم يقتصر نشاطها على دول منطقة الشرق الأوســـط وإنما طال دولا أخرى عديدة حول العالم.

وقال الســـفير أبو العطا إنه ليس من المستغرب أن نجد الوفد القطرى ينبرى منفردا بالإشارة فى رسالته إلى أن وفد مصر يستغل رئاسته للجنة مكافحة الإرهاب بغرض تحقيق أهداف سياسية خاصـــة ومحاولـــة تصفيـــة حسابات مع دول معينة واصفا تلك الشـــكوى بالادعاء فمصر لا تلقى ســـوى التقدير والإشادة من جانـــب الجميع بالجهد الذى تقوم به فى رئاسة لجنة مكافحة الإرهاب وسعيها إلى قيام اللجنة بأداء مهامهـــا المتعلقة بمتابعة وتنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

وأضاف أبـــو العطا أن مصر تعمل بكل جهد خلال رئاســـتها للجنـــة مكافحـــة الإرهـــاب فى مجلس الأمن وتقوم بتســـليط الضـــوء بموضوعـــات مكافحة الإرهاب ســـواء كانـــت متعلقة بموضوعات المقاتلين الإرهابيين الأجانب ومنـــع تمويل الإرهاب ومنع توفير الملاذ الآمن له ومنع إمداد الإرهاب بالســـلاح ومنع اســـتخدام الإرهابيين للانترنت بوســـائل التواصل الاجتماعى، وعلى أثر اســـتمرار معاناة مصر وغيرها من الدول بشكل مباشر وغير مبـــاشر من دعـــم قطر للإرهاب.

وأكد المندوب الدائم لمصر أن مصر تعمل جاهـــدة على تنفيذ قرارات الأمم المتحـــدة وتطالب بضرورة تنفيذهـــا الكامل من قبل كل الدول وضرورة محاسبة مجلس الأمن للدول التى لا تمتثل لتلك القـــرارات ومن هذا المنطلق وعلى ضوء ما تقضى به قرارات مجلس الأمن من ضرورة التعامل مع حالات عدم الامتثال لقراراته بما فى ذلك على سبيل المثال وليس الحصر ما تقضى به الفقرة رقم 74 من قـــرار مجلس الأمن رقم 2368 لعـــام 2017 فـــإن مصر طالبت مجلـــس الأمن بالتحقيق فيما يـــتردد عن قيـــام النظام القطرى فى حالات محددة بدعم الإرهاب علما بأن مصر على يقين بما هو متوافـــق عليه دوليا بأن دعم الإرهاب سواء بالتمويل أو بالســـلاح وتوفير ملاذ آمن له أو التحريض أو الترويج عليه يعتبر جريمة لا تقل وطأة وجســـامة عن العمل الإرهابى ذاته وتتطلب محاسبة الضالعين فيه.

ليبيـــــــا

ترأس الســـفيرحمدى لوزا نائب وزيرالخارجية وفد مصر فى اعمال الاجتماع الرابع للجنة الأفريقية رفيعة المستوى حول ليبيا والتى انعقدت فى العاصمة الكونغوليـــة برازافيـــل حيث استعرض الجهود التى بذلتها مصر عـــلى صعيد مســـاعدة الأشـــقاء فى ليبيا فى الخروج من حالة الانســـداد السياسى. واشار الى سلسلة الاجتماعات التـــى اســـتضافتها القاهرة خـــلال الأشـــهر الاثنى عشر الأخيرة.واعلن السفير حمدى لوزا أهم النتائج التى خرجت بهـــا تلك الاجتماعـــات والتى كانت عاملا حاســـما فى قبول الأطراف الليبية للجلوس على مائدة الحـــوار .ومن أبرز هذه المحطـــات الاجتماع الذى عقد فى القاهرة خلال شهر ديسمبر الماضى وضم ممثلين من كافة الأطيـــاف والمناطـــق الليبية ونتج عنـــه ولأول مرة توافق حـــول ضرورة تعديل الاتفاق الســـياسى لحـــل الخلافات الرئيسية بين الأشقاء فى ليبيا .

إيـطـاليـــــا

أعلنـــت كل من القاهرة وروما عن قرار إيطاليا التقدم بطلب للحكومة المصرية للحصول على الموافقة على تعيين ســـفير إيطاليا الجديد وتطلعهم للحصول على موافقة القاهرة فى أقرب فرصة هو الســـفير جيامباولو كانتينى، فى حين طلبت القاهرة الموافقة على ترشيح السفير هشام بدر سفيرا لدى إيطاليا، وذلك بشكل متزامن.

حـــوض النيـــــل

صرح المتحدث باســـم وزارة الخارجية المستشـــار أحمد أبو زيد أن مـــصر تبذل جهودا لتقريب وجهات النظـــر بين دول حوض النيل والتأكيد على عدد من المبادئ منها إخطار الدول بأى مشـــاريع تنوى أى دولـــة تنفيذها وأكد خلال لقائه مـــع الإعلاميين أن مصر جمدت أنشـــطتها فى دول حوض النيل عقب توقيع عدد من الدول على اتفاق عنتيبى وكشـــف وجود مانحين دوليين يتعاملون مع مبادرة حوض النيل بإطار غير ســـليم وليس جامعا لكل دول حوض النيل مشيرا إلى أن الاتحاد الأوروبى طرح مشروعا للتعاون يقدر بـ3 ملايين يورو مع مبادرة حوض النيل للقيام بدراســـات لمشاريع ذات منفعة مشتركة بين دول حوض النيل مؤكدا أن مصر أوضحت معارضتها قيام الاتحاد الأوروبى بهذا التوجه ما يمكن أن يخلق انقســـاما وهو ما عبرت عنه مصر خلال اللقاء مع الممثلة الأعلى لسياسة الأمن والشئون الخارجية فى الاتحاد الأوروبى فيديريكا موجيرينى فى بروكسيل.

الولايـــات المتحـــدة

فى بيان صادر عن وزارة الخارجية أعربت مصر عن أسفها لقرار الولايات المتحدة تخفيض بعض المبالغ المخصصة فى إطار برنامج المساعدات الأمريكية سواء من خلال التخفيض المباشر لبعض مكونات الشـــق الاقتصادى مـــن البرنامج، أو تأجيل صرف بعض مكونات الشق العسكرى.

واعتبرت مصر أن هذا الإجراء يعكس ســـوء تقدير لطبيعة العلاقة الاستراتيجية التى تربط البلدين على مدى عقود طويلة، واتباع نهج يفتقر للفهم الدقيق لأهمية دعم اســـتقرار مصر ونجاح تجربتها، وحجم وطبيعة التحديات الاقتصادية والأمنية التى تواجه الشـــعب المصرى، وهو خلط للأوراق بشـــكل قد تكون له تداعياته السلبية على تحقيق المصالح المشتركة المصرية الأمريكية.

ميانمـــــار

أدانت مصر أحداث العنف التى تشـــهدها ميانمار، لأن استمرار تلك الأحداث يساعد على تغذية الإرهاب والفكر المتطرف، مشددة على ضرورة قيام الحكومات بالاضطلاع بمســـئولياتها فى حماية حقوق الأقليات وتوفير الأمن لهم بما يساهم فى ترسيخ مبدأ المواطنة.

النصـــر العظيـــم

43 سنة منذ الانتصار

حرب أكتوبر من منظور الأمن القومى العربى

تقترب منا ذكرى الإنجاز العربى الكبير فى حرب أكتوبر 1973، وفى الوقت نفســـه تمر الأمة العربية بواحدة من أخطر مراحل تطورها وبالتأكيد هى أخطرها منذ حصول البلدان العربية على اســـتقلالها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، فقد أصيب الأمن القومى العربى بأضرار جسيمة يرى البعض أن إصلاحها بات غير ممكن، وتكفى نظرة واحدة إلى الصراعات الدائرة على الأرض العربية لكى ندرك هذه الحقيقة، فالقرارات الخاصة بالصراع السورى باتت بيد كثيرين من القوى العالمية والإقليمية ليس من بينهم عرب على الرغم من أن دولاً عربية قد استثمرت بكثافة فى هذا الصراع ولكن فى إطار غياب للرؤية السليمة،

أ. د. أحمد يوسف أحمد

أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة

a7madyousef333@icloud.com

وحلف الأطلنطـــى وأوروبا عاثا فساداً فى ليبيا ومازالا، وكذلك فعلت إيران فى اليمن، وقبل كل هؤلاء العراق الذى كان يوماً قـــوة عربية إقليمية تحمى الأمن القومى العربى فإذا به منذ الغزو الأمريكى 2003 يتعرض لعملية تفكيك مدبـــرة ومُخَططة للدولة والمجتمع فيه مازلنا نشاهد تداعياتها حتـــى الآن. ويُضاف إلى ما ســـبق تفاقم ظاهـــرة الإرهاب إلى الدرجة التى أنشـــأ فيها تنظيم إرهابى كداعش كياناً إقليمياً للمرة الأولى فى تاريـــخ الحركات الإرهابية المعاصرة، ناهيك عن تدهور وضع القضية الفلسطينية ومكانتها بعد أن انكفأت الدول العربية كافة على مشكلاتها الداخلية وباتت إسرائيل تشـــعر بأقصى درجات الأمان منذ نشأتها، ولعل هذه الأوضاع المتردية التى تمر بها الأمـــة العربية وأمنها القومى تدفعنا إلى استعادة الخبرة بالغة الإيجابية لحرب أكتوبر 1973 من منظور الأمـــن القومى العربى والتساؤل عن مقومات هذه الخبرة لعلنا نتلمس طريقـــاً إلى الخروج من النفـــق المظلم الذى تُحشر الأمة العربية فيه فى ظروفها الراهنة.

رفض الاستسلام لإرادة إسرائيل

كان العدوان الإسرائيلى على مصر وســـوريا والأردن قد أسفر كما هو معلوم عن احتلال أراضٍ شاســـعة تابعة لهذه الدول تمثلت فى شـــبه جزيرة ســـيناء المصرية فضلاً عن قطاع غزة الذى كان يخضع آنذاك

للإدارة المصرية والمرتفعات السورية والضفة الغربية الفلسطينية. وقد مثلت هذه الهزيمة كبوة هائلة لحركة التحرر العربى، غير أن العامل الحاسم فى مواجهات تداعيات الهزيمة كان رفض الدول العربية المهزومة الاستسلام للإرادة الإسرائيلية ومن ثم فقد انكبت هذه الدول فور الهزيمة على إعادة البناء العسكرى جنباً إلى جنب مع محاولات التسوية، ولأن إسرائيل كانت تريد ترجمة انتصارها الكاسح فى الحرب إلى واقع سياسى يعترف به العرب على نحو قانونى ولأنها كانت تحظى بدعم أمريكى شامل عسكرياً واقتصاديا ودبلوماسياً فإن كافة محاولات التوصل إلى تسوية سياسية بين الدول العربية وإسرائيل قد وصلت إلى طريق مسدود الأمر الذى بدا معه الحل العسكرى خيارا وحيداً، غير أن التأثيرات النابعة من قمة النظام العالمى لم تكن مواتية لهذا الحل، فمن جانب كان الانحياز الأمريكى لإسرائيل مطلقاً كما سبقت الإشارة، ومن ثم فإن بقاء الحال كما هو عليه لم يكن ليسبب أى مشكلة للسياسة الأمريكية خاصة وقد كان احتمال إعادة بناء القوة العربية مادياً ومعنوياً مستبعداً على الأقل فى المدى القصير، ولذلك لم يكن هناك دافع قوى يغرى الإدارة الأمريكية ببذل جهود حقيقية للانغماس فى جهود التسوية، أما الاتحاد السوفيتى الذى يُفترض أنه كان يؤيد الأطراف العربية فى الصراع فقد كان يتبنى سياسة حذرة حتى هزيمة 1967 بسبب رغبته فى عدم انفجار الموقف إلى مواجهة عسكرية بين العرب وإسرائيل تلقى عليه أعباءً ومسئوليات محددة فى المواجهة بينه وبين الولايات المتحدة غريمته الكبرى فى السباق على النفوذ والهيمنة فى النظام العالمى، وانعكست سياسته هذه على درجة استجابته لمطالب التسليح العربية، فلم يكن دوماً مستعداً لتزويد تلك الأطراف بالأسلحة التى تريدها كافة، وقد عزز هذا التوجه الأداء العربى السيئ فى مواجهة عدوان 1967 مما جعل القيادة السوفيتية تتردد كثيراً فى الاستجابة للمطالبة العربية بنوعيات متقدمة من الأسلحة الهجومية على الأقل من باب الخوف على سمعة السلاح السوفيتى الذى سبق أن هُزمت الأطراف التى استخدمته، ولهذين الاعتبارين السابقين ساد اعتقاد عربى عام بأن طرفى معادلة القيادة فى النظام العالمى لا يريدان حرباً جديدة فى الشرق الأوسط، وتحول هذا الاعتقاد إلى يقين بصدور البيان الختامى عن اجتماع القمة الأمريكية - السوفيتية فى موسكو 1972 والذى تضمن عبارة أشارت إلى ضرورة إيجاد نوع من الاسترخاء العسكرى فى الشرق الأوسط، وعلى الرغم من أن البيان قد ذكر هذه العبارة بحيث يكون هذا الاسترخاء لاحقاً لتسوية الصراع وليس سابقاً عليها فإنها - أى العبارة - فُهمت حصراً على أن القوتين العظميين باتتا تسعيان نحو التهدئة لذاتها، والواقع أن هذا الفهم الذى قد لا يكون دقيقاً كان متسقاً مع السلوك الفعلى للدولتين كما سبقت الإشارة، وفى مواجهة هذه الإرادة الدولية كان للعرب قول آخر.

الصمود المصرى الشامخ

فى مواجهة الإطار العالمى السابق غير المواتى لإزالة العرب آثار عدوان 1967 تبلورت بالتدريج معادلة عربية صحيحة للمواجهة جمعت بين الأداتين العسكرية والاقتصادية واتسعت أطرافها شيئاً فشيئاً حتى تحقق إنجاز أكتوبر 1973، وتمثلت نقطة البداية فى الصمود المصرى الذى بدا شامخاً فى معركة رأس العش التى جرت فى شهر الهزيمة نفسه وتلته غارات الطيران المصرى على المواقع الإسرائيلية فى سيناء فى الشهر التالى مباشرة ثم التصدى للعبث الإسرائيلى فى المياه الإقليمية المصرية بإغراق المدمرة الإسرائيلية «إيلات» فى أكتوبر 1967 وما تلا ذلك من حرب الاستنزاف، وكانت الرسالة واضحة ومفادها أن مصر لن تستسلم مهما كانت التضحيات، ثم كان القرار المصرى - السورى نتيجة للملابسات الدولية السابق بيانها بأن الحل العسكرى قد أصبح هو الخيار الوحيد المتاح، بل إنه حتى لو كان الهدف الاستراتيجى هو التوصل إلى تسوية سياسية فإن هذا الهدف لن يصبح ممكنا دون إعمال مُخَطط فعال للأداة العسكرية، ومن ثم استمرت جهود الطرفين فى إعادة بناء قواتهما المسلحة والتنسيق لخطة مشتركة فيما بينهما فى هذا الصدد وذلك على الرغم من الصعوبات الهائلة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، وارتبطت الصعوبات السياسية أساساً بعدم رغبة القوتين العظميين فى نشوب حرب جديدة كما سبقت الإشارة، لكن مصر وسوريا لم تكونا وحيدتين فى الميدان، فمنذ البداية كان واضحاً أن مفهوم الأمن القومى العربى كان حقيقة واضحة، وهكذا لعب التضامن العربى دوراً رئيسياً فى هذا الصدد على الرغم مما هو معروف من أن عدوان يونيو قد وقع فى ذروة الحرب الباردة العربية التى تزعمت كل من مصر والسعودية طرفيها،

وكانت المشكلة اليمنية آنذاك هى القضية الخلافية الأساسية فى هذه الحرب حيث أيدت مصر الثورة الجمهورية اليمنية بدعم عسكرى مباشر بعشرات الألوف من القوات المسلحة المصرية على مدار خمس سنوات فيما كانت السعودية تؤيد أنصار النظام القديم من الملكيين اليمنيين بالمال والسلاح وتجنيد المرتزقة، ومع ذلك فسرعان ما بُذلت الجهود لتصفية الخلافات العربية، ولعب رئيس الوزراء السودانى آنذاك محمد أحمد محجوب دوراً رئيسياً فى التوصل إلى اتفاق على عقد قمة عربية فى الخرطوم عُقدت بالفعل قبل مرور أربعة شهور على الهزيمة، ففى التاسع والعشرين من أغسطس 1967 بدأت القمة بحضور إحدى عشرة دولة بالإضافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية ولم تتغيب عن الاجتماع إلا سوريا، وكان تمثيل الدول على المستوى القيادى عدا ليبيا التى أرسل ملكها ولى عهده وتونس والمغرب اللتين حضر رئيسا الوزراء فيهما والجزائر التى اكتفت بإرسال وزير خارجيتها، وقد انتهت القمة فى الأول من سبتمبر واتخذت قرارين بالغى الأهمية من منظور المعركة العسكرية القادمة وهما استئناف ضخ النفط لاستخدام عوائده فى دعم المجهود الحربى لدول المواجهة، وكان الشيخ زايد حاكم أبو ظبى آنذاك قد بادر بوقف إمدادات النفط أثناء الحرب غير أن نهايتها السريعة قد حرمت سلاح النفط من مقومات تأثيره، أما القرار الثانى فتمثل فى مبادرة كل من السعودية والكويت وليبيا بتقديم دعم مالى بإجمالى 147 مليون جنيه استرلينى سنوياً لمساعدة دول المواجهة مع إسرائيل فى إعادة البناء العسكرى استعداداً للمعركة، وهو مبلغ تقترب قيمته بمقارنة قيمة النقود آنذاك بقيمتها الآن من حوالى 28 مليار دولار، ويلاحظ أن الدول الثلاثة الداعمة دول ملكية محافظة بينما تأتى مصر على رأس الدول المستفيدة من الدعم وهى التى كانت تتزعم معسكر الثورة العربية بما يؤكد حقيقة مفهوم الأمن القومى العربى وسلامته أى أن الخطر واحد على جميع العرب لا فرق بين ثورى منهم ومحافظ، ويلاحظ أن هذا التوافق العربى قد تضمن اتفاقاً مصرياً - سعودياً على تفعيل اتفاقية جدة التى كان الطرفان قد عقداها فى 1967 لتسوية المشكلة اليمنية وتعثر تطبيقها بسبب الخلاف بين الأطراف المحلية فى الصراع.

وفاق عربى تاريخى

كانت هذه هى مقدمات الوفاق العربى الذى بُنى على أساسه الاستعداد لحرب أكتوبر 1973، ومع انسداد آفاق التسوية السياسية وتأكد الانطباع بأن الدولتين العظميين غير راغبتين فى نشوب حرب جديدة خاصة بعد البيان الأمريكى- السوفيتى الذى سبقت الإشارة إليه فى يونيو 1972 تصاعدت الاستعدادات للمعركة، وقامت مصر بدور قيادى دؤوب فى تعبئة الجهود العربية لدعم المجهود الحربى المنتظر فى المعركة القادمة التى هى فى الأساس معركة عربية بحكم اتصالها بالصراع العربى- الإسرائيلى والتخطيط المشترك لها على أعلى مستوى بين القيادتين المصرية والسورية وصولاً إلى خطة مشتركة للعمليات يبدأ تنفيذها بساعة صفر واحدة، وبنت مصر جهودها هذه التى لعب الدور الأساسى فيها رئيس الأركان المصرى آنذاك الفريق سعد الشاذلى على أساس أن تُشارك الدول العربية الراغبة طواعية بما تستطيع أن تقدمه دعماً لدول المواجهة فى المعركة المنتظرة وذلك لصعوبة إصدار قرارات ملزمة من مجلس الدفاع العربى المشترك من السهولة بمكان على أية دولة عربية أن تتجاهلها إذا لم تكن راغبة فى تنفيذها، وأثمرت هذه الجهود فى التحليل الأخير عن مساندة عربية واسعة على الصعيدين العسكرى والاقتصادى، فعلى الصعيد العسكرى شاركت فى العمليات العسكرية على الجبهة المصرية ستة أسراب طائرات مقاتلة وقاذفة ولواءان مدرعان ولواءان مشاة وكتيبتا مشاة، وعلى الجبهة السورية شاركت أربعة أسراب طائرات مقاتلة وفرقة مدرعة وفرقة مشاة وثلاثة ألوية مدرعة ولواء مشاة، وجاءت هذه المشاركة من تسع دول عربية هى العراق والجزائر وليبيا والأردن والمغرب والسعودية والسودان والكويت وتونس.

دخول سلاح النفط للمعركة

ولم يتوقف الدعم العربى للمعركة عند حد المشاركة العسكرية وإنما امتد إلى استخدام فاعل لسلاح النفط، وقد سبقت الإشارة إلى استخدامه فى مواجهة عدوان 1967 وكيف لم تُمكن النهاية السريعة للعمليات العسكرية من تفعيل أثره وكيف ساهم هذا السلاح على نحو غير مباشر فى دعم المجهود الحربى العربى بالمساهمات الطوعية التى قُدمت من السعودية والكويت وليبيا، غير أن الأمر اختلف جذرياً هذه المرة، ففى السادس عشر من أكتوبر 1973 اجتمع وزراء النفط

العرب فى الكويت وقرروا أن يدخل سلاح النفط فى المعركة بتخفيض الإنتاج العربى الكلى من النفط بنسبة 5 ٪ وتخفيض 5 ٪ أخرى كل شهر حتى تنسحب إسرائيل إلى حدود 1967، كما قررت ست دول رفع أسعار نفطها بنسبة 70 ٪ وقررت بعض الدول حظر تصدير النفط كلية إلى الدول التى يثبت تأييدها لإسرائيل بما فيها الولايات المتحدة، وتشير التقارير إلى الغضب العارم الذى أحدثته هذه القرارات فى دوائر صنع القرار الأمريكية لخطورة أن يُعطى العرب أنفسهم حق استخدام النفط كسلاح والانفراد بتحديد أسعاره وهو أمر لا يمكن قبوله، بل إن الغضب قد اشتد عندما تلقى هنرى كيسنجر وزير الخارجية آنذاك تقريراً من السفير الأمريكى فى السعودية يفيد بأن الملك فيصل قد أبلغه بأن العلاقات السعودية- الأمريكية قد تتعرض لمشاكل إذا استمرت المساندة الأمريكية لإسرائيل، وأن السعودية سوف تُخَفض إنتاجها بنسبة 10 ٪ وليس 5 ٪ فقط كما قرر وزراء النفط العرب، وأن الملك قد ألمح إلى احتمال وقف شحن النفط السعودى إلى الولايات المتحدة إذا تعذر الوصول إلى نتائج سريعة وملموسة فى الأزمة، وزادت شدة الغضب الأمريكى أكثر وأكثر عندما بدأت ردود أفعال القرارات العربية ترد من أوروبا واليابان.

المشهد العربى الراهن بعيد عن 1973 هكذا تُظهر خبرة حرب أكتوبر 1973 كيف أن الإنجاز الكبير الذى تحقق يرجع فضل كبير فيه إلى عمل عربى مشترك انطلق من مفهوم واحد للأمن القومى العربى انطلاقاً من الإيمان بوحدة مصادر التهديد وأولوياتها الواضحة إن تعددت، فلم يكن ثمة شك فى أن العدو الرئيسى للأمة العربية هو المشروع الاستعمارى الصهيونى المدعوم من قوى الهيمنة الغربية وقد تجسد فى دولة إسرائيل التى لم تكتف باغتصاب معظم أراضى فلسطين وتشريد شعبها وإنما راحت تتوسع فى الدول العربية المحيطة بها فاحتلت فى عدوان 1967 أراضٍ شاسعة من ثلاث دول عربية، وهكذا التقت إرادات الدول العربية على مواجهة الخطر الإسرائيلى، وتجسد هذا فى التخطيط المصرى- السورى المشترك للحرب ثم الدعم العربى الواسع عسكرياً واقتصادياً للمجهود العربى الحربى فى المعركة وهو الأمر الذى جعل نتائجها تختلف جذرياً عن نتائج الجولات السابقة من الصراع العربى- الإسرائيلى، أما الآن فإن المشهد العربى يبدو بعيداً كل البعد عن مشهد ما بعد هزيمة 1967، وكانت الضربة الأولى لوحدة مصادر تهديد الأمن القومى العربى هى للغزو العراقى للكويت فى 1990 الذى كان يعنى أن الخطر على أمن دولة عربية إلى حد الاجتياح للمرة الأولى فى تاريخ العرب ما بعد الاستقلال يمكن أن يأتى من دولة عربية أخرى، وكان هذا مقدمة لدور أساسى تلعبه القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة فى حماية مصالحها فى المنطقة وليس أمن المنطقة فى حد ذاته، أما الآن فقد وصلنا إلى تهديد كيانات الدول الوطنية العربية من داخلها بسبب تعاظم أثر العوامل الطائفية والعرقية بسبب الغزو الأمريكى للعراق فى 2003 ثم ملابسات أحداث ما عُرف فى حينه بالربيع العربى، ونتيجة لهذا تعاظم تهديد الإرهاب للدول العربية التى زاد انكفاؤها على ذاتها لمواجهة هذا التهديد، كما تُستقطب الدول العربية بين دول ترى إيران الخطر الرئيسى على أمنها وأخرى لا تعتبرها كذلك وثالثة تتحالف معها لحماية نظمها السياسية فى مواجهة الخصوم، والأمر نفسه ينسحب على العلاقة مع تركيا فهى مصدر تهديد للبعض ودعم للبعض الآخر ناهيك عن الاستقطاب بين القوى الدولية الكبرى على نحو ما نرى فى الصراع السورى كمجرد مثال فما أبعد الليلة عن البارحة!

الدولة العربية من الهشاشة إلى التعافى

أثار فشل 23% من الدول العربية (الصومال/ اليمن/ العراق/ سوريا/ ليبيا)، وتعرض 18 % للاختراق والفشل (جيبوتي/ قطر/ لبنان/ السودان) قلقًا شديدًا لدى المتخصصين والحريصين على تعافى الدول العربية فى أعقاب الثورات العربية فى 2011، مما دعاهم إلى البحث فى أصول ظاهرة فشل الدولة والتأمل فى آليات تثبيت أركان ما بقى من الدول العربية من ناحية، والتفكير فيما يمكن القيام به لإعادة بناء الدول التى فشلت وتلك التى على أعتاب الفشل.

أ. د. عبد المنعم المشاط

عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة المستقبل

aalmashat2020@yahoo.com

والواقع أن مفهوم الدولة الفاشلة كمصطلح فى علم السياسة كان يقصد به، كما ورد فى كتاب ناعوم تشومسكى حول «الدولة الفاشلة: إساءة استخدام القوة وانهيار الديمقراطية» الصادر عام 2007، انتقاد قرار إدارة جورج بوش الابن بالتدخل العسكرى المدمر فى العراق، ليس فقط لأنه أدى إلى تدمير العراق وتعريضها للفشل فقط، ولكن أيضًا، وهذا هو الأهم، يعبر عن فشل الحكومة الأمريكية فى عملية اتخاذ القرارات الاستراتيجية دون تفعيل المؤسسة التشريعية وتجاهل الرأى العام، صاحب المصلحة الأساسى وإساءة استخدام القوة من جانب الإدارة الأمريكية، واعتبر تشومسكى أن هذه الإساءة فى استخدام القوة والرعونة فى اتخاذ القرارات وضرب الديمقراطية فى مقتل إنما تعبر عن فشل الدولة الأمريكية، وقد تلقفت الولايات المتحدة هذا المفهوم وأعطت لنفسها الحق فى التدخل فى شئون الدول الفاشلة خشية انتشار آثار الفشل ليس فقط على جيران تلك الدولة، وإنما أيضًا على السلم والأمن الدوليين، وهكذا، برررت الولايات المتحدة تدخلها العسكرى فى الصومال وأفغانستان والعراق، والذى وصل إلى حد الاحتلال العسكرى التقليدى فى عصر انتهى فيه تقريبًا الاستعمار التقليدي، ما عدا احتلال إسرائيل لفلسطين، وفوق ذلك طورت الولايات المتحدة أنشطتها تجاه الدول التى تهدد مصالحها من النشاط الهدام إلى آليات جديدة تقود إلى فشل الدولة، ومن ثم؛ تبرر للتدخل الأمريكى أو الأوروبى فى شأنها.

* النشاط الهدام وهدم الدولة: اتبعت المخابرات المركزية الأمريكية النشاط الهدام والعمليات السرية ضد الأنظمة والدول إما المعادية أو الموالية للاتحاد السوفييتى فى ظل الحرب الباردة، وانتشرت فى الخمسينيات والستينيات الانقلابات العسكرية بدءًا من الانقلاب على حكومة مصدق فى إيران، والذى أمم البترول إلى الانقلابات فى أمريكا اللاتينية، وكانت تلك الأنشطة تعد من ركائز استراتيجية الأمن القومى الأمريكي، وذلك بجمع أكبر حجم من المعلومات والمشاركة فى العمليات السرية التى تستهدف هدم الدولة المعادية.

* الدولة الرخوة قبل الدولة الهشة: وقد ظهر فى السبعينيات مفهوم الدولة الرخوة Soft State، والذى أتى به وطوره عالم الاقتصاد جونار ميردال فى تحليله للاقتصاديات الآسيوية واقتصاديات الدول النامية؛ حيث ألقى اللوم على الدول الاستعمارية التى مزقت مجتمعات ونظم وآليات بقاء وصيانة الدولة فى العالم الثالث، والدولة الرخوة أقرب إلى مفهوم الدولة الهشة أو الفاشلة؛ فهى دولة تفتقر إلى النظام وتتعثر فى التشريع وتتخلى عن القانون سواء فى احترامه أو تطبيقه ونفاذه، وتتسم بعدم التزام الموظفين العموميين وفى الغالب انحيازه إلى ذوى النفوذ وأصحاب المصالح الكبرى، وهى دولة ينتشر فى أركانها الفساد، بيد أن علماء السياسة رأوا صعوبة فى استخدام هذا المصطلح؛ فلجأوا إلى مفهوم الدولة الهشة Fragile State، والذى يعكس فى الواقع الدولة الفاشلة Failed State، وقد استقبلت منظمة السلام الأمريكية فكرة الدولة الهشة وبادرت بإصدار مصفوفة سنوية لعدد 178 دولة، وتعرف المنظمة الدولة الفاشلة بأنها دولة فى أزمة؛ فهى فقيرة، وقدراتها محدودة، وشرعية الحكم فيها متدنية، من ثم؛ يتعرض مواطنوها للانكشاف، وتستهدف المنظمة من ترتيب الدول مساعدة الولايات المتحدة وغيرها من القوى الكبرى حليفتها على التنبؤ بالأوضاع الدولية وتقييم المخاطر المترتبة على فشل عدد من الدول والوصول إلى إنذار مبكر لما ينبغى القيام به.

ويتم الوصول إلى الترتيب السنوى للدول بشأن مدى فشلها بقياس أدائها على 12 مؤشراً يعطى لكل منها عشر نقاط، وتندرج تحت أربع متغيرات كبرى؛ التماسك القومي، الأوضاع الاقتصادية، الأوضاع السياسية، والبيئة الاجتماعية، وتدور هذه المؤشرات حول الأمن والنخبة والأقليات ودرجة التدهور الاقتصادى والتنمية غير المتوازنة وهجرة العقول والشرعية والخدمات العامة وحقوق الإنسان والضغوط السكانية واللاجئين والتدخل الخارجي، وبناءً على ما سبق وقعت ست دول عربية على قائمة أكثر عشرين دولة فشلاً فى عام 2017 (الصومال/ اليمن/ السودان/ سوريا/

العراق/ ليبيا)، ويمكـــن أن نضيف إليها جنوب السودان، والتى كانت إلى زمن قريب جزءاً من الوطن العربي، وبالنسبة لمصر؛ فقد احتلت المرتبة 36 وهى بالفعل مرتبة متدنية، ويعود السبب فى ذلك إلى الضعف فى مؤشرات ثلاثة؛ التنميـــة غير المتوازنة، والخدمات العامـــة، وهجرة العقول، وهى مـــؤشرات يمكن، بل ينبغـــي، العمل على تحسينها تحسبًا لمصفوفة عام 2018.

* آليات إفشـــال الدولة: تعددت آليات إفشـــال الدولة بل وهدمها مـــن التدخل العسكرى المباشر (الصومال/ أفغانستان/ العراق) إلى توظيف القوة الناعمة للدولة أو كليهما معًا، ولعل أفضـــل مثال لذلك هو سقوط الاتحاد الســـوفييتى عام 1991، والذى بدأت الاستراتيچية الأمريكية ضده منذ عهد الرئيس الأمريكى الأسبق ريجان؛ حيث رصد، بعد موافقة الكونجرس، 300 مليار دولار إضافية إلى الميزانية العسكرية آنذاك، والتى بلغت 260 مليار دولار لإقامة منظومـــة دفاعية تحمى ســـماء الولايات المتحدة ضد أى هجوم نووى سوفييتى فيما عرف باســـم مبادرة الدفاع الاستراتيجى SDI، والذى عجز الاتحاد الســـوفييتى عن مجاراتها، ثم اســـتخدمت فى الوقت ذاته القوة الناعمة فيما يمكـــن أن يطلق عليه McDonaldization of the USSR.

ونظرًا للتقدم التكنولوجى غير المسبوق فى وســـائل التواصـــل الاجتماعى والدور المتزايـــد للمجتمع المدنى كوســـيط بين الحكومة والمواطنين ونظرًا لأهمية الطبقة المتوســـطة فى تحقيق الاستقرار السياسى وانطلاق الثورة الصناعية الرابعة والانتقال من الجيل الرابع إلى الجيل الســـادس من الحروب، والذى يعنى العزوف عن التدخل العســـكرى إلى محاولة اختراق التجهيزات النووية للدول وإبطالها فى إطار ما يعرف بـــ Cyber Security، ونظرًا لكل ذلك، لجأت تلك الدول إلى خلق منظمات موازية للدولة خصوصًا فى مجال امتلاك الأسلحة ووســـائل المقاومة المســـلحة كما حدث فى ســـوريا (الجيش السورى الحر وغيره من المنظمات الإرهابيـــة)، أو فى ليبيا أو اليمن عبر تســـليح الحوثيين أو فى الســـودان أو العراق أو تكريس دور حزب الله فى لبنان أو تســـليح المنظمات الإرهابية فى سيناء أو على الحدود الغربية المصرية الليبية، يضاف إلى ذلك ولا ينفصـــل عنه قيام دول موالية للدول الكبرى بدور الوكيل لتمويل وتسليح هذه المنظمات والجماعات ومنحها منصات إعلامية متطورة كما تفعل قطر بتوظيفها لقنـــاة الجزيـــرة، وتركيا لاســـتضافتها لفضائيات تابعة للمنظمات الإرهابية.

* أدوات تعـــافى الدولة العربية: هناك ســـبع آليات توظف كلاً من القوى الصلبة والقوى الناعمة للدول العربية؛ أولاً- بناء المؤسسات، ســـواء التشريعية أو التنفيذية أو القضائية ومؤسسات الأمن وعلى رأسها المؤسسة العســـكرية والشرطية، إن الدولة الحديثة لا تســـتقيم دون عملية المأسسة واســـتقلالها وفاعليتها، ثانيًا- أداء الدولة لوظائفها؛ فالعقد الاجتماعى بين المواطن والدولـــة يقضى بـــأن يقـــوم كل طرف بوظائفه ومسئولياته، الدولة مسئولة عن أداء وظائف خمس؛ الإنتـــاج، والتوزيع، والعدالة، والحمايـــة، والتمثيل الخارجي، ولا شـــك أن فاعلية أداء تلـــك الوظائف يخلق درجة عالية من الرضاء العام الذى يترجم إلى الولاء والانتماء ويقود إلى تماسك الجبهة الداخلية كأســـاس لتطعيم الدولة ضد الاخـــتراق الخارجـــي، ثالثًا- تطوير الإعلام تقنيًـــا ومهنيًا ومحتـــوىً؛ فنظرًا للتأثير المباشر للإعلام الحديث على تشكيل الاتجاهات السياســـية ينبغـــى تطويره وتحديثه؛ فلابد أن يكون جاذبًا وإلا سقط المشاهد إلى وســـائل التواصل الاجتماعى بما لها وما عليها، والعقدة هنا أن المواطن صار كونيًا، بينمـــا الإعلام العربى لا يزال محليًا أو على أفضل تقدير إقليميًا، رابعًا- توســـيع وحماية الطبقة المتوسطة؛ فقد شرح أرسطو أن أساس التعافى والاستقرار السياسى هو الدور الفاعل للطبقة المتوسطة؛ فهى واسعة حجمًا وملتزمة وطنيًا ومنتجة فنيًا وتقنيًا وطموحة سياســـيًا واجتماعيًا وبدونها لا يمكن أن تســـتقر الدولة؛ فهى مؤهلة لمواجهة قـــوى الإرهاب ومنظمات التخلف، خامسًا- بناء ودعم البنية التحتية وخصوصًـــا الطرق السريعـــة والكباري؛ فهى أساس التغلب على المساحات وتقريب الاتصالات وربط أوصـــال الدولة، وحبذا لو امتدت هذه الطرق السريعة إلى الوطن العربى كله، سادسًا- بناء وتحديث القوة العســـكرية؛ فالقوات المســـلحة المصرية أساس مقاومة وتطويق ومجابهة الإرهاب، وتقود حربًا ضروسًـــا وشرسة ضده سواء فى ســـيناء أو على الحدود المصرية الليبية، وفى الوقـــت ذاته تلعـــب دورًا تنمويًا بعد ارتباك مؤسســـات الدولة منـــذ 2011، وأخيرًا- التمثيل الدبلوماسي؛ فالدبلوماسية العربية، وعلى رأسها الدبلوماسية المصرية تستهدف تحقيق أهداف ثلاثة كبرى؛ دعم الأمن القومي، وذلك بفتح مجالات التعاون العســـكرى والأمنى فى الخارج، مســـاندة جهـــود التنمية الاقتصاديـــة، وذلك ببناء صورة قومية إيجابيـــة للدولة فى الخارج بفتح فرص مســـاعدات تنمية واستثمار أجنبى غير مباشر، توفـــير البيئة الدولية والإقليمية الملائمة للاســـتقرار والتفاعل البناء مع الآخرين ســـواء كانوا أشقاء أو أصدقاء أو حلفاء.

مصر وقطاع غزة..

تحديات ومسئوليات ومتطلبات

يبدو أن بعض المتابعين للشأن الفلسطينى بشكل عام، والعلاقات المصرية الفلسطينية بشـــكل خاص حاولوا أن يفسروا الإجراءات المصرية الأخيرة تجاه قطاع غزة باعتبارها تمثل تحولاً جوهرياً فى السياسة المصرية، وهو ما يخالف الحقيقة التى تقول باختصار شديد أن القطاع الذى يمتد لمسافة حوالى 14 كيلومتراً فى الاتجاه الشمالى الشرقى للحدود المصرية يعنى أن هذه المنطقة تدخل فى إطار دائرة الأمن القومى المباشر لمصر، وبما يفرض علينا أقصى درجات الحرص والحذر والمسئولية ونحن نتعامل مع القطاع فى كافة المجالات سواء السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية أو غيرها من المجالات.

لواء محمد ابراهيـم
عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية
mohamedeldewery@yahoo.com

بداية ونحن نعالج هذا الموضوع لابد أن نشـــير إلى خمس محددات رئيسية فى سياق العلاقة المصرية مع قطاع غزة:

- أن القضية الفلسطينية بكافة جوانبها ومكوناتها تعد قضية أمن قومى مـصـــــرى، ومن ثم فإن الأوضاع والتطورات المختلفة داخل قطاع غزة تؤثـــر تأثيراً مباشراً على اســـتقرار الحدود المصرية فى هذه المنطقة الحيوية.

- إن قطـــاع غزة كان خاضعاً للإدارة المصرية منـــذ عام 1948 وحتى حرب يونيو 1967 وقد تركت الإدارة المصرية طـــوال هذه الفترة الأثر الطيب لدى سكان القطاع منذ ذلك التاريخ وحتى الآن، ناهيك عن الروابط الثقافيـــة والاجتماعية بين

كل من القطاع ومصر.

- الـــدور المـــصرى التاريخى والمتفـــرد فى الإشراف الميدانى على الانســـحاب الإسرائيـــلى من قطاع غزة عـــام 2005 والـــذى نجحت مـــصـــــر بمقتضاه فى إتمام هذا الانســـحاب حتى تحرر القطاع من الاحتلال الإسرائيلى تماماً.

- وقـــوع معبر رفح البرى على الحدود المصرية الفلسطينية جنوب قطاع غزة وهو المعبر العربى الوحيد الذى يربط بشكل مباشر بين سكان القطاع ومصر بل والعالم الخارجى.

- إن القناعـــة المصرية الكاملة تتمثـــل فى أن كلاً مـــن قطاع غزة والضفـــة الغربية يمثـــلان قوام الدولة الفلســـطينية المزمع إقامتها وعاصمتها القدس الشرقية.

* وممـــا زاد الوضـــع خطورة فى هذه المنطقة انســـحاب إسرائيل المفاجئ من القطاع فى سبتمبر 2005 ثم نجـــاح حمـــاس فى الانتخابات التشريعية عام 2006 وقيامها بعد ذلك بالسيطرة الكاملة على القطاع فى منتصف عام 2007 مما أدى إلى وجود قدر كبير من عدم الاستقرار والتوتر ليس فى قطـــاع غزة فقط وإنما على طول الحدود المصرية مع القطاع فى ضوء العوامل التالية:

- وجود حرية حركة للعديد من التنظيمات والجماعات الفلسطينية المتطرفة ومعظمها تنظيمات دينية اطمئنانـــاً منها على وصول حماس للســـلطة وامتلاكها زمام الموقف فى كل القطاع رغم أن هذه التنظيمات اصطدمـــت بعد ذلـــك مع حماس لأسباب مختلفة وحدثت العديد من المواجهات بينهما.

- قيام حركـــة حماس بحفر مئات الأنفـــاق على الحـــدود مع مـــصـــــر مما أدى إلى تسهيل عمليات التهريب وخاصة الســـلاح والأفراد والمتفجرات وبالتالى كانت هذه الأنفاق بمثابة الشريان الرئيسى للعمليـــات الإرهابية التى تمت ضد القوات المصرية فى سيناء.

- العلاقـــات الوثيقـــة التـــى ربطت بـــين الجماعـــات المتطرفة فى ســـيناء ومثيلتهـــا فى قطاع غزة والتى وفرت كل الدعم اللوجيستى للإرهاب والإرهابيين خلال عملياتهم الإجرامية فى سيناء.

- وقد حرصت مـــصـــــر فى كل الأوقات على أن تساهم بقدر ما تستطيع فى اســـتقرار الأوضاع فى القطاع وألا تكون هناك أية أزمات إنســـانية خاصة فى ضوء الفترات

المختلفة للحصار الإسرائيلى على غزة وما أسفرت عنه نتائج الحروب الثلاثة التى شنتها إسرائيل على القطاع أعوام 2008 و2012 و2015 أخذاً فى الاعتبار أن مصر لن تسمح تحت أية ظروف بتكرار الأزمة التى حدثت فى عام 2008 والتى تم بمقتضاها اجتياز مئات آلاف الفلسطينيين بالقوة للحدود المصرية انطلاقاً من غزة.

❋ وفى ظل هذه الأوضاع استندت مصر فى تعاملها مع قطاع غزة على المبادئ الرئيسية التالية:

- التنسيق مع السلطة الفلسطينية فى كافة الأمور الحيوية المرتبطة بالقطاع والتى تتطلب الظروف أن يكون هناك دور مصري فيها.

- التنسيق مع إسرائيل من أجل ألا تكون هناك أزمة إنسانية فى القطاع نظراً لاعتماد القطاع بشكل رئيسى على كل نوعيات البضائع والسلع التى تدخل إليه من إسرائيل عبر معبر كرم أبوسالم.

- التواصل مع سلطة الأمر الواقع المسيطرة على القطاع وهى بالطبع حركة حماس من أجل ضبط الأوضاع الأمنية أساساً وكذا بعض الأمور المرتبطة بالحياة اليومية والمعيشية للسكان الفلسطينيين.

- التواصل مع كافة الفصائل والتنظيمات السياسية فى القطاع بهدف التوصل إلى تفاهم وتنسيق مستمر حول كيفية تطوير الوضع فى غزة لصالح الموقف الفلسطينى العام.

- فتح معبر رفح البرى أمام حركة السكان الفلسطينيين على فترات متقاربة وإن كان من الضرورى الإشارة إلى أنه فى حالات إغلاق المعبر لفترات طويلة نسبياً فإن ذلك يرجع إلى تدهور الأوضاع الأمنية فى منطقة رفح التى يتواجد بها المعبر.

❋ ولا شك أن الإجراءات المصرية الأخيرة تجاه قطاع غزة وخاصة إدخال بعض السلع والبضائع الأساسية التى كان القطاع فى حاجة إليها وكذا التواصل مع القيادى الفلسطينى محمد دحلان قد أثارت العديد من ردود الأفعال بعضها مؤيد وبعضها معارض الأمر الذى يستوجب علينا مزيداً من التوضيح لحدود الحركة المصرية فى هذا المجال منعاً لأية تفسيرات أو تأويلات غير حقيقية ولا تصب فى الصالح الفلسطينى الذى تحرص عليه مصر كل الحرص بشكل دائم, وفى هذا الشأن علينا توضيح الأسس التالية:

- أن الدور المصرى المميز تجاه القضية الفلسطينية طوال تاريخها وحتى الآن لا يمكن لأحد المزايدة على صدقه وشفافيته وجديته وأنه تاريخ مشرف كان ولا يزال ويضع القضية الفلسطينية فى سلم أولوياته, ويبقى على كل من يشكك فى ذلك ويرى أن دورنا بدأ فى التقلص عليه مراجعة مواقف الرئيس السيسى تجاه القضية منذ تولى سيادته السلطة وحتى زيارته الأخيرة لواشنطن كما عليه أن يراجع إلى أى مدى تمثل هذه القضية أحد المكونات الرئيسية فى السياسة الخارجية المصرية.

- إن الرئيس أبو مازن لم يجد من مصر منذ توليه منصبه وحتى الآن سوى كل دعم وتأييد مصرى مخلص ويعلم الجميع أن تعاملنا مع أبو مازن ينطلق من كونه الرئيس الشرعى لكل الشعب الفلسطينى والرئيس المنتخب للسلطة الفلسطينية منذ

عـــام 2005 كما أن أيـــة اتصالات تجريهـــا مـــصـــــــر مـــع أية شـــخصيات فلســـطينية أياً كانت أســـماؤها ومواقعهـــا لا يمكن أن تشكل بأى حال من الأحوال مساساً بشرعية الرئيس أبومازن التى تمثل بالنســـبة لمصر خطاً أحمر لا ولن تقبل تجاوزه.

- إن علاقـــة مـــصـــــــر مع حركة حمـــاس والزيـــارات التى قامت بها بعض شخصيات الحركة مؤخراً لمصر ارتبطت بشكل رئيسى بالوضع الأمنى على الحدود المصرية مع القطـــاع ومطالبتنا للحركة بأن تتحمل المسئولية لتأمين خط الحدود من ناحية القطاع باعتبارها السلطة المســـيطرة على القطاع حالياً والتى تتحكم فى كافة مناحى الحياة داخله، وقد لاحظنـــا فى الفترة الأخيرة قيام الحركة باعتقـــال بعض العناصر المتشـــددة هناك وتحديـــد منطقة عازلة على طول خط حدود القطاع مع مـــصـــــــر ولازلنا ننتظر من حماس مزيداً مـــن الإجراءات فيما يتعلق بالجانب الأمنى.

- أن مـــصـــــــر هى الدولة الوحيدة التى نجحـــت فى التوصل إلى وثيقـــة شـــاملة للمصالحـــة الفلســـطينية/ الفلســـطينية بعد ســـنوات طويلة من الجهد مع كافة الفصائل وذلك عام 2011 وللأسف لم يتـــم حتـــى الآن تنفيذها على أرض الواقع لأســـباب متعددة رغم أنها قدمت حلولاً لكافة مشـــكلات الانقسام.

- إن مـــصـــــــر لا تستطيع أن تقف ساكنة دون حراك أمام تدهور الأوضاع عـــلى حدودها مع القطاع أو تـــردى الوضع داخـــل القطاع نفســـه بما يؤثر على الأمن القومى المصرى وبالتالى تصبح أية إجراءات مـــصـــــرية للحفـــاظ عـــلى أمننا ومصالحنا مقبولـــة بل وضرورية مادامت لا تمس الثوابت المصرية أو الفلسطينية.

* الخلاصـــة كمـــا أراهـــا أن السياســـة المصرية تجـــاه قطاع غزة تعد سياســـة متوازنة تأخذ فى اعتبارها كل متطلبات الأمن القومى المصرى وهـــذا حقنا كاملاً دون أن تجور على دعمنا المتواصل للقضية الفســـطينية والثوابت المعروفة أو عـــلى علاقتنا الجيدة مـــع الرئيس أبومازن, وبالتـــالى لا يمكن القول أن هناك سياسة مـــصـــرية جديدة تجـــاه القطاع بل هنـــاك إجراءات مـــصـــــرية مدروســـة ومطلوبة فرضتها المعطيات الجديدة للموقف تهدف إلى تأمين حدودنا مع القطاع أقصى درجات التأمين لاســـيما فى ظل عدم استقرار الوضع فى سيناء واستمرار العمليات الإرهابية فى هذه المنطقة الاستراتيجية.

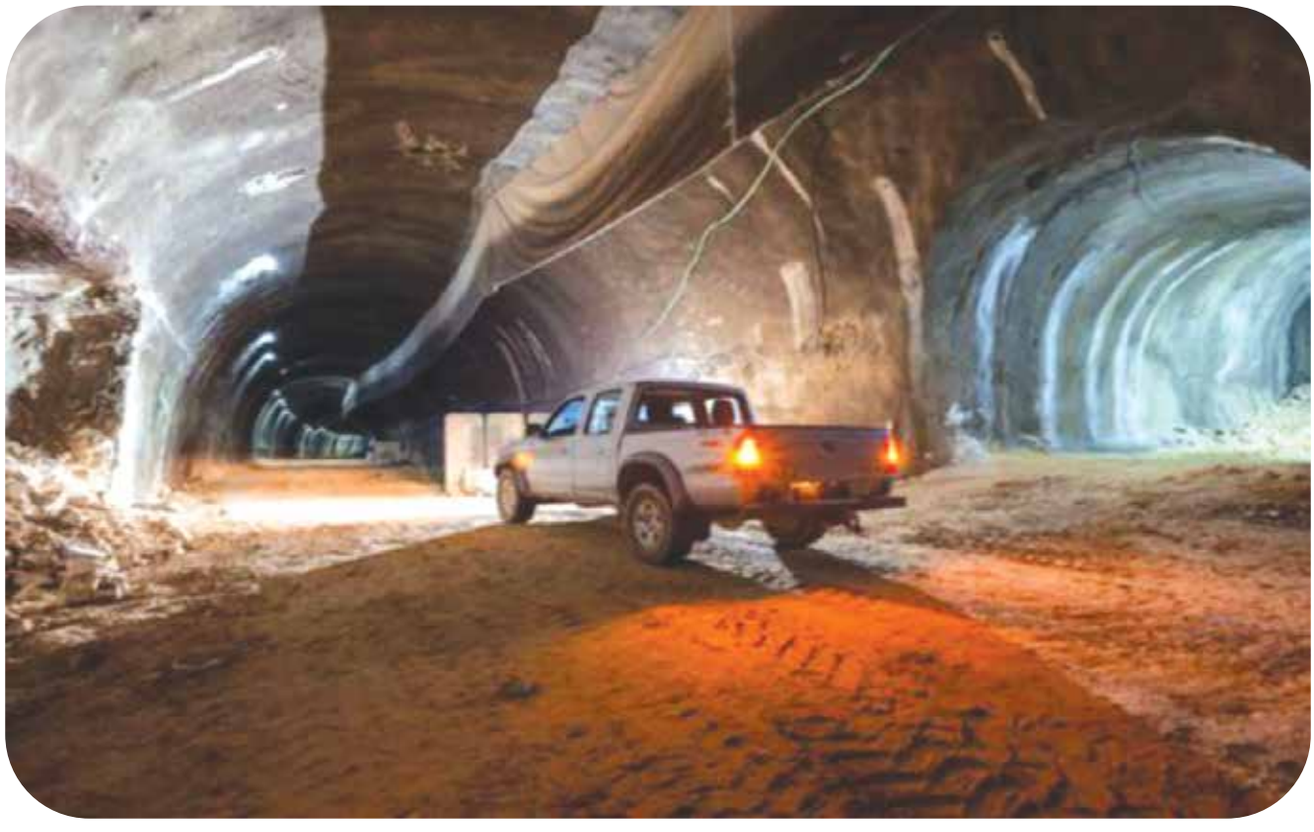

أنتهاكات إسرائيل للمواثيق الدولية

إذا لم تَستَحِ فإصنع ما شئت

(حديث شريف)

تصورت حكومة الاحتلال أن العرب وقد أدمتهم الصراعات، ومزقتهم الحروب والخلافات لن يكون فى استطاعتهم أن يتفوهوا ببنت شفة حتى وإن أفرغت حكومة إسرائيل كل ما فى جعبتها من وسائل البطش والاستفزاز تجاه الفلسطينيين أو تحدى العرب والمسلمين أجمعين. هذا ما حدث عندما نصبت إسرائيل البوابات الإلكترونية لكشف المعادن، وثبتت كاميرات المراقبة فوق مداخل المسجد الأقصى.

سفير إيهاب وهبة

amb.wahba@gmail.com

الهدف الذى أرادت إسرائيل تحقيقه كشفه الفلسطينيون على الفور، إذ أرادت إسرائيل أن تؤكد سيطرتها على أولى القبلتين وتحكمها -دون منازع- فى مقدراته. ولكن هيهات، فلقد هب الفلسطينيون عن بكرة أبيهم –مسلمون ومسيحيون– وبتضامن كل طوائفهم ومؤسساتهم ضد العدوان الإسرائيلى على مقدساتهم، ولم ترهبهم لا القنابل الإسرائيلية الغازيّة، ولا الرصاص بأنواعه. وأثبتوا للعالم كله مدى قوة عزيمتهم وإصرارهم. استشهد البعض، وأصيب العشرات. وبالرغم من أن هبتهم كانت سلمية، بعيدة عن العنف، فلم تقابل إسرائيل ذلك إلا بالبطش والتنكيل.

نعم مثّلت هذه نصرة قوية لأصحاب الحق وهزيمة نكراء لمن تخيلوا أنهم أصحاب الأمر والنهى. قام الغزاة بتفكيك ما نصبوه، ودخل المصلون إلى مسجدهم الذى باركه الله، رافعين الرؤوس ومنتصبى القامات.

القدس كما يعلم الجميع أرض محتلة، كما قضت بذلك كل القرارات الدولية وأحكام القانون الدولى. ولن تجد هناك سفارة لأية دولة واحدة كبرت أو صغرت. فمهما قام جنود الاحتلال والجماعات الإسرائيلية المتطرفة بتدنيس هذه العتبات المقدسة، ومهما عاثوا فى المسجد فساداً، فلم يضفى ذلك على المحتل أية شرعية أو يكسبه اعترافاً أو احتراماً.

ولعل جُرم إسرائيل الأكبر هو فى انتهاكها الصريح لمعاهدة سلامها مع الأردن التى وقعت فى 26 أكتوبر 1994 (اتفاق وادى عربة) والتى تنص بوضوح لا لبس فيه على «أن إسرائيل تحترم الدور الخاص للمملكة الأردنية الهاشمية فى الأماكن المقدسة فى القدس»، بل وتضيف المعاهدة أنه «عند انعقاد مفاوضات الوضع النهائى فستعطى إسرائيل أولوية كبرى للدور الأردنى التاريخى فى هذه الأماكن». واضح أن هذه التعهدات الإسرائيلية قد ذهبت أدراج الرياح، هى وما تلاها من ترتيبات تم الاتفاق عليها بين الأردن وإسرائيل منذ عامين فقط وتتعلق بالدخول إلى المسجد الأقصى. هذا كان موقف إسرائيل من الأردن وهو نفس موقفها من إدارة الأوقاف الإسلامية فى القدس حيث لم تقم وزناً لصيحاتها واستغاثاتها بأنها قد فقدت السيطرة على المسجد حينئذ.

وعودة إلى موقف إسرائيل من الأردن، فقد قام أحد حراس السفارة الإسرائيلية فى العاصمة الأردنية باغتيال اثنين من المواطنين الأردنيين. ثم اضطرت إسرائيل لتهريب كل أعضاء السفارة إلى خارج الأردن عندما طالبت الأخيرة بتسليم الجانى. والأمرُّ من هذا كان الاستقبال الحافل من قبل نتنياهو لذلك القاتل المحترف. أمر أثار فى نفوس من بقى لديهم نخوة من الإسرائيليين استهجاناً تجاه رئيس وزرائهم.

لنكن واقعيين، فلن يهدأ لإسرائيل بال، ولن تقر لها عين، قبل أن تبتلع كل أجزاء الضفة وتضمها إليها. ففى توقيت يدعو للريبة، حيث جاء متزامناً مع أحداث الأقصى، تذيع قناة إسرائيل الثانية تقريراً خطيراً تقول فيه إن رئيس وزراء إسرائيل يسعى حاليا إلى الحصول على موافقة الولايات المتحدة على ضم أربع مستوطنات إسرائيلية وكتلة استيطانية أخرى إلى إسرائيل. تضم هذه المستوطنات 130 ألف مستوطن، وهذه المستوطنات هي:

معاليه أدوميـــم – غنعات زئيف– بيتار عليت– إفـــرات– كتلة غوش عتسيون الاســـتيطانية. أما المقابل الذى تقدمه إسرائيل إلى الفلسطينيين والـــذى تصفه بأنه تنـــازل ضخم، فهو نقل بعض البلـــدات العربية فى وادى عارة (المثلث) الذى يقع داخل إسرائيل إلى السيطرة الفلسطينية!

والمفجع فى هذا التقرير إفصاحه عن قيام نتنياهو بمناقشة هذا الطرح بالفعل مع مبعـــوث ترامب الخاص جاريد كوشـــنر ومبعوثه الشخصى للمفاوضات جاســـون جرينبلات. وأكثر من ذلـــك أن البيت الأبيض قد اعترف أن هذه الأفكار قد نوقشت مع الجانب الأمريكى ولكن فى إطار سلام نهائى.

أمـــا ثالثـــة الأثافى فهـــى دعوة رئيس ورئيس وزراء إسرائيل لعدد من أنصاره فى الكنيســـت بالإسراع بإصدار قرار بإلحاق المســـتوطنات المذكـــورة لبلدية القـــدس من أجل أن يتمكن المســـتوطنون من الإدلاء بأصواتهم فى كل الانتخابات البلدية التى تجرى هناك. وحتى يكتمل ذلك المخطط الشـــيطانى ويصبح لليهود فى القـــدس الغلبة على ما عداهم فقد أوعز رئيس الـــوزراء فى نفس الوقت بحذف أســـماء 100 ألف فلسطينى من المقيمين فى القدس وضواحيها من قوائم الانتخابات المذكورة. فالغرض إذن واضـــح وهو تغيـــير التركيبة الديموغرافيـــة للســـكان فى القدس ويصبح للإسرائيليين الكلمة العليا فى أى قرار يتعلق بها.

كان مـــن الطبيعـــى أن ينفعل العالم تجاه التصرفات الإسرائيلية فى الأقصى. أصدر مجلس الأمن والجامعة العربيـــة البيانات والقـــرارات التى تشجب تلك التصرفات. ثم اجتمعت منظمة التعاون الإسلامى التى تضم 57 دولة إسلامية فى إسطنبول لنفس الغرض. على الأقل افتضحت صورة إسرائيل أمام العالم وســـقط قناعها المزيف الـــذى ترتديه وظهر وجهها القبيح الحقيقى أمام الكل.

والتساؤل الآن هل تجرؤ إسرائيل بعد أن أبـــدت كل هذه العداوة تجاه العالم العربى والإسلامى على الادعاء بأن لها علاقات واتصالات حميمة مع الدول العربية، بل قولها بأن محوراً جديداً يتشـــكل الآن من بين بعض هـــذه الدول وإسرائيـــل فى مواجهة العدو المشـــترك (وتعنى بذلك إيران بطبيعة الحال). سيصبح هذا الادعاء الإسرائيـــلى إذا ما أعـــادت إسرائيل تكراره بمثابة طرفة ممجوجة.

شهية إسرائيل فى التوسع ونهمها غير قابل للإشـــباع. ولم لا والعرب على حالهـــم، والإدارة الأمريكية على الناحية الأخرى تفتقر بشكل واضح إلى الخبرة وتنقصهـــا التجربة. بل ربما تصور ترامب الذى تكلم مراراً وتكراراً عـــن صفقة القـــرن التى ســـيبرمها بين العرب وإسرائيل هى فى الواقع ما يعرضـــه رئيس وزراء إسرائيل حالياً من هذا الحل السحرى الذى لم يأت به الأوائل.

ما يدعو إلى الأسف أن ذلك القدر الضئيل من التفاؤل الذى استقبل به القادة الفلســـطينيون قدوم الرئيس الأمريكـــى إلى البيت الأبيض سرعان ما تلاشى، بل تُجمـــع هذه القيادات الآن عـــلى أن ترامب قـــد نفض يده من مشكلة الشرق الأوسط الشائكة، حيث هو غارق حتى أذنيه فى مشاكله الداخلية. أمـــا الرئيس أبومازن فقد أصيب بخيبة أمل كبيرة، بل إن الفريق الذى كلفه ترامب فقد مصداقيته لدى الجانب الفلسطينى بسبب ما يبديه فى اللقاءات التـــى يجريها معه من جهل يحسد عليه وانحياز أعمى لكل ما تقوله وتفعله القيادة الإسرائيلية.

لم يكن غريبـــاً والحال كذلك أن تســـعى الصين – التـــى لم يعرف عنها من قبـــل طرحها لحلول لأزمة الشرق الأوسط – أن تسارع الآن لملء الفراغ الـــذى خلفته الولايات المتحدة فى المنطقة، وأن تتقـــدم الصين الآن بنقاط محـــددة وبنود متكاملة لحل شامل ودائم لمشكلة الشرق الأوسط. أما الاتحاد الأوروبى فمستمر فى بذل مســـاعيه لكسر الجمود فى مســـيرة الســـلام، وإذ بالمجلـــس الأوروبى للعلاقات الخارجيـــة يصدر تقريراً شـــاملاً يفضح فيه أهداف إسرائيل فى الضم وفى انتهاج سياسة التفرقة والتمييز ضد الفلسطينيين. غير أنه فى وســـط كل ما هو عربى وأمريكى فقد أثبت الشعب الفلسطينى الأعزل، وبدون أدنى شـــك، مدى قدرته على الصمود وعلى رفض الضيم.

قال تعـــالى «إن ينصركم الله فلا غالب لكـــم وإن يخذلكـــم فمن ذا الذى ينصركم من بعده» صدق الله العظيم.

حل الدولتين فى مهب الريح

بين إدارة ترامب وتعنت نتنياهو والانقسام الفلسطينى

أصبح حل الدولتين بعيد المنال بعد انتشار الاستيطان الإسرائيلى واستمرار الانقسام الفلسطينى وعدم وجود مبادرة من جانب إدارة الرئيس الأمريكى دونالد ترامب لإعادة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية على أساس حل الدولتين أو على أى أساس آخر. وكان جاريد كوشنر صهر الرئيس الأمريكى ومستشاره الخاص قد أكد مؤخرا فى تسريب نشر له أثناء لقائه مع عدد من أعضاء الكونجرس الأمريكى أن ترامب عدل عن فكرة تقديم مبادرة لإعادة إطلاق المفاوضات بسبب عدم وجود فرصة لنجاحها. وقد بدأت أصوات فلسطينية من داخل منظمة التحرير تطالب بقوة بمراجعة اتفاق أوسلو الانتقالى الذى لم ينجح فى إقامة دولة فلسطينية منذ توقيعه عام 1993 والذى كان ينص على إقامة الدولة بعد خمس سنوات أى عام 1998.

سوزى الجنيدى

elgeneidy_suzy@yahoo.com

أما داخل الولايات المتحدة فهناك شعور بالتشاؤم من إمكانية التقدم ولو خطوة واحدة فى ظل إدارة ترامب فى اتجاه حل الدولتين، وقد عدت الشهر الماضى من زيارة لأمريكا حيث تحدثت مع عدد من المتخصصين فى شئون الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية وأكدوا لى أن حل الدولتين ربما ليس هو الحل العملى فى الوقت الحالى، وأن البديل ربما يكون حل الدولة الواحدة مع محاولة تجنب سياسة التفرقة العنصرية الأبارتهايد التى تنتهجها إسرائيل، وهو ما سيرفضه الفلسطينيون بالتأكيد.

والجدير بالذكر أن حل الدولتين يقوم على أساس دولتين فى فلسطين التاريخية تعيشان جنبا إلى جنب، هما دولة فلسطين إلى جانب دولة إسرائيل، وهو ما تم إقراره فى قرار مجلس الأمن 242 بعد حرب 1967 وسيطرة إسرائيل على باقى أراضى فلسطين التاريخية،واعتمد بعض الفلسطينيين هذه المبادئ فى عام 1974 بالبرنامج المرحلى للمجلس الوطنى الفلسطينى. وأصبح حل الدولتين فيما بعد مرجعية المفاوضات فى اتفاق أوسلو عام 1993 بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، كما أنه أساس المبادرة العربية للسلام عام 2002.

ويشعر جيمس زغبى مؤسس ورئيس المعهد العربى الأمريكى بواشنطن والمدير التنفيذى لمؤسسة زغبى للأبحاث واستطلاعات الرأى التى تعد أحد أهم مؤسسات استطلاعات الرأى فى الولايات المتحدة، بعدم التفاؤل بإمكانية الوصول إلى حل الدولتين حيث أنه غير مقتنع بأن إدارة ترامب ستحقق أى تقدم على الإطلاق فى إحداث أى تغير فى ظل الظروف الحالية، وذلك لعدة أسباب منها أن حكومة نتنياهو ليست لديها الرغبة للتحرك للأمام ولا القدرة أيضا، ونتنياهو نفسه لا يريد أى تغير لحكومته، فهو يريد أن يكون على رأس حكومة يمينية لا تريد العمل من أجل السلام، وبالتالى هو لا يريد وليس قادرًا على السير للأمام، كما أن الظروف داخل إسرائيل ليست مواتية فى اتجاه السلام، وبالتالى حتى لو أراد نتنياهو فقد يواجه مشاكل،

ويضيف زغبى، والذى تم تعيينه عام ٢٠١٣ من قبل الرئيس السابق باراك أوباما المفوض الأمريكى لشئون الحريات الدينية الدولية وهو أستاذ جامعى فى جامعة نيويورك وعضو باللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطى الأمريكى، أن السبب الآخر هو أنه توجد حالة فوضى فى العالم العربى وبين الفلسطينيين، ولهذا فالظروف ليست مواتية للسير فى اتجاه مفاوضات السلام، وكذلك فإن السياسة فى أمريكا تغيرت، والإدارة الجمهورية الحالية ليست راغبة فى إعطاء امتيازات للعرب والفلسطينيين.

ويشير زغبى إلى أن حل الدولة الواحدة لشعبين ربما هو للأسف المخرج المنطقى حاليا ولكن هذا الحل لم يكن ملائما لسنوات عديدة مضت، ويؤكد أنه لا يفضّل هذا الحل لأن معناه أن يعيش الفلسطينيون

تحت الاحتلال وفى ظل سياسة تفرقة عنصرية لمدة جيل أو اثنين آخرين على الأقل حتى يستطيعوا تغيير ذلك، ولكن هذا هو الوضع للأسف، فهناك ستمائة ألف من المستوطنين فى الضفة الغربية وثلاثة أرباعهم على الأقل لا يريدون الانتقال تحت أى ظرف، وهناك حكومة إسرائيلية يمينية لا ترغب فى تقديم أى تنازلات، وبالتالى لدينا دولة واحدة ولا مفر حاليا من ذلك، وهذا هو ما نسير إليه، ولكن سيستغرق الأمر سنوات للوصول إلى تحقيق دولة بدون تفرقة عنصرية.

أما فرانك ويزنر سفير الولايات المتحدة الأسبق فى مصر- والذى يعتبر من أكثر الدبلوماسيين الأمريكيين تميزا وتخصصا فى الشرق الأوسط على مدى الأربعين عاما الماضية حيث عمل سفيرا لبلاده فى مصر فى الفترة من1986إلى 1996 واختاره الرئيس أوباما لينقل رسالة للرئيس مبارك أثناء ثورة يناير - فيرى أن حل الدولتين لا يزال مطروحا، وهو الرؤية التى تم بموجبها إنشاء السلطة الفلسطينية، والأساس للمبادرة العربية، وقد كان أفضل الطرق وقتها لحل الصراع المستمر منذ سنوات، ولكن حاليا لا يوجد شخص واحد يستطيع معرفة كيفية التحرك الفعّال للوصول إلى اتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين بناء على مبدأ حل الدولتين، والأمور تبتعد على أرض الواقع أكثر فأكثر وتجعل الوصول إليه كما تمت صياغته فى البداية مستحيلاً.

ويشير ويزنر أنه عاد مؤخرا من زيارة لإسرائيل حيث استقل سيارة من القدس إلى نابلس وشعر باستحالة الفصل بين الأراضى لتكوين دولتين، ويؤكد أنه يؤمن بحل الدولتين إلا أنه لا يعرف الوسيلة للوصول لتحقيقه بدون إعادة تفكير متعمقة من كلا الجانبين حول كيفية تحقيق التوصل لإيجاد دولتين وما هو شكل هاتين الدولتين، مؤكدا أنه حاليا يوجد صفر إرادة سياسية أو زعامة فى كلا الجانبين للمشاركة فى ذلك وبدأ خطوات تفاوضية جادة لتنفيذ تلك الأفكار، كما أنه لا توجد قوة خارجية على الأرض تستطيع فرض رؤية جديدة على الأطراف غير الراغبة فى التفاعل.

ويرى ويزنر أن حل الدولة الواحدة قد يكون أصعب من حل الدولتين، ولكنه يؤمن أن التفاوض أمر أساسي، وأن التفاوض على أساس حل الدولتين أسلوب جيد للبدء فى المفاوضات، والمهم أن يتفق الجانبان وهما يتفاوضان على أسلوب للعيش معا، والاتفاق على أمور مهمة مثل المياه والطاقة والاقتصاد والاحتياجات الحياتية الأخرى بحيث تستمر المفاوضات على مسارين أحدهما للتفاوض ومشاركة الأفكار حول كيفية العيش معا والأخرى حول إقامة الدولتين وتطبيق اتفاق أوسلو والقضايا الأساسية الأخرى.

ومن جانبه يرى هنرى سيجمان كبير أعضاء ورئيس مشروع الشرق الأوسط بمجلس العلاقات الخارجية أن حل الدولتين أصبح غير عملى للأسف وأن البديل هو حل الدولة الواحدة. ويشير سيجمان الذى يعتبر من أهم المتخصصين فى الشأن الفلسطينى الإسرائيلى فى عالم السياسة الأمريكى نظرا لأنه برغم كونه يهودياً من أصل ألمانى إلا أن آراءه كانت دائما متوازنة ومؤيدة بشدة لحق الفلسطينيين فى دولتهم المستقلة وأن الجميع أضاع فرصة حل الدولتين وأن حكومة نتنياهو لن تتحرك خطوة واحدة فى إطار حل الدولتين وإدارة ترامب لا تؤمن بحل الدولتين فى الأساس، كما أن الانقسام الفلسطينى مستمر بدون أمل فى الاتفاق وبالتالى فالظروف للأسف ليست مواتية لحل الدولتين.

البوابات الالكترونية تكشف مخطط التقسيم الزماني والمكاني

نفذ ثلاثة من الفلسطينيين هجوما مسلحا ضد الشرطة الإسرائيلية بالقرب من أبواب المسجد الأقصى مؤخراً، الأمر الذي أدى إلى استشهاد منفذي الهجوم ومقتل شرطيين إسرائيليين، وفي أعقاب هذا الحادث سارعت الحكومة الإسرائيلية باتخاذ إجراءات أمنية مشددة لإحكام سيطرتها على المسجد الأقصى بما فيها حصار البلدة القديمة، وإغلاق المسجد الأقصى، ومنعت الشرطة دخول المصلين، ومنعت رفع الأذان، إغلاق كافة البوابات المؤدية إلى المسجد وباحاته. وتمادت الحكومة الإسرائيلية في قراراتها التعسفية بوضع بوابات إلكترونية لتفتيش المصلين قبل دخولهم للمسجد، بهدف التحكم والحد من الوجود الإسلامي داخل المسجد وإحكام السيطرة بشكل كامل عليه. وعلى الفور تصاعدت حدة التوتر داخل المدينة المقدسة بسبب الإجراءات الإسرائيلية وانتفضت قيادات الأوقاف الإسلامية والمدينة لدخول الأقصى رافضة المرور عبر البوابات الإلكترونية، ودعت القوى السياسية جميع المسلمين القادرين على الوصول إلى الأقصى للاعتصام خارجه، وهو الأمر الذي اعتبره الفلسطينيون مساساً بحقوقهم المقدسة شرعاً، مما أدى إلى اندلاع أعمال عنف في القدس الشرقية وقع خلالها عدد من الجرحى والشهداء.

سكرتير ثالث حازم غيث

hazemgheith14@gmail.com

لقد مثّل الصمود الفلسطيني في القدس وحول الأقصى وعدم الرضوخ للإجراءات الإسرائيلية تحدياً أمنياً كبيراً للجانب الإسرائيلي الذي شعر أن الأمور باتت تخرج عن السيطرة، وبفضل ذلك الصمود، علاوة على بذل مساعي واتصالات عربية وإقليمية ودولية مع الحكومة الإسرائيلية من أجل فتح المسجد الأقصى أمام المسلمين، وهو ما أدى إلى الرجوع عن القرارات التي تسببت في هذه الأزمة. وقد فتحت هذه الأزمة الباب أمام تساؤلات حول كيفية إدارة المسجد الأقصى ومدى قانونية الإجراءات الإسرائيلية المتعلقة بشأنه.

إدارة المسجد الأقصى تاريخياً، وخلال فترة الحكم العثماني لمدينة القدس، أصدر السلطان عبد المجيد فرماناً عام 1852 للحفاظ على الوضع القائم للأماكن المقدسة بهدف منع الاقتتال بين الطوائف الدينية (الكاثوليك/ الروم الأرثوذكس) على حيازة وملكية بعض الأماكن داخل كنيسة القيامة في القدس وكنيسة الميلاد في بيت لحم. وفي عام 1878 تم تمديد الفرمان ليسري على الأماكن الدينية الأخرى غير المسيحية. وفي عهد الانتداب البريطاني على فلسطين أدخلت الحكومة البريطانية حائط البراق في القدس وقبر راحيل في بيت لحم ضمن ترتيبات الوضع القائم. وعند وقوع أحداث العنف التي عرفت بأحداث حائط البراق عام 1929 بين المسلمين واليهود، وكان من نتائج التحقيقات التي أجريت بعد الحادثة أن اعترفت الحكومة البريطانية بأحقية المسلمين في حائط البراق وأنه جزء لا يتجزأ من الحرم القدسي الشريف واعتبرته ملكية إسلامية، على الرغم من أنها سمحت لليهود بالولوج إلى عين المكان والصلاة في أوقات معينة. أما في عهد الحكم الأردني في الفترة من 1948 إلى 1967 أدخلت البلدة القديمة في القدس والمسجد الأقصى تحت سلطة وإشراف الإدارة الأردنية. وكان اتفاق الهدنة بين الأردن وإسرائيل عام 1949 يضع بعض الترتيبات

بشأن السماح لحرية النفاذ للأماكن المقدسة والمؤسسات الثقافية في شطري القدس، حيث يسمح لليهود بزيارة الجامعة العبرية في شطر المدينة الشرقي ويسمح للمسيحيين بزيارة الشطر الغربي من المدينة خلال عيد الفصح، بينما كانت زيارة اليهود لحائط البراق أو ما يعرف بالحائط الغربي في أضيق الحدود خلال تلك الفترة.

بعد الاحتلال الإسرائيلي عام 1967، ورفع العلم الإسرائيلي على مسجد قبة الصخرة، أدرك القادة الإسرائيليون التداعيات السياسية والدينية الناجمة عن سيطرة إسرائيل على المسجد الأقصى، وأطلق حاخامات اليهود آنذاك رسائل دينية تحذر اليهود من دخول المسجد الأقصى (جبل الهيكل) حتى لا يتم تدنيس قدس الأقداس وفق ادعاءاتهم. وقد اجتمع موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي مع مدير هيئة الأوقاف الإسلامية المُشرف على إدارة المسجد الأقصى وتم الاتفاق على احترام الوضع القائم في الأماكن الدينية في القدس منذ عام 1852، وتضمن الاتفاق السماح للأوقاف الإسلامية بإدارة المسجد الأقصى في مقابل السماح لليهود وغير المسلمين بزيارته دون الصلاة فيه. وقد أُخرج حائط البراق أو الحائط الغربي من هذا الاتفاق حيث سيطرت عليه السلطات الإسرائيلية سيطرة كاملة وأزالت حي المغاربة المقابل له بالكامل لتوسيع المكان ليسع عدداً أكبر من المصلين اليهود. ومنذ الاحتلال الإسرائيلي عام 1967 تغير تعامل المجتمع الإسرائيلي مع مسألة دخول المسجد الأقصى الذى يطلقون عليه (جبل الهيكل)، ففي بداية أعوام الاحتلال كانت الدعوات التي تطلق لزيارة المكان دعوات هامشية في ظل التزام كامل من اليهود بفتاوى الحاخامات من عدم دخول المكان منعاً لتدنيسه ولكن مع مرور الوقت تغيرت الطبيعة الديموجرافية للمجتمع الإسرائيلي حيث ظهرت فئات أصبحت أكثر تشدداً وخرجت فتاوى عديدة من حاخامات تدعو إلى زيارة جبل الهيكل والصلاة فيه، ولم تقتصر فقط على اليهود المتدينين بل امتدت إلى سياسيين وأعضاء كنيست وعسكريين، وقد طالب البعض(جماعات جبل الهيكل) بتخصيص أوقات لدخول اليهود والصلاة في المسجد الأقصى ما يعرف بالتقسيم الزماني للمسجد مع المسلمين على غرار ما حدث في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل بالضفة الغربية.

واقعياً، يقع المسجد الأقصى تحت الاحتلال الإسرائيلي، حيث تسيطر إسرائيل على كافة بواباته الخارجية من خلال تواجد الشرطة الإسرائيلية عليها، كما تستطيع في أي وقت وتحت دعاوى أمنية منع أي شخص من دخول المسجد، والنفاذ بسهولة لداخل ساحات المسجد الأقصى لمنع أي تهديد أمني أو فض أعمال عنف تندلع بين المسلمين واليهود الزائرين للمكان في الوقت المخصص للزيارة. بينما تدير الأوقاف الإسلامية التابعة للأردن الشئون الإدارية للمسجد الأقصى.

من الناحية القانونية، لا يعترف المجتمع الدولي والشرعية الدولية بقرار إسرائيل ضم القدس الشرقية وفق القانون الأساسي الإسرائيلي

البوابات الالكترونية تكشف مخطط التقسيم الزماني والمكانى

للقدس عام 1980، ويشير قرار مجلس الأمن رقم 478 لعام 1980 إلى رفض ضم إسرائيل للقدس الشرقية واعتباره انتهاكا لاتفاقية جنيف الرابعة ووصف الإجراءات والقرارات الإسرائيلية في هذا الصدد بأنها باطلة وكأنها لم تكن. وتنظر الشرعية الدولية إلى إسرائيل بأنها تحتل الأراضي الفلسطينية بما فيها الضفة الغربية والقدس الشرقية، وبالتالي فهي كقوة احتلال مسئولة عن الحفاظ على الأمن العام وحياة المدنيين القابعين تحت الاحتلال، ولكن إسرائيل فشلت في هذه المهمة من خلال تجاهلها تحريض المتطرفين اليهود ضد المسجد الأقصى والسماح بالزيارات الاستفزازية للمسجد من قبلهم، وهو الأمر الذي يتعارض بشكل كبيرة مع إدارة الأوقاف الإسلامية للمكان المقدس والوصاية الأردنية عليه. كما أصدرت منظمة اليونسكو قراراً في 20 أبريل 2015 يعيد التأكيد على أن تعريف المسجد الأقصى هو مسجد إسلامي ويدخل في حيزه باب المغاربة، ودعا إسرائيل إلى وقف كافة أعمال التنقيب والإزالة داخل أسوار البلدة القديمة في القدس. وإذا كان مفهوم السيادة العربية على القدس تاريخياً كان لدى العرب اليبوسيين السكان الأوائل الذين أنشأوا مدينة القدس وعاشوا فيها وما حولها من ديار الشام، إلا أن مفهوم السيادة هذا تؤكده أيضاً كافة القرارات الصادرة عن الشرعية الدولية متمثلة في قرارات الأمم المتحدة وفي وثائق وزارة الخارجية الأمريكية على سبيل المثال. ففي بداية يوليو عام 1967 وعقب الاحتلال الإسرائيلى أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً أعربت فيه عن القلق من الوضع في القدس والإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة المقدسة، وفي 14يوليو من نفس العام أكد المندوب الأمريكي الدائم لدى الأمم المتحدة السفير جولدبيرج معارضة بلاده القيام بأي عمل يتعلق بوضع القدس، وأعلن أن واشنطن لا تعترف بالإجراءات التي اتخذتها حكومة إسرائيل في القدس. وفي نفس اليوم أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم 2254 الذى دعت فيه حكومة إسرائيل لإلغاء كل الإجراءات التي اتخذتها وأن عليها أن تمتنع عن القيام بأي عمل من شأنه تغيير وضع القدس. وبعد مرور أكثر من 10 سنوات وفي سبتمبر عام 1978 أعلن الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أن موقف الولايات المتحدة من القدس هو ذاته ما سبق وأن أعلنه السفير جولدبيرج أمام الجمعية العامة عام 1967.

وفي ملف وثائقي نشره كتاب الهلال في عام 2000 نقل كتاباً بعنوان الجدار الحديدي الذي ألفه المؤرخ الإسرائيلي آفي شلاييم، وصدر عام 2000، فند فيه أكاذيب وادعاءات ظل الكثيرون يصدقونها، فقد وصف الكاتب الإسرائيلي الذي عمل أستاذاً للعلاقات الدولية في جامعة أوكسفورد كيف أجبر المحتلون أصحاب الأرض على ترك أراضيهم بالقوة من خلال تصعيد الصراع الفكري بدلا من احتوائه، فانطلقت العصابات الإسرائيلية تستولي على القرى والبلدات العربية. ولقد ختم شلاييم كتابه بالقول أن إقامة دولة إسرائيل تضمن ظلماً شديداً للفلسطينيين وأنه بعد مرور نصف قرن مازال على إسرائيل أن تعمل على تقييم الآثام التي اقترفتها ضد الفلسطينيين والاعتراف بأنها تدين لهم بدين يتعين دفعه.

وختاما، لقد أصبحت غالبية المجتمع الإسرائيلي مؤخراً تؤيد زيارة المسجد الأقصى (جبل الهيكل) وتعالت الأصوات من قبل سياسيين وعسكريين ورجال دين لإعادة تعريف مفهوم الوضع القائم في الأماكن المقدسة بالمدينة، وبالأخص المسجد الأقصى أو جبل الهيكل بما يتيح لليهود زيارة المسجد والصلاة فيه في أوقات معينة يقل فيها المصلون المسلمون داخل المسجد، فيما يعرف بالتقسيم الزماني، متجاهلة فى ذلك كافة قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية. ويعتقد الفلسطينيون أن هذا التطور الخطير والمتسارع تجاه المسجد الأقصى يكشف عن مخطط لمشاركة اليهود المسلمين في المسجد، وصولاً إلى بناء الهيكل الثالث، وهو الأمر الذي يدفع إلى تدهور الأوضاع في القدس، واندلاع حرب دينية في المنطقة ستكون عواقبها غير محمودة على كافة أطراف الصراع. فلقد مثل وضع السلطات الإسرائيلية بوابات إلكترونية حلقة ضمن حلقات في مخطط السيطرة على المسجد الأقصى بشكل كلي، وهذا الإجراء ليس محل صدفة ولا وليد اللحظة بل هو منهج مدروس ومتفق على تنفيذه عند حدوث عامل محفز يشجع على تمريره، وهو ما تم في العملية التي وقعت بالقرب من المسجد الأقصى مؤخرا، وكما هو معتاد فى سياسة الحكومة الإسرائيلية فإنه دوماً تضع بالونات اختبار لقياس رد الفعل الفلسطيني والتعامل العربي والإسلامي مع الحدث وعند شعورها بضغط كبير حيال ذلك تتراجع مؤقتاً عن قراراتها، ولكنها لا تألُ جهداً لفرض سيطرتها بشكل كامل على المسجد الأقصى عندما تحين اللحظة المناسبة لإتمام ذلك على أرض الواقع.

مصر ودعم الحل السياسى للأزمة الليبية

احتلت الأزمة الليبية المستمرة منذ ست سنوات أهمية كبيرة على أجندة السياسة الخارجية المصرية تنبع ليس فقط من تأثيرها على الأمن القومى المصرى نتيجة لانتشار العنف والإرهاب وغياب الدولة المركزية القادرة على ضبط الحدود ومنع المتسللين، وإنما أيضا لأهمية تحقيق الأمن والاستقرار فى ذلك البلد المجاور والذى تتنازعه الصراعات والانقسامات منذ ثورة 17 فبراير 2011 وسقوط نظام العقيد القذافى، وانجرافه إلى أتون حروب داخلية، إضافة إلى استمرار حالة الاستقطاب والانقسام السياسى والعسكرى ما بين الغرب الذى يحكمه المجلس الرئاسى لحكومة الوفاق بقيادة فايز السراج والمنبثقة عن اتفاق الصخيرات ومعه المليشيات المسلحة وعلى رأسها قوات فجر ليبيا التى تهيمن عليها جماعة الإخوان المسلمين فى مصراتة، إضافة إلى قوات البنيان المرصوص، وهناك فى الغرب أيضاً البرلمان الممثل فى مجلس الدولة، وما بين الشرق الذى يسيطر عليه الجيش الوطنى بقيادة المشير خليفة حفتر إضافة إلى برلمان طبرق المعترف به دوليا.

. وما بين الاثنين توجد حكومة عبد الله الثنى المنبثقة عن المؤتمر الوطنى العام الذى تم حله فى أعقاب اتفاق الصخيرات، وهناك مئات المليشيات المسلحة التى تسيطر على مناطق مختلفة من البلاد فى الشرق والغرب والجنوب، ووسط هذا كله تبرز مشكلة الإرهاب والجماعات الإرهابية المتشددة مثل داعش التى نجحت قوات البنيان المرصوص فى طردها من سرت، وقوات مجلس شورى بنغازى التى نجحت قوات الجيش الوطنى فى طردها من مدينة بنغازى بعد معارك امتدت لسنوات عديدة، كذلك تصاعد مشكلة الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر السواحل الليبية.

ورغم كل المبادرات السياسية والجهود الدبلوماسية لحل الأزمة المزمنة فى ليبيا على مدار السنوات الخمس الأخيرة، إلا أنها لم تنجح فى تسوية الأزمة وإعادة الأمن والاستقرار لهذا البلد، فحتى اتفاق الصخيرات الذى أبرم فى ديسمبر 2015 بالمغرب تحت رعاية الأمم المتحدة لحل الأزمة وأفضى لتشكيل حكومة الوفاق الوطنى، لم ينجح فى إنهاء حالة الانقسام السياسى

د.أحمد سيد أحمد
خبير العلاقات الدولية فى الأهرام
ahmedsaidahmed@hotmail.com

والقانونى والعسكرى فى ليبيا، نظراً لغياب توافق وطنى شامل عليه من جميع أطراف الأزمة الليبية، واعتراض البعض على بنوده خاصة المادة الثامنة الخاصة بالترتيبات الأمنية والتى تنص على نقل كافة الصلاحيات الأمنية والعسكرية والمدنية لحكومة الوفاق مما اعتبره اللواء خليفة حفتر استبعادا له من منصبه كقائد عام للجيش، إضافة إلى اعتراضات من جانب بعض قوى طرابلس من الإخوان وكذلك أعضاء برلمان طبرق وكذلك المجلس الوطنى نظراً للخلاف حول تشكيل الحقائب الوزارية فى حكومة الوفاق الوطنى وحصص كل طرف ومن يمثل فيها.

وقد أوضحت مصر بجلاء موقفها من الأزمة الليبية فى كلمة الرئيس عبد الفتاح السيسى فى افتتاح أعمال القمة العربية بمدينة شرم الشيخ فى مارس 2015، وتتمثل فى أن عملية الناتو غير المكتملة فى ليبيا كانت لها عواقب وخيمة على الشعب الليبى الذى أضحى مصيره فى أيدى جماعات متطرفة مسلحة دون وجود جيش وطنى يحميه، وأن استعادة الأمن والاستقرار فى ليبيا لا يحتل فقط أهمية قصوى بالنسبة لمصر لاعتبارات الجوار الجغرافى والصلات التاريخية القديمة، ولكن للإقليم والمنطقة العربية ككل على ضوء تشابك التهديدات ووحدة الهدف والمصير، فضلا عن الاعتبارات المتصلة بصون السلم والأمن الدوليين الذى بات يتأثر بما تشهده الساحة الليبية من تطورات وتنامى لخطر الإرهاب، وأن تأييد مصر لمجلس النواب الليبى المنتخب وللحكومة المنبثقة عنه إنما يرجع بشكل أساسى لاحترام القاهرة التام لإرادة الشعب الليبى ولحقه فى تقرير مستقبله

مصر ودعم الحل السياسى للأزمة الليبية

بنفسه، ورفضا للتدخل الخارجى فى الشأن الليبى. كما أن مصر تدعم المسارين السياسى والأمنى فى ليبيا حتى يتحقق الاستقرار المنشود هناك. وفى ظل أهداف مصر وأبرزها حماية الأمن القومى المصرى والعمل على حل الأزمة الليبية سلميا، فقد تحرك الموقف المصرى فى إطار مسارات محددة تمثلت فى المسار العسكرى من أجل حماية حدود مصر الغربية وتأمينها ضد الإرهاب وحماية المصريين فى ليبيا وهو ما تجسد فى التدخل العسكرى فى سرت عام 2015 لضرب مقرات وأهداف تنظيم داعش الإرهابى الذى قام بقتل وذبح 21 مصريا قبطيا، حيث قامت الطائرات المصرية بقصف مقرات التنظيم، وهو ما حدث أيضا فى مايو 2017 عندما هاجمت بعض التنظيمات المتطرفة أقباطاً مصريين كانوا فى طريقهم إلى أحد الأديرة بمحافظة أسيوط مما دفع القوات الجوية المصرية إلى شن غارات على معسكرات ومقرات تدريب ومخازن أسلحة هذه التنظيمات فى مدينة درنة ومحيطها وفى منطقة الجبل الأخضر، فى إطار حق الدفاع الشرعى عن النفس وفقاً للمادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، واستنادا لقرار مجلس الأمن الدولى 1373 لعام 2001 الخاص بمكافحة الإرهاب وحق الدول فى شن ضربات استباقية ضد الإرهابيين لحماية أمنها القومى.

وعلى المسار السياسى اتسم الموقف المصرى تجاه الأزمة الليبية بضرورة حل الأزمة سلميا وفقا لاتفاق الصخيرات وأنه لا حل عسكرى فى البلاد بعد ست سنوات على اندلاع الأزمة، كذلك دعم مؤسسات الدولة الليبية الشرعية وبناء ليبيا الدولة الديمقراطية المدنية الحديثة وعدم الاعتراف بأية تنظيمات إرهابية أو مليشيات مسلحة أو أى فاعلين من غير الدولة، ولذلك دعمت مصر الجيش الوطنى الليبى بقيادة حفتر لدوره فى محاربة الإرهاب ودعمت برلمان طبرق باعتباره الجهة التشريعية المعترف بها دوليا، كما تنطلق مصر تجاه ليبيا من محاربة الإرهاب والتنظيمات الإرهابية مثل داعش ومجلس شورى بنغازى وغيرها من التنظيمات المسلحة التى تشكل تهديدا لأمنها القومى وتسعى من أجل بناء الدولة الليبية القادرة على بسط سيادتها على كافة حدودها ومواجهة التهديدات الخارجية.

وقد لعبت مصر دوراً إيجابياً بارزاً فى تهيئة المناخ أمام التوصل إلى حل سياسى سلمى فى ليبيا من خلال التدخل الإيجابى الفاعل عبر اللجنة المصرية المكلفة بالملف الليبى والتى يرأسها رئيس الأركان الفريق محمود حجازى لتحقيق المصالحة الوطنية بين كافة أطياف الشعب الليبى والتوسط بين الفرقاء الرئيسيين فى الشرق والغرب، حيث استضافت عشرات الاجتماعات فى القاهرة لتحقيق المصالحة بينهما. فقد احتضنت القاهرة خلال الأسبوع الأول من أغسطس 2016، اجتماعا لوفد مجلس النواب الليبى والذى ضم

40 نائبا وتباحث مع وزير الخارجية سامح شكرى سبل الخروج من المأزق الراهن. إضافة إلى أن القاهرة استضافت عدة جلسات بين رئيس حكومة الوفاق فايز السراج ورئيس البرلمان الليبى عقيلة صالح منها الاجتماع يومى 16 و17 سبتمبر 2016، وجمعت مبعوث الأمم المتحدة لليبيا، مارتن كوبلر، كذلك الاجتماع بينهما فى يوليو 2106، وكذلك احتضنت لقاءات بين نواب من برلمان طبرق ونواب من مجلس الدولة لتقريب وجهات النظر والتغلب على الخلافات من أجل التوصل إلى تشكيل حكومة الوحدة الوطنية وإجراء التعديلات على اتفاق الصخيرات.

كما ساهمت مصر مع الإمارات العربية المتحدة فى عقد لقاء بين حفتر والسراج فى أبوظبى فى مايو 2016 برعاية البلدين من أجل إنهاء الاقتتال العسكرى والانقسام السياسى وتوحيد مؤسسات الدولة وإقامة جيش وطنى ليبى موحد ونزع أسلحة المليشيات وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية فى أوائل عام 2018. كذلك سعت مصر إلى إجراء مصالحة اجتماعية وسياسية بين المنطقة الشرقية ومدينة مصراتة حيث استضافت ممثلين عن المنطقتين فى أوائل أغسطس 2016 إدراكا منها بأن انتهاء الأزمة يبقى رهيناً بإنهاء الخصام بين الجانبين. وقد تحركت مصر على المستوى الإقليمى لحل الأزمة الليبية سلميا عبر التنسيق مع دول جوار ليبيا تونس والجزائر، لدعم الحل السياسى فى ليبيا وفقاً لاتفاق الصخيرات وتحقيق المصالحة الوطنية بين الفرقاء الليبيين، كما عقد وزير الخارجية سامح شكرى مع نظيره الجزائرى عبدالقادر مساهل لقاء فى القاهرة فى 2 أغسطس لدعم الحل السياسى فى ليبيا والتأكيد على مرجعية اتفاق الصخيرات. كما دعمت مصر مبادرة الرئيس الفرنسى مانويل ماكرون الذى جمع فى باريس اجتماعا

بين حفتر والسراج فى 25 يوليو 2017 وطرح خريطة طريق جديدة للبلاد تقوم على توحيد الأجهزة الأمنية داخل ليبيا ونزع سلاح المليشيات وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية فى أوائل عام 2018.

غير أن هناك تحديات تواجه الدور المصرى فى حل الأزمة الليبية أبرزها استمرار حالة الانقسام والاستقطاب بين الشرق والغرب فى ظل انعدام الثقة بين الأطراف الليبية وعدم تقديمها تنازلات حقيقية لإنهاء الأزمة وإعلاء مصلحة الدولة الليبية العليا على أية اعتبارات أخرى ضيقة، إضافة إلى انتشار المليشيات والسلاح فى المدن والمناطق الليبية وعدم السيطرة عليها مما يهدد بوحدة الدولة الليبية وتوحيد مؤسساتها الأمنية والعسكرية والسياسية والإدارية، كذلك تصاعد دور القبلية فى المشهد الليبى وغياب ثقافة المواطنة ومفهوم الدولة المركزية، إضافة إلى دور العامل الخارجى السلبى فى الأزمة والذى أدى لتعقد المشهد الليبى وإطالة أمد الصراع نظراً لدور الخارج السلبى فى زيادة حدة الاستقطاب ودعم طرف ضد الآخر لاعتبارات مصلحية وأيديولوجية كما هو حال قطر وتركيا فى دعم التيارات الإسلامية المتشددة، كذلك انتشار خطر الإرهاب والجماعات الإرهابية المتطرفة خاصة فى شرق ليبيا بما يهدد الأمن القوم المصرى.

ولكن رغم هذه التحديات فإن مصر ماضية قدما فى دعم التوصل إلى حل الأزمة الليبية سياسياً وتحقيق المصالحة الوطنية بين كل أطراف الشعب الليبى والمساعدة فى بناء مؤسسات الدولة، مع التحرك فى نفس الوقت على المسار العسكرى لضبط حدودها الغربية خاصة بعد إقامة قاعدة محمد نجيب العسكرية ومنع المتسللين عبر الحدود مع ليبيا وضرب معاقل الإرهاب والجماعات المتطرفة فى ليبيا، لكن الجهود المصرية لن تؤتى أكلها إلا إذا كانت هناك رغبة حقيقية وقدرة من جانب الفرقاء الليبيين لإنقاذ ليبيا من الانهيار، إضافة إلى أهمية التعاون الدولى والإقليمى مع مصر لإعادة بناء الدولة الليبية ومواجهة مشكلة الإرهاب والجماعات الإرهابية المتطرفة وحل مشكلة الهجرة غير الشرعية عبر مساعدة المؤسسات الليبية فى بسط سيادتها على الحدود البحرية للبلاد، كذلك العمل على مساعدة الجهود المصرية فى تحقيق المصالحة الوطنية والتوصل إلى حل سياسى سلمى لإنهاء المأساة الليبية المستمرة منذ ست سنوات وتؤثر ليس فقط على مصر وليبيا بل تهدد السلم والأمن العالميين.

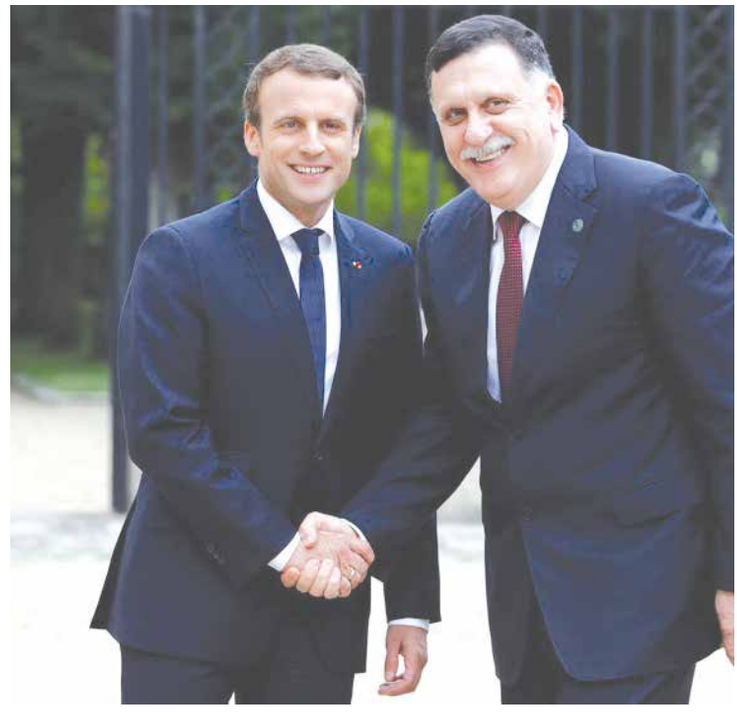

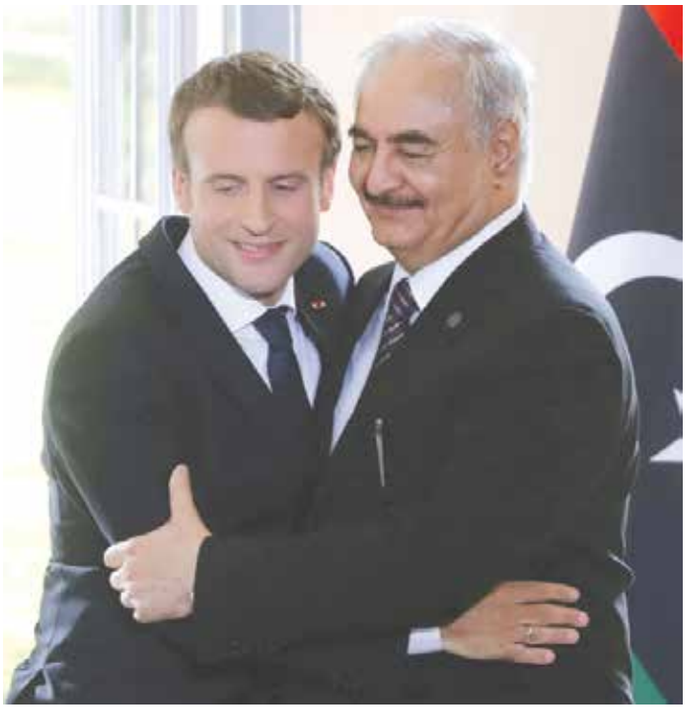

«إتفاق باريس» وآفاق الحل السلمى فى ليبيـــا

هل تتحرك عملية السلام مجدداً فى ليبيا بما ينهى حالة الاقتتال الدائر منذ أكثر من ست سنوات؟ هناك عدة مؤشرات فى هذا الاتجاه، أهمها «اتفاق باريس» الأخير فى 25 يوليو 2017، ثم استئناف وساطة الأمم المتحدة بعد تعيين مبعوث جديد لها هو غسان سلامة، الذى استهل مهمته بالمشـــاركة فى اجتماعات باريس ثم بزيارة إلى ليبيا فى 5 و6 أغســـطس 2017 فى محاولة لإحياء العملية السياسية وفقاً لما تم الاتفاق عليه فى باريس برعاية فرنسية بين رئيس المجلس الرئاسى ورئيس الوزراء فائز السراج وقائد الجيش الوطنى الليبى المشير خليفة حفتر.

أ. د. هشام مراد

أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة

mouradh890@gmail.com

تضمن اتفاق باريس عشر نقاط أهمها هو تأكيـــد أن حل النزاع فى ليبيا يجب أن يكون سياســـياً، أى استبعاد الخيار العسكرى، وضرورة وقف إطـــلاق النار، باســـتثناء ما يتعلق بمكافحة الإرهاب، ثم إجراء انتخابات عامة، رئاسية وتشريعية، بحلول ربيـــع 2018. ويأتى اتفاق باريس بعـــد لقاء السراج وحفتر فى أبوظبى برعاية إماراتية فى 2 مايو الماضى، دون أن تتمخض المباحثات عن اتفـــاق محدد، وهو ما أشـــار لتباعد المواقـــف وضعف الثقة بين الطرفين. ولذلك فإن اتفاق باريس يمثل اتفاق الحد الأدنى بين السراج وحفتر. وهو بلاشك خطوة إيجابية مثله مثل العديد من المبادرات التى ســـبقته والتى كانت تصطدم دوما بعقبـــة التنفيذ. وكانـــت صعوبة، إن لم تكن اســـتحالة، التنفيذ تنبع دائما من تعدد الأطراف الفاعلة على الساحة الليبية التى تتنافر فى أغلب

الأحيان مواقفها ومصالحها الذاتية والسياسية والاقتصادية. وكثيرا ما غذت التدخلات الخارجية، الإقليمية والدولية، من تباعد تلك المواقف وساهمت فى تشدد بعض الأطراف الداخلية ورفضها تقديم أى تنازلات. وهو الأمر الذى جعل بعضها يفضل الحل العسكرى على ما عداه من تسويات سياسية تتطلب بالضرورة التوصل لحلول وسط.

تحديات اتفاق باريس

فهل تنجح تفاهمات باريس فيما فشلت فيه المبادرات السياسية السابقة؟ هناك عدة تحديات تواجه تحويل هذا الاتفاق لواقع على الأرض. يتمثل التحدى الأول فى إقناع الأطراف الرئيسية الأخرى، كشيوخ القبائل وبعض القوى السياسية والمليشيات الفاعلة، بضرورة العمل بالاتفاق والبناء عليه. وتلك مهمة شاقة من المفترض أن يضطلع بها مبعوث الأمم المتحدة الذى شارك فى اجتماعات باريس ووجه فى أعقابها رسالة إلى الأطراف الليبية جاء فيها، ضمن ما جاء، أنه «إذا شئتم إبقاء الأمور على ما هى عليه فلستم بحاجة لى». وهى رسالة واضحة تفيد بتعقد وتشابك المشهد الليبى وبضرورة إدراك تلك الأطراف لأهمية اتخاذ قرارات صعبة وشجاعة حتى يمكن تحريك الأمور للأمام. وقد صدرت حتى الآن بعض ردود الفعل غير المشجعة من بعض الأطراف المهمة التى رفضت ما تم إعلانه فى باريس واستنكرت استبعادها من المباحثات. لكن تلك المواقف ليست بالضرورة مواقف نهائية وغير قابلة للتعديل. وتلك هى مهمة ودور «السياسة» التى سيضطلع بها المبعوث الأممى الجديد والأطراف الإقليمية والدولية الراغبة فى إحلال السلام والاستقرار فى ليبيا.

ويتمثل التحدى الثانى، وهو مرتبط بالأول، فى التغلب على ضعف، وربما انعدام، الثقة بين الأطراف الرئيسية فى ليبيا. فالمشير خليفة حفتر هاجم مرارا فى وسائل الإعلام بعض أعضاء المجلس الرئاسى متهماً إياهم بالمتطرفين المرتبطين بتنظيم القاعدة أو بصلتهم بتنظيم داعش الإرهابى. كما أنه لم يخف استعداده للزحف عسكريا على العاصمة طرابلس بهدف توحيد البلاد والقضاء على الانقسام الواقعى الراهن بين الشرق الواقع تحت سيطرته والغرب الذى تهيمن عليه حكومة الوفاق الوطنى بقيادة السراج والمليشيات المتحالفة معها. ولا تخفى تلك المليشيات، خاصة الإسلامية منها، تشككها فى نوايا المشير حفتر وهى تناصبه العداء. ومن الواضح أن السراج ليست لديه القدرة على السيطرة على تلك المليشيات. فحكومة الوفاق الوطنى لا تسيطر فعليا إلا على أجزاء من غرب البلاد ومن طرابلس، بينما مازالت العديد من المناطق فى الغرب ومن أحياء العاصمة تقع تحت سيطرة مليشيات «مصراتة» وما كان يسمى بـ«حكومة الإنقاذ الوطنى»، غير المعترف بها دوليا والتى تهيمن عليها القوى والمليشيات الإسلامية. كما أن إقليم فزان فى الجنوب الغربى للبلاد يقع بدرجة كبيرة خارج سيطرة طرفى إعلان باريس. ويثير هذا الوضع شكوكاً كبيرة حول القدرة على تنظيم انتخابات عامة فى الربيع المقبل، إذا لم يحدث تقدم واضح نحو اتفاق الأطراف الرئيسية على تسوية سياسية مرضية.

تعديل اتفاق الصخيرات

ويعنى ذلك عملياً ضرورة إدخال بعض التعديلات على اتفاق «الصخيرات»، الذى أبرم فى المغرب فى ديسمبر 2015 .وتتفق كثير من الأطراف على ذلك، ومن بينهم مبعوث الأمم المتحدة الذى أعلن أن اتفاق الصخيرات مرجعية ولكنه «ليس مرجعية قرآنية». وهو ما يعنى ضرورة تعديله بحيث يأخذ فى اعتباره التطورات التى حدثت ميدانياً منذ توقيعه، خاصة تقدم قوات الجيش بقيادة حفتر. ويأتى فى هذا السياق ما نص عليه اتفاق الصخيرات من ضرورة خضوع الجيش الوطنى الليبى لحكومة الوفاق الوطنى، وهو ما يرفضه حفتر. وقد ذكرت مصادر مقربة من قائد الجيش عقب لقاء أبوظبى فى مايو الماضى إن السراج وافق على حذف ذلك البند من الاتفاق، وهو الأمر الذى لم يؤكده الأخير. وفى كافة الأحوال، فإن رئيس الوزراء لا يستطيع وحده إجراء تعديلات على اتفاق الصخيرات الذى وقعته معظم الأطراف الليبية.

ومن أهم التطورات التى وقعت منذ ديسمبر 2015، اتساع رقعة المناطق التى يسيطر عليها الجيش بقيادة حفتر، والذى نجح فى 5 يوليو الماضى فى استعادة السيطرة على كامل مدينة بنغازى فى شرق البلاد، بعد ثلاث سنوات من المعارك الضارية مع المليشيات الدينية المتطرفة. كما أنه مد نفوذه إلى بعض مناطق الغرب والجنوب، بما فيها عاصمة الجنوب «سبها»، بعد سيطرته على قاعدة الجفرة العسكرية المهمة بوسط البلاد فى يونيو 2017. وكان الجيش قد سيطر فى سبتمبر 2016 على منطقة الهلال النفطى فى شرق البلاد التى تضم أهم موانىء تصدير البترول الليبى على البحر المتوسط وهى رأس لانوف والسدرة والحريقة والبريقة والزوتينية. ثم استعاد السيطرة عليهم فى منتصف مارس الماضى بعد وقوعهم لفترة وجيزة فى أيدى قوات «سرايا الدفاع عن بنغازى» المتحالفة مع تنظيم القاعدة.

ولاريب أن تلك الانتصارات العسكرية التى حققها الجيش

«إتفاق باريس» وآفاق الحل السلمى فى ليبيا

الوطنى الليبى مؤخرا قد زادت من شعبية المشير حفتر، ليس فقط فى شرق البلاد، وإنما كذلك فى بعض مناطق الغرب والجنوب. ويرى الكثيرون أن فرص قائد الجيش كبيرة فى الفوز بالانتخابات الرئاسية، إذا ما أمكن إجراؤها فى الربيع القادم، حيث أن غالبية الليبيين يتطلعون لعودة الاستقرار بعد أكثر من ست سنوات من المعارك والاضطرابات السياسية والاقتصادية منذ سقوط القذافى فى أكتوبر 2011. وهم يعتقدون أن حفتر هو الأقدر على استعادة هذا الاستقرار فى مواجهة عشرات المليشيات العسكرية التى تدين بالولاء لانتماءات قبلية أو مناطقية أو عقائدية أكثر من انتمائها للوطنية الليبية. ولاشك أن دعوة حفتر لاجتماع باريس كان اعترافا بدوره المتعاظم فى العملية السياسية فى ليبيا. فالرئيس الفرنسى إيمانويل ماكرون هو أول رئيس غربى يلتقى بقائد الجيش الليبى. وهو ما يمثل توجها براجماتيا جديدا لباريس يعترف بتطور الأوضاع على الأرض، بعيدا عن الثوابت التى ميزت الموقف الأوروبى خلال الفترة السابقة والتى اتسمت بالتشكيك فى نوايا حفتر واستراتيجيته فى تقديم الحل العسكرى على التسوية السياسية، وبالتالى رفض التعامل معه.

إشراك الأطراف الإقليمية والدولية

وبرغم هذا التطور فى الموقف الفرنسى، فإن إحدى نقاط ضعف إعلان باريس تتمثل فى تجاهل وعدم إشراك الأطراف الإقليمية والدولية المعنية بالنزاع الليبى. وكان من شأن إشراك تلك الأطراف أن يعطى زخماً وقوة دفع للمبادرة الفرنسية. إلا أن الأمر يمكن تداركه من خلال الإشراك اللاحق لدول الجوار الليبى، كمصر والجزائر، والأطراف الدولية المهتمة بإحلال السلام والاستقرار فى ليبيا، مثل إيطاليا والاتحاد الأوروبى، فى جهود تطبيق مبادىء إعلان باريس. وقد استاءت إيطاليا بشدة على سبيل المثال من التحرك المنفرد لباريس. فمن المعروف أن إيطاليا، وهى القوة الاستعمارية السابقة لليبيا، لديها سياسة نشطة فى هذا البلد تتعارض مع التوجه الفرنسى الأخير. فهى الدولة الغربية الوحيدة التى أعادت فتح سفارتها فى ليبيا فى بداية 2017، وهى كانت إحدى القوى الدافعة للتوصل لاتفاق الصخيرات برعاية الأمم المتحدة. ولذلك فهى تساند حكومة الوفاق الوطنى باعتبارها الممثل الشرعى لليبيا وترفض التعامل مع حفتر وتتشكك فى نواياه إذ تعتبره زعيما سلطوياً غير مأمون الجانب. وقد كرر وزير الخارجية الإيطالى أنجلينو ألفانو تأييده لحكومة السراج ودعا لأن تكون الأمم المتحدة هى الراعية الأساسية لجهود التوصل لتسوية سياسية فى ليبيا، متجاهلا اتفاق باريس، خلال زيارة غسان سلامة لروما فى 8 أغسطس 2017. وفى المقابل ترى الحكومة الفرنسية بعد تولى ماكرون السلطة فى مايو الماضى، أن رؤية روما لأسلوب التوصل لتسوية سياسية فى ليبيا تتسم بالسذاجة. فهى تعتقد إنه لم يعد من الممكن تجاهل خليفة حفتر فى جهود الحل السياسى، بعد الانتصارات العسكرية التى حققها منذ توقيع اتفاق الصخيرات.

وأحد الأسباب التى تفسر كذلك استياء إيطاليا من التحرك المنفرد لفرنسا يتمثل فى أنها معنية أكثر من غيرها من الدول الأوروبية بإحدى النتائج السلبية المباشرة لاستمرار النزاع الليبى وهى تدفق عشرات آلاف اللاجئين غير الشرعيين على أراضيها. وقد وصل إلى إيطاليا أكثر من نصف المليون مهاجر غير شرعى منذ عام 2014، معظمهم قادم من ليبيا، وفقاً لمفوضية الأمم المتحدة للاجئين. كما استقبلت إيطاليا نحو 84 ألف مهاجر خلال الأشهر الست الأولى من هذا العام، بزيادة قدرها 20% عن نفس الفترة من عام 2016. ومن المعروف أن إيطاليا تقود القوة البحرية للاتحاد الأوروبى التى أنشئت فى منتصف 2015 لمكافحة الهجرة غير الشرعية فى البحر المتوسط.

فى ليبيا:

الحل السياسى وحده كفيل بإنهاء الأزمة

الأجواء الإقليمية والدولية تبدو حاليا مهيئة لحل الأزمة الليبية حيث أصبح المجتمع الدولى أكثر قبولاً لقيام دولة آمنة مستقرة فى أرض عمر المختار. دولة تنهض بمسئولياتها اللازمة لدعم الاستقرار وقادرة على مواجهة الإرهاب والسيطرة على العصابات الإجرامية الداعمة للهجرة غير الشرعية والتى باتت تؤرق الجميع من حيث تسببها فى غرق آلاف الضحايا فى عرض البحر المتوسط وما تثيره من أزمات مع الجانب الأوروبى الرافض لذلك.

هادية الشربيني

sherfayez@yahoo.com

وفى حقيقة الأمر فإن من يتابع التطورات على الأرض الليبية منذ قيام ثورة فبراير 2011 المناهضة لنظام القذافى سوف يعى أمراً مهماً مفاده أنه بالرغم من أن الحل العسكرى كان ضروريا فى بعض مراحل الأزمة الليبية لمواجهة التنظيمات الإرهابية التى تمددت ونتيجة للفراغ السياسى فى بعض المدن الليبية وسيطرت فى بعض الأحيان على منابع النفط إلا أنه من المؤكد فى غاية الأمر والذى أصبح واضحا جليا للجميع هو أن الحل السياسى وحده الكفيل بإخراج ليبيا من أزمتها.

وبالتوازى مع المعارك المسلحة التى أدارها الجيش الوطنى الليبى فى شرق البلاد بقيادة المشير خليفة حفتر لتطهير ليبيا من براثن الإرهاب نالت ليبيا أيضا حظاً وافراً من الاهتمام سواء على المستوى الإقليمى ولاسيما من دول الجوار وعلى رأسها مصر أو على المستوى الدولى والأممى فى نطاق السعى نحو إيجاد حل سياسى للأزمة المستمرة على أرضها وعلى هذا الأساس تعددت المبادرات التى توفر الحلول والتسويات السياسية بدءا من اتفاق الصخيرات برعاية أممية، وما تلاه من إعلان القاهرة برعاية مصرية، وأخيراً كان اتفاق باريس بين قطبين مهمين من أقطاب ليبيا المشير خليفة حفتر والرئيس فايز السراج ذلك الاتفاق الذى تم برعاية فرنسية بالتنسيق مع مصر ودول الجوار وحفل بتأييد المجتمع الدولى.

بداية رحلة صعبة

جذور الأزمة الليبية ترجع إلى الحالة الفوضوية التى سادت البلاد عقب ثورة فبراير 2011 حيث تبلور الصراع على الأرض الليبية فيما بعد بين أربعة تنظيمات متناحرة تسعى للسيطرة على حكم البلاد وما ترتب على ذلك من وجود جماعات مسلحة عديدة خارج أى سيطرة حكومية.

ومع تطور مجريات الأمور أصبح النزاع دائرا فى الغالب بين الحكومة المعترف بها دوليا والمنبثقة عن مجلس النواب الذى تم انتخابه ديمقراطيا عام 2014 واتخذ من مدينة طبرق مقراً مؤقتا له وهى التى عرفت رسميا باسم «الحكومة الليبية المؤقتة» ومقرها مدينة البيضاء شرق البلاد. وحكومة أخرى إسلامية تتناصر معها أسسها المؤتمر الوطنى العام ومقرها فى مدينة طرابلس، وحكومة مجلس النواب المعترف بها دوليا أيضا ولديها ولاء للجيش الليبى تحت قيادة الفريق خليفة حفتر، وحكومة الإنقاذ وتقودها جماعة الإخوان المسلمين ومدعومة من قبل تحالفات إسلامية وتعرف باسم فجر ليبيا.

ولكن بعد رحلة معاناة صعبة وشاقة ومفاوضات استغرقت أكثر من عام برعاية أممية ممثلة فى المبعوث الأممى مارتن كوبلر مبعوث الأمم المتحدة لدى ليبيا وبدعم من دول الجوار الليبى وعلى رأسها مصر أعلنت الأطراف الليبية المشاركة فى هذه المفاوضات موافقتها على شكل الاتفاق السياسى المعلن من قبل الأمم المتحدة حيث تمت مراسم التوقيع النهائى على الاتفاق السياسى بينهم بمدينة الصخيرات المغربية فى 17 ديسمبر 2015 وهو ما يعرف باسم اتفاق الصخيرات والذى شاركت فى صياغته كافة النخب والأطراف الليبية دون استثناء. ذلك الاتفاق الذى وصفه المبعوث الأممى كوبلر بأنه يمثل بداية رحلة صعبة لبناء دولة ديمقراطية مؤكدا على مواصلة دعم المجتمع الدولى لحكومة الوفاق الليبية مضيفاً بأنه من أولوياتنا معالجة الوضع الأمنى وإدارة حوار يرضى الجميع وينهى الأزمة فى بنغازى.

بنود الصخيرات

يعد اتفاق الصخيرات بمثابة قاعدة صلبة للتوافق السياسى بين الأطراف الليبية حيث تم الاتفاق من خلاله على عدة بنود ونصوص مهمة كبداية للانطلاق نحو التسوية السياسية الشاملة ومن ثم نص اتفاق الصخيرات على تشكيل حكومة وفاق وطنى تقود مرحلة انتقالية تنتهى بإجراء انتخابات تشريعية بعد عام وتوسيع المجلس الرئاسى ليتكون من تسعة أشخاص: رئيس وخمسة نواب وثلاثة وزراء دول.

كما ينص الاتفاق على أن السلطة تتشكل من ثلاث مؤسسات دولة رئيسية وهى مجلس النواب ويمثل السلطة التشريعية ومجلس الدولة وهو بمثابة غرفة برلمانية استشارية ومجلس رئاسى وتنتقل كافة صلاحيات المناصب العسكرية والمدنية والأمنية العليا المنصوص عليها فى القوانين والتشريعات الليبية النافذة إلى المجلس الرئاسى فور توقيع الاتفاق ويتم اتخاذ أى قرار بإجماع مجلس رئاسة الوزراء.

أما تشكيل المجلس الرئاسى لحكومة الوفاق والذى تم إعلانه بموجب الاتفاق فكان كالآتى: «فايز السراج» رئيسا للحكومة وهو من غرب ليبيا، «فتحى

المجبرى» نائبا لرئيس الحكومة ممثلا لشرق ليبيا، «عبدالسلام القاجيجى» نائبا لرئيس الحكومة ويمثل الجنوب الليبى، «موسى الكونى» نائبا آخر لرئيس الحكومة من الجنوب الليبى. «أحمد معيتيق» نائبا لرئيس الحكومة من غرب ليبيا، وعلى القطرانى نائبا لرئيس الحكومة من شرق ليبيا. وبذلك تصبح أقاليم ليبيا الثلاثة ممثلة بنائبين عن كل إقليم فى تشكيل المجلس الرئاسى وقد التزم المغرب بدعم تعليق الاتفاق.

إعلان القاهرة.. خارطة للتوافق

بالرغم من توقيع غالبية الأطراف الليبية على اتفاق الصخيرات إلا أن هذا لا يعنى أنه كان اتفاقا مرضيا للجميع، ولكن المرحلة الصعبة التى كانت تمر بها البلاد حينذاك حتمت على كافة الأطراف الموافقة عليه بالرغم من أن بعض نقاط الاتفاق كانت محل جدل بينهم. ولكن وعلى كافة الأحوال يظل اتفاق الصخيرات بمثابة الأساس والقاعدة الرئيسية التى يمكن البناء عليها فى السعى نحو التسوية السياسية للأزمة الليبية، وهو بمثابة بداية جيدة وموفقة على طريق الحل السياسى الذى يتفق الجميع وحتى الآن بكونه السبيل الوحيد لإنهاء الأوضاع الشائكة على الأرض الليبية.

وبما أن دعم أمن واستقرار ليبيا هو فى نفس الوقت دعم للأمن القومى المصرى ومن منطلق تقدير كافة الأطراف الليبية للدور والجهود المصرية المبذولة للحفاظ على وحدة واستقرار وسلامة الأراضى الليبية سواء من خلال التحركات الدولية والإقليمية أو على المستوى الثنائى جاء اجتماع 120 شخصية ليبية بالقاهرة بعد عام من توقيع اتفاق الصخيرات حيث ضمت هذه الشخصيات ممثلين عن كافة الفصائل الليبية بخلاف شيوخ القبائل والمهتمين بالشأن العام فى ليبيا بمصر حيث دار حوار مفتوح ومعمق بين الجميع تحت رعاية مصرية تم خلاله التطرق إلى تطورات الأوضاع على أرض ليبيا والاتفاق على عدة بنود تشكل خارطة طريق للمرحلة القادمة.

وبعد يومين كاملين من النقاش المستفيض وبرعاية وحضور الفريق محمود حجازى رئيس أركان الجيش المصرى وسامح شكرى وزير الخارجية اتفق الحاضرون على أن اتفاق الصخيرات والذى

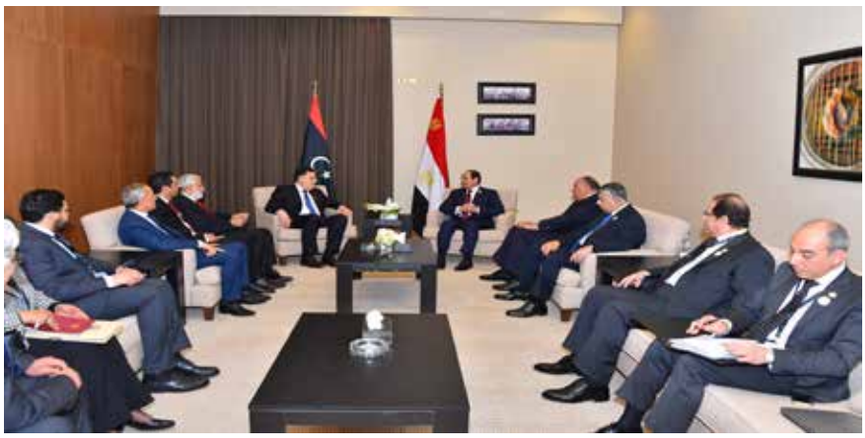

تم برعاية الأمم المتحدة يصلح لحل الأزمة الليبية إذا ما تم إدخال بعض التعديلات على ما تضمنه من ملاحق وأحكام ليكون من شأنه إنهاء حالة الانقسام التى تعيشها البلاد منذ عام 2014 كما أن الاتفاق بعد تعديله بإمكانه وضع حد للأوضاع المتدهورة على كافة الأصعدة السياسية والأمنية والانتقادية والإنسانية التى تتخبط فيها البلاد وتطحن مواطنيها وتزيد من معاناتهم.

وقد اتفق المجتمعون بالقاهرة فى 14 ديسمبر 2016 على تثمين الدور المهم الذى تلعبه مصر فى إطار السعى لحل الأزمة الليبية وعلى إدانة العمليات الإرهابية التى وقعت بمصر واستهدفت زعزعة أمنها واستقرارها.

وأكد المشاركون فى اجتماع القاهرة على الالتزام بعدد من البنود تمخض عنها إعلان القاهرة والتى تتمثل فى:

- وحدة التراب الليبى وحرمة الدم وأن ليبيا دولة واحدة لا تقبل التقسيم.
- وحدة الجيش الليبى إلى جانب شرطة وطنية لحماية الوطن والاضطلاع الحصرى بمسئولية الحفاظ على أمن وسيادة الدولة.
- ضرورة الحفاظ على مؤسسات الدولة الليبية ووحدتها واحترام سيادة القانون وضمان الفصل بين السلطات وضمان تحقيق العدالة.
- ترسيخ مبدأ التوافق وقبول الآخر ورفض كافة أشكال التهميش والإقصاء.
- رفض وإدانة التدخل الأجنبى وأن يكون الحل بتوافق ليبى.
- تعزيز وإعلاء المصالحة الوطنية الشاملة.
- المحافظة على مدنية الدولة والمسار الديمقراطى والتداول السلمى للسلطة.

كما تمت مناقشة مختلف الحلول والبدائل المناسبة لتجاوز أزمة الاتفاق السياسى والوصول به إلى الوفاق الوطنى مثل تعديل لجنة الحوار بشكل يراعى التوازن الوطنى ومعالجة المادة الثانية من الأحكام الإضافية باتفاق الصخيرات بما يحفظ استمرار المؤسسة العسكرية واستقلاليتها وإبعادها عن التجاذبات السياسية وإعادة النظر فى تشكيل مجلس الدولة ليضم أعضاء المؤتمر الوطنى العام المنتخبون فى 7 يوليو 2012 وإعادة هيكلة المجلس الرئاسى وأن يتم ذلك بالتشاور مع البعثة الأممية الراعية لاتفاق الصخيرات ومع دول الجوار الليبى.

اتفاق باريس.. خطوة إيجابية

بعد نجاح قوات الجيش الليبى بقيادة المشير خليفة حفتر فى 5 يوليو الماضى من استعادة السيطرة على كامل مدينة بنغازى فى شرق البلاد بعد ثلاث سنوات من المعارك مع المليشيات المتطرفة ونجاح قوات الجيش بمد نفوذها إلى بعض مناطق الغرب والجنوب بما فيها عاصمة الجنوب «سبها» وبعد سيطرتها على قاعدة الجفرة العسكرية المهمة بوسط البلاد فى يونيو الماضى أدت هذه الانتصارات العسكرية إلى ازدياد شعبية المشير خليفة حفتر فى الكثير من مناطق البلاد وازداد إيمانهم بأن قوات الجيش بقيادة حفتر هى الأقدر على مواجهة العديد من المليشيات العسكرية المتناثرة التى تدين بالولاء لانتماءات قبلية أو مناطقية أو عقائدية أكثر من انتمائها للهوية الليبية.

ومن هنا جاءت دعوة المشير خليفة حفتر من قبل الرئيس الفرنسى إيمانويل ماكرون للاجتماع فى باريس مع فايز السراج رئيس المجلس الرئاسى الليبى بمثابة اعتراف بالدور السياسى المتعاظم لحفتر حيث إن ماكرون هو أول رئيس غربى يلتقى به بما يعنى الاعتراف الغربى بتطور الأوضاع على الأرض وقد شارك فى اجتماع باريس وزير

الخارجية الفرنسى «جان إيف لودريان» ومبعوث الأمم المتحدة الجديد لدى ليبيا «غسان سلامة» وتمخض هذا الاجتماع المهم عن اتفاق الطرفين السراج وحفتر على عشرة بنود رئيسية وهى كالآتى:

أولاً: أن حل الأزمة الليبية لن يكون إلا سياسيا ويمر عبر عملية مصالحة وطنية يشارك فيها جميع الليبيين بما فى ذلك المؤسسات المدنية والمؤسسات الأمنية والعسكرية والمستعدون للمشاركة بشكل سلمى.

كما تم الالتزام بتأمين عودة النازحين واللاجئين وإقرار مسار العدالة الانتقالية وتطبيق المادة 34 المتعلقة بالترتيبات الأمنية للاتفاق السياسى الليبى «الصخيرات».

ثانيا: الالتزام بوقف إطلاق النار والامتناع عن استخدام أى قوة مسلحة لا ترتبط بعمليات مكافحة الإرهاب وفقاً للاتفاق السياسى الليبى والمعاهدات الدولية ضمانا لحماية أرض وسيادة الدولة الليبية وإدانة كل ما يهدد استقرار البلاد.

ثالثا: الالتزام ببناء دولة القانون فى ليبيا دولة ذات سيادة مدنية وديمقراطية تضمن الفصل السياسى بين السلطات والانتقال السياسى السلمى واحترام حقوق الإنسان ولديها مؤسسات وطنية موحدة تضمن أمن المواطنين وسلامة ووحدة أراضيها فضلا عن حسن إدارة الموارد الطبيعية والمالية لصالح جميع الليبيين.

رابعاً: دعم العمل النزيه للممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة «غسان سلامة» والهادف إلى تفعيل الاتفاق السياسى بالصخيرات والمؤرخ بتاريخ 17 ديسمبر 2015 والتأكيد على مواصلة الحوار السياسى.

خامسا: الالتزام ببذل كافة الجهود الممكنة لمواصلة عمل المبعوث الأممى لدى ليبيا بما يضمن حواراً سياسيا شاملا يشارك فيه مجلس النواب الليبى ومجلس الدولة.

سادسا: التعهد باستكمال الحوارات وخلق ظروف مواتية من أجل التحفيز لعقد انتخابات مقبلة.

سابعاً: الالتزام ببذل كافة الجهود المطلوبة لنزع سلاح المقاتلين وإعادة روح المسلمين الراغبين فى الانضمام للقوات النظامية الوطنية.

ثامنا: العمل على وضع خارطة طريق من شأنها ضمان أمن الأراضى الليبية ومواجهة كافة التهديدات وعمليات الاتجار بجميع أشكالها وضبط الحدود وضمان السيطرة على تدفق المهاجرين من السواحل الليبية.

تاسعا: الالتزام رسميا بالعمل على إجراء انتخابات رئاسية برلمانية فى أقرب وقت ممكن بالتعاون مع المؤسسات المعنية وبدعم وإشراف منظمة الأمم المتحدة.

عاشراً: مطالبة مجلس الأمن بدعم المبادئ المعلنة فى هذا الاتفاق وإجراء المشاورات اللازمة مع مختلف الفاعلين الليبيين.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن صياغة المبادرة الفرنسية لحل الأزمة الليبية قد تم بالتشاور مع كل من مصر والجزائر والمغرب والإمارات.

جهود مصرية مستمرة

بالتوازى مع كافة الجهود الدولية والإقليمية المبذولة من أجل تمهيد الطريق نحو تحقيق تسوية سلمية شاملة للأزمة الليبية فإن الجهود المصرية مستمرة لتحقيق هذا الهدف السامى فضلا عن تأييدها لأى محاولة جادة تصب فى نفس الاتجاه ومن ثم فقد أيدت مصر رسميا اتفاق باريس وما تضمنه من تأكيد على الحل السياسى كخيار وحيد لحل الأزمة الليبية والالتزام بالحفاظ على وحدة ليبيا وسلامة أراضيها ومكافحة الإرهاب.

وقد أكد سامح شكرى وزير الخارجية خلال لقاءاته مع كل من المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطنى الليبى وفايز السراج رئيس المجلس الرئاسى الليبى وغسان سلامة المبعوث الأممى الجديد لدى ليبيا على ترحيب مصر باتفاق باريس والذى يمثل خطوة مهمة لحلحلة الأوضاع فى ليبيا.

وقد أعرب كل من حفتر والسراج عن تقديرهما للدور المصرى المحورى والرائد فى المنطقة والجهود المصرية المبذولة لتفعيل المسار السياسى من خلال الحل السلمى والحوار بين الأطراف الليبية.

وقد نوه المشير حفتر للدور السلبى الذى لعبته قطر على مدى الفترة الماضية من خلال دعمها للتنظيمات المتطرفة والإرهاب على أرض ليبيا بينما شدد شكرى على الموقف المصرى القائم على ضرورة التصدى للتهديدات الإرهابية التى تضر بالأمن القومى العربى.

وفى إطار إيمان مصر والقيادة السياسية المصرية بأهمية دعم الأمن القومى الليبى بصفته جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومى المصرى فإن الأزمة الليبية حاضرة دائما كأولوية مهمة فى جدول أعمال الدبلوماسية المصرية.

ومن هذا المنطلق استضافت مصر أوائل شهر أغسطس 2017 وفدان من ليبيا يمثلان كلا من برقة ومصراتة حيث انعقدت مشاورات ولقاءات مكثفة برعاية اللجنة المصرية المعنية بليبيا والتى يرأسها الفريق محمود حجازى رئيس أركان حرب القوات المسلحة بهدف إنهاء حالة الانقسام والاستقطاب السياسى فى ليبيا سعيا نحو ترسيخ المصالحة الوطنية فى البلاد حيث اتفق الجانبان من برقة ومصراتة على خارطة عمل تكون خطوتها الأولى هى عودة الوفدين لاطلاع قواعدهما الاجتماعية على مجريات المشاورات مع الأخذ بعين الاعتبار سبل معالجة القضايا والمطالبات الحقيقية بجدية بما يضمن نجاح الخطوات التالية وفق جدول زمنى وآلية محددة للقاءات القادمة بهدف الوصول إلى مصالحة حقيقية تعزز سبل العيش المشترك بين مكونات الشعب الليبى وتنهى حالة الاستقطاب وتعيد لليبيا وحدتها الاجتماعية من أجل العمل على دعم مؤسساتها ولحمة شعبها.

كما اتفق الطرفان على أهمية مكافحة التطرف والإرهاب وإدانة جميع أشكال التدخل الأجنبى وإقامة دولة مدنية ديمقراطية حديثة مبنية على أساس مبدأ التداول السلمى للسلطة ورفض كافة أشكال التهميش والإقصاء لأى طرف من الأطراف الليبية وتهيئة المناخ المناسب بما يضمن الوصول لمصالحة وطنية حقيقية.

الكرة الآن فى ملعب الأطراف الليبية ولابد وأن يدرك أبناء عمر المختار بأن السبيل الوحيد لخروج ليبيا من أزمتها يتطلب إرادة سياسية توافقية بين كافة الأطراف لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه من التزامات فى كل من اتفاق الصخيرات وإعلان القاهرة واتفاق باريس.. الحل السياسى والمصالحة الوطنية الحقيقية أى وحدة الليبيين هى حائط الصد الأول الذى ينقذ البلاد من براثن الإرهاب والتطرف والفوضى وليكن عام 2018 هو عام تحقيق آمال الشعب الليبى بإجراء انتخابات رئاسية برلمانية نزيهة يتم من خلالها ميلاد دولة مدنية ديمقراطية تعلى قيم العدالة وحقوق الإنسان ويكون عنوانها دولة سيادة القانون.

معضلة الأزمة الليبيـــة

أحد الإشـــكالات الكبرى التى تواجه العالم العربى اليوم، هـــو ميل البعض لتصور أن الأنماط المختلفة للأزمات والصراعات الجارية حاليا يمكن التعامل معها على أنها واحدة أو نماذج متقاربة، بينما هى ليست كذلك، كما أن سبل معالجتها ليست واحدة، رغم القواسم المشتركة العديدة، وبشكل خاص تلك الأزمات التى تلت الربيع العربى، وتحديدا سوريا وليبيا واليمن، وهذه القواسم المشتركة تتمثل فى التدخل الخارجى الدولى والإقليمى، واعتماد نسبة كبيرة من هذا التدخل على التوظيف السياسى لجماعات العنف المدعية ارتباطها بالإسلام، على أن كلاً من هذه الأزمات الثلاثة يتسم بالخصوصية والتعقد الداخلى لوجود تباينات فى التطور السياسى لهذه المجتمعات وفى بنيتها التحتية، ولتباين أشكال التدخل الخارجى.

سفير د. محمد بدرالدين زايد

mbzayed8@hotmail.com

والحالة الليبيـــة تحديدا تمثل نموذجا فريدا - فيما يتعلق بطبيعة الصراع والأزمة – فمن البداية نجح التدخل الخارجى المســـلح فى سرعة القضاء على النظام السابق، الذى لم يكن قد أقام بنية مؤسسية حقيقية للدولة، ولأن أهداف التدخل الخارجى كانت تتجاوز ليبيا، فقد تم عمل أو ترك ترتيبـــات خاصة لهذا الوضع الليبـــى وما وراءه شـــكلت جذور الأزمة الراهنة. ولعل اســـتعراض بعض الوقائـــع والتطورات يفيد فى فهم أبعاد المعضلة.

وهنا نكتفى بالبدء بما حدث بعد أول انتخابات تالية لسقوط القذافى – والتى أنتجت المجلس الوطنى الليبى –الذى حقق فيه التيار المدنى أغلبية معقولة مكنته مـــن فرض حكومة مدنية برئاسة د.على زيدان – الرجل الذى يتسم بدرجة عالية من الاعتدال والحكمـــة، فما كان مـــن الأقلية المستندة إلى المليشيات المتطرفة من ممارسة تخريب وإرهاب متواصل، مما أدى إلى هـــرب كثير من النواب الليبيين من العاصمة طرابلس، كما كان من الواضح طوال الوقت الدعم القطرى– التركى، وبعض الأطراف الغربية وبشكل خاص إيطاليا لتلك الأقلية التى اســـتطاعت فى النهاية الإطاحة بزيدان بمناورات مخالفة للقانـــون وبنصاب غـــير قانونى وبعد انتهـــاء ولاية المؤتمر الوطنى، وبإزاحة الســـياسى الفاضل زيدان الذى كانت لديـــه الرؤية المخلصة لبنـــاء مجتمع ديمقراطى ســـليم، فرضت هـــذه العنـــاصر المتطرفة رئيسا للوزراء لم يستطع أن يحصل على التأييد الدولى.

ثم اضطـــر المجلس الوطنى مع تصاعد الضغوط الشعبية والدولية لعقد انتخابات نيابية جديدة، وهنا رغم انخفاض مستوى المشاركة فى التصويت نتيجة المخاوف والترهيب من المليشيات المتطرفة، حقق التيار المدنى الليبى أغلبية كاســـحة، قرر بعضها اللجوء إلى مدينة طبرق شرق ليبيا للهرب من ضغوط المليشيات المسلحة.

حاولت مصر آنـــذاك أن تؤمن دعمـــاً دولياً وإقليميـــاً كافياً لهذا البرلمـــان ليكون أســـاس العملية السياســـية، ولكن ضغوطا دولية وأخرى إقليمية ســـعت لنشر مقولة مغلوطة أساســـها عملية سياسية تســـتوعب المهزومين فى الانتخابات، وتكشفت المعايير المزدوجة الغربية، ومدى تكشـــف المنطـــق المغلوط من رغبة بعض الأطـــراف الدولية والإقليمية باســـتيعاب ودعم قوى الإسلام الســـياسى فى ليبيا وبالطبع لعبت تركيا وقطر أدواراً مهمة بهذا الصدد الذى للأسف روجت له دولة عربية شقيقة أيضا، مما مثل أساس

الخلل وبداية المعضلة فى ليبيا، ودون الدخول فى تفاصيل كثيرة فإن هذا مهد لاتفاق الصخـــيرات فى المغرب الذى مهد بدوره لحكومة انتقالية، يرأســـها حالياً فائز السراج – ولم تؤد إلى أى حلحلة حقيقية للوضع فى ليبيا، وكانت المفارقة الأولى هى عدم تجاوب نســـبة مهمة من العناصر المتشـــددة الليبية واقتصر التجاوب على عناصر محـــدودة من فصائل الإسلام السياسى الليبى التى تفصح عن تحالفاتها مع بعضها البعض فى أى مواجهة تحدث، والتى أصبحت تـــدرك أنه لا مكان لهـــا فى ليبيا فى أى انتخابات مقبلة ومن ثم تستند إلى أسلحتها الرئيسية وهى العنف والإرهاب والدعم الخارجى المشبوه، وفى ظل هذا كان من المتوقع أن يأتى رفض البرلـــان وكذا الجيش الليبى بقيادة المشـــير حفتر لهذه الاتفاقية ليسجل بهذا عمق الخلل والاضطراب فى المشهد الليبى.

ورغـــم أن أســـاس التحركات الدولية بشـــأن ليبيا هو تنفيذ هذه الاتفاقيـــة، فإنه لم يتـــم تفعيلها بشـــكل حقيقى لفـــترة تقترب من العامين حتـــى الآن، وذلك لأنها كما ســـبق تعطى دورا مبالغاً فيه لذلك الطرف الذى يعلن انتماءه لمشروع الإسلام السياسى، مدعوما بمليشيات مســـلحة، ومدعوما كذلك بأطراف خارجية لأســـباب مختلفـــة، منها حجة أنه قد يتحول للاعتدال وهى أكذوبة مـــردود عليها، أو لمقايضة هذا الموقف بما يـــؤدى إلى تخفيف مخاطر الإرهاب والتشـــدد داخل البلاد الداعمة، أو لأنه يســـتهدف مصر ودول المنطقة بالشـــكل الذى عطلتـــه 30 يونيو 2013 فى مصر.

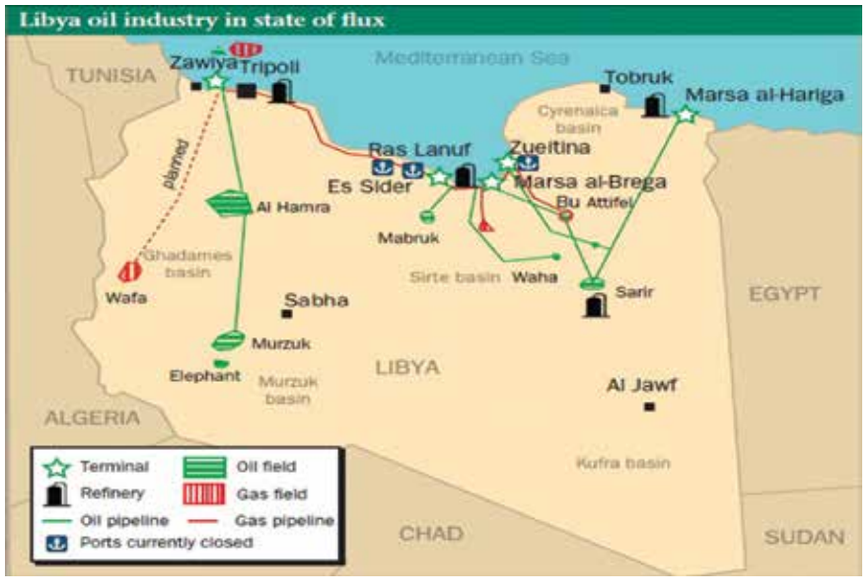

ومن ناحيـــة أخرى وبصرف النظر عن التوجهات والمصالح الشخصية لحفتر وبعـــض قيـــادات البرلمان الرافضـــين للصخـــيرات، فإن أى مراقب موضوعى لابد أن يتفهم قلق ومخاوف هؤلاء وكذا أغلبية الشعب الليبى من اســـتمرار التنازل لهذه الجماعات التـــى لا تقبل أية نتيجة انتخابات فى غير صالحها، ولم تحبذ السماح بإجراء انتخابات نزيهة ولم تتورع عن ممارسة أى ضغوط ضد بقية الشـــعب الليبى وكافة أشكال التجـــاوزات بما فى ذلـــك الخطف والاغتيـــالات. وما هـــى الضمانات لتراجعها عن هذه الممارســـات مع وجود سابقتين متتاليتين فى الماضى وعدم تجاوب نسبة مهمة منها مع صفقة منحازة لها عن غير حق. وما هى ضمانات ألا تكرر هذه الأطراف الخارجية – التى هى عند الشـــعب الليبـــى متآمرة - نفس المشـــهد عند خســـارة هذه القوى السياسية لأى انتخابات مقبلـــة وتطالب من جديد بإشراك الأطراف المتأســـلمة فى الحكم، والتى يعلـــم الجميع فى الداخل والخـــارج أنها مترابطة مع هذه المليشيات، وأنه بمجرد أن تبدأ مواجهة مسلحة من أى نوع تترابط وتوقف منازعاتها الداخلية وتتوحد ضد المعتدلين وأنصار التيار المدنى الذين هم للمفارقة وفى ضوء طبيعة المجتمع الليبى مسلمون محافظون على نمط السيد على زيدان. ومن ثم عند كثير من هـــذه الأغلبية الليبية ومنها الجيش الليبى بقيادة المشير حفتر فإن الحل يكمن فى ســـيطرة الدولة وإنهـــاء الوجود المســـلح غـــير الشرعـــى أولا، أو ليس هكذا فعلت الجزائر ثم بدأت فى محاورة المتشددين.

وفى الختـــام، قد تبـــدو الأزمة الليبية أقل تعقيدا من أزمات المنطقة الأخرى، ولكنها أزمة كاشـــفة لمدى المعايير المزدوجة، ولاستمرار أطراف بعينها محاولة فرض نموذج الإسلام الســـياسى على هذه المنطقة، ليظل الســـؤال مطروحاً: لماذا يستمر هذا الإصرار دون اعتبار لإرادة الشعب الليبى، والذى مازال يواجه المعاناة منذ عدة سنوات بدون طائل وبسبب مكابرة وصلف من يســـتمرون فى محاولة فرض هذا النموذج.

حق تقرير المصير فى التجربة العراقية

مع تحديد موعد إجراء الاستفتاء على تقرير المصير فى كردستان العراق ثار نقاش واسع حول نقطتين أساسيتين، الأولى هى حدود استخدام حق تقرير المصير من قِبل الجماعات الإثنية المختلفة، والثانية هى مستقبل الدولة الكردية التى يُنتظر أن يؤيدها استفتاء ٢٥ سبتمبر ٢٠١٧. ترتبط النقطة الأولى بالخوف من تفكيك الدول العربية المتنوعة ديموغرافيا فى حالة اللجوء لإعمال حق تقرير المصير عند كل خلاف بين الأغلبية الإثنية والأقليات المختلفة خاصة مع تزايد الاستقطاب المذهبى من جهة وتهديدات حركات الإسلام السياسى من جهة أخرى. وترتبط النقطة الثانية بالتحسب لاحتمال أن تتحول الدولة الكردية المُحتملة إلى دولة فاشلة أو دولة هشة جديدة فى نطاق الشرق الأوسط لا أن تدعم استقرار المشرق العربى وتعززه، وفيما يلى تحليل للنقطتين السابقتين.

أ. د. نيڤين مسعد

أستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة

nevinemossaad@yahoo.com

حق تقرير المصير مسارات متعددة

يستشهد مؤيدو تنظيم الاستفتاء على حق تقرير المصير فى كردستان العراق بأن هناك العديد من الحالات التى شهدت إجراء استفتاءات مماثلة دون مشاكل. ومن نماذج الحالات التى يذكرها Seth J. Frantzman (وهو أستاذ أمريكى متخصص فى دراسات الشرق الأوسط، وأحد أبرز المدافعين عن «الدولة الكردية») حالات إسكتلندا وكيبيك وتيمور الشرقية وتشيكيا وسلوڤاكيا وكوسوڤو وجنوب السودان. وينتقد فرانتزمان من ينكرون على الأكراد اتخاذهم قرار الاستفتاء بإرادتهم المنفردة دون التفاوض مع الحكومة المركزية، ويشبههم بمن يطالب زوجين قررا الانفصال بأن يحصل كل منهما على موافقة الطرف الآخر (والحقيقة أن هذا يحدث كثيراً فى الواقع).

الأصل فى حق تقرير المصير أنه مبدأ يخص الشعوب التى خضعت للاستعمار، وقد تضمنه ميثاق الأمم المتحدة وصدرت به العديد من قرارات الجمعية العامة وشكلت فى إطاره لجنة معنية بتصفية الاستعمار. وعندما يتم استدعاء مبدأ حق تقرير المصير فى الحالة العراقية وهى حالة تقع خارج إطار التطبيق الكلاسيكى لمبدأ حق تقرير المصير، ثم عندما تجرى المطالبة بإعمال هذا الحق فى العراق أسوة بحالات أخرى كالتى ذكرها فرانتزمان، هنا يتوجب علينا التوقف للتمييز بين الحالات المختلفة. فى حالة جنوب السودان على سبيل المثال شكّل إجراء الاستفتاء على حق تقرير المصير جزءاً من اتفاق السلام الشامل الذى أنهى الحرب الأهلية الأطول فى تاريخ القارة الأفريقية بين الخرطوم والحركة الشعبية لتحرير السودان، وأُجرى الاستفتاء بالفعل فى يناير 2011 وانتهى لانفصال الجنوب. وشهد إقليم كيبيك فى كندا تنظيم استفتاءين على حق تقرير المصير بالإرادة المنفردة للإقليم، الاستفتاء الأول فى عام 1980 ورفض 59 ٪ ممن شاركوا فيه الانفصال، والاستفتاء الثانى فى عام 1995 ورفض 50.6 ٪ ممن شاركوا فيه الانفصال. ولاحقاً أصدرت المحكمة العليا فى كندا حكمها بأنه لا الدستور الكندى ولا القانون الدولى يمنح إقليم كيبيك الانفصال بإرادته المنفردة. ومع أن هذا الحكم كان بمثابة تحصيل حاصل لأن المشاركين فى الاستفتاء رفضوا فعلياً الانفصال إلا أن أهميته تنبع من القاعدة التى رسخّها وهى أنه لا انفصال بالإرادة المنفردة، ولهذا دلالته المفهومة بالنسبة للعراق كما يذكر المحلل د. صلاح جبير فى مقاله «شرعية استفتاء إقليم كردستان».

وعندما ننتقل إلى إسكتلندا التى وضعها فرانتزمان ضمن الدول التى «استقلت» نجد فى الأمر خلطاً كبيراً من المهم توضيحه، فما حدث هو أنه فى عام 1997 صوت الإسكتلنديون لصالح أن يكون هناك برلمان خاص بهم وبدأ البرلمان عمله فى عام 1999.

ثم ذهب الإسكتلنديون خطوة أبعد وصوت برلمانهم فى يونيو عام 2013 لصالح تنظيم استفتاء على حق تقرير المصير ووافقت ملكة بريطانيا على ذلك فى أغسطس من العام نفسه، حتى إذا تم إجراء الاستفتاء فى سبتمبر 2014 رفض 55 ٪ من المشاركين الانفصال. الآن ومع الاستعداد لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى ها هو برلمان إسكتلندا يصوت بالأغلبية على تنظيم استفتاء جديد على حق تقرير المصير، لكن رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا مـاى ترفض وتقول إن الوقت ليس مناسباً (قارن ذلك برفض الأكراد حتى مجرد فكرة تأجيل الاستفتاء فيما تشتعل المواجهة مع داعش فى تلعفر، هذا مع العلم بأن إسكتلندا كانت دولة مستقلة حتى عام 1707 عندما اتحدت مع إنجلترا).

فى تشيكوسلوڤاكيا جرى ما يصفه المحللون السياسيون «بالانفصال المخملى» بين كل من تشيكيا وسلوڤاكيا فى إشارة إلى السلاسة التى تم بها. كانت وراء الانفصال مجموعة من العوامل التى تتعلق باختلاف الظروف السياسية والاقتصادية- الاجتماعية بين الجانبين وتتأثر بلا شك بانفراط عقد الاتحاد السوفيتى. دخل الجانبان فى عملية تفاوضية فى يونيو 1992 وفى الشهر التالى صوت البرلمان السلوڤاكى لصالح الانفصال، ثم توالت الإجراءات التى تضمن تخارجاً سلساً للطرفين من الرابطة الاتحادية، وكان ذلك يختلف بالكلية عن طريقة انفصال كوسوفو التى تمت إثر تطهير عرقى شديد من جانب صربيا. وجاء استفتاء تقرير المصير فى إريتريا بعد ثلاثة عقود من التمرد على أثيوبيا حتى إذا ما سقط حكم مانجستو هايل ماريام سهُل على الإريتريين حسم القتال فى 1993 ونظموا الاستفتاء فى العام التالى ووافقت الأغلبية الكاسحة على الانفصال. فى تيمور الشرقية أيضاً كان هناك تمرد مسلح ضد أندونيسيا ما ألجأها لاقتراح تنظيم استفتاء على حق تقرير المصير فى عام 1999 ووافق أكثر من90 ٪ على الانفصال.

من النماذج السابقة نستخلص أن استفتاءات تقرير المصير فى الغالب الأعم جاءت

بتراضي الطرفين بما فى ذلك حتى معظم حالات النزاع المسلح فقرار الانفصال ليس نزهة مبهجة وإلا لشجعتها كل الدول وأولها دولة مثل بريطانيا، وكردستان ليست أغنى من إسكتلندا، ودستور العراق يَضمن وحدة الدولة، ولا يوجد نزاع مسلح بين المركز والإقليم بل إن النزاع المسلح فى الربع قرن الأخير من تاريخ العراق تم داخل إقليم كردستان وليس مع بغداد، فعن أية مقارنة يتحدث دعاة الاستفتاء وأى انفصال يروّجون له؟

أى دولة مرتقبة فى كردستان؟

يتبادل مؤيدو استفتاء كردستان ومعارضوه الاتهام بالفشل، فعلى جانب هناك من يعارضون انفصال كردستان لأنه سوف يؤدى إلى قيام دولة فاشلة جديدة تضاف إلى الدول الفاشلة الموجودة بالفعل. وحول هذه الفكرة كتب مايكل روبين مقالاً فى النيوزويك بتاريخ 4 يوليو الماضى يحمل العنوان التالى «كردستان مستقلة ستكون دولة فاشلة» استعرض فيه مجموعة من التعقيدات التى يمكن أن تنجم عن انفصال كردستان ولا تجعله يؤيده رغم اقتناعه الشخصى بمشروعية حق الأكراد فى دولة مستقلة.

بدأ هذه التعقيدات بقضية تقاسم المياه فذكر أن ترسيم الحدود بين الدولتين العراقية والكردية سيتطلب التفاوض على إعادة توزيع مياه نهرى دجلة والفرات، وإذا كانت قضية المياه قد تميزت دائما بدرجة عالية من الحساسية وارتبطت بمصالح دولة جوار عربية هى سوريا وأخرى غير عربية هى تركيا فإن إعادة كتابة الاتفاقات ذات الصِّلة ليست مهمة يسيرة (خاصة مع رفض بغداد فكرة الانفصال جملة وتفصيلاً). ثم أثار الكاتب قضية الحدود منوها إلى أن الاستفتاء المزمع سيشمل أراضٍ متنازع عليها بين إقليم كردستان والحكومة المركزية وهذا من شأنه تأجيج العداوة بين الجانبين. كما توجد قضية المواطنين الأكراد المقيمين فى العراق وحقوقهم وعلاقتهم بالمواطنين العراقيين. وقضية الفساد التى تعانى منها السوق النفطية الكردية، هذا الفساد الذى حدا بشركات دولية للانسحاب من الإقليم ورفع مديونيته. وهناك قضية أمنية مبعثها انقسام قوات البيشمركة نتيجة أن ولاء تلك القوات يذهب للأشخاص لا للإقليم، وزاد فاعتبر البيشمركة نوعاً من المليشيات التى لا تختلف عن المليشيات الشيعية. وختم الكاتب مقاله المهم بالقول: إن مسعود برزانى الذى يعتبر نفسه أبا للأمة الكردية كان أمامه أن يكون نيلسون مانديلا الذى نحّى العداءات السياسية جانباً ليبنى دولة ديمقراطية فى جنوب أفريقيا لكنه اختار أن يتشبث بالسلطة حتى بعد انتهاء مدته ولم يبذل جهداً لجمع صفوف الأكراد وشبهه فى هذا المقام بياسر عرفات، وهى مقارنة يحتاج تفنيدها مقالاً آخر.

على الجانب الآخر ورداً على المقال السابق كتب فرانتزمان مقالاً بعنوان «لا، لن تكون كردستان دولة فاشلة»، ودافع فى مقاله باستماتة وبغضب أيضاً عن فكرة الدولة الكردية – وهو من له باع طويل ومقالات عديدة فى الاتجاه نفسه. جوهر المقال أن العراق وليس كردستان «هو الدولة الفاشلة الحقيقية»، فالعراق هيأ التربة المناسبة للتطرف المذهبى سواء الشيعى بعد الاجتياح الأمريكى عام 2003 أو السنى بعد سقوط الموصل فى يد تنظيم داعش، أما إقليم كردستان فلقد كان مقصداً للهاربين من ويلات التطرف الدينى والمذهبى سواء كانوا مسيحيين أو أيزيديين أو سنة. وقلل من أهمية الفساد الذى أشار إليه مايكل روبين فى إقليم كردستان على أساس أن الفساد مستشر فى معظم دول الشرق الأوسط وليس هناك ما يقول إن استقلال الإقليم سيزيد حجمه أو يسّرع وتيرته، كما قلل من المشاكل المتوقعة بين دولة كردستان وجيرانها على أساس أن كل دول المنطقة لها مشاكل مماثلة. وعدّد مزايا الدولة الكردية من انفتاح على الغرب إلى الاستقرار والأمن إلى ارتفاع نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى مقارنة ببغداد. واعتبر أنه يمكن حل قضية المناطق المتنازع عليها مع الحكومة المركزية بشكل أفضل (كيف؟ لم يشرح).

لقد أصبح مصطلح «الدولة الفاشلة» من المصطلحات الشائعة خاصة مع ما درج عليه صندوق السلام من وضع مقياس للدول الفاشلة منذ عام 2005 وفق 12 معيارًا تغطى الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورغم أن الصندوق تحول لاحقاً عن صفة «الفشل» إلى صفة «الهشاشة» إلا أن مصطلح «الدولة الفاشلة» لايزال هو الأكثر انتشاراً. وفيما يخص العراق فإنه فى السنوات الخمس الأخيرة اتخذ الترتيب التالى على مقياس الهشاشة: رقم 11 (عام 2013) ثم رقم 13 (عام 2014) ثم رقم 11 (عامى 2015 و2016) ثم رقم 10 (عام 2017).

حق تقرير المصير ليس عصا سحرية

وكما هو واضح فإن العراق على مدار السنوات الخمس الأخيرة يظهر درجات عالية من الهشاشة تجعله يُصنف فى فئة الدول ذات الإنذار العالى لأسباب مختلفة ترتبط بتراجع قدرة الدولة على تقديم الخدمات العامة، وانتهاكات حقوق الإنسان، وتزايد التدخل الخارجي، وانتشار الفساد، وحركة الهجرة العالية جدا وغيرها من متغيرات المقياس. ومع انطلاق المعركة ضد تنظيم داعش فى نهاية 2016 تدهورت الأوضاع بشكل خطير ما جعل العراق ينزل عن الترتيب الحادى عشر للترتيب العاشر، هذا إذن فيما يخص العراق.

أما فيما يخص دولة كردستان المُحتملة فبالطبع ليس لها تصنيف لأنها لم تظهر للوجود لكن يمكن استخلاص مجموعة من المؤشرات عبر تحليل الوضع الحالى لإقليم كردستان، ومن هذه المؤشرات ضعف شرعية النظام فى ظل التمديد غير القانونى لرئيس الإقليم وتجميد عمل البرلمان والتضييق على المعارضة وانقسام النخبة السياسية والعسكرية، ومنها أيضاً تزايد المصاعب الاقتصادية وعدم قدرة مبيعات النفط على تعويض خسارة الإقليم نسبة الـ 17 ٪ التى كان يحصل عليها من الميزانية المركزية، والفساد والاختراق الخارجى الدولى والإقليمي، وجميع تلك المؤشرات موجودة على مقياس الهشاشة. وبالتالى فحتى إذا افترضنا عدم تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية بعد انفصال كردستان، فإن المؤشرات التى سبق ذكرها ترشح الدولة الناشئة لأن تظهر فى فئة الدول واجبة التحذير وهى التى تجئ تالية على فئة الدول المنذرة بالخطر. هل هى مجرد مصادفة أن دولة جنوب السودان بعد أقل من عامين على نشأتها قد ظهرت فى المركز الرابع على المقياس المذكور وأنها فى هذا العام أى 2017 جاءت على رأس قائمة الدول الهشة متقدمة حتى على الصومال التى تجسد عملياً حالة اللادولة؟

إن إعمال حق تقرير المصير ليس العصا السحرية لحل المشكلات الداخلية بل إنه يمكن أن يكون فى حد ذاته مصدراً لهذه المشاكل الداخلية وأيضاً للمشاكل الخارجية، فإذا كان رئيس إقليم كردستان جاداً فى إقامة دولة فإنه يجب أن يتحسب لخطوته خاصة وأن المناخ الإقليمى والدولى غير مرحب بخطوة كهذه، وأسباب تفجير هذه الدولة من داخلها قائمة وتجربة التسعينيات حية فى الأذهان، أما إن كان مسعود برزانى يهدف لإطلاق بالونة اختبار للنوايا واستخدام الاستفتاء كورقة للضغط على الحكومة المركزية فإن رسالته قد وصلت وإن لم تكن المغالبة هى الأسلوب الأمثل للتفاوض بين شركاء الوطن.

استفتاء كردستان وتحديات إعلان الدولة

أثار قرار رئاسة إقليم كردستان فى مطلع يونيو بتنظيم استفتاء حول الاستقلال فى 25 سبتمبر 2017، المخاوف من أن يضيف الأمر مزيداً من التعقيدات لمنطقة الشرق الأوسط التى تعتصرها الصراعات والاضطرابات. فالقضية الكردية ليست شأنا عراقياً فحسب ولكنها تمس وحدة وسلامة أراضى تركيا وإيران وسوريا حيث تحتضن الدول الأربعة الغالبية العظمى من الأكراد رغم اختلاف وضعهم فيها، فهم إرهابيون فى تركيا، وشركاء فى الحكم فى العراق، وأقلية متمتعة بحقوقها إلى حد ما فى سوريا وإيران..

أ. د. نورهان الشيخ

أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة

nourhanelsheikh@feps.edu.eg

ومن الواضح أن هناك إرادة سياسية لدى حكومة أربيل لتنظيم الاستفتاء الذى من المتوقع أن تأتى نتائجه لصالح الاستقلال، خاصة بعد الدور القوى الذى لعبته القوات الكردية فى هزيمة داعش فى العراق وسوريا وتطلعها لحصاد كفاحها. إلا أنه لن يؤدى إلى الاستقلال الفورى كما حدث فى حالة كوسوفو، وسيكون على الأرجح مجرد خطوة أولية لتحسين الوضع التفاوضى للأكراد مع بغداد، لاستمرار تمتعهم بامتيازاتهم فى إطار النظام العراقى القائم، أو لأخذ الشرعية للمطالبة بالاستقلال فى وقت لاحق. وتتوقف الخطوات التالية على البيئة الدولية والإقليمية التى تبدو مقاومة للاستقلال الكامل للإقليم. وهو ما أكده هوشيار زيباري، الحليف القوى لرئيس حكومة إقليم كردستان العراق مسعود برزاني، يوم 9 يونيو حين أشار إلى أن التصويت المتوقع بنعم فى الاستفتاء على استقلال الأكراد سيعزز موقف إقليم كردستان العراق فى المفاوضات مع بغداد لكنه «لن يؤدى إلى الانفصال عن العراق بشكل تلقائى.. نحن لا نتحدث عن الاستقلال.. نحن نتحدث عن استفتاء».

وتدعم هذا الطرح مجموعة من العوامل، أولها عدم التوافق الكردى الكامل حول الاستفتاء، ففى حين يؤيد الحزب الديمقراطى الكردستانى برئاسة البرزانى والمسيطر على حكومة الإقليم فى أربيل وكذلك على دهوك الاستفتاء كخطوة للاستقلال، يبدو «أن الاتّحاد الوطنى الكردستاني» و«حركة التغيير» المعارضة فى السليمانية ليست متحمسة كثيراً للاستفتاء. فقد أكد إسماعيل صابر عضو المجلس العام لحركة التغيير، أن الأرضية فى إقليم كردستان غير ممهدة لإجراء الاستفتاء الشعبى لتقرير المصير فى المرحلة الراهنة بسبب موضوع المناطق المتنازع عليها، وكذلك المشاكل العالقة داخل الإقليم، و«أن حركة التغيير لديها ملاحظات على الاستفتاء، حتى وإن اتفقت مع الديمقراطى الكردستانى لاستئناف عمل البرلمان الكردستاني». وأكد القيادى البارز فى حركة التغيير، قادر الحاج علي، إن هناك شكوكاً جدية فى استخدام القادة الكُرد ورقة الاستفتاء كورقة ضغط على بغداد وأنقرة وطهران لنيل «مكاسب شخصية وحزبية»، على حد تعبيره. واستحضر الخبرة السابقة فى هذا الإطار قائلاً: «لقد أجرى الساسة الكرد فى عام 2005 استفتاء واستخدموا نتيجته فيما بعد كورقة ضغط على الحاكم المدنى الأمريكى بول بريمر لتلقى مليار ونصف المليار دولار من أموال النفط مقابل الغذاء». ويذكر أن حركة التغيير لم تشارك فى أى من الاجتماعات واللقاءات الخاصة بإجراء استفتاء فى كردستان، ويؤكد قياديو الحركة أن الاستفتاء مسألة وطنية ويجب أن يتم إقرارها من قبل برلمان كردستان بجميع أحزابها، لا أن تأخذ طابعا حزبيا أو شخصيا.

ثانيها، رفض الحكومة العراقية استقلال الإقليم حيث أكد رئيس الوزراء العراقى، حيدر العبادي، أن الاستفتاء فى إقليم كردستان العراق غير دستورى وغير شرعى ولن نتعامل معه. وتعتبر الحكومة العراقية الاستفتاء خطوة لتفتيت العراق وتقسيمه إلى دويلات، إلى جانب الاحتياطات النفطية المهمة به والتى وصلت وفق أحد التقديرات إلى 40 – 45 مليار برميل، ووجود مناطق عدة متنازع عليها أهمها مدينة كركوك الغنية بالنفط. ولكن لن تستطيع بغداد استخدام القوة للحيلولة دون استقلال كردستان حال اتخاذ خطوات جادة نحو ذلك نتيجة قوة القوات الكردية وامتلاكها للخبرة القتالية العالية والكفاءة والتسليح والموارد المالية الكافية، ولأن القوى

الدولية الداعمة للأكراد وفى مقدمتها واشنطن لن تسمح للعراق بهذا.

ثالثها، رفض القوى الإقليمية الرئيسية لاستقلال الإقليم. فتركيا رغم علاقاتها القوية بالإقليم فإنها لن تقبل بأى حال من الأحوال استقلاله وتصف ذلك بـ«الخطأ الفادح»، لأن فى ذلك تشجيعاً للأكراد داخلها (14 – 20 مليون نسمة)، على الاستقلال وتحقيق حلم الدولة الكردية الكبرى. ورغم أن تركيا تدخلت عسكريا من قبل فى إقليم كردستان لملاحقة حزب العمال الكردستانى الكردى، فإنه لا يمكن تصور قمعها لاستقلال الإقليم باستخدام القوة. وغالبا ما ستستخدم الضغوط الاقتصادية القوية للضغط على الإقليم. فهناك أكثر من 500 شركة تركية تعمل فى الإقليم كما يبلغ حجم التجارة بين تركيا وكردستان 10مليارات دولار. وتعد تركيا المنفذ الرئيسى لصادرات كردستان من النفط، والتى تبلغ أكثر من مليون برميل يومياً، عبر الخطّ التركيّ القائم حاليّاً بين الإقليم وميناء جيهان التركى. ومن ثم فإن أى ضغوطات اقتصادية من تركيا ستكون موجعة بالنسبة لكردستان. ويظل بديل استخدام القوة المسلحة مطروحاً إذا فشلت الضغوط الاقتصادية فى عرقلة تقدم كردستان نحو الاستقلال.

كذلك تعارض إيران إجراء الاستفتاء حول استقلال كردستان وترى أن الاستفتاء يمكن أن يؤدى إلى مشاكل جديدة فى المنطقة لاعتبارات عدة أهمها الخوف من صدى ذلك على الداخل الإيرانى حيث يوجد فى إيران أقلية كردية (8 ملايين نسمة). وشهدت إيران صدامات متفرقة بين قواتها الأمنية والأكراد بها. ومن مصلحة إيران الحفاظ على وحدة العراق الذى ترتبط معه بعلاقات استراتيجية مهمة. ورغم التهديدات الإيرانية لإقليم كردستان العراق وللمعارضة الكردية الإيرانية التى تتخذ من كردستان مقراً لها، إلا أنها ليست فى وضع يسمح لها بالتدخل عسكريا فى الإقليم.

وسوف يدعم هذا من التفاهم والتنسيق الاستراتيجى بين طهران وبغداد، وقد يدفع إلى تفاهمات تركية مع الطرفين نظراً للتهديد المشترك الذى يمثله استقلال كردستان على الأطراف الثلاث.

رابعها، أن القوى الدولية لا تبدو على استعداد للاعتراف باستقلال كردستان على النمط الكوسوفارى. ويظل الموقف الأمريكى هو الأكثر جدلا حيث تدعم واشنطن الأكراد وتقوم بتسليحهم فى سوريا والعراق فى إطار الحرب على داعش، وتعترف بـ «التطلعات المشروعة» لمواطنى كردستان العراق. ويعتبر الاستفتاء خطوة مهمة لمشروعها فى العراق والمنطقة، كما تطمع واشنطن فى أن تكون كردستان قاعدة عسكرية لها، وشوكة للضغط على تركيا والحكومة العراقية عند الحاجة. الأمر الذى يثير حفيظة حليفتها تركيا وتبدى الأخيرة احتجاجا على السياسة الأمريكية. ومن ثم فإن اعترافاً صريحاً وسريعاً من جانب واشنطن باستقلال كردستان سيؤدى إلى الإضرار البالغ بالتحالف الأمريكى التركى الذى يمر بأزمة منذ المحاولة الانقلابية فى تركيا. ولذا فإن الدعم الأمريكى للأكراد يأتى على استحياء. وكذلك الحال بالنسبة لألمانيا حيث عبر وزير الخارجية الألمانى عن مخاوف أوروبية من تداعيات الاستفتاء، مشيراً إلى أن بلاده «تحذر من اتخاذ خطوات أحادية الجانب فى هذه القضية، وقد تؤدى إلى تفاقم الموقف الصعب والمضطرب أصلا فى أربيل وبغداد». وتعد ألمانيا شريكاً رئيسياً لأكراد العراق وتدعمهم بالأسلحة والتدريب حيث يتمركز نحو 130 جنديا ألمانيا فى أربيل لتدريب قوات «البيشمركة» الكردية.

وفيما يتعلق بروسيا، فإنه لا يتصور أن موسكو التى تمسكت بحق تقرير المصير للقرم أن تعارض الاستفتاء ونتائجه، خاصة مع علاقاتها الجيدة بالأكراد، والتى كانت محور جدل وامتعاض من جانب تركيا فى فترات سابقة. وفى هذا السياق يبدو خيار دفع الحوار والمفاوضات بين كردستان والحكومة العراقية بمشاركة القوى الدولية والإقليمية هو البديل الأمثل لموسكو، ويتضمن ذلك حكماً ذاتياً واسع النطاق لكردستان العراق، وبلورة تصور بشأن أكراد سوريا والمناطق التى يسيطرون عليها. ويقتضى ذلك تحركاً مبكراً وتنسيقاً مع كل من تركيا وإيران والعراق التى تمثل الأطراف المباشرة المعنية.

استفتاء الأكـــراد

هل حان وقت الحساب؟

أم هى بذور حرب جديدة؟

مرة أخرى يعـــود الأكراد إلى واجهة الأحـــداث، وهذه المرة فى محاولة لكســـب أكبر قدر من المكاسب، وهى فى حالة كردستان العراق تحويل «الحكم شبه الذاتي» إلى استقلال كامل. وأحسب أن الأمر ليس بهذه البســـاطة، فكل من تركيـــا وإيران والعراق وسوريا جميعا لديهم الأســـباب التى تمنعهم من الموافقة على مثل هذه الخطـــوة، وذلك لأنها تقوض وحدة وســـلامة أراضى هذه الـــدول. كما أن هذه الخطوة اعتمادا على وفاء واشـــنطن فقط هى أقرب ما تكون قفزة فى المجهول وليست لحظة تسديد الفواتير. ومما يزيد من تعقيدات الموقف أن خطوة كهذه سوف تربك المشهد العراقى والسوري، وتزيد من حدة الصراع المشتعل بالفعل فى المنطقة. فترى ما هى احتمالات المستقبل؟

محمد صابريـن

mohsabreen@yahoo.com

ولعـــل البداية هى فى مســـارعة واشـــنطن لمطالبة الأكراد بالتمهل، وهنا يجد الكرد أنفســـهم ليس فى لحظة «حان وقت الحســـاب»، بل كالعادة الأمريكية مع الجميع بطلب فسحة من الوقت. وقد أعلنت رئاسة إقليم كردســـتان العراق أن رئيس الإقليم طلب خـــلال اتصال هاتفى مع وزير الخارجية الأمريكى ريكس تيلرســـون، «ضمانات» و«بدائل» لتلبيـــة رغبة واشـــنطن فى تأجيل الاستفتاء على الاستقلال، مؤكداً أن «شعب كردستان سيمضى فى طريقه ويقرر مصيره. وأفاد بيان لرئاســـة كردســـتان على موقعها الإلكترونى أن تيلرسون اتصل هاتفيا بمسعود بارزاني، معربا عن رغبة واشنطن فى تأجيل الاســـتفتاء على استقلال الإقليم، و«تأييدها استمرار المباحثات والمفاوضات بـــين الإقليم وبغداد». وأشار البيان إلى أن تيلرسون «أشاد بدور قوات البشـــمركة فى القضاء على داعش»، ورحب بدور بارزانى والقيادة السياســـية الكردستانية و«بقرار تشكيل وفد رفيع المستوى من الإقليم إلى بغداد للتفاوض معها حول الأمور السياســـية». وتساءل بارزانى حســـب البيـــان: «ما هى الضمانات التى من الممكن تقديمها لشـــعب كردســـتان مقابل تأجيله للاســـتفتاء، وما هـــى البدائل التى ســـتحل محل تقرير المصير لشعب كردستان؟».

وأحســـب أن واشنطن تستخدم الأكراد ليس فقط فى العراق وسوريا من أجـــل داعش وإنمـــا من أجل توازنات المشـــهد الداخلي، وأيضا فى إطار هندســـتها للمنطقة، وما بعد داعش، والعلاقـــة مع إيران، وأيضا فى اللعب بالقـــوى الإقليمية مثلما نرى فى أزمـــة دول الخليج ومصر مع قطر. ولعل الرســـالة الكاشفة التى ردت على بارزانى هى رســـالة «روبرت فورد» آخر سفير أمريكى لدى ســـوريا فى حـــوار مع جريدة الشرق الأوســـط، والتى يقول فيها: «الأكراد سيدفعون غاليا ثمن ثقتهم بالأمريكيين، وإن الجيش الأمريكى يستخدمهم فقط لقتال داعش، ولن يســـتخدم القوة للدفاع عنهم ضد قوات النظام السوري، أو إيران، أو تركيا»، ويرى فـــورد أن ما تفعله واشنطن مع الأكراد غير أخلاقى وغير سياسي، وربما نوع من «التجمل»، إذ لا يعتقد أنها «صحوة ضمير» من جانب مسئول أمريكى سابق، إلا أن أخطر ما فى رسالة فورد هى أن بعض المسئولين فى واشنطن يعتقدون أن الســـيطرة على شرق سوريا سوف

تســـهم فى محاربة داعش وتقليص نفوذ إيران، ويرى فورد فى المقابل أن الأمريكيين سوف يعرفون قريبا أن إيران سوف تصعد، وأن أمريكا لن يكون لديها الصبر والقوة العسكرية للقيـــام بتصعيد مقابـــل. وهنا إذا تحققت توقعات فورد فإن «الورقة الكردية» تظـــل ضمن أوراق أخرى جاهزة للعمل.

والنقطـــة الأخـــرى تتعلق بأن واشـــنطن أيضـــا تتحســـب لكل الاحتمالات، ولا تترك نفسها معتمدة بقوة على أكراد العراق، بل هى تحاول وبقـــوة مغازلة الســـنة فى العراق، وذلك ســـعيا لتحجيم إيران، وبعث رسالة للآخرين بقدرتها على التلاعب واللعب مع وبالجميع. فقد كشـــف مصدر مطلع مؤخرا عن بدء الجيش الأمريكى إنشاء أكبر قاعدة عسكرية فى غرب مدينة الموصل للإشراف على الحدود العراقية السورية وقطع يد الحرس الثورى الإيرانى والمليشيات الشيعية التابعة لطهران التى توغلت خلال الأشـــهر الماضية فى المنطقة لتنفيذ المشروع الإيرانى بفتح طريق برى بين طهران ودمشق عبر الموصل والصحراء.

وقال المتحدث الرســـمى باسم العشائر العربية فى محافظة نينوى، الشـــيخ مزاحم الحويت، لـ«الشرق الأوسط» السعودية: «بدأت القوات الأمريكية منذ نحو أسبوع أعمالها فى إنشـــاء أكبر قاعدة عســـكرية فى محافظة نينـــوى قرب قرية كهريز التابعـــة لناحية زمـــار غرب نهر دجلة، وسوف يليها بناء أربع قواعد عسكرية أخرى فى مناطق متفرقة من محافظة نينوى». وحسب الحويت: «ستكون مهام القوات الأمريكية التى ستنتشر غرب الموصل الإشراف على الحدود العراقية الســـورية بالكامل من غرب ســـنجار ولغايـــة القائم، وقطع يد الحـــرس الثورى الإيرانى والمليشـــيات التابعة له التى توغلت منذ شـــهور فى المناطـــق الحدودية بين العراق وسوريا لتنفيذ المشروع الإيرانى المتمثل فى فتح الطريق البرى بين طهران ودمشـــق لنقل الجنود والأسلحة والعتاد إلى سوريا لتعزيز بقاء نظام بشار الأسد».

ويبقى أن حجـــم المناورة ضيق أمام بارزاني، ورغم أن التصويت غير ملزم، فإنه يشكل قاعدة لإقامة دولة مســـتقلة مشروعها يختمر منذ نال أكراد العراق حكما ذاتيا من حكومة بغداد بعد حرب الخليج عام 1991. وإقليم كردســـتان المكون من ثلاث محافظات فى شـــمال العراق يتمتع بالحكم الذاتى منذ عام 1991. ومن هنا فإن أقصى ما يمكن السماح به هو أن ينتزع الأكـــراد بعض المزايا المالية ومزيداً من المناصب، ومزيداً من الصلاحيات السياســـية انتظارا ليـــوم بعيد قد تتغـــير فيه موازين القوى. ويبدو هذا اليوم عصيا على التخيل لأن مجرد الإعلان عن إجراء الاســـتفتاء جرت معارضته بسرعة من دول إقليمية تضم ملايين الأكراد، خشـــية أن تنتقل العدوى إليها، إذ يتوزع الأكراد أساسا بين دول أربعة هى تركيا والعراق وإيران وسوريا.

ورغم كل هذه الحقائق ميدانيا، فقد أكد بارزانى أن وفدا من الإقليم «ســـيزور بغداد قريبـــا للتباحث حول المســـائل المتعلقة بمســـتقبل العلاقـــات». واعتـــبر بارزانى أن «الشراكـــة والتعايـــش الســـلمى الذى كان يشـــكل الهدف الرئيسى لكردســـتان مع العراق فى المراحل التاريخيـــة المتعاقبـــة التى مر بها الجانبان لم يتحقق، لذلك سيمضى شعب كردستان فى طريقه وسيقرر مصـــيره». وأحســـب أن تفاهمات ومفاوضات مكثفة سوف تجرى فى محاولة لاحتـــواء الأمر، ما لم تخرج الأمور عن السيطرة بدون تعمد أو أن يلعب البعض لكى تتوتر الأجواء لنجد أنفسنا فى مواجهة حرب جديدة وأيام رمادية أخرى فى الخليج.

بين تحرير فلسطين واستقلال كردستان

بين فلسطين وكردستان علاقة غريبة، فالأولى جرح ينزف فى قلب كل عربى منذ اغتصابها عام 1948، والثانية هى الحلم الذى اغتصبته اتفاقية سايكس بيكو عام 1916 التى تآمرت على إقامة وطن قومى للأكراد بسبب مصالح الدول الاستعمارية. وأننا لا يمكن أن نذكر فلسطين دون ذكر المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين، ولا يذكر الأقصى دون الفاتح العظيم صلاح الدين الأيوبى البطل «الكردي» الذى حرر المسجد من الصليبين بعد احتلال دام أكثر من 90 سنة. إن التشابه بين فلسطين وكردستان يقوم بشكل كبير على فكرة الوطن المسلوب، فلا يقل حلم إنشاء دولة كردية فى نفوس الأكراد عن فكرة تحرير المسجد الأقصى وطرد الإسرائيليين من المنطقة وعودة فلسطين حرة مستقلة فى نفوس العرب.

محسن عوض الله

باحث فى الشئون الكردية

mospress2000@yahoo.com

ومن القضية الفلسطينية والمسجد الأقصى الأسير إلى القضية الكردية والأكراد أحفاد صلاح الدين الأيوبى محرر المسجد الأقصى، الساعين لإنشاء دولة تجمع شتاتهم وتوحد اختلافاتهم.

ففى السابع من يونيو2017 توافقت غالبية الأحزاب الكردية بالعراق مع رئاسة إقليم كردستان على إجراء استفتاء للاستقلال عن بغداد وإعلان الجمهورية الكردية وهو القرار الذى حظى بدعم شعبى كردى لما تمثل الدولة الكردية فى أذهان الأكراد.

ووفقاً للتصريحات الكردية فإن الأكراد لجأوا للاستفتاء بعد أن تعثرت كل محاولاتهم مع الحكومة المركزية فى بغداد من أجل منح الأكراد حقوقهم التى كفلها لهم الدستور، فضلا عن التقصير تجاه الإقليم ووقف حصته من عوائد النفط وعدم دفع نفقات قوات البشمركة التى كان لها دور كبير فى تحقيق الانتصار على داعش فى معركة الموصل.

ووفقاً لمصادر موثوقة لكاتب المقال فإن إيران ذات النفوذ الواسع فى بغداد عرضت على الأكراد أن تضغط على الحكومة العراقية وتجبرهم على الاستجابة للمطالب الكردية وتحقيقها كاملة مقابل أن يتراجع الكرد عن فكرة استفتاء سبتمبر وهو الأمر الذى رفضته القيادات الكردية تماما.

كما أكدت المصادر أن واشنطن طلبت من الأكراد إلغاء الاستفتاء مقابل إلزام بغداد بتنفيذ مطالبهم وهو ما تم رفضه أيضا من جانب حكومة كردستان، وقال مصدر مقرب من السيد مسعود برزانى لكاتب المقال «إن الاستفتاء حق للشعب الكردى ولن نتخلى عنه مهما كانت المغريات أو العواقب».

ومع ذلك فإن الإجراء الكردى المرتقب لم يجد أى ترحيب دولى بل قوبل بانتقادات شديدة للقيادات الكردية حتى من أقرب حلفاء الكرد فى أوروبا وأمريكا، فحتى اللحظة لم تعلن أية دولة موقفاً إيجابياً تجاه الاستفتاء.

ورغم تشكيل لجنة كردية لإدارة عملية الاستفتاء والترويج له إلا أن الجولة التى قام بها السيد مسعود بارزانى لمقر الاتحاد الأوروبى ببلجيكا لم تحظ بالنجاح المطلوب. ولم يتوقف الأمر عند حدود عدم التفاعل الإيجابى مع الرغبة الكردية فى الاستقلال بل وصل الأمر لوجود تهديدات لأكراد العراق حال استمرارهم فى خطط الانفصال، وتوعدت دول جوار العراق الإقليم بالحصار.

وكان النائب التركي، محمد عونال قد أعلن فى السادس من أغسطس 2017 «إن لتركيا حق التدخل إذا تهددت وحدة الأراضى العراقية وهو ما يتفق مع معاهدة أنقرة عام 1926 التى تم التوقيع عليها بين تركيا وبريطانيا والعراق لتحديد تسوية الحدود مع تركيا واشترطت فيه سلامة وحماية الأراضى العراقية». وأشار إلى أن «مخطط الاستفتاء بشأن استقلال إقليم كردستان يخالف القانون الدولي، وأن على تركيا أن تظهر فى شمال العراق التصميم نفسه الذى ظهرت عليه فى عملية درع الفرات شمالى سوريا، كما عليها حماية التركمان».

التهديد التركى بالتدخل العسكرى جاء رغم العلاقات القوية التى تربط بين أنقرة وأربيل حيث

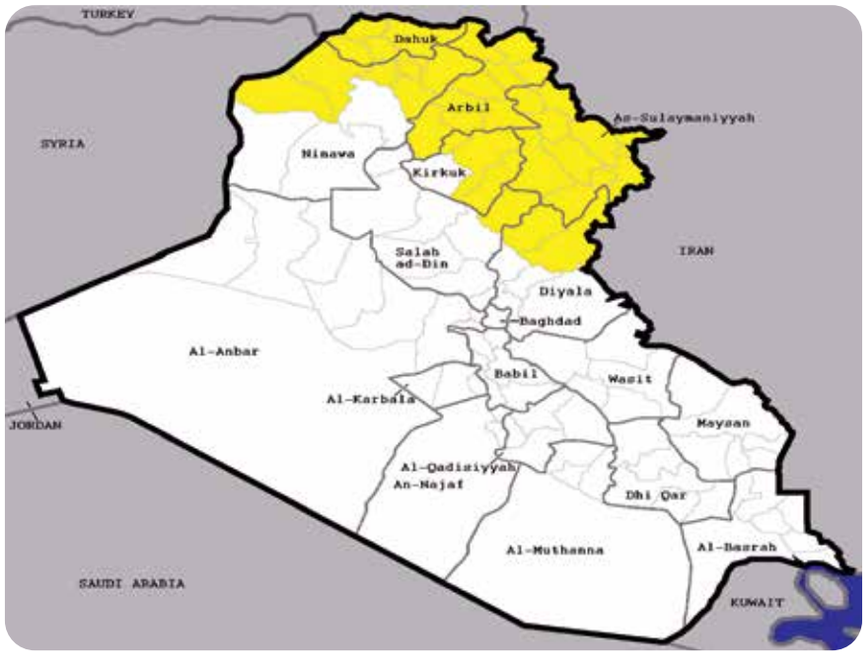

يرتبط الطرفان بعلاقات واتفاقيات اقتصادية كبيرة، وتعتبر تركيا نافذة كردستان على العالم وتمر منها كل صادرات الإقليم للخارج. والتهديد التركى لم يكن الوحيد من نوعه فقد سبقته تهديدات عراقية صريحة حيث أعلن وزير الدفاع العراقي، عرفان الحيالى خلال زيارته لطهران فى يونيو الماضى أن الجيش العراقى «لن يسمح باتخاذ إجراءات غير قانونية بهدف تقسيم البلاد».

كما هدد النائب عن كتلة بدر محمد ناجى العسكرى إقليم كردستان صراحة بـ«حروب مستقبلية» فى حال انفصاله عن العراق، كما طالب الأمين العام لمنظمة بدر القيادى بالحشد الشعبى هادى العامري، بالتراجع عن إجراء استفتاء انفصال إقليم كردستان والمناطق المتنازع عليها، مطالباً بتفعيل قانون الحشد الشعبى وتنظيمه وتسليحه لمواجهة المزيد من التحديات المحتملة وإعادة هيبة الدولة»!

طهران كانت حاضرة بقوة فى ملف الاستفتاء الكردى حيث لم تتوقف ردود الأفعال الإيرانية الرافضة للقرار الكردي، حيث كرر المسئولون الإيرانيون بداية من على خامنئى مرشد الثورة الإسلامية حتى أصغر مسئول بالدولة الإيرانية رفضهم للاستفتاء. واعتبر أمين المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى على شمخانى أن «إجراء الاستفتاء فى إقليم كردستان العراق سيؤدى إلى فرض العزلة وممارسة الضغوط على أكراد العراق وإضعاف الإقليم والعراق بأسره».

و«الحصار» الذى توعد شمخانى بفرضه على أكراد العراق ربما يكون حلقة فى سلسلة إجراءات تنتوى طهران وحلفاؤها اتخاذها ردا على خطوة الاستفتاء الكردي، تلك الخطوات التى بدأتها طهران فعلا من خلال قطع المياه عن إقليم كردستان حيث كشفت وزارة الزراعة والموارد المائية فى حكومة إقليم كردستان العراق، أن النظام الإيرانى يواصل منذ نهاية يونيو قطع مياه نهر الزاب الصغير الذى تسبب حتى الآن فى انخفاض كبير لمناسيب المياه فى الإقليم ونشوء أزمة مياه خانقة، وقالت الوزارة فى بيان رسمى لها بحسب جريدة الشرق الأوسط اللندنية إنها «ستلجأ إلى الأمم المتحدة والمجتمع الدولى لردع طهران عن سياساتها فى قطع المياه عن كردستان».

هذه التهديدات التركية والعراقية الإيرانية لم تجد صدى غربي، ولم يعلن أى من حلفاء الأكراد استنكارهم لهذه التهديدات العلنية ومحاولات التدخل فى الشأن العراقي، وهو ما يوحى بموافقة أمريكية دولية على الإجراءات التى تنتوى إيران وتركيا اتخاذها ضد أكراد العراق عقابا لهم على رفضهم التراجع عن الاستفتاء رغم المعارضة الأمريكية له.

الإصرار الكردى على السير فى طريق الاستفتاء رغم تهديدات دول الجوار يوحى بخريف قارص ينتظر المنطقة وسكان كردستان العراق تحديدا وهو ما يلقى بالمسئولية على زعماء الأكراد لحماية الشعب الكردى الذى من أجله يعلنون أنهم يسعون للاستفتاء وإقامة دولة كردستان.

وتبدو العاصفة قوية وليس من الذكاء مواجهتها، فلن يفرح الأكراد بدولة تعانى العطش والجوع ويهددها أقرب الجيران بحرب دموية. ويبقى الأمل فى ذكاء السيد برزانى ورفاقه فى إجهاض هذا المخطط من أجل الحفاظ على شعب كردستان العراق، فخيرا له أن يبقى إقليماً مستقراً من أن يصبح دولة مستقلة تحت الحصار تعانى ويلات الحصار والدمار.

الأزمة مع قطر..إلى أين؟

أول سؤال يتبادر إلى الذهن فى هذه الأزمة، هو ما الذى يعطى لقطر كل هذا السند لكى تتخذ موقف إطالة الأزمة والتشدد فى توسيع شقة الخلاف وسد الطرق أمام مختلف الوسطاء، وعدم إعطائهم الهامش من الحركة التى تتيح حوارا هادفا إلى إنهاء الخلاف، ماعدا أمير الكويت الذى اعتادت دول الخليج اللجوء إلى حكمته وخبرته، ولهذا يظل بحكم التوافق عليه القناة المفضلة بين الفرقاء، وماعدا الوساطة الأمريكية التى تجاوبت قطر معها بتوقيع مذكرة تفاهم للتعاون ضد مساندة الإرهاب، حاول وزير الخارجية الأمريكى استغلالها لرأب الصدع الخليجى، باعتبارها صك ضمان من واشنطن، والتى وجدتها الدول الأربعة غير كافية، وعادت واشنطن فعينت أحد جنرالاتها لمواصلة مساعى الوساطة هو الجنرال انطونى زينى قائد القيادة المركزية السابق والذى تم اختياره بحكم علاقاته الوثيقة بقيادات المنطقة وخاصةً فى دول الخليج..

فلم تكتف قطر بتجييش أعوانها وعلاقاتها لصد الضغوط التى تعرضت لها من قبل دول الرباعية العربية، ومن ذلك على سبيل المثال إقدام قطر على منح إقامات دائمة لعناصر الإخوان المقيمين على أراضيها، والجنسية القطرية للعديد منهم، وتكثيف علاقاتها فى الغرب مع دوائر الفكر والإعلام والبحث وخاصةً فى الولايات المتحدة، تلك العلاقات التى طالما حرصت القيادة القطرية على تنميتها والاستثمار فى دعمها على مدار العقود السابقة، بل لجأت قطر إلى ما هو أبعد من ذلك حين أقدمت على توطيد العلاقة مع إيران إلى ما هو أبعد من التقارب القطرى المعتاد معها، واستدعاء الدور التركى بشكل واضح من خلال عرض إقامة قاعدة عسكرية تركية على الأراضى القطرية وموافقة تركية على هذا العرض وإرسالها بالفعل لعدد من الوحدات العسكرية تباعا، والتى يقال إنها وصلت إلى خمسة آلاف مقاتل، غير أن هذا التدفق قد توقف لأسباب لم تتضح حتى الآن، هذا إلى جانب الحملة التى أطلقها وزير خارجية قطر لتدويل قضية

سفير سيد ابوزيد عمر

solitairegypt@gmail.com

الحج استناداً لمزاعم قطرية بفرض قيود على الحجاج القطريين إلى الأراضى السعودية، وذلك بالتوازى مع الحملات القطرية لتدويل نزاعها مع الدول الأربعة فى المحافل والمنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة اليونسكو ومنظمة الطيران المدنى ومجلس الأمن الدولى.

خيار التصعيد:

هذا كله يدل على اتجاه القيادة القطرية نحو خيار التصعيد الأمر الذى ترتب عليه تعميق حالة الأزمة الناشبة بين الطرفين إلى درجة يصعب معها تصور تراجع أى منهما عن مواقفه فى الوقت الحاضر وصولاً إلى حل توافقى يؤدى إلى تخفيف حدة الخلاف. فقد جاءت المطالبة القطرية بتدويل قضية الحج بمثابة خطوة تصعيدية بالغة الحساسية للرياض بحكم أنها تتلاقى مع الدعوات المتكررة لإيران فى ذات الاتجاه، حيث ترجع بداية المطالب الإيرانية لتدويل الحج إلى عام 1987 حينما نظم حجاج إيران مسيرات ضخمة خلال مناسك الحج تحت شعار «إعلان البراءة» بدعوى وقوف المسلمين فى مواجهة المشركين والتصدى للمظالم التى يواجهها العالم الإسلامى، وهو ما تسبب فى تفجر مصادمات دامية بين الحجاج الإيرانيين وعناصر الأمن السعودية ترتب عليها مقاطعة طهران للحج خلال الفترة ما بين 1988 و1990. وتكررت الدعوات الإيرانية عام 2015 حينما تسبب حادث تدافع كبير فى مقتل أكثر من 450 من حجاجها، وادعاء إيران بوجود استهداف متعمد للحجاج الإيرانيين، ومطالبتها بإنشاء هيئة إسلامية مستقلة للإشراف على الحج، وهو ما تصدت له السعودية بقوة. وعلى ضوء تلك الخلفية لم يكن مستغرباً حدة رد الفعل السعودى على لسان وزير الخارجية الذى أكد على هامش

اجتماع دول الرباعية العربية فى المنامة الى احتفاظ المملكة بحق الرد على أى طرف يعمل فى مجال تدويل المشاعر المقدسة، واصفاً طلب قطر بالعدوان واعتباره بمثابة إعلان حرب ضدها، مؤكداً أن السعودية ترحب باستقبال القطريين للحج مثلهم مثل بقية الحجاج. ولم يخفف من حدة الموقف مسارعة وزير خارجية قطر بالتراجع عن تصريحه المشار إليه، حيث سبق السيف العزل ووقع الضرر بالفعل، ووصلت الأمور إلى حد اللاعودة وإغلاق الباب أمام احتمالات تخفيف الأزمة بين الطرفين.

ولا شك أن الشكوى التى تقدمت بها قطر ضد مصر باستغلال مقعدها فى مجلس الأمن، ورئاستها للجنة مكافحة الإرهاب فى إطار عضويتها هذه لخدمة أغراضها ومصالحها الضيقة، قد ساهم أيضاً فى رفع سقف التصعيد للأزمة، وهو الادعاء الذى قوبل برد قاطع من قبل القاهرة التى أكدت أن تحركها فى مجلس الأمن لفضح المخططات القطرية بالوثائق الثابتة إنما ركز بالأساس على الملف الليبى، وما أقدمت عليه قطر من تدعيم للجماعات الإرهابية فى ليبيا بصور شتى، وبما يمثل تهديداً للأمن الإقليمى والأمن الدولى على حد سواء، ولم تقدم القاهرة على إقحام الشأن المصرى فى هذا الأمر بإثارة موضوع دعم الدوحة للجماعات الإرهابية فى سيناء، وبصفة خاصة دعمها المستمر والثابت لعناصر جماعة الإخوان المحظورة.

وعلى خلفية هذا التصعيد لم تفلح مساعى الوساطة المبذولة من الولايات المتحدة والكويت فى رأب الصدع بين الدوحة والرباعية العربية، حيث جاءت الوساطة الأمريكية مدفوعة بشعور ينم عن عدم الارتياح فى الدوائر الأمريكية إزاء تصاعد الأزمة بين أطراف تعتبر من أقرب الدول لواشنطن، والتى تضطلع بعضها بأدوار محورية ضمن منظومة التحالفات الأمريكية فى المنطقة، وذلك فى مرحلة مهمة من الحرب الأمريكية ضد داعش فى سوريا والعراق، وتصعيد الخلاف مع إيران وما يمثله ذلك من تداعيات مهمة بالنسبة للمصالح الأمنية الأمريكية فى منطقة الخليج. كما جاء الدور الكويتى للوساطة الذى اضطلع به أميرها، بتوافق فى الرأى بين كل الأطراف، انطلاقاً من مخاوف حقيقية من تداعيات الأزمة على مستقبل البيت الخليجى وتماسك مجلس التعاون الخليجى، وسط تغيرات إقليمية بالغة الخطورة، فضلا عما تفرضه من تحديات على أمن ومصالح الكويت ذاتها.

تعقد الأزمة وتجذرها:

والواقع أن عدم نجاح تلك المساعى حتى الآن إنما يكشف عن تعقد أبعاد الأزمة وتجذرها بما يمكن رده إلى العوامل التالية:

- تمسك الطرفان بمواقفهما حيث أصرت مجموعة الرباعية العربية على امتثال الدوحة للمطالب التى تقدمت بها وبشكل جماعى وعدم قبول أى حوار مع قطر إلا فى اطار كيفية تنفيذ هذه المطالب وليس المساومة حول مضمونها. ومن الجانب الآخر يرى البعض أن المطالب الثلاثة عشر كانت بمجملها تعجيزية بما يصعب قبولها فى الدوحة لأنها تجردها من كل مكامن قوتها، وتعيد تشكيل علاقاتها مع الخارج، وتضع قيودا على حركتها تماما، وتضعها تحت الوصاية كدولة قاصرة لا تملك زمام أمورها. ذلك انطلاقا من أنها بالفعل قد توهمت بصلاتها مع الجماعات المتطرفة وتوظيف أموالها لتحريك تلك الجماعات، أنها قد أصبح لها الثقل الذى يقربها من الولايات المتحدة وبقية القوى التى تعمل على السيطرة على المنطقة العربية بأكملها، وحدث بالفعل هذا التلاقى فى الأهداف فى عهد الإدارة الأمريكية السابقة، غير أن هذه الأوضاع قد تغيرت بعد أن توقف مد التطرف المتستر بالإسلام يوم 30 يونيو 2013، وطرح الإدارة الأمريكية الجديدة أجندتها والتى قد تختلف عن سابقتها. وفى الواقع فإن قطر قد تجاوزت كل الحدود فى تصرفاتها بما أدى بالضرورة إلى تعامل الرباعية العربية معها بهذا الأسلوب.

- ما بدا واضحاً من سوء تقدير

أمريكى لعمق الأزمة بين الطرفين، واعتبارهـــا فى البداية خلافاً عارضاً بين أطراف خليجية عربية متنازعة سرعان ما يجد طريقـــه إلى الحل، وهو ما دفـــع بوزيـــر الخارجية الأمريكى للاعتقاد بإمكانية تجاوز الأمر بمجرد توقيـــع مذكرة تفاهم مع قطر حـــول التعاون فى مكافحة الإرهاب، وتصوره أن ذلك ســـوف يكون بمثابة «صك غفران» للجانب القطرى «وطوق نجـــاة» للدوحة يتيح لها الإفلات من ضغوط الرباعية العربية، وهو مـــا رفضته الأخيرة باعتباره إجراء غير كاف للتعامل مع الأزمة، متمســـكة بمطالبها المبدئية المتمثلة فى الثلاثة عشر مطلبا المعلنة منذ تفجر الأزمة.

– إن إمعان الدوحة فى التمســـك بموقفهـــا الرافض للامتثال لمطالب الرباعية العربية إنما يرجع بالأساس إلى أن تحالفهـــا مع جماعة الإخوان والجماعات الإرهابيـــة فى المنطقة يعتبر أحد ثوابت النهج الذى اتبعته الأسرة الحاكمـــة القطريـــة ابتداء من تولى الأمـــير حمد آل ثان مقاليد الحكم وصعود نجم حمد بن جاسم رئيساً للوزراء، وسعى الدوحة منذ ذلك الوقت للوقوف موقف الندية مع المملكة الســـعودية من خلال إيجاد شرعية دينية بديلة لتلك التى تمثلها أسرة آل سعود، ومحاولة الاضطلاع بدور إقليمى رئيسى فى المنطقة. كما أن استضافة قطر للقاعدة العسكرية الأمريكيـــة وإعطائها كل ما تحظى به من تســـهيلات، يأتـــى فى إطار تحقيق الاســـتقلال الأمنى وتأمين الحماية ضد الهيمنة الســـعودية. ومن ثم فإن رضـــوخ قطر لمطالب الرباعية العربيـــة يفرض عليها أن تخرج من الأزمـــة خالية الوفاض مجردة تماما من تلك الأوراق التى طالما احتفظت بها الدوحة لتحقيق أهدافها الإقليمية.

– تمادى الجانـــب القطرى فى اتباع سياســـات إقليمية بلغت حد التهديد لمصالح أمنية لدول حيوية فى المنطقة، ومـــن أمثلة ذلك دعمها المعلن لجماعة الإخـــوان فى حربها المتواصلة ضد مصر، وما تردد عن تدخل قطرى فى المنطقة الشرقية فى السعودية، ومساندة جماعة الإخوان فى الإمارات، وتدخلهـــا كذلك لدعم جماعة الحوثـــى فى اليمن، هذا إلى جانب تآمرها المتواصل مع جماعات الإرهاب فى ليبيا.

– إن أسباب الأزمة الراهنة ليست وليدة اليوم خاصةً إذا ما استرجعنا محاولة ترويض السياسات القطرية من خـــلال توقيع اتفـــاق الرياض عـــام 2013 والاتفاق التكميلى عام 2014، فى محاولـــة لمعالجـــة ذات الأســـباب التى تســـببت فى تفجر الأزمة الحالية، وذلك فى إطار مجلس التعاون الخليجى وبشـــكل هادئ دون الإعلان عـــن مضمونه، حيث وافقت قطر ممثلة فى الأمير تميم على مطالب الجانب السعودى وقتذاك. ومن الواضح للعيان أن الدوحة لم تلتزم بتنفيذها وظل اتفاقا الرياض حبراً على ورق حيث اســـتمر النهج القطرى عـــلى ما هـــو عليه دون تراجع، إلى أن ظهر الخلاف إلى العلن بعد ثلاث سنوات من توقيعهما تلك الوثائق التى جاء إعلان نصوصهما فى قنـــاة سى إن إن بمثابة اعتراف خطى لقطر بضلوعها فى مســـاندة الإرهاب وتدخلها فى الشئون الداخلية للدول العربية وتعهدها بالتوقف عن هذه الممارسات، ووردت بهما فقرة واضحة ومحددة حول مصر تنص على «إيقاف كافة الأنشطة الإعلامية الموجهة ضد جمهورية مصر العربية فى جميع وســـائل الإعـــلام بصفة مباشرة أو غير مباشرة، بما فى ذلك ما يبث من إساءات على قنوات الجزيرة وقناة مباشر مصر»، ونكصت قطر عن كل تعهداتها وسدرت فى غيها إلى أن تفجرت الأزمة إلى العلن مؤخرا.

– واتصـــالا بما ســـبق، يجدر التساؤل عن أســـباب غياب ردود فعـــل خليجيـــة طوال الســـنوات الماضية لمحاســـبة قطـــر عن عدم تنفيذ التزاماتهـــا، رغم أن اتفاقى عام 2014 كانا ينصان على مراقبة تصرفاتها بصفة دورية عن طريق أجهزة المخابرات الخليجية، وتقديم تقارير عنهـــا إلى اجتماعات قادة مجلـــس الخليج العربـــى، ويغلب لدى الاعتقاد أنه ليس من المستبعد أن كان العتاب يتم فى إطار مكتوم طوال الفترة الماضية، إلى أن حدثت متغيرات أدت بالضرورة إلى اتخاذ هذا الموقف الحـــازم الأخير، والذى شـــاركت فيه ثـــلاث دول خليجية بالإضافـــة إلى مـــصر، ومـــن أهم المتغـــيرات الداخلية فى دول الخليج تلك التى تتمثل فى صعود جيل جديد فى مراكـــز اتخاذ القرار، ترتب عليه اشتداد حدة المنافسة على لعب أدوار رئيسية فى الإقليم، فى ظل متغيرات دولية تتمثل بوجه خاص فى الإدارة الأمريكية الجديدة، وتصعيد قطر من سياساتها التى لمست أوتارا شديدة الحساسية لجيرانها فى الخليج وبما يتعارض مع توجهاتهم.

– امتلاك قطر لأرصـــدة مالية تبلغ من الضخامـــة ما يمكنها من التصـــدى للضغـــوط الاقتصادية التى تمارســـها كل من السعودية والإمـــارات خلال المـــدى المنظور، حيث بلغت احتياطياتها المالية قبل انـــدلاع الأزمة ما يقـــرب من 370 مليـــار دولار أمريكى لدى مصرف قطر المركـــزى، إلى جانب الأصول المملوكة لجهاز قطر للاســـتثمار، بما أعطى الثقـــة الكافية للدوحة للتعنت والعناد والصمود فى مواجهة ضغـــوط الرباعيـــة العربية، حيث أشـــار فى هذا الصدد محافظ بنك

قطر المركزى فى يوليو الماضى إلى أن الدوحة بإمكانها توظيف نحو 340 مليار دولار لمواجهة الأزمة التى تتعرض لها، وذلك رغم أن بعض التقديرات الدولية تشير إلى أن المركز المالى لقطر ليس بالقوة التى تمكنها من تحمل تداعيات الأزمة على المدى الطويل، خاصةً فى ظل استمرار إغلاق السعودية للحدود البرية، وهى الوحيدة التى تربطها بريا بالعالم الخارجى، وأن الإجراءات التى فرضتها بوجه خاص كل من السعودية والإمارات سوف يترتب عليها آثار اقتصادية مباشرة على البنوك والبورصة فى قطر لا يمكن التقليل من أهميتها.

احتمالات المستقبل:

1- وعلى ضوء مجمل ما تقدم، يمكن القول إنه على الرغم من عناد الجانب القطرى فى رفض الامتثال لمطالب دول الرباعية العربية، بل واتجاه الدوحة للتصعيد على النحو المشار إليه سلفاً، فإنه يمكن القول أن من أهم نتائج الأزمة الراهنة فضح الممارسات القطرية فيما يتعلق بدعمها للإرهاب أمام المجتمع الدولى بأسره على نحو يصعب إنكاره أو تجاهله من قبل الجانب القطرى، وهو ما لاشك أنه سوف يبقى الأضواء مسلطة على النهج الذى تتبعه الدوحة فى سياساتها الخارجية ويحد من هامش تحركها فى المنطقة، ويضع علاقات قطر مع مختلف الجماعات الإرهابية فى الإقليم تحت المجهر، وهو ما يعتبر مكسباً مهماً ناتجاً عن ثبات الرباعية العربية فى مطالبها وتصديها للسياسات القطرية التى بلغت من الشطط ما يهدد استقرار المنطقة ومصالح الدول العربية ذاتها.

2 - ومع ذلك يذهب التقدير إلى أن الأزمة بين قطر ودول الرباعية العربية لن تجد طريقها إلى الحل على المدى المنظور (القصير)، وذلك على الرغم من استمرار مساعى الوساطة المبذولة من قبل كل من واشنطن والكويت، وأن الشرخ العميق الذى أحدثته الأزمة سوف يظل على ما هو عليه نتيجةً لتمترس الجانبين وراء موقفيهما، وهو ما يفرض الإقرار بأن مجمل ما تقدم قد أفضى إلى نشوء وضع جديد فى المنطقة يتعين الوقوف أمام تداعياته وما يطرحه من سيناريوهات محتملة للمستقبل. فمن جانب يطرح هذا الوضع المستجد تساؤلات جوهرية حول مستقبل مجلس التعاون الخليجى وبقائه فى ظل الانقسام الراهن ما بين السعودية أو الإمارات والبحرين من جهة وقطر من جهة أخرى، وسعى كل من الكويت وسلطنة عمان للاحتفاظ بموقف الحياد بين المعسكرين لأسباب مختلفة، والأرجح أن يتجمد المجلس لفترة تجنباً للمواجهات فى داخله، دون أن تتوقف المشاورات بين أعضائه والمساعى الجارية لرأب الصدع فيه. وقد يقود الوضع الحالى إذا ما استمر طويلاً إلى تفكير بعض الدول الخليجية مجدداً فى فتح ملف توسيع عضوية مجلس التعاون الخليجى.

3 - من ناحية أخرى يطرح استمرار الأزمة على المدى المنظور تساؤلات لا تقل أهمية عن تنامى أدوار القوى الإقليمية غير العربية فى الشأن العربى بشكل عام، والشأن الخليجى على وجه التحديد، ونذكر تحديداً الدور الإيرانى الذى لا شك سوف يتعاظم سعياً لاستثمار الشقاق الناتج عن الأزمة الراهنة، والدور التركى كذلك الذى يسعى دائماً لتوسيع دائرة نفوذه فى الإقليم إلى ما هو أبعد من تدخله فى كل من العراق وسوريا لإيجاد موطئ قدم فى الخليج.

4- وهناك تساؤل لابد من الوقوف أمامه حول مدى تماسك مجموعة الرباعية العربية فى ظل إطالة أمد الأزمة واحتمالات إقدام بعض أطرافها لمراجعة موقفها فى ظل المتغيرات الإقليمية والدولية التى يصعب التنبؤ بها وسط حالة السيولة التى تمر بها المنطقة، وهو ما يفرض على مصر فى تلك الحالة التمسك بموقفها الثابت وعدم المساومة على جوهر مطالبها إزاء السياسات القطرية والتى تتمثل فى ضرورة التخلى عن دعمها للإرهاب والكف عن تدخلها فى الشأن الداخلى المصرى من خلال دعمها غير المبرر لجماعة الإخوان المحظورة ووقف حملات الدعاية المسمومة التى تبثها الدوحة ضد مصر.

تطورات الأزمة مع قطر اقليميا ودوليا

لقد اتســـمت الأزمة مع قطر ببداية عالية وقوية، وبذلت جهود إقليمية ودولية فى محاولات جادة لتخفيف حدتها وتجزئتها إلى عنـــاصر يمكن الاتفاق عليها وأخرى يمكن التفاوض بشـــأنها، إلا أن أطراف الأزمة تمســـك كل منهم بموقعه حتى وإن أبدى شيئا من المرونة إلا أنها مرونة مشروطة بما يعيد الموقف إلى ما يقرب من نقطة البداية حتى وإن بدت الصورة مبـــشرة بانفراجة هنا أو هناك وبقيت الأزمة تراوح مكانها حتى الآن، على الأقل فى عقدتها الأساسية ولكن الاتجاه العام لتطورات الأزمة يقود إلى الوساطة والحوار.

سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

نقطة البداية

تم تسريب كلمة للأمير تميم بن حمد آل ثان أمير قطر نســـب إليه تناول عدة نقاط تتلخص فيما يلى:

- إن إيـــران دولة جارة لدول الخليج لها دور مهم فى أمن الخليج والمنطقة ومن ثم تحكم العلاقـــات بينها ودول الخليج علاقات حسن الجوار.

- إن بعض الدول تتبع أسلوبا دينيا متشددا ربما يؤدى إلى التطرف.

- إن دولا تختلـــف الســـلطة فيها مع جماعات دينيـــة وتعتبرها جماعات متطرفة بينما الخلاف بينهما سياسى.

وقد جاء هذا التسريب بعد نحو ثلاثة أيام من عقد القمـــة الأمريكية الخليجية فى الريـــاض فى 2017/5/20 بحضور الرئيس الأمريكـــى ترامب والاتفاق على التعـــاون فى مواجهة مخاطر تمدد إيران ورعايتهـــا للإرهاب. وأعقبت هذه القمة، قمة أخرى بين الدول الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أنكر المســـئولون القطريون ما نسب لأميرهم واعتبروه اختراقا إليكترونياً مفـــبركاً بينما أكدت أطراف ســـعودية وإماراتية وبحرينية صحة ما نسب لأمير قطر وأنه خروج على ما تم الاتفاق عليه فى القمتين وتدخل فى الشـــئون الداخلية للدول الأخرى وأن قطر لا تحترم ما تتفق عليه وتصاعـــدت حدة الاتهامات بين كل من مصر والســـعودية والإمارات العربية والبحرين من ناحيـــة وقطر من ناحية أخرى وانتقلت من المســـتويات الإعلامية إلى المستويات الرسمية.

قفزة تصعيدية عالية

أعلنت الدول الأربع «مصر والسعودية والإمارات العربية والبحرين» فى 5 يونيو 2017 قطـــع العلاقات الدبلوماســـية والقنصليـــة مع قطر وإغـــلاق كل من السعودية والإمارات والبحرين حدودها البرية والبحرية ومجالهـــا الجوى أمام وسائل النقل البرى والبحرى والطائرات القطرية، وإعطـــاء المواطنين القطريين المقيمين فى الـــدول الثلاث مهلة 14 يوماً للمغـــادرة إلى بلدهم وقـــد اكتفت مصر بإغلاق الموانـــئ البحرية والمطارات أمام الســـفن والطائرات القطرية، وسمحت للطلبة والدارســـين القطريين المقيمين فى مصر بالبقاء لاســـتكمال دراســـاتهم ويلاحظ أن مصر لم تتخذ إجراءات معينة تجاه القطريين المقيمين على أراضيها.

وأعلنت قطر أنها لم تتخذ أية إجراءات تجاه المواطنين المصريين والســـعوديين والبحرينيـــين والإماراتيين المقيمين على أراضيها هذا وقـــد أصدرت الدول الأربع قائمة بثلاثة عشر مطلباً موجهة إلى قطر تولت دولة الكويـــت ـ التى تقوم بدور الوساطة ـ تسليمها إلى الدوحة وتتلخص هذه المطالب فى الآتى:

1 - إعلان قطر رســـمياً عن خفض التمثيل الدبلوماسى مـــع إيران، وإغلاق الملحقيـــات ومغادرة العنـــاصر التابعة والمرتبطـــة بالحرس الثـــورى الإيرانى، والاقتصـــار على التعـــاون التجارى مع إيران وبما لا يخل بأمن مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وحظر أى تعاون عسكرى أو استخباراتى مع إيران.

2 - قيـــام قطر بالإغـــلاق الفورى للقاعدة العســـكرية التركيـــة الجارى إنشاؤها حالياً، ووقف أى تعاون عسكرى مع تركيا داخل الأراضى القطرية.

3 - إعلان قطر قطـــع علاقاتها مع جميع التنظيمـــات الإرهابية والطائفية والأيديولوجيـــة وعلى رأســـها الإخوان المســـلمين وداعش والقاعدة وفتح الشام «جبهة النصرة ســـابقا» وحـــزب الله، وإدراجهم كيانـــات إرهابية وضمهم إلى قواعـــد الإرهاب المعلن عنهـــا من الدول الأربع، وإقرارها بتلـــك القوائم والقوائم المستقبلية التى سيعلن عنها.

4 - إيقاف جميع أشـــكال التمويل القطرى لأفـــراد أو كيانات أو منظمات إرهابية أو متطرفة، وكذا المدرجين ضمن قوائـــم الإرهاب فى الـــدول الأربع، وكذا

القوائم الأمريكية والدولية المعلن عنها.

5 - قيام قطر بتسليم جميع العناصر الإرهابية المدرجة والعناصر المطلوبة لدى الدول الأربع، وكذا العناصر الإرهابية المدرجة بالقوائم الأمريكية والدولية المعلن عنها والتحفظ عليهم وعلى ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة لحين التسليم، وعدم إيواء أى عناصر أخرى مستقبلا والالتزام بتقديم أى معلومات مالية وتسليم كل من أخرجتهم قطر بعد قطع العلاقات وإعادتهم إلى أوطانهم.

6 - إغلاق قنوات الجزيرة والقنوات التابعة لها.

7 - وقف التدخل فى شئون الدول الداخلية ومصالحها الخارجية، ومنع منح الجنسية لأى مواطن يحمل جنسية إحدى الدول الأربع، وإعادة كل من تم منحه الجنسية فى السابق بما يخالف قوانين وأنظمة هذه الدول وتسليم قائمة تتضمن جميع من تم تجنيسه من هذه الدول الأربع، وقطع الاتصالات مع العناصر المعارضة للدول الأربع، وتسليمها كل الملفات السابقة للتعاون بين قطر وتلك العناصر مضمنة بالأدلة.

8 - تعويض الضحايا والخسائر جميعها، وما فات من كسب للدول الأربع بسبب السياسة القطرية خلال السنوات السابقة، وسوف تحدد الآلية فى الاتفاق الذى سيوقع مع قطر.

9 - أن تلتزم قطر بأن تكون دولة منسجمة مع محيطها الخليجى والعربى على جميع الأصعدة «عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً» بما يضمن الأمن العربى الخليجى والعربى، وقيامها بتفعيل اتفاق الرياض لعام 2013 واتفاق الرياض التكميلى لعام 2014.

10 - تسليم قطر جميع قواعد البيانات الخاصة بالمعارضين الذين قاموا بدعمهم وكذلك إيضاح جميع أنواع الدعم الذى قدم لهم.

11 - إغلاق كافة وسائل الإعلام التى تدعمها قطر بشكل مباشر أو غير مباشر «على سبيل المثال مواقع: عربى 21، ورصد، والعربى الجديد، ومكملين،

وشرق، وميدل ايست أى.. على سبيل المثال لا الحصر».

12 - جميع هذه الطلبات تتم الموافقة عليها خلال عشرة أيام من تاريخ تقديمها وإلا تعتبر ملغاة.

13 - سوف يتضمن الاتفاق أهدافاً واضحة وآلية واضحة، وأن يتم إعداد تقارير متابعة دورية مرة كل شهر للسنة الأولى، ومرة كل ثلاثة أشهر للسنة الثانية ومرة كل سنة لمدة عشر سنوات.

وقد رفضت قطر هذه المطالب واعتبرت أنها تدخل فى سيادتها وتمثل إملاء شروط غير مقبولة عليها، وأنها ترفض أى تدخل فى سياستها وسيادتها أو فى إعلامها.

وانقضت مهلة الأيام العشرة دون أن تنفذ قطر أى من قائمة المطالب وقال وزير خارجية قطر فى حديث للتليفزيون الفرنسى فى 2017/6/22 أنه يدعو إلى بحث الأسباب الحقيقية التى أدت إلى اتخاذ تلك الإجراءات العقابية ضد دولة قطر وأنه لا يرى أن أيا من الاتهامات التى يتحدثون عنها واقعية، وأن ما تتعرض له بلاده حصار جائر.

أصداء ومواقف:

شعرت الأسرة الحاكمة فى قطر عقب قطع الدول الأربع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية وإغلاق الطرق البرية والبحرية والجوية وطرد الرعايا القطريين من الدول الثلاث على النحو الموضح سابقاً، أن النظام فى خطر وأن كل احتمالات واردة وبدأ كل المسئولين فى السلطة وخارجها التحرك على كافة المستويات بتوضيح موقف قطر وطلب المساعدة خاصة أن نحو 80% أو يزيد من السلع والبضائع التى تستوردها قطر تأتى عبر الطريق البرى مع السعودية، وهذا يتطلب التحول إلى الطريق البحرى لموانئ قطر مباشرة وفى المرحلة الأولى بمساعدة النقل الجوى لتلبية احتياجات القطريين.

وقد استجابت عمان والكويت لمتطلبات احتياجات قطر عن طريق موانئهما البحرية، وأبدت الهند استعدادها لتلبية احتياجات قطر خاصة وأنه توجد فى قطر جالية هندية كبيرة وأرجعت عمان والكويت موقفهما إلى الحرص على الروابط بين دول مجلس التعاون الخليجى من ناحية، وعدم اتجاه قطر بدرجة كبيرة إلى إيران وتركيا، وخاصة إيران لما فى ذلك من حساسية للدول المقاطعة لقطر وخاصة السعودية وقد توجه قطاع من السياحة الكويتية والعمانية إلى قطر لتعويضها عن بعض من خسارتها فى مجال السياحة. هذا وقد تنوعت مواقف بعض الدول من الأزمة مع قطر، نوجزها على النحو التالى:

1 - موقف تركيا وقد كانت من بين أسرع الدول فى إعلان التضامن مع قطر واستنكار العقوبات التى فرضت عليها وقطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية معها واعتبرت العقوبات تجاوزاً غير

مقبول فى حق سيادة قطر.

وقد أسرع البرلمان التركى باعتماد إرسال مئات من القوات التركية إلى قطر بناء على الاتفاق العسكرى الموقع بين البلدين فى عام 2014 والبدء فى إقامة قاعدة عسكرية تركية فى قطر وأوضح وزير الدفاع التركى أن هذه القوات التركية ليست موجهة ضد أحد وإنما للدفاع ليس فقط عن قطر وإنما عن دول الخليج الأخرى وقد كانت موافقة البرلمان التركى يوم 2017/6/7 أى بعد يومين فقط من فرض العقوبات على قطر، وهو ما يدل بوضوح على أن الهدف من وجود القوات التركية فى قطر حماية النظام من أى احتمالات للتدخل ومؤشر أيضاً على أن قطر لم تكن متأكدة على وجه الدقة وبالثقة الكافية فى الموقف الأمريكى والقاعدة الأمريكية فى العديد فى قطر.

وثمة عدة أسباب للجوء قطر إلى تركيا منها أنهما ينتميان إلى فكر جماعة الإخوان المسلمين وأن تركيا عضو فى الناتو وحليف للولايات المتحدة ولن يغضب وجود قوات لها فى قطر واشنطن، كما أن تركيا شريك رئيسى للسعودية فى حربهما فى سوريا ضد القوات الإيرانية ومليشيات حزب والله ولذا فلن يكون موقف السعودية رافضاً كلية لوجود القوات التركية فى قطر رغم عدم الرضا عن وجودها تماماً، وأن المشاركة والمصلحة مع تركيا تحد من حدة غضب الرياض.

وقد صرح وزير الدفاع التركى فى 2017/6/23 أن بلاده لا تعتزم إعادة تقييم وجود قاعدتها العسكرية فى قطر، وأن أى مطلب بإغلاقها سيمثل تدخلاً فى العلاقات بين تركيا وقطر، وأنه لم يطلع على أى طلب بإغلاق القاعدة وقال الرئيس التركى أردوغان أنه لن يسحب القوات التركية من قاعدتها فى قطر، وأن مثل هذا الطلب ينطوى على عدم احترام لتركيا، وأن بلاده لن تستأذن الآخرين عند إبرام اتفاقات تعاون عسكرى بينها وأى دولة، وأن تركيا تؤيد موقف قطر من قائمة المطالب المقدمة لها من الدول التى قاطعتها وقال إنها مطالب مخالفة للقانون الدولي، ورحب برفض قطر لها وأشار إلى أنهم عرضوا إقامة قاعدة عسكرية تركية فى السعودية ولم يتلقوا رداً رسمياً رغم إعلان السعودية رفضها للعرض.

وقد قام الرئيس التركى أردوغان بجولة زار خلالها السعودية والكويت وقطر والهدف الرئيسى من الجولة أن يوضح للسعودية أن الاختلاف حول الأزمة مع قطر لا يجب أن يؤثر على المشاركة الاستراتيجية بين السعودية وتركيا ولا على المصالح المشتركة التى تجمع بينهما كذلك يوضح للكويت دعم تركيا لوساطتها بين قطر والدول الأربع وأن الحوار سواء غير المباشر أو المباشر هو السبيل لحل الأزمة والمحافظة على روح التعاون بين دول مجلس التعاون الخليجى وكذلك التأكيد لقطر على وقوف تركيا إلى جانبها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً حتى تجتاز هذه الأزمة.

وقد أجرت قطر فى 2017/8/7 مناورات عسكرية مشتركة مع قوات تركية فى استعراض لتحالفهما الاستراتيجى. وجاء فى وسائل الإعلام القطرية أن المناورات تهدف إلى إعداد القوات المسلحة القطرية للدفاع عن المرافق الحيوية والاقتصادية والبنية التحتية فى البلاد.

2 - موقف إيران - أبدى الرئيس الإيرانى حسن روحانى فى اتصال هاتفى مع أمير قطر فى 2017/6/26 دعمه لقطر فى مواجهتها مع السعودية «وفقاً لما نسب إليه» وأن الحصار المفروض على قطر غير مقبول، وأن إيران شعباً وحكومة تقف مع قطر.

وقال إنه إذا كان ثمة نزاع بين دول إقليمية فإن الضغوط والتهديدات والعقوبات، ليست الطريق الصحيح لحل الخلافات، وأن حصار قطر غير مقبول لإيران، وأن المجال الجوى والبرى والبحرى فى إيران سيبقى مفتوحاً دائماً أمام قطر كدولة شقيقة وجارة.

وجدير بالذكر أن إيران وقطر تربطهما مصالح اقتصادية وبترولية وغاز، حيث يشتركان فى استغلال واحد من أكبر حقول الغاز فى المنطقة المشتركة بينهما فى الخليج.

وقد عرضت إيران على قطر عقب فرض العقوبات عليها إقامة خط ملاحى بحرى مباشر من ميناء بوشهر الإيرانى إلى قطر بهدف توسيع التجارة غير النفطية بين البلدين واستخدام الحاويات المبردة. وازداد توافد التجار الإيرانيين من محافظة بوشهر لعقد الصفقات التجارية مع نظرائهم فى الدوحة. وعقد فى طهران يوم 2017/8/5 اجتماع ثلاثى إيرانى تركى قطرى شارك فيه وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات الإيرانى، ووزير الاقتصاد التركى ووزير الاقتصاد والتجارة القطرى الشيخ أحمد بن جاسم بن محمد آل ثان وهو الذى مثل قطر فى حفل تنصيب الرئيس روحانى لولاية ثانية وبحث الاجتماع الثلاثى تعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية باعتبار أن تركيا وإيران تمدان قطر بما يعوضها عن فرض المقاطعة الاقتصادية والتجارية عليها، وبحث تنشيط طريق شاحنات برى من تركيا إلى ميناء بوشهر الإيرانى بدلاً من خط النقل الجوى التركى الذى نظم 221 رحلة طائرات شحن منذ فرض المقاطعة وذلك على اعتبار أن النقل البرى أقل تكلفة.

وأن عدم مشاركة أمير قطر فى حفل تنصيب الرئيس الإيرانى رغم توجيه الدعوة له يكون بغرض عدم إثارة دول الخليج وعدم زيادة صعوبة الوساطة الكويتية والجهود الأمريكية لتسوية الأزمة.

3 - الولايات المتحدة الأمريكية. كان الرئيس الأمريكى ترامب أبدى رأيا أكد فيه بأن قطر عرفت بتمويل الإرهاب وأنه أبلغهم بضرورة التوقف عن ذلك وأن علاقات واشنطن مع قطر جيدة ولكن لو اضطرت الولايات المتحدة إلى ترك القاعدة فى قطر فسترحب عشر دول بإقامة قاعدة

على أراضيها والملاحظ أن هذا الرأى صدر عن ترامب بعد ساعات من مغادرة وزير الخارجية الأمريكى الدوحة يوم 2017/7/13 فى نهاية محاولة لإحداث انفراجة فى الأزمة حيث عقد اجتماعاً فى الرياض مع وزراء خارجية مصر والسعودية والبحرين والإمارات وزار الكويت. ووقع تيلرسون مذكرة تفاهم مع نظيره وزير خارجية قطر بشأن مكافحة تمويل الإرهاب ولم تتسرب بنود المذكرة إلا أن أجهزة الإعلام العالمية أشارت إلى قبول قطر وجود مراقبين أمريكيين فى قطر لمراقبة عمليات التحويلات البنكية إلى الجمعيات لضمان عدم حدوث تمويل لمنظمات أو جماعات إرهابية.

وقد أكملت قطر التعاقد مع واشنطن على صفقة طائرات بنحو 12 مليار دولار أمريكى وأشارت الأنباء إلى اكتشاف بئر غاز كبير فى مياه قطر وتعمل الشركات الأمريكية على التعاقد على استغلال وتسويق إنتاج البئر خشية أن يكون من نصيب الصين أو دولة أخرى وأن هذه الشركات كانت وراء قيام وزير الخارجية تيلرسون بجولته وتوقيعه مذكرة التفاهم المشار إليها لتغطية موقف قطر فى مواجهة الأزمة والضغوط التى تتعرض لها.

كان تيلرسون قد صرح فى بداية الأزمة أن مطالب الدول الأربع فيها بعض البنود صعبة التطبيق وأكد فى كل المراحل تأييد الوساطة الكويتية وحل الأزمة مع قطر فى أقرب وقت لأنها بدأت تثير قلق واشنطن.

وعين وزير الخارجية الأمريكى مبعوثين للتعامل مع الأزمة أحدهما الجنرال المتقاعد انتونى زينى وهو خبير عسكرى وسياسى فى شئون المنطقة وسبق أن تولى عدة مهام بين الفلسطينيين والإسرائيليين وفى باكستان وأثيوبيا وأريتريا والصومال. والثانى هو تيمونى ليندر كينج نائب مساعد وزير الخارجية لشئون الخليج وقد بدآ مهمتهما يوم 2017/8/6 بالكويت ثم السعودية والإمارات والبحرين ومسقط ومنها إلى الدوحة وذلك بغرض تحريك الوساطة

والمفاوضات لإحداث انفراجة فى الأزمة مع قطر، حيث إن واشنطن حريصة على تماسك مجلس التعاون الخليجى والاستقرار فى علاقاتها مع أعضائها لما لها من أهمية استراتيجية واقتصادية وتجارية وفى توقيت تتجه فيه إلى تسوية المنازعات فى المنطقة وتحجيم التمدد الإيرانى.

وإن التفاوت فى المواقف بين ترامب ووزير خارجيته تيلرسون هو لتحقيق مصالح حيوية أمريكية ومحاولة عدم إغضاب أحد من أطراف الأزمة على الجانبين لإدراك واشنطن أنه مهما طال أمد انسداد الطريق أمام انفراجة فإنها لابد قادمة بدافع من المصالح المشتركة والمتداخلة بين جميع الأطراف مهما تنازعوا، فبينما يتهم ترامب قطر بأنها كانت تمول الإرهاب تجرى القوات الأمريكية مناورات عسكرية مشتركة مع القوات القطرية وتنطلق الطائرات الأمريكية من قاعدة العديد فى قطر لمحاربة داعش فى سوريا والعراق بمشاركة قطر.

4 - الدول الأوروبية. لقد توافد وزراء خارجية عدد من الدول الأوروبية فى جولات مكوكية بين الدول الضالعة فى الأزمة مع قطر كل منهم كان لديه أمل فى أن يحدث انفراجة فى الأزمة ويقنع أطرافها بمساعدة الوسيط الكويتى تمهيداً للوصول فى حوار مباشر وذلك على ضوء رؤية الدول الأوروبية من أن قطر عضو فى مجلس التعاون الخليجى ويفترض أن يعقد المجلس اجتماعات خاصة للبحث عن حلول عملية للأزمة وهو ما لم يحدث لفترة طال أمدها أكثر مما كان متوقعا.

- كان رأى وزير خارجية ألمانيا منذ بداية الأزمة أن بعض المطالب الثلاثة عشر «استفزازية» ويصعب على قطر الاستجابة لها وقال فى ختام جولته فى قطر إنه يتعين رفع العقوبات عن قطر لأنها تضر شعب قطر ومن المهم بدء الحوار بحثاً عن حل.

- أما وزير خارجية بريطانيا فقد كان أكثر حرصاً حيث اكتفى فى نهاية جولته بالقول إنه لا يبدو أن ثمة حل قريب للأزمة وأعرب عن دعم الوساطة الكويتية.

- وقال وزير خارجية فرنسا عقب جولته إن حكومته تدعم الوساطة الكويتية وطالب برفع العقوبات عن قطر لأنها تضر بشعبها وأن قطر على استعداد للتفاوض وأنه يجب تطبيق معايير مكافحة الإرهاب على الجميع.

- ولم يختلف موقف فيديريكا موجيرينى مسئولة العلاقات الخارجية فى الاتحاد الأوروبى عن مواقف وزراء الخارجية الأوروبيين الذين سبقوها بزيارة دول الأزمة بشأن دعم الوساطة الكويتية وأهمية الحوار لحل الأزمة.

- عرضت روسيا وساطتها دون إلحاح ولم تتلق رداً من السعودية

والإمارات والبحرين ربما لارتباط روسيا بإيران وقطر ودعمها للنظام السورى.

لجوء قطر للمنظمات الدولية:

قامت قطر فى إطار حملتها السياسية والدبلوماسية للشكوى من المقاطعة المفروضة عليها من الدول الأربع بعدة تحركات لدى المنظمات الدولية.

- عقد وزير خارجية قطر لقاءات مع سكرتير عام الأمم المتحدة فى نيويورك ومع رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ومع وكيل أمين عام الأمم المتحدة للشئون السياسية حيث اعتبر الوزير أن العقوبات ضد بلده تمثل انتهاكاً للقانون الدولى وأن حكومته تدعو للحوار لحل الأزمة على أساس احترام القانون الدولى وسيادة قطر وناشد المنظمة الدولية القيام بدورها إذا استمرت - ما أسماه - هذه الانتهاكات ضدها.

- قدمت قطر شكوى ضد الدول الأربع لمنظمة الطيران المدنى «ايكاو» لإغلاق مجالاتها الجوية أمام طائرات قطر وعقدت المنظمة اجتماعاً طارئا لنظر الجوانب الفنية دون السياسية وقبلت ما قدمته الدول الأربع من ثمانى ممرات جوية للطوارئ لطائرات قطر فى المجال الجوى الدولى أى خارج المجال الجوى للدول الأربع.

- قدمت قطر شكوى لمنظمة التجارة العالمية ضد فرض الدول الأربع المقاطعة التجارية على قطر وما تلحقه من أضرار لها وقد يستغرق نظر هذه الشكوى بعض الوقت.

- اشتكت قطر للأمم المتحدة عن طريق لجنة حقوق الإنسان القطرية من الصعوبات التى تواجه القطريين لأداء العمرة وفريضة الحج بسبب إغلاق السعودية الحدود البرية والبحرية والمجال الجوى مع قطر مما أدى إلى عدم تسجيل حجاج قطريين هذا العام.

وقد ردت السعودية وتضامنت معها الدول الثلاث بالتحذير من تداول مسألة الشعائر الدينية وأكدت أن الحجاج القطريين مرحب بهم ولكن على وسائل نقل غير قطرية وقد أثارت هذه الشكوى حساسية شديدة لدى السعودية وشنت حملة إعلامية فى الدول الأربع تنتقد بقوة موقف قطر واتهامها بالتلاعب بالمشاعر الدينية.

- استغلت قطر مطلب إغلاق قناة الجزيرة وأثارت حملة واسعة عن طريق النقابات الإعلامية فى عدة دول وبعض الصحفيين الأجانب الذين اعتبروا أن هذا المطلب يتناقض مع الحرية الإعلامية وحرية الرأى وتجاهلوا حملات التشويه التى تمارسها قنوات شبكة الجزيرة والقنوات الأخرى المدعومة من قطر.

وقد رد وزير الدولة للشئون الخارجية فى الإمارات العربية على هذه الحملة بقوله: إنه ليس ضروريا إغلاق شبكة قنوات الجزيرة وإنما إعادة هيكلتها.

- قدمت قطر شكوى إلى مجلس الأمن وسكرتير عام الأمم المتحدة ضد مصر تتهمها فيها باستغلال عضويتها داخل المجلس لتحقيق أغراض سياسية خاصة. وقد رد مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة بأن الشكوى تضمنت العديد من المغالطات والأكاذيب لأن مصر ملزمة بمكافحة الإرهاب بكافة أشكاله وصوره مما يفرض عليها كشف ممارسات وأنشطة قطر ودعمها المالى والأيديولوجى للجماعات الإرهابية فى الشرق الأوسط وأجزاء أخرى من العالم وأن مصر تطالب دائما بضرورة أن يحاسب مجلس الأمن الدول التى لا تمتثل لقراراته والتحقيق فيما يتردد عن قيام النظام القطرى فى حالات محددة بدعم الإرهاب لأن دعم الإرهاب بالتمويل أو السلاح أو توفير ملاذ للفارين أو التحريض أو الترويج له لا تقل وطأة وجسامة عن العمل الإرهابى ذاته وتتطلب محاسبة الضالعين فيها وأن دعم قطر للإرهاب فى سوريا والعراق وليبيا أبرزته تقارير صادرة عن فريق خبراء لجنة عقوبات ليبيا وسبق عرضها على مجلس الأمن.

صياغات جديدة مشروطة لموقف الدول الأربع:

1 - خرجت الصياغة الأولى عقب رفض قطر المطالب الثلاثة عشر وانتهاء مهلة الأيام العشرة والمهلة الإضافية لمدة 48 ساعة التى طلبتها الكويت وفى نهاية مؤتمر وزراء خارجية الدول الأربع فى القاهرة فى 2017/7/5 والتى تتلخص فى نقاط أساسية هى:

- أن رد قطر على مطالب الدول الأربع كان سلبياً ويفتقر لأى مضمون ولا يضع أى أساس لتراجع قطر عن السياسات التى تنتهجها وينم عن عدم إدراك لخطورة الموقف.

- ضرورة إلزام قطر بمكافحة التطرف والإرهاب.

- إيقاف كافة أعمال التحريض على الكراهية والعنف.

- الالتزام باتفاق الرياض لعام 2013 واتفاق الرياض التكميلى لعام 2014.

- الالتزام بالاتفاقيات والمواثيق والقرارات الدولية والمبادئ المستقرة فى مواثيق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامى واتفاقيات مكافحة الإرهاب الدولى.

- الالتزام بكافة مخرجات القمة العربية الإسلامية - الأمريكية فى الرياض.

- عدم التدخل فى الشئون الداخلية لدول المنطقة «دول المجلس - ومصر».

- مسئولية دول المجتمع الدولى عن مكافحة الإرهاب.

- أن دعم الإرهاب والتدخل فى شئون الدول الأخرى قضايا لا تحتمل المساومة ولابد من توفير الظروف المناسبة لحل الأزمات وعدم التسامح مع الدور التخريبى لدولة قطر.

وقد عقد وزراء خارجية الدول الأربع اجتماعا آخر فى المنامة يومى 29و30 يوليو 2017 أكدوا فيه من جديد على بيان القاهرة وأبدوا استعدادهم للحوار مع قطر بشرط أن تعلن عن رغبتها «الصادقة والعملية» فى وقف دعمها وتمويلها للإرهاب والتطرف ونشر خطاب الكراهية والتحريض والالتزام بعدم التدخل فى شئون الدول الأخرى

وتنفيذ المطالب الثلاثة عشر العادلة التى تضمن السلم والأمن والاستقرار فى المنطقة والعالم.

وأكدوا أن كل الإجراءات التى تم اتخاذها تجاه قطر تعد من أعمال السيادة وتتوافق مع القانون الدولى.

واستنكروا عرقلة قطر إجراءات حج القطريين وتسييس شعائر الحج والعمل على تدويلها.

استئناف الوساطة الكويتية:

استأنفت الكويت وساطتها بين أطراف الأزمة بعد فترة هدوء وذلك على أمل إحداث انفراجة وبدء حوار على طريق الحل وقد تزامن عودة نشاط الوساطة الكويتية مع وصول المبعوثين الأمريكيين فى 6/8/ 2017. وبدأت جولات مكوكية لكلا الجهود الكويتية والأمريكية وقد تسرب عن الجهود الكويتية السعى بعقد قمة لكل أطراف الأزمة «الدول الأربع وقطر» والوساطاء للتوصل إلى صيغة بضمان الولايات المتحدة والكويت تلتزم قطر بتنفيذها فيما يتعلق بعدم تمويل الإرهاب والتطرف وعدم إيواء الإرهابيين وعدم إتاحة منصة إعلامية لهم للحض على العنف والكراهية وعدم التدخل فى شئون الدول الأخرى.

وثمة عوامل دافعة نحو هذا الاتجاه منها قرب عقد اجتماعات مجلس التعاون الخليجى فى الكويت والموقف من دعوة قطر لحضورها خاصة وأنها تعقد على أرض الوسيط وهو الكويت وقرب زيارة أمير الكويت للولايات المتحدة فى 6/9/2017 ويسعى لتحقيق افنراجة فى الأزمة مع قطر قبل الزيارة وقرب انعقاد الدورة السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر 2017، والأمل فى ألا تغطى الأزمة مع قطر على الأزمات العربية الأخرى.

ملاحظات عامة:

يلاحظ على مسار الأزمة مع قطر منذ بدايتها فى 5/6/2017 حتى 12/8/2017 ما يلى:

1 - أن الأزمة بدأت بعقوبات عالية وصارمة تجاه قطر ومطالب تداخلت فيها الجوانب السياسية مع المطالب الرئيسية المتصلة بردع قطر عن دعمها للإرهاب وجاء المطلب الأول والثانى فى صدر قائمة المطالب الثلاثة عشر خاصين بعلاقات قطر مع إيران وتركيا فأوجدا ثغرة كبيرة نفذت منها قطر للمراوغة والشكوى والمظلومية والدفاع عن سيادتها واستقلالها فى علاقاتها مع الدول الأخرى.

كما أن صياغة بقية بنود المطالب الثلاثة عشر واشتراط تنفيذها دون أى حوار بشأنها ووضع حد زمنى لتنفيذها لا يتجاوز عشرة أيام أغلق الباب أمام المواقف المرنة ودفع قطر إلى الحائط فكان رد فعلها الرفض والعناد.

2 - أن الصيغة لمطالب الدول الأربع عقب مؤتمر القاهرة فى 5/7/2017 هى الأكثر عملية وفاعلية لأنها تنصب بصورة مركزة على منع قطر من دعم الإرهاب والإرهابيين دون تداخل مع أمور أخرى كما أنها تتوافق مع موقف أغلبية الدول التى تعاملت مع الأزمة ولكن قطر أخذتها على أن فيها تراجعاً عن عدة بنود فى المطالب الثلاثة عشر وشجعها ذلك على مزيد من العناد وعدم التجاوب معها وتوسعت فى الشكاوى والاتصالات الدولية فى محاولات مستميتة لإظهار مظلوميتها.

3 - أظهرت الأزمة عدم توحد موقف دول مجلس التعاون الخليجى تجاه قطر حيث وقفت عمان والكويت على الحياد وهو ما أتاح للكويت القيام بدور الوساطة وتساعدها عمان كما أنهما تقدمان لقطر كل التسهيلات فى الموانئ والمطارات لإمدادها باحتياجاتها من السلع والبضائع المختلفة وقد ظل مجلس التعاون الخليجى مستبعداً فى كل مراحل الأزمة حتى الآن «21/8/2017» رغم إلحاح قطر على استعدادها للحوار وتأكيد السعودية والإمارات والبحرين أن حل الأزمة ليس فى أى عاصمة أو دولة أخرى وإنما سيكون داخل مجلس التعاون الخليجى وبناء عليه استبعدت أيضا جامعة الدول العربية، إلا من بعض التصريحات لأمنها العام.

4 - أظهرت الأزمة مدى اهتمام الدول الكبرة بمنطقة الخليج وسعيها إلى إحداث انفراجة فى الأزمة حتى لا تؤثر سلبيا على الاستقرار والوفاق فيها وما قد يكون له من تأثيرات سلبية على مصالحها الحيوية سواء كانت اقتصادية وتجارية أو استراتيجية واستثمارية لذا كان تركيزهم أساساً على ضرورة بدء حوار بين أطراف الأزمة للتوصل إلى حل لها.

5 - اختلاف فى مواقف الدول الأوروبية والولايات المتحدة عن موقف الدول الأربع بالنسبة لمحاسبة قطر على دعمها للإرهاب والتحريض على الكراهية. هل تكون المحاسبة والمعاقبة لقطر من الآن فصاعدا كما ترى هذه الدول أم تكون عن مجمل ما قامت وتقوم وما ستقوم به كما ترى الدول الأربع.

وكذلك اختلاف آخر حول تنفيذ قطر لمطالب الدول الأربع فأى هذه المطالب واجب التنفيذ وأيها صعب التنفيذ، وهل تنفذ المطالب ثم يبدأ الحوار أم يجرى الحوار حول المطالب وتنفيذها؟

6 - إن إطالة بقاء الأزمة مع قطر يجعلها تقترب أكثر من إيران وتركيا من ناحية وتعيد ترتيب علاقاتها الاقتصادية والتجارية والاستثمار مع أطراف أخرى وعلى مدى الطول. كما أن استمرار حالة الانقسام داخل مجلس التعاون الخليجى يؤثر سلبياً على وحدته واستقرار المنطقة خاصة وأنه توجد داخل المجلس خلافات أخرى كامنة بشأن الأزمة اليمنية.

7 - ساهمت الحملات الإعلامية الساخنة من جانب كل أطراف الأزمة فى زيادة سخونتها وتبادل الاتهامات وتجسيم الخلافات دون الأخذ فى الاعتبار أن الأزمة لابد أن تنتهى بالحوار والاتفاق على تسوية ترضى كل الأطراف وتحقق الأهداف الرئيسية وهى توقف قطر عن دعم الإرهاب والتحريض على الكراهية والتدخل فى شئون الآخرين.

فـــى المسألـــة القطـريـــة

ينص ميثاق الأمم المتحدة على ما يلى:

«ليس فى هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل فى الشئون التى تكون من صميم السلطان الداخلى لدولة ما. وجاء ميثاق جامعة الدول العربية، ليؤكد هذا المعنى على نحو أكثر تحديدًا فى المادة «الثامنة»:

«تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظم الحكم القائمة فى دول الجامعة الأخرى، وتعتبره حقًا من حقوق تلك الدول، وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير تلك النظم فيها».

وهو المبدأ الذى تناولته أيضًا اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية: مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول.

وفى تعريف بمنظمة «الانتربول»: يعتبر الإرهاب دوليًا إذا اجتمعت له العناصر التالية:

- أن تمس الأهداف المعلنة من جانب مرتكبيه أكثر من دولة.
- أن يبدأ ارتكابه فى بلد ما ثم ينتهى فى بلد آخر.
- أن ينتمى الضحايا إلى عدة دول.
- أن يقع الضرر على دول أو على منظمات دولية.

وكل ما سبق من أحكام ومبادئ دولية تخاطب ما تواجهه المنطقة وتحديداً الدول العربية الأربعة: مصر، السعودية، الإمارات، البحرين، من جرائم وإرهاب الدول الخليجية المارقة.

وهو ما ثبت بالأدلة والبراهين القاطعة من تورطها فى تجنيد وتمويل الجماعات بعشرات المليارات من الدولارات وبالدعم العسكرى بشحنات الأسلحة التى تنقلها الطائرات القطرية، إضافة إلى الدعم المعنوى من خلال وسائل الإعلام القطرية أو الممولة من قطر وفى مقدمتها «قناة الجزيرة»، ناهيك عن توفير الملاذ الآمن لقيادات الجماعات الإرهابية الهاربة من أحكام قضائية باتة، فيما ارتكبته من دعم للأعمال الإرهابية فى كل من مصر وليبيا وتونس والعراق وسوريا واليمن ولبنان والبحرين والسعودية والإمارات، ثم استهدفت تغيير نظم الحكم فى كل منها.. والتى

سفير د.محمود سليمان

أسفرت عن سقوط عشرات الآلاف وتشريد وهجرة الملايين بعد تدمير مساكنهم وممتلكاتهم.

كل ما سبق تم بالمخالفة لقرارات الأمم المتحدة: القرار رقم 2625 الخاص بإعلان مبادئ القانون الدولى فى شأن العلاقات الودية بين الدول «1970» حيث أكدت الجمعية العامة على الامتناع عن الأعمال الإرهابية فى دول أخرى أو التحريض عليها أو المساعدة أو المشاركة فيها أو تنظيم أنشطة داخلية توجه لارتكاب تلك الأفعال.

وهو ما أكده قرار لاحق 42/159 لعام 1987 إضافة إلى قرارات مجلس الأمن فى هذا الشأن التى أكدت فيها على ضرورة امتناع الدول عن تنظيم، أو التحريض على ممارسة الأعمال الإرهابية فى أراضى دول أخرى «قرار 1992/748» سواء إثر كارثة لوكيربى ثم فى قرارات تالية، إثر تدمير برجى نيويورك «2001/9/11».

على أن سلوكيات، أو جرائم قطر، قد تجاوزت ذلك كله، إلى ممارسات «إجرامية» تتحدى كل القوانين والأعراف الدولية والإقليمية.

وعلى خلاف ما كان متوقعًا من تراجع أو امتثال لمطالب دول الجوار الخليجية ومصر، إذا بها تفاجئ الجميع باتخاذ قرار باستضافة قاعدة عسكرية تركية قوامها ثلاثة آلاف جندى، لفترة غير محدودة، استضافة كاملة على نفقتها، إلى جانب القاعدة الأمريكية التى تضم عشرة آلاف، وهو ما رحبت به القيادات التركية باعتبارها فرصة ذهبية للتمركز فى الخليج العربى.

إن سوابق التدخل الأمريكى قدم نفسه كوسيط يدعو للتفاؤل.. وقد تكشف «السوابق» عن نتائج إيجابية.

وبرغم ما هو معروف من عدم اعتناق حكام الدوحة لعقيدة الإخوان، إلا أن ما قدمته من دعم مالى وسياسى وإعلامى، يذكر بما جاء فى كتب التاريخ عما كان يتلقاه الإخوان من دعم مالى بريطانى، ومن المفارقة أن ذلك الدعم، كان من عائدات «قناة السويس» يوم كانت تحت الإدارة البريطانية، لتخلفها واشنطن بعد ذلك.

ثم كان طبيعيًا أن تجمع السياسة الانتهازية بين الإخوان وقطر التى وجدت فيهم شبكة عنقودية تحقيق أطماعها فى التغلغل فى أقطار أخرى «سوريا مثلاً، حيث تمثلها «جبهة النصرة» أو ليبيا حيث يمثلها «الدواعش»، وقد كشف وزير العدل الأمريكى الأسبق «جون اشكروفت» أن رعاية قطر ودعمها للتنظيمات الإرهابية تمت بعلم الإدارات الأمريكية.

منطقة البحيرات العظمى الأفريقية

مسرح مستمر للصراعات والتكالب على أفريقيا

• الصراعات الأثنية سبب ونتيجة لأهمية المنطقة:

إعداد السفيرة د.عبير بسيونى

مراجعة الوزير المفوض محمد عرفى

abassiouny@hotmail.com

mmkorfy@gmail.com

1 – جغرافية المنطقة:

اكتسبت منطقة البحيرات العظمى الأفريقية، اسمها من كونها سلسلة من البحيرات وبحيرات الوادى المتصدع والتى تقع حول وداخل الوادى المتصدع الكبير فى أفريقيا، وتشمل بحيرة ڤيكتوريا، أكبر البحيرات العذبة فى العالم من حيث المساحة وبحيرة تنجانيقا، ثانى أكبر بحيرات العالم من حيث الحجم والعمق. هذا بالإضافة إلى بحيرات خمسة أخرى هى : نياسا (ملاوي) وتوركانا وألبرت وكيفو وإدوارد.

وسياسياً تشمل المنطقة حاليا خمس دول هى : بوروندى ورواندا وأوغندا والكونغو الديمقراطية وتنزانيا، وجغرافياً جميعها دول حبيسة فيما عدا تنزانيا، واقتصادياً جميعها له مراكز متفاوتة فى قائمة الدول الأقل نمواً فى العالم، وبها دولتان على الأقل على رأس الدول الأفقر على مستوى العالم (الكونغو احتلت مرتبة أفقر دولة فى العالم عام 2014، وبوروندى ثانى أفقر دولة فى العالم عام 2016.

تمتاز منطقة البحيرات العظمى بأهمية استراتيجية بالغة، ومن ثم فإن طبيعة الترتيبات الإقليمية السائدة فى المنطقة تعكس دائما مصالح القوى الإقليمية والدولية الفاعلة. فمنطقة البحيرات العظمى غنية بثرواتها الطبيعية، وهى أغنى مناطق إفريقيا بالماء، فهى خزان ماء ضخم وهى منبع نهر النيل، وفوق ذلك كله فثمة مخزون هائل من المعادن ذات الأهمية الاستراتيجية، مثل اليورانيوم، والكوبالت، والنحاس، والماس، والذهب، والنيكل، والأحجار الكريمة، وعلى صعيد الطاقة الكهربائية الهيدروليكية فإنه يمكن القول بأن شلالات إنجا تكفى لسد احتياجات القارة الأفريقية بأسرها.

ولهذا فإن هناك خططا استراتيجية لربط البحيرات العظمى بمنطقة القرن الأفريقي، وهو ما تجسد فى طرح المشروع الأمريكى للقرن الأفريقي، وذلك من أجل ضمان المصالح الأمريكية فى المنطقة والاعتماد فى ذلك على جيل من الزعماء الأفارقة يرتبطون بحكم الأقلية. فالمنطقة على هذا النحو تعتبر من أماكن الجذب قديماً وحديثاً طمعاً فى استيطانها أو الاستئثار بخيراتها.

2 – تعقيدات وإرث التاريخ وتداعياته

لطالما سادت المنطقة صراعات عرقية بين أطرافها، وهو الأمر الذى لا يزال حاضرا حتى الآن ، إذ تعانى المنطقة من أكبر حجم من الصراعات على الإطلاق من حيث العدد ومن حيث الأثر، ومازالت الأوسع من حيث المدى والنطاق، حتى وصفت بأنها مقبرة الجهود الإنسانية الدولية والأممية لعدم استمرارها من

جهة ولتضـــارب ذلك مع مصالح الدول القوية وذات المصالح.

لا غرو إذن بـــأن المنطقة تحوى أكبر عدد لاجئين على مســـتوى العالم وليس عـــلى مســـتوى أفريقيا فقط. ومؤخـــراً أصبحت مجـــالاً للإرهاب. كما تنتشر قوات المرتزقة بشـــكل كبير وتســـودها مناطق كثيرة خارجة عن سيطرة دولها.

وبنظرة تاريخية، فإن المنطقة شهدت خلال حقبة التســـعينيات تصاعداً كبيراً فى وتيرة الأحداث الدموية التى مرت بها المنطقة، وهو الذى دفع البعض لوصفها بـ «العشرية الحمراء» حيث مرت المنطقة بأحداث جســـام أبرزها: الحرب الأهلية البوروندية (1993- 2005(مذابح الإبادة الجماعية فى رواندا 1994، وحرب الكونغو الأولى (24 أكتوبر1996 – 16 مايـــو 1997) وتلك الأخـــيرة أى حرب الكونغو الأولى شـــكلت حدثـــاً تاريخياً فارقاً فى منطقة وســـط وشرق أفريقيا، حيث اجتاحت قوات الائتلاف الرواندي- الأوغندى شرق الكونغو وأعلنت تحالفها مع بعض حركات المعارضة الكونغولية على رأسها» تحالف القوات الديمقراطية لتحرير الكونغو» بقيادة «لوران ديزيريه كابيلا» للإطاحـــة بالرئيس الكونغولي» موبوتو»، وقد قامـــت بوروندى بتقديم دعم عسكرى محدود للتحالف الرواندي- الأوغنـــدى فى ضوء الرغبـــة الدولية فى التخلص من حكم الرئيس «موبوتو».

وعلى الرغم مـــن أن حرب الكونغو الأولى استغرقت قرابة سبعة أشهر فقط، إلا أن النتائـــج والتداعيات المترتبة عليها خلقت مفاهيم جديدة فى توازنات القوى فى المنطقـــة مازالت آثارها باقية إلى الآن. فالحرب التى أزهقت أرواح حوالى 800 ألف شخص، أدت إلى إنهاء حكم الرئيس «موبوتو» وفراره إلى المملكة المغربية عقب اجتياح قـــوات «لوران كابيلا» للعاصمة الكونغولية كينشاسا حيث نصب نفسه رئيســـاً للبلاد فى 31 مايو1997 . كما تصاعدت أســـهم «بول كاجامي» نائب الرئيس الرواندى ووزير الدفاع آنذاك، الذى سرعان ما وصل إلى ســـدة الحكم فى رواندا 24 مارس 2000 ليشكل رقماً صعباً ومهماً فى معادلة التوازنات وصراع القوى فى شرق أفريقيا.

وبالنســـبة للاجئين نشير على سبيل المثـــال لا الحصر مثلا أنـــه يتواجد فى بوروندى حـــوالى 10 الآف مواطـــن كونغولى مســـجلين، بينما يبلغ التواجد الفعـــلى أكثر من 50 ألـــف مواطن على أرض الواقع أغلبهم من محافظات شرق الكونغو الديمقراطية القريبة من الحدود البوروندية ومثلهم أو أكثر من اللاجئين الكونغوليين فى رواندا. كما تعد العاصمة بوجمبـــورا الوجهة المفضلـــة لقاطنى محافظـــات شرق الكونغـــو ولعمليات النزوح للكونغوليين الفارين من القتال الدائر بين القوات المســـلحة الكونغولية وبعـــض الجماعات المســـلحة المتمردة بشرق الكونغو وعلى رأسها جماعة الماى ماى (إحدى الجماعات المتمردة الناشطة فى محافظتى كيفو الشمالية والجنوبية بشرق الكونغو ضد الجماعات المتمردة الأخرى الموالية لرواندا) .من جهة أخرى بلغ عـــدد اللاجئـــين البوروندين وفقاً لأحدث التقارير الصادرة عن المفوضية الســـامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين فى 4 مايـــو 2017حـــوالى 393.413 لاجـــئ ومتوقـــع وصولهـــم إلى نصف مليون بنهاية هذا العام بالنظر للمجاعة والتدهور الاقتصادى فى البلاد، ويتواجد الســـواد الأعظم منهم فى الدول المجاورة لبوروندي، فأكبر الدول المستقبلة للاجئين هى تنزانيا (حوالى 240 ألف لاجئ(تليها رواندا وتعد الكونغو الديمقراطية ثالث أكبر دولة استقبالاً للاجئين البوروندين – بعد كل من تنزانيـــا ورواندا- حيث تســـتقبل 120.36 ألف لاجئ بوروندى بما يمثـــل 9 % من إجمـــالى اللاجئين البوروندين.

لكل هذا ولانتشار المرتزقة والإرهاب وموجـــات الاغتيالات وهجمـــات الإبادة المتكررة ودور شركات السلاح وشركات الماس والذهب تحتـــل منطقة البحيرات العظمى الأفريقية أهمية دولية خاصة.

ولكى نفهم ذلك لابد أن نغوص أكثر فى ثنايـــا التاريخ وجنباتـــه للبحث عن أصول الصراعات القائمة حاليا محاولين استشراف مستقبلها.

3 – الإثنية ميراث استعمارى:

ثمة رؤى تشير إلى أن جذور الصراع فى المنطقة ترجـــع إلى القرن الرابع عشر عندما غزت الأقليات من التوتسى المنطقة وتبنت نظام حكم اســـتبدادى عنصرى يقوم على اضطهـــاد الأغلبية من الهوتو إلا أن هـــذا الطرح لا يوجـــد ما يؤيده، بل يُشـــار دائماً لبد الاســـتعمار فى بذر روح الفرقـــة والـــصراع . وتعد منطقة البحيرات العظمـــى الأفريقية هى آخر الأراضى الأفريقية التى وقعت تحت براثن الاحتلال الأوروبى كنتيجة لسياســـة» التوسعات الاستعمارية» التى انتهجتها الدول الأوروبية خلال القرن التاســـع عـــشر، حيث أعلنت ألمانيـــا عام 1885 بســـط نفوذها على رواندا وبوروندى والتـــى عُرفت تاريخياً باســـم رواندا- بوروندى إلا أن التواجد الألمانى قد بدأ فعلياً فى رواندا عام 1894 ثم سرعان ما امتد الزحف والتوغل الألمانى فى المنطقة ليشـــمل بوروندى 1899 وضمها إلى رواندا لتكوين ما عُرف بعد ذلك باســـم مملكة رواندا- بوروندى والتى شـــكلت مع تنجانيقا- تنزانيا حالياً- مستعمرة شرق أفريقيـــا الألمانية. ثم وقعت تنزانيا تحـــت الاحتلال البريطانـــى مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، واستمرت تنزانيا جزءاً من المســـتعمرات البريطانية حتى استقلالها عام1961.

قام الاحتلال الألمانـــى بإذكاء روح التفرقـــة العرقية بين الهوتـــو الأغلبية والتوتسى الأقلية من خلال تسليم مقاليد الحكـــم لبعض عناصر أقليـــة التوتسى الموالـــية للتواجـــد الألمانـــى مما أحكم السيطرة والهيمنة الألمانية فى رواندا. لم يدم الاحتـــلال الألمانى طويلاً فى رواندا- بوروندى حيث أنه مـــع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 وبداية ظهور بوادر لانتصـــار دول الحلفاء فى الحرب قامت بلجيـــكا بتحريك قواتها المتواجدة فى الكونغـــو لاحتلال مملكـــة رواندا- بوروندى عام1916، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عـــام 1918 والتى أعقبها نشـــأة منظمة عصبة الأمم عام 1919 كأول منظمـــة دولية تهـــدف إلى حفظ السلم والأمن الدوليين. قامت عصبة الأمم

فى23 أغسطس 1923 بتوفير الغطاء القانونى للاحتلال البلجيكى من خلال إعلان الحماية البلجيكية على أراضى رواندا- بوروندى بجانب الكونغو.

قام الاحتلال البلجيكى بإثارة الفتن وإشعال التفرقة العرقية أكثر من أى وقت مضى من خلال اتباعه لسياسات إقصائية اعتمدت على تهميش أغلبية الهوتو فى مقابل تصعيد أقلية التوتسى مع منحهم مقاليد السلطة والثروة .كما قامت بلجيكا عام 1933 بإصدار بطاقات هوية على أساس عنصرى للتمييز بين عرقيات الهوتو(84 %) والتوتسي) 15 % (والتاوا) 1%)، بالإضافة إلى حرمان أبناء عرقية الهوتو الذين يشكلون الأغلبية من التعليم فى مقابل إتاحة الفرصة فقط للأبناء الذكور من التوتسى للتعليم مما ترك آثاراً نفسية ورواسب تاريخية سلبية لم يتم محوها إلى الآن بين أبناء كلا العرقيتين.

ويعتبر البعض –عن حق- أن نمط الحكم الذى ساد فى هذه المنطقة كان أقرب إلى نظام التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا خلال عهد الأبارتايد إذا وضعنا التوتسى مكان البيض كأقلية عنصرية حاكمة والهوتو مكان السود كأغلبية مضطهدة .لقد كان على كل فلاح من الهوتو أن يقتطع جزءا من محصوله لتقديمه إلى الحكام من التوتسي، إلى جانب قيامه بالعمل سخرة فى أى مكان يطلب منه ذلك .وبإيجاز شديد فرض التوتسى على الهوتو السخرة، واستخدموا العقاب الجماعى وفى أحيان كثيرة تكون العقوبة إبادة قرى بأكملها يقطنها الهوتو.

ومن المعروف أن بلجيكا قامت لغايات عملية بإدارة كل من الكونغو ورواندا - بوروندى كإقليمين منفصلين ولكن باستخدام جيش واحد أطلق عليه اسم «القوة العامة»، وحاكم عام واحد اتخذ مقرا له مدينة كينشاسا، وكان يعاون الحاكم العام نائبان أحدهما فى لومومباتثى والآخر فى بوجمبورا.

لقد قامت بلجيكا بنقل آلاف المزارعين الروانديين إلى شرق الكونغو فى مقاطعات ماسيسى وتشورو ووالیكالى شمال كيفو بالكونغو فى الفترة ما بين 1937 - 1955، وجندت آلافا آخرين للعمل فى المناجم ومؤسسات النقل والزراعة فى مقاطعات شابا وجنوب كيفو طوال الحقبة الاستعمارية . وقد خلق هذا مشكلة الهوية والمواطنة فى المنطقة، وأدت إلى صراع فى الكونغو، وبدأت المشكلة تتفاقم تدريجيًا، عندما تزايدت أعداد الـ «بانيا رواندا» بفعل الزيادة الطبيعية فى المواليد والهجرات الجماعية بعد استقلال كل من رواندا وبوروندى.

والـ«بانيا رواندا» وهو الاسم الذى يطلق على التوتسى من أصل روانداى المقيمين فى الكونغو قد شاركوا فى أول انتخابات بلدية عامى -1957 1958، وكذلك فى الانتخابات العامة عام 1960 وقد انتخب عدد من ممثليهم لوظائف عامة فى الكونغو .وحاول الـ «بانيا رواندا» لاسيما المولينغى منهم استغلال مكانتهم الاقتصادية المتميزة ومركزهم السياسى المتصاعد فى الحصول على مزيد من الأراضى فى المقاطعات المزدحمة بالسكان شمال وجنوب كيفو. فأدى هذا إلى حرب أهلية واقتتال داخلى فى الكونغو، تطور الأمر إلى رواندا وأوغندا أيضًا، مما جعلت الكونغو تقيم تحالفاً مع أنجولا وزيمبابوى وأفريقيا الوسطى وتشاد والسودان لمحاوطتهم.

وأدى الصراع فى الكونغو وارتباطه وتداخله مع الصراعات التى تشهدها منطقة البحيرات العظمى ككل إلى جعل حسمه لصالح أحد الأطراف معقدًا، فى ظل غياب القيادة السياسية التى تحظى باحترام وقبول كافة الجماعات.

وبهذا ذاقت بوروندى ورواندا والكونغو الأمرين تحت وطأة الاحتلال البلجيكى الجائر الذى دأب بشكل ممنهج على نهب واستنزاف ثروات البلاد وتركها تعانى شظف الفقر المدقع، وخاصة الكونغو الغنية بالموارد الطبيعية والثروات المعدنية النفيسة.

ولم تكن المنطقة تمثل أهمية اقتصادية لبلجيكا باستثناء إقليم الكونغو البلجيكى الغني، فكان نمط الإدارة الاستعمارية البلجيكية فى بوروندى ورواندا يعتمد أساسا على نظام الحكم غير المباشر، أى حكم الإقليم من خلال مشايخ ورؤساء التوتسى (الحكام التقليديين). وقد سمح هذا النظام للتوتسى بفرض إرادتهم بشتى السبل، فكان بمقدورهم تحصيل الضرائب وتوزيع الأراضى. وبالإضافة إلى ذلك فقد سمح لهم بالفصل فى المنازعات والقيام بأمور الإدارة اليومية .كما أن البعثات التبشيرية الكاثوليكية قدمت فرص التعليم والتدريب لأبناء التوتسى باعتبارهم «قادة طبيعيين» فى حين ظل الهوتو محرومين من هذه الفرص واقتصر عملهم اليومى على فلاحة الأرض وزراعتها. وطوال الحقبة الاستعمارية تعمقت الكراهية بين الشعبين عبر لغة الخطاب الاجتماعى المختلفة. فقد وصلت نزعة الاستعلاء لدى أبناء التوتسى مدى بعيدا حتى أنهم نظروا إلى طعام الهوتو ومشربهم باعتباره نجسا لا ينبغى أن تقربه أيديهم. ومع ذلك نجد أن بعض الإرساليات ومنظمات الغوث الفرنسية التى كانت حريصة على نشر الثقافة الفرنسية فى أواسط أفريقيا (ما زالت أفقر دول المنطقة بوروندى والكونغو تسيطر عليها الثقافة الفرنسية فى حين تحولت باقى المنطقة للغة الإنجليزية (وفرت بعض فرص التعليم والتدريب المهنى لأبناء الهوتو. ولا شك أن هذه العملية سمحت بخلق نخبة متعلمة ذات طموح سياسى بين أفراد الهوتو، وشكلت قياداتهم السياسية فيما بعد.

فى نفس الوقت ومنذ 1894، كانت أوغندا عبارة عن محمية بريطانية، التى أنشأت قانوناً إدارياً لحكم البلاد. حصلت أوغندا على استقلالها من بريطانيا فى 9 أكتوبر 1962 وطوال فترة الاحتلال حاول الملك موانجا مقاومة الاستعمار الإنجليزى ولكنه أخفق ونفى من البلاد .ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت المقاومة الأوغندية ضد الاحتلال التى قادت آخر الأمر إلى إعلان استقلال أوغندا .وانتخب موتيسا الثانى عام 1963 كأول رئيس لدولة أوغندا التى أصبحت عضواً فى الأمم المتحدة والكومنولث ثم فى منظمة الوحدة الإفريقية. وأعلنت أوغندا جمهورية فى 10 أكتوبر1963 منذ ذلك الحين شهدت البلاد صراعات متقطعة، آخرها الحرب الأهلية الطويلة ضد جيش الرب الأوغندي، والتى تسببت فى سقوط آلاف الضحايا وتهجير ما يزيد عن مليون شخص.

ثانياً: التاريخ والجغرافيا وصراع الإنسان بعد الاستقلال:

1 - الكونغو الديمقراطى (زائير سابقاً) حيث تحول اسمها من زائير إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية بعد انتصار كابيلا الأب على موبوتوسيسى سيكو.

نظراً لكون الكونغو دولة ضخمة من الناحية الجغرافية والديموجرافية وغنية بالموارد والثروات الطبيعية فإن أى اضطراب تشهده الكونغو يؤثر على المنطقة بأسرها. وبهذا تعد أهم دول المنطقة على الإطلاق، وواحدة من أهم دول القارة الأفريقية عامةً ومنطقة وسط أفريقيا خاصةً من الناحية الجيوبوليتيكية، فهذه الدولة العملاقة الكائنة فى قلب القارة الأفريقية تحديداً تتمتع بمساحة جغرافية شاسعة2.345.409 كيلومتر مربع) وحدود هائلة مترامية الأطراف جعلتها تحتل المرتبة الثانية أفريقياً –بعد الجمهورية الجزائرية- والحادية عشرة عالمياً من حيث المساحة الجغرافية. وتمتلك الكونغو الديمقراطية حدوداً مشتركة مع 10 دول (مع كل من جنوب السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى شمالاً، وأنجولا وزامبيا جنوباً، والكونغو برازافيل غرباً، وأوغندا ورواندا وبوروندى وتنزانيا – عبر بحيرة تنجانيقا – شرقاً).

النضال الكونغولى كان له دور كبير فى إثارة الحماسة فى المنطقة وجميع الدول الأفريقية، فكان المناضل الثورى باتريس لومومبا» زعيم «الحركة الوطنية الكونغولية الذى تمتع بشعبية جارفة بين جموع الكونغوليين بمثابة الفارس الذى حمل على عاتقه تحقيق آمال وتطلعات الشعب الكونغولى فى غد أفضل وهو الأمر الذى مكنه الظفر بثقة الناخب الكونغولى ليشغل منصبه كأول رئيس وزراء منتخب ديمقراطياً للكونغو فى 24 يونيو 1960 لكن سرعان ما أتت الرياح بما لا تشتهى السفن، حيث دبت الخلافات بين «باتريس لومومبا «والرئيس الكونغولى «جوزيفى كاسافوبو» الموالى للاستعمار البلجيكي، الأمر الذى دفع «كاسافوبو» لعزل «لومومبا» عن موقعه فى 14 سبتمبر 1960 بعد شهرين ونصف فقط من توليه رئاسة الوزراء، ثم تم اقتياده إلى مدينة اليزابثفيل – لوبومباشى حالياً- حيث تم إعدامه رمياً بالرصاص فى 17 يناير 1961. ولم يكن تنفيذ حكم الإعدام على «باتريس لومومبا» فحسب، بل إنه وأد أحلام أمة بأسرها فى مستقبل أفضل . فقد وقعت الكونغو فى دوامات من الفوضى والعنف انتهت بسيطرة الجنرال «جوزيف ديزيريه موبوتو» على الحكم إثر انقلاب عسكرى على الرئيس «جوزيف كاسافوبو» عام 1965 لتقع الكونغو الديمقراطية لمدة أكثر من ثلاثة عقود تحت الرئيس « موبوتو» حتى عام 1997 عندما انتصر كابيلا الأب انتصارا مدويا على موبوتوسيسى سيكو، ثم تولى الرئيس الكونغولى «جوزيف كابيلا «الحكم فى 26 يناير2001 وهو لم يكمل بعد عقده الثالث من العمر خلفاً لوالده «لوران كابيلا» الذى تم اغتياله على أيدى أحد حراسه الشخصيين.

ويرتبط الصراع فى الكونغو بمسألة هوية الكونغوليين من أصل رواندي) بانيا رواندا) سواء كانوا من التوتسى أو الهوتو أو التوا حيث لا يتمتعون بالجنسية الكونغولية بالرغم من إقامتهم الدائمة فى الكونغو منذ ظهورها إلى حيز الوجود عام 1885 وينبع ذلك من إدراك الحكومات الكونغولية على التوالى بزرع الاستعمار لهذه الأقلية وترحيلهم من بلادهم للكونغو ليسيطروا عليها وبالتالى إدراك بأنه بمنحهم الجنسية سيصبح من حق هذه الجماعة العرقية - شأن غيرها من الجماعات العرقية الأخرى المنتشرة فى ربوع القارة الأفريقية- أن تطالب بأراضى «أسلافها» فى شرقى الكونغو.

وبالنظر للصراع بين رواندا وبوروندى من جهة ورواندا والكونغو الديمقراطى من جهة أخرى تولدت قناعة لدى كل من القيادتين الشابتين (كابيلا الأب والرئيس «بيير نكرونزيزا» الذى تولى هرم السلطة البوروندية بانتخابه رئيساً بالتزكية من قبل أعضاء البرلمان فى 19 أغسطس 2005) أن رواندا هى العدو المشترك لكل منهما على خلفية دعمها للعديد من حركات التمرد المسلحة المتمركزة فى شرق الكونغو الهادفة إلى زعزعة استقرار الجبهة الداخلية فى بوروندى والكونغو الديمقراطية على حد سواء. حيث طالما نظرت رواندا بعين العداء إلى نظام الحكم البوروندى الذى تسيطر عليه أغلبية الهوتو، كما أنها ترغب فى اقتطاع أجزاء من شرق الكونغو الديمقراطية وضمها إلى حدودها وهو المشروع الذى أطلق عليه الرئيس الرواندى السابق «باستور بيزيمونغو» (1994 – 2000) اسم «رواندا الكبرى» زاعماً أن هذه الأجزاء تعود ملكيتها التاريخية إلى رواندا . وبهذا أدت الاضطرابات السياسية والأمنية التى تسببت فيها رواندا لكل من بوروندى والكونغو الديمقراطية إلى تحالف الدولتين معاً وعقدهما تفاهمات سياسية وأمنية وعسكرية رفيعة المستوى للتصدى ومواجهة التهديدات الرواندية وقد تجلى ذلك بوضوح مؤخراً عند قيام السلطات المحلية بمحافظة «جنوب كيفو» شرق الكونغو الديمقراطية بالتنسيق مع الجانب البوروندى لترحيل عدد من اللاجئين البوروندين على خلفية تواجدهم بطريقة غير شرعية على الأراضى الكونغولية إضافة إلى عدم حملهم لوثائق تثبت هويتهم. كما تقوم كل من بوروندى والكونغو بإجراء مناورات عسكرية مشتركة لدحض المساعى الرواندية التى تهدف إلى زعزعة الاستقرار وتكدير الأمن العام لكلا البلدين.

يمثل إقليم «كيفو» الكنغولى نقطة ضعف إقليم البحيرات العظمى الإفريقية، ويعانى بشكل خاص من وجود جماعات إرهابية خاصة فى الفترة الأخيرة، حيث ظهرت العديد من المؤشرات التى تدل على أن شمال إقليم «كيفو» الكنغولي، قد تحول إلى معقل يضم جماعة إسلامية أطلقت على نفسها اسم «تنظيم الدفاع العالمى الإسلامي». ولعل من أبرز المؤشرات التى تدل على تواجد هذه الجماعة؛ ارتفاع عدد الجماعات المسلحة داخل هذا الإقليم المعروف بطبيعته الخلابة وغاباته الكثيفة. وجماعة الدفاع العالمى الإسلامي، تجتذب وبصفة مكثفة وعشوائية العديد من الشباب بهدف

ضمهم لصفوفها، فى حين أن سكان هذا الإقليم، عاجزون عن التصدى لهذا التنظيم الذى بث الرعب والخوف فى قلوبهم حيث استغل تنظيم الدفاع العالمى الإسلامى الفوضى التى طغت على إقليم كيفو (الواقع غرب الكونغو الديمقراطية والذى يطل جنوبه على الحدود مع دولة تنزانيا، أما الشمال الغربى لكيفو فهو مرتبط بالحدود الأوغندية (لينشر فكره ويؤسس جماعته، والجدير بالذكر أن عددا من جماعة التبليغ الباكستانية، قد استقروا فى تنزانيا فى سنة 1920 وفى سنة 1990، انتقلوا إلى أوغندا، قبل أن يلتجئوا فى سنة 1995، إلى جبال «رونزوري» الواقعة غرب الكونغو الديمقراطية. والهدف الأول لهذه الجماعة يتمثل فى جمع شمل المسلمين المتواجدين فى الدول المجاورة للكونغو، حيث تبلغ نسبة المسلمين فى أوغندا قرابة 12 %، أما بالنسبة لدولتى تنزانيا وكينيا فغالبية سكانها من المسلمين، كما تسعى لتسليحهم عدد من الدول ومصادر تسليحهم ترد من بريطانيا وتركيا والسعودية وتستغل الجماعة أيضا الثروات الطبيعية التى يزخر بها إقليم كيفو فقد سيطرت هذه الجماعات على غابات ومحميات كيفو مما مكنهم من وضع أيديهم على كل من تجارة الخشب الرفيع وتجارة الكاكاو والقهوة مما يوفر لها أكثر من 3 مليارات دولار شهرياً. وبهذا أحكم المتطرفون سيطرتهم على منطقة غنية بالثروات الطبيعية فوق الأرض وتحت الأرض، وحولوها لمنطقة مستقلة ذاتيا بعيدا عن أى حضور للدولة الكونغولية التى يصعب على قواتها الأمنية قتال هذا التنظيم بالرغم من تكاتف جهود الجيش الكونغولى .بالإضافة إلى ذلك تتزود جماعة الدفاع العالمى الإسلامى بما تحتاجه من موارد عسكرية من السودان والصومال وفى بعض الأحيان عن طريق تجار الأسلحة المتواجدين فى منطقة كيفو.

ويشير البعض إلى عجز القوات الأممية المتواجدة فى الكونغو الديمقراطية على مواجهة الجماعة المتطرفة، رغم أن عدد قوات «القبعات الزرق» يبلغ حوالى 20 ألف جندي، خاصة وأن هذه الجماعة نجحت فى التغلغل داخل الجيش الكونغولى نفسه وضم بعض جنوده للعمل تحت إمرتها كما استطاعت هذه الجماعة تظليل أجهزة الاستخبارات عن طريق المراوغة.

2 - أوغندا:

هى دولة حبيسة أيضاً فى شرق أفريقيا. وتعرف أوغندا بأنها «لؤلؤة أفريقيا» وتعتبر أرض من أجمل بقاع الشرق ووسط أفريقيا بسبب وفرة الكساء الأخضر من حشائش السافانا البستانية والغابات وأكثر من ثلاثة أرباع الأرض الأوغندية هضبة ترتفع بين 900 متر و1500 متر. وتقطع أرض أوغندا العديد من روافد نهر النيل، فتقع أوغندا فى القسم الشمالى من بحيرة فيكتوريا، وما يليه شمالاً وغرباً وإلى الشمال قليلاً من الدائرة الاستوائية. تحدها كينيا، من الشرق، وتنزانيا من الجنوب، والسودان من الشمال، والكونغو من الغرب ، ورواندا من الجنوب الغربى. وتبلغ مساحة أوغندا 243.4000 كم. وتغطى المياه العذبة حوالى 15 % من مساحتها، وتتكون من بحيرة فيكتوريا وبحيرة إبراهيم (كيوجا) وأجزاء من بحيرة ألبرت وإدوارد . ويرجع أصل اسم أوغندا من مملكة بوغندا والتى شملت جزءًا كبيرًا من جنوب البلاد بما فى ذلك العاصمة كمبالا.

كان سكان أوغندا صيادين وجامعى ثمار حتى -1700 2300 سنة مضت، عندما هاجرت الشعوب الناطقة بالبانتو إلى المناطق الجنوبية من البلاد .فوصلت إلى أوغندا قبائل حامية ـ نيلية وانتشرت فى أنحائها الغربية وأقامت مملكة واهوما فى القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد. وكان الواهوما (أو الهيما أيضاً) رعاة تغلبوا على السكان المحليين من البانتو المزارعين منذ 1500 سنة. وفى القرن السابع عشر ظهرت مملكة كيتاوارا التى خلفتها دويلات بوغندة وتورو وأونجورو وأنكول، وكانت دويلة أو مملكة بوغندة أهمها. وقد وصل التجار العرب إلى أوغندا (مملكة بوغندا) فى عهد الملك سونة الثانى (كباكا) (1836 – 1860) قادمين من زنجبار والساحل حيث قدموا المساعدة للملكها كباكا سونة ولكنه طردهم بعد ذلك. ثم عادوا مجدداً نحو عام 1860 فى عهد خلفه موتيسا الأول الذى أظهر اهتماماً بالإسلام، من دون أن يسلم. واتخذ التقويم العربى والزى العربى وشجع بناء المساجد. ثم بدأ الموقف يتغير مع وصول أوائل المبشرين الإنجليز 1877 والفرنسيين 1879. وبعد وفاة موتيسا الأول خلفه ابنه موانجا الذى ما لبث أن دخل فى صراع مع الطوائف الدينية المختلفة واندلعت حرب أهلية نجح العرب المسلمون فى أثنائها فى خلع الملك موانجا واضطروه إلى الفرار عام 1888. ولكنه تمكن من العودة إلى الحكم فى العام التالى بدعم من بريطانيا والطوائف المسيحية، التى علا شأنها فى مملكته. وبدأ التنافس الاستعمارى فى أوغندا الذى انتهى عام 1890 بعقد معاهدة إنجليزية ـ ألمانية لتسوية مطامع الدولتين فى شرقى إفريقيا، أعقبها وصول حملة بريطانية أرغمت الملك موانجا على عقد معاهدة لضمان مصالح شركة شرقى إفريقيا البريطانية الامبراطورية. وقد حصلت أوغندا على استقلالها من بريطانيا فى 9 أكتوبر 1962، واللغات الرسمية هى الإنجليزية والسواحيلية على الرغم من استخدام لغات عديدة أخرى فى البلاد.

ولم تستقر الأحوال فى أوغندا منذ استقلالها حيث أنه فى عام 1966 أطاح بموتيسا رئيسُ وزرائه ميلتون أوبوتى الذى تسلم رئاسة البلاد وأصدر دستوراً جديداً لها. وفى عام 1971 أطاحه انقلاب عسكرى بقيادة الجنرال عيدى أمين دادا الذى أعلن نفسه رئيساً للبلاد وقام بعدة إصلاحات كما سعى لتحرير أوغندا من النفوذ البريطانى والأمريكى والصهيونى مما جعل هذه القوى تحيك المؤامرات ضده. وأخيراً حين وقع نزاع مسلح على الحدود مع تنزانيا قام الجيش التنزانى بغزو أوغندا ودخل عاصمتها كمبالا) 1979 (مما اضطر عيدى أمين إلى الفرار. وتسلمت جبهة التحرير الوطنية زمام الأمور وعاد أوبوتى إلى السلطة مجدداً وانتخب عام 1980 رئيساً للجمهورية .وقد عاشت البلاد صراعات حول السلطة والحكم بين شتى الفئات السياسية والعسكرية والميليشيات انتهت بانقلاب عسكرى أطاح بأوبوتى 27 يونيو 1985 وحُل المجلس الوطنى

(البرلمان)، ونشبت حرب أهلية فى البلاد فى شهر سبتمبر من العام نفسه. وبعد مفاوضات تدخلت فيها كينيا وغيرها اتفقت أطراف النزاع على تعيين يووِيرى موسِفينى رئيساً للبلاد فى 29 يناير 1986، بعدما حصدت النزاعات الداخلية والحرب الأهلية قرابة 300.000 ضحية على مدى سبع سنوات. وشردت مئات الآلاف من قراهم ومساكنهم. تشهد أوغندا أحداث جنوبى السودان عبر الحدود المشتركة، إذ تُتهم بمساعدة الانفصاليين السودانيين ومساندتهم. كما دخلت قوات وميليشيات أوغندية أراضى الكونغو الديمقراطية عام 1999، وقد وقعت أوغندا على اتفاقية لوساكا للسلام فى الكونغو الديمقراطية فى 10 يوليو 1999.

وتتمتع أوغندا بسمعة طيبة لدى دول القارة الأفريقية بشكل عام، ودول منطقة البحيرات العظمى الأفريقية بشكل خاص، فالرئيس الأوغندى موسيفينى هو وسيط الأزمة البوروندية المعين من قبل تجمع شرق أفريقيا. كما يجمع هذه الدول العديد من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم فى مختلف مجالات التعاون، بالإضافة إلى أن القوات الأوغندية المشاركة فى بعثة الاتحاد الأفريقى «أمينصوم» تعد أكبر ثانى قوة عدداً فى مجموع القوات المشاركة بعد بوروندى.

3 - تنزانيا (تنجانيقا وزنزبار سابقا):

تعد تنزانيا من بين أقدم المناطق المعروفة على الأرض، ويعتقد أن من سكن تنزانيا هم من مجتمعات الصيادين- جماعات من متكلمى اللغات الكوشية ولغة الخويسية. ثم بدأت سلسلة من الهجرات إلى تنزانيا من أفريقيا الغربية، وكانت هذه الهجرات من متكلمى لغات البانتو حتى وصل لاحقا الرعاة النيليون والذين واصلوا الهجرة إلى المنطقة حتى القرن الثامن عشر. كما استمر المسافرون والتجار من الخليج العربى وأفريقيا الغربية بزيارة ساحل أفريقيا الشرقية منذ بداية الألفية الأولى بعد الميلاد .فوصل الإسلام إلى الساحل السواحيلى ابتداء من القرن الثامن أو التاسع بعد الميلاد.

بعد أن سيطر السلطان الكبير العمانى سعيد بن سلطان آل سعيد على الشريط الساحلى نقل عاصمته إلى زنجبار فى سنة 1840 معها جاءت الهجرات العمانية للمنطقة واختلط الدم العربى بالأفريقى . واشتهرت زنجبار خلال هذه الفترة بالتجارة ومنها تجارة الرقيق.

ثم وقعت تنزانيا تحت براثن الاحتلال الألمانى مثل باقى دول المنطقة عام 1885 ثم تحت الاحتلال البريطانى. وحصلت تنزانيا على استقلالها فى 9 ديسمبر 1961 وتحد بوروندى من كافة حدودها الشرقية وصولاً إلى حدودها الجنوبية الشرقية بحدود مشتركة تصل إلى 589 كيلومتر، وهو أطول خط حدودى بين بوروندى وجيرانها) مما خلق خصوصية شديدة بينهما). وتعد تنزانيا راعية اتفاقات السلام فى المنطقة، فاتفاق رواندا للسلام عام 1992 تم فى أروشا، واتفاق بوروندى بأروشا للسلام عام 2000 كان آخر الاتفاقات. وتتعدد صور الروابط الاجتماعية بشكل خاص بين كل من بوروندى وتنزانيا حيث تنتشر حالات التزاوج والاختلاط بين أبناء كلا البلدين وخاصة فى المحافظات الشرقية والجنوبية لبوروندى المتاخمة للحدود التنزانية ومنها محافظة مومينجا) محافظة حدودية بالقرب من تنزانيا، ويوجد بها عدد كبير من المسلمين نتيجة الاختلاط والتزاوج مع مسلمى تنزانيا).

تعيش تنزانيا استقراراً سياسياً واجتماعياً، ونجحت تنزانيا فى تكريس وفى توطيد مبدأ المواطنة والانتماء المشترك فى سياق يغلب عليه الصراع. فقد قامت الدولة منذ تأسيسها على اعتماد مبدأ المساواة والتحاور، وزاد من ذلك اعتماد نظام تعليمى شامل يفتح الفرص أمام الجميع دون استثناء ودون تمييز. وقد كرس التنزانيون تقليدا فى الحكم - لم ينص عليه فى الدستور- لكنه صار سنة متبعة، ويقوم على أن يتولى الرئاسة مسيحى ثم مسلم بالتناوب والتوالي، وقد اطرد هذا التقليد من أول رئيس مسيحى وهو نيريرى. ومع هذا الانسجام ونجاح تنزانيا فى إرساء مبدأ إدارة التنوع وتكريس مفهوم المواطنة فإنها معرضة لتحديات جسيمة قد تؤثر على هذا الوضع منها نزعة الانفصال عند سكان زنجبار وتفاقم الفقر، لذلك فإن تنزانيا تسعى إلى إجراءات استباقية وحلول وقائية من شأنها أن تحول دون انزلاقات نحو المجهول.

حالياً وكما جرت العادة فى السوابق التاريخية الأخرى تتحمل تنزانيا العبء الأكبر فى استضافة اللاجئين الناجين من الصراعات فى المنطقة خاصة اللاجئين البوروندين الذين توافدوا بأعداد غير مسبوقة أعقاب الأزمة السياسية فى بوروندى منتصف عام 2015 حيث بلغ عددهم 393.237 لاجئ وفقاً لأحدث التقارير الصادرة عن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين فى 4 مايو2017 وهو ما يمثل حوالى 4.57 %من إجمالى اللاجئين البوروندين.

4-5 بوروندى ورواندا:

هما دولتان حبيستان، حيث تعد الأراضى الواقعة فى منطقة شرق أفريقيا والتى عُرفت تاريخياً باسم رواندا -بوروندى هى آخر الأراضى الأفريقية التى وقعت تحت براثن الاحتلال الأوروبى كنتيجة لسياسة «التوسعات الاستعمارية» التى انتهجتها الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر. وبسبب التاريخ والاستعمار توصف العلاقات البوروندية -الرواندية بأنها علاقات ذات خصوصية شديدة وطبيعة خاصة حيث تتداخل فيها عوامل الجغرافيا والديموجرافيا، كما يتمتع المكون العرقى للتركيبة السكانية فى كل من بوروندى ورواندا بأهمية قصوى وذلك فى ظل التنافس التاريخى بين عرقيتى الهوتو والتوتسى للسيطرة على مقاليد الحكم فى كلا البلدين.

وقد حصلت مملكة رواندا- بوروندى على استقلالها فى الأول من يوليو عام 1962 ثم سرعان ما حدث الانفصال بينهما وتم إلغاء الملكية وإعلان النظام الجمهورى فى رواندا، فى حين عادت بوروندى إلى المسمى القديم بوروندى -الذى استمر إلى الآن- وانتظرت حتى عام 1966 لإعلان الجمهورية.

وبالنسبة لرواندا كان الاستقلال يعنى بالنسبة للأغلبية من الهوتو التحرر من استغلال واستبداد التوتسى .وبالفعل شهدت رواندا عام 1959 واحدة من أكبر المذابح فى التاريخ الأفريقي، حيث أودت انتفاضة الهوتو بحياة نحو مائة ألف من أبناء التوتسى. فحينما حصلت رواندا على استقلالها عام 1962 أضحى غريغور كيباندا (وهو من الهوتو) أول رئيس لبلاده بعد الاستقلال. وفى عقد الستينيات تبنت الحكومة الوطنية حملات تطهير عرقية واسعة النطاق ضد التوتسي، وأدت هذه السياسة إلى هجرة مئات الآلاف من التوتسى إلى الدول المجاورة مثل زائير وبوروندى وأوغندا.

ويلاحظ أن ثمة متغير آخر للصراع داخل رواندا ارتبط بالانقلاب العسكرى الذى أطاح بالحكومة المدنية عام 1972 حيث قامت القوات التوتسية بارتكاب مذبحة رهيبة راح ضحيتها حوالى ثلاثمائة ألف شخص من الهوتو، وقد استهدفت المذبحة المعلمين والطلاب وذوى النفوذ، حتى إن هذا العام أصبح يمثل فى الذاكرة الجماعية لكل من الهوتو والتوتسى عام الرعب.

بعدها ظهر انقسام جديد فى صفوف الهوتو أنفسهم على أسس واعتبارات إقليمية، إذ إن قائد الانقلاب الجنرال هابياريمانا وهو من الهوتو) ينتمى إلى منطقة الشمال حيث موطن غلاة الهوتو المؤمنين بضرورة تطهير البلاد من التوتسى. وأيا كان فإن حكم الرئيس هابياريمانا تميز بالفساد وسوء الإدارة حتى أن كثيرا من كبار معارضيه من الهوتو انضموا إلى الجبهة الوطنية الرواندية التى تمثل أساس المعارضة من التوتسى. وبذلك نشأت المعارضة المسلحة لنظام الرئيس جوفينال هابياريمانا بين صفوف التوتسى الذين يعيشون فى المنفى لاسيما فى أوغندا، فهؤلاء قدموا الدعم لقوات يورى موسوفينى حتى تمكنت من الوصول إلى السلطة فى أوغندا .عندئذ تم تشكيل الجبهة الوطنية الرواندية التى استطاعت غزو شمال رواندا عسكريا عام 1990.

ونجحت محاولات إقليمية دولية لوقف الحرب الأهلية ودعوة الحكومة والمعارضة للتفاوض السلمى مما دفع إلى القبول بمبدأ تقاسم السلطة وإجراء تحولات ديمقراطية فى البلاد. ففى عام 1992 تم التوصل إلى اتفاقية سلام فى أروشا بتنزانيا حيث تم تشكيل قوة رقابة عسكرية أفريقية للإشراف على إجراءات تنفيذ الاتفاق. على أنه فى أبريل 1993 اندلعت الحرب الأهلية مرة أخرى فى رواندا. وفى هذه المرة تدخل مجلس الأمن وأصدر قرارا بإنشاء قوة دولية أفريقية لمراقبة وقف إطلاق النار وحماية تدفق الإغاثة الدولية. وقد استطاعت كل من الحكومة الرواندية والجبهة الوطنية المعارضة لها التوصل إلى اتفاق بشأن أساليب عودة اللاجئين والمشردين وتعويضهم تحت إشراف منظمة الوحدة الأفريقية. غير أن هذا الاتفاق الذى سمح بفكرة تقاسم السلطة بين الهوتو والتوتسى أثار مرة أخرى عداوات وأحقادا تاريخية لا تنساها الذاكرة الجماعية لغلاة الهوتو. فالجبهة الوطنية المعارضة رغم أن دستورها يؤكد على نبذ الانقسامات العرقية وتضم بين صفوفها عددا من المعارضين الهوتو، فإنها تمثل بشكل أساسى الأقلية من التوتسي، وعليه فإن هذه المخاوف من عودة سيطرة التوتسى قد أودت بحياة الرئيس هابياريمانا عندما أُطلق صاروخ على الطائرة التى كان يستقلها مع رئيس بوروندى فى السادس من أبريل 1994.

أما بالنسبة لبوروندى فعقب استقلالها أدى سوء الظن المتبادل بين الهوتو والتوتسي، إلى اضطراب مستمر فى المنطقة؛ حيث عارضت الهوتو حكم التوتسى. وفى 1965 اغتال متعصبون رئيس الوزراء بيير نجندادوموى. فى وقت لاحق من العام نفسه أطلق متمردون من الجيش النار على ليوبولد بيها، خليفة نجندادوموى. شُفى ليوبولد، ولكن حل محله مايكل مايكامبيرو قائد الجيش فى بوروندى. وفى 1966 أطاح مايكامبيرو بالملك وأعلن بوروندى جمهورية، ونصب نفسه رئيسًا. وفى 1972 أدت ثورة فاشلة، قام بها الهوتو ضد التوتسى إلى مقتل حوالى مائة ألف شخص، معظمهم من الهوتو. وفى 1976 أصبح العقيد جان باتيستا باجازا رئيسًا؛ بعد أن قاد مجموعة من ضباط الجيش ضد الحكومة. وفى 1981 أقر الناخبون دستورًا جديدًا للبلاد، نص على قيام مجلس وطنى. فى 1982 انتخب المجلس باعتباره أول هيئة تشريعية فى بوروندى منذ 1965، ثم تدهورت العلاقات تحت قيادة باجازا، بين حكومة بوروندى والكنيسة الكاثوليكية ذات النفوذ؛ حيث أصبحت إقامة الصلوات تحتاج إذنًا من الحكومة .وقد أدى عدم الرضا فى صفوف الجيش، بسبب العلاقات مع الكنيسة، إلى الإطاحة بباجازا فى سبتمبر 1987، خلف الرائد بيير بيويوا باجازا وعمل من أجل إتاحة حريات دينية أكبر فى بوروندى. أقرت بوروندى دستورًا ديمقراطيًا جديدًا فى مارس 1992. وجرت أول انتخابات رئاسية بالبلاد فى يونيو 1993، فاز فيها زعيم الجبهة من أجل الديمقراطية ملتشور نداداي، من الهوتو، وأصبح رئيسًا لبوروندى. وفى أكتوبر من نفس العام اغتاله بعض الجنود التوتسى فى محاولة انقلابية. أعقب هذه المحاولة حرب أهلية عرقية واسعة. وفى يناير1994، عين البرلمان سايبرين نتايااميرا، من الهوتو أيضًا، رئيسًا مؤقتًا للبلاد. وفى أبريل من نفس العام لقى نتايااميرا والرئيس الرواندى جوفنال هيبارمانا مصرعهما بعد إسقاط الطائرة التى كانت تقلهما أثناء هبوطها فى مطار كيجالى عاصمة رواندا. اختار البرلمان سلفستر نتبانتجينا (من الهوتو) رئيسًا جديدًا. ظلت أحداث العنف العرقية تراوح مكانها فى بوروندى بعد الانقلاب الدامى الذى حدث عام 1993 .وفى يوليو 1996 أطاح انقلاب عسكرى دبر له التوتسى بالرئيس نتبانتجينا وحكومته وعين بايويا رئيساً للبلاد.

وبهذا فقد اكتوت بوروندى بنيران الحروب الأهلية والاغتيالات السياسية التى تصاعدت حتى وصلت إلى الذروة باغتيال ملكيور نداداى أول رئيس بوروندى منتخب ديمقراطياً من عرقية الهوتو فى 21 أكتوبر1993 على أيدى مجموعة من ضباط الجيش المنتمين لعرقية التوتسى الرافضين تولى أحد أبناء الهوتو الرئاسة البوروندية مما أدى إلى نشوب الحرب الأهلية البوروندية التى

استمرت من 1993 إلى عام 2000 لتنتهى بتوقيع اتفاق «أروشا» للسلام والمصالحة الوطنية بتنزانيا وإقرار الدستور عام 2005 بعد أن خلفت وراءها أكثر من300 ألف قتيل، واختار البرلمان الرئيس «بيير نكرونزيزا» ليبدأ مرحلة حكم الهوتو الأغلبية للبلاد.

مع إعلان الرئيس البوروندى «بيير نكرونزيزا» ترشحه لولاية رئاسية جديدة فى 26 إبريل 2015 (اختلف على وصفها بالثالثة للمعارضين لحكمه مدعين مخالفته للدستور فى حين يرى المؤيدون أنها الفترة الثانية لأنه لم يتم انتخابه بالاقتراع المباشر إلا عامى 2010 و2015 أما عام 2005 فقد انتخبه البرلمان ولم يتم انتخاب مباشر عليه)، وما أعقب ذلك من محاولة الانقلاب العسكرى الفاشل على الرئيس البوروندى فى 13 مايو 2015 بدأ فصل جديد من العلاقات البوروندية الرواندية حيث زادت حدة الاحتقان بين كلا الجانبين وخاصة من الجانب البوروندى الذى دأب منذ اندلاع الأزمة البوروندية فى إلصاق الاتهامات على الجانب الرواندى بإيواء بعض قادة الانقلاب العسكرى الفاشل وتوفير الملاذ الآمن لهم، بالإضافة إلى تنظيم معسكرات تدريبية لإعداد الجماعات البوروندية المتمردة وإمدادها بالأسلحة للقيام بعمليات إرهابية من شأنها زعزعة استقرار بوروندى مما أثار حفيظة القيادة السياسية فى بوروندى ودفعها لاتخاذ إجراءات تصعيدية شملت طرد السفير الرواندى لدى بوروندى فى أواخر عام 2015 وحظر تصدير المنتجات الغذائية والمحاصيل الزراعية البوروندية لرواندا منذ أغسطس 2016. كما اتهم النظام البوروندى صراحةً رواندا بتدبير محاولة اغتيال «ويلى نيامتيويه» المتحدث باسم رئاسة الجمهورية البوروندية ومستشار رئيس الجمهورية البوروندى للإعلام «شقيق وزير الخارجية والتعاون الدولى آلان إيميه نيامتيويه» فى 28 نوفمبر 2016. على الجانب الآخر ينفى النظام الرواندى هذه الاتهامات جملةً وتفصيلاً مؤكداً على أن القيادة السياسية البوروندية عكفت بشكل دائم على اتهام رواندا بزعزعة استقرار بوروندى لكسب مزيد من التعاطف الشعبى والتأييد السياسى على الصعيد الداخلي، كما يضيف النظام البوروندى بأنه ينأى بنفسه عن التدخل فى الأزمة السياسية الراهنة فى بوروندى سواء من قريب أو من بعيد موضحاً أن جام انشغاله ينصب على الاستمرار فى تحقيق معدلات النمو التى ساهمت فى الطفرة الاقتصادية والاجتماعية التى شهدتها رواندا خلال الأعوام الماضية (رابع أكبر اقتصاد على مستوى العالم).

تجدر الإشارة إلى أن رواندا ترى أنها تتحمل العبء الأكبر بعد تنزانيا فى استضافة اللاجئين البوروندييين الذين بلغ عددهم أكثر من 81 ألف لاجئ بوروندى فى رواندا وإن كانت بعض التقديرات الأخرى تزعم أن العدد الحقيقى يتجاوز الـ 100 ألف لاجئ بوروندى فى رواندا، وبالطبع توجد صعوبة فى وضع حصر شامل لأعداد البوروندييين فى رواندا فى ضوء كثرة حالات الاختلاط والتزاوج بين مواطنى البلدين.

تلخيصاً لما سبق يمكن القول أن الهدوء النسبى والعلاقات الودية التى ربطت فى فترة ما بين البلدين لم تكن أبداً صادقة بالشكل الكافى خاصة وأن كيجالى من جهتها، لطالما كانت تنظر بعين العداء إلى نظام الحكم البوروندى وهو ما أدى إلى تفشى حالة الاحتقان المكتوم والترقب الحذر بين نظامى الحكم فى كلا البلدين.

وهكذا شهدت بوروندى فى أعقاب الاستقلال فترات طويلة من عدم الاستقرار نتيجة حدوث بعض الاغتيالات السياسية التى ساهمت فى تأجيج مشاعر الغضب والكراهية بين الهوتو والتوتسي، فى حين تمتعت الجارة رواندا باستقرار نسبى بدأ مع وصول الرئيس جوفينال هابياريمانا لسدة الحكم إثر انقلاب عسكرى عام 1973 حيث ظل قابعاً فى موقعه لمدة 21 عاماً كأطول رؤساء رواندا بقاءً على رأس السلطة.

على الجانب الآخر أدى حادث الاغتيال المدبر الذى تعرضت له الطائرة الرئاسية الرواندية التى كانت تقل الرئيس الرواندى جوفينال هابياريمانا ونظيره البوروندى سيبريان نتاريميرا فى 6 إبريل 1994 بالقرب من مطار كيجالى الدولى إلى ارتكاب واحدة من أبشع مذابح الإبادة العرقية التى شهدها التاريخ المعاصر حيث تم القضاء على ما يقرب من نصف مليون إلى مليون مواطن رواندى من المنتمين لعرقية التوتسى وبعض المعتدلين من عرقية الهوتو فى غضون 100 يوم فقط وهو ما مثل 20% من الكتلة السكانية الرواندية فى ذلك الوقت.

وقد تركت حوادث الاغتيالات السياسية والحروب الأهلية والإبادة الجماعية التى شهدتها كل من بوروندى ورواندا فى أعقاب استقلالهما جروحاً غائرة لم تندمل إلى الآن بين أبناء الهوتو والتوتسى مما ينذر باشتعال الأوضاع مرة أخرى فى حال توفر الظروف والمعطيات المؤدية لذلك.

(2) الصراع والتكالب الدولى على المنطقة

تعكس خريطة الصراعات الإثنية المسلحة فى البحيرات العظمى تداخلا واضحا فى التفاعلات والأحداث على المستويات المحلية والإقليمية والدولية. وما يزيد الأمر تعقيداً أن تطور الأحداث والأفعال وردود الأفعال من جراء تدخل الأصدقاء وأصحاب المصالح على المستويين الإقليمى والعالمى قد أفضى إلى تعدد الأطراف وتداخل القضايا والمشكلات وانقطاع السبل أمام فرص التسوية السلمية والسياسية.

بوجه عام يدور السياق العام للصراع على خلفية نزاعات إقليمية ودولية تشترك فى حلقة واحدة مع الأطراف المحلية. وهناك على سبيل المثال جهد أمريكى بدأ يبرز منذ منتصف التسعينات لترتيب «البيت الأفريقي» فى إطار التوجهات الأمريكية. وهذا الجهد ينطلق من خلفيات اقتصادية وسياسية واستراتيجية. وقد نجحت الولايات المتحدة فى عدد من المواقع الأفريقية (رواندا، أوغندا، أثيوبيا، أريتريا، أنجولا والكونغو) ولاتزال تسعى فى مناطق أخرى. كما تتنافس عدة دول أوروبية أيضا على الاحتفاظ بمواقعها،

أو احتلال مواقع جديدة لها فى القارة الأفريقية. كما أدى انهيار النظم القديمة التى اكتسبت شيئا من شرعيتها خلال حروب الاستقلال والتحرر الوطني، إلى تفتت البنى السياسية فى الكثير من دول أفريقيا. ولم ينجح معظم هذه الدول فى الإمساك بالطريق الديمقراطى المؤمل وتحقيق السلم الداخلى والاجتماعى. وقد سمح ذلك للتكوينات القبلية والأولية) عرقية كانت أم دينية أم محلية (بأن تطل برأسها على مسرح الأحداث السياسية، ثم ما لبثت أن تسيدت هذا المسرح. وحيثما انتصرت تشكيلات قبلية معينة، أغلبية كانت تشكل أم أقلية، فى هذه الدولة أو تلك فإنها خلفت وراءها أيضا جيوبا قبلية متمردة، تقف على أهبة الاستعداد، بانتظار الدعم الخارجى واستواء الظروف، للانقضاض على الحكم الجديد. وهذا يعنى أن الانتصارات التى تتحقق فى هذا الميدان، ليست نهائية، أو هى فى أفضل الأحوال ليست مكتملة وناقصة إلى حد كبير. وتشكل الكونغو (أو زائير سابقا) نموذجا لحالة الالتباس والتشابك بين عوامل عدة للنزاع الدائر فى منطقة البحيرات العظمى. ففى سبتمبر 1996 قاد لوران ديزيريه كابيلا هجومه العسكرى الناجح على نظام المارشال موبوتو، والذى توج بالانتصار وتشكيل حكومة جديدة. وكان لافتا أن معظم الدول المحيطة بالكونغو، وخصوصا أنجولا وأوغندا ورواندا، قد ساعدت كابيلا فى انتصاره. ونجحت بذلك واشنطن فى إزاحة أحد أكثر الركائز أهمية وقربا من فرنسا (نظام موبوتو) فى القارة الأفريقية. غير أن العلاقات بين كابيلا وكل من رواندا وأوغندا سرعان ما تدهورت بسبب الاختلافات العميقة حول كيفية التعامل مع الضرورات الأمنية لكلا البلدين. ففى شرقى الكونغو المتاخم لأوغندا ورواندا وبوروندى وتنزانيا توجد المواقع الخلفية للمتمردين الأوغنديين والروانديين وهم من الهوتو، فى حين أن نظامى البلدين يتكونان أساسا من التوتسى. وكان دعم الحكومة الرواندية لكابيلا فى البداية قد تم على أساس القضاء على معسكرات الهوتو فى شرقى البلاد، وضمان وجود منطقة أمنية على الحدود لمنع تسلل المتمردين. وقد تم حينها تدمير مخيم كبير للاجئين هو توروانديين مقيمين فى كيفو) المنطقة الحدودية فى شرقى الكونغو) منذ مجزرة 1994 فى رواندا. غير أن نظام كابيلا وبمجرد مجيئه للحكم رفض الحل العسكرى للمشكلة وآثر الحوار والمفاوضات. وهو الأمر الذى أغضب كل من رواندا وأوغندا ودفعهما إلى دعم التمرد المناهض لكابيلا، الذى بدأه محاربون (بانيا مولنجي(كونغوليون توتسى من أصل رواندي) .وقد سيطر هؤلاء منذ بداية التمرد على شرقى الجمهورية، لا سيما منطقة كيفو. ومن هناك بدأوا الزحف والسيطرة على المدن والمناطق فى غربى البلاد وجنوبها، حتى وصلوا إلى مشارف العاصمة الكونغولية كينشاسا وباتوا يهددون نظام الرئيس كابيلا. غير أن نجاح المتمردين التوتسى فى انتزاع الحكم فى الكونغو، من شأنه أن يغير خارطة التوازنات فى المنطقة لصالح تحالف أوغندا – رواندا. وقد تحركت كل من أنجولا وزيمبابوى وناميبيا لدعم كابيلا وأرسلت قوات عسكرية ضخمة للحيلولة دون سقوط كينشاسا. فيما هددت رواندا من جانبها بالتدخل العسكرى المباشر لصالح التوتسى. وهكذا أصبحت الكونغو نفسها على حافة التقسيم وبؤرة لصراع إقليمى يمكن أن يتطور ويأخذ أبعادا خطيرة تهدد الأمن والاستقرار فى المنطقة. وكما نلاحظ فإن الخلفية العرقية والصراع على السلطة يلعب دورا محوريا فى هذا النزاع (رواندا، زيمبابوي، أوغندا) فيما يلعب العامل الاقتصادى والاضطرابات الداخلية هو الآخر دورا لا يقل أهمية، كما هو الحال مع أنجولا التى تدخلت بعد تردد فى الحرب لدعم نظام كابيلا. وبالنسبة للحكومة الأنجولية فإن ما يهمها هو استقرار الوضع فى كينشاسا بسبب قربها من حقول النفط الأنجولية ولحل أزمتها الداخلية الكبرى، المتمثلة فى تمرد حركة يونيتا السابق (وهى حركة نشأت واستمرت بفضل دعم الاستخبارات الأمريكية لها خلال الحرب الباردة فى مواجهة النفوذ السوفييتى الكوبى فى أنجولا. يذكر أن عناصر اليونيتا وقفوا إلى جانب موبوتو فى الحرب الأهلية، فى حين وقفت الحكومية الأنجولية مع كابيلا. وتهدد اليونيتا الآن بالدخول فى الحرب الحالية إلى جانب متمردى التوتسى ضد كينشاسا. وضمن هذه الخلفية يمكن فهم أبعاد وطبيعة التأثير الذى يلعبه التنافس الفرنسي- الأمريكى فى منطقة البحيرات العظمى وفى أفريقيا عموما، والذى لا يجب أن يضخم كما لا يجب أن يهمل بالقدر نفسه.

ولم يهمل المستعمر الألمانى السابق المنطقة فحصدت الشركات الألمانية معظم المناقصات الدولية واستهدفت المبادرات الألمانية للشراكة مع أفريقيا المنطقة فى مبادرات تنموية خاصة بتنمية دول حوض النيل وقامت الوكالة الألمانية للتنمية GIZبدور واضح فى تمويل مشروعات الدول والمنظمات الإقليمية بالمنطقة.

ويلاحظ أن التنافس الغربى والأمريكى فى المنطقة بعد انتهاء الحرب الباردة يدور حول ضمان الوصول إلى مناطق التعدين والثروة الطبيعية. ويدل على ذلك التجارة غير المشروعة فى الماس والذهب وتهريب السلاح والتى يتورط فيها رجال أعمال وشركات أوروبية وأمريكية وإسرائيلية ومرتبطة بها شركات السلاح والحماية والمرتزقة. ويبدو واضحا أن المصالح الغربية فى المنطقة تستفيد من استمرار الصراعات والحروب المسلحة لضمان تدفقات عوائد التجارة غير المشروعة فى الماس والسلاح. كما أن الدول الكبرى- خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي- قد أقامت بالفعل تحالفات استراتيجية مع بعض دول المنطقة مثل كينيا ورواندا وأوغندا وقدمت مساعدات طائلة لتنميتها وحصلت منها على ضمانات (ووقعت اتفاقيات) لتنفيذ سياساتها على المستوى الوطنى والإقليمى بالمنطقة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر اتفاقات إعادة توطين الصوماليين والإريتريين من إسرائيل فى رواندا، وحيث تحاول إسرائيل دائما الدخول تحت الغطاء الأمريكى أو الأوروبى فإذا تعذر فبشكل مباشر انطلاقا من حقيقة أن إسرائيل شريك إستراتيجى للولايات المتحدة، مما وفر لها

درجة كبيرة من حرية الحركة فى تعاملها مع الدول الأفريقية ضمن إطار يسعى لتصوير تلك العلاقات على أنها جسر للتقارب مع القوة العظمى الوحيدة فى العالم.

المياه وإسرائيل

تجدر الإشارة إلى أهمية قضية المياه فى التكالب على المنطقة، فالوجود الأجنبى والإسرائيلى تحديدا فى المنطقة يسعى إلى التأثير فى الخزان المائى واعتبار قضية المياه ورقة ضغط يمكن إثارتها فى إطار الترويج لمقولة حروب المياه فى المنطقة. وتقدم إسرائيل نفسها أيضا على أنها خط الدفاع الأول للغرب ضد التطرف الإسلامي، وتحاول دائما أن تثير مخاوف الأفارقة من المد الإسلامى والحركات السياسية الإسلامية، وأن تقدم خدماتها للحكومات الأفريقية باعتبارها الخبير الأول فى هذا المجال حيث تمتلك إسرائيل مصداقية كبيرة لدى الدول الأفريقية فى ميادين الاستخبارات والتدريب العسكري، وقد ركزت فى تفاعلاتها الأفريقية منذ البداية على هذه المسائل التى تمت ترجمتها على شكل شركات أمنية. ويمكن التمييز فى هذا الإطار بين نوعين من الشركات: شركات المرتزقة التى تتولى تدريب وتسليح مليشيات قبلية لحماية الرؤساء والشخصيات السياسية المهمة، وشركات تتولى تنفيذ المخططات الإسرائيلية فى أفريقيا (من خلال الشركات متعددة الجنسيات المملوكة لعناصر يهودية أمريكية أو أوروبية وهى عديدة).

كما اتخذت إسرائيل دعم كل من المجتمع المدنى والديمقراطية فى أفريقيا مدخلا للنفاذ والتغلغل داخل نسيج المجتمع الأفريقي، بالإضافة إلى تحركاتها لمكافحة الإيدز فى القارة عبر إقامة مراكز طبية ويعد هذا المدخل من أهم وأكثر المداخل فعالية لكسب قلوب وعقول الشعوب الأفريقية فى هذه الآونة. من جهة ثانية تستغل إسرائيل حقيقة كون قارة أفريقيا ترزح تحت وطأة الفقر والتخلف، فترفع شعار الدولة «الصديقة» ذات السمات وتلوح إسرائيل باستعدادها لتقديم «المساعدة الفنية البحتة» الخالصة من أية «مطامع أو مطامح» فى خلق صداقات بينها وبين زعماء القارة وتبادل العلاقات الدبلوماسية وعقد الاتفاقيات الاقتصادية. وقد أنشأت إسرائيل العديد من المراكز التدريبية الخاصة بأفريقيا كما تقوم بمشروعات – من خلال الشركات المملوكة لعناصر يهودية– زراعية وفى مجال الطاقة.

وبوجه عام تشهد المرحلة الحالية إعادة تأسيس العلاقات بين إسرائيل وأفريقيا مرة أخرى خاصة فى ضوء طموحاتها لتنال – لأول مرة – عضوية مجلس الأمن خلال عام 2018 أو 2019 ومن هنا كانت زيارات رئيس الوزراء الإسرائيلى العام الماضي، والانتفاع اقتصادياً والاستفادة من موارد منطقة البحيرات العظمى الغنية، وقد ثبت تورط شركات إسرائيلية وتجار إسرائيليين فى التجارة غير المشروعة للألماس. فمن المعروف أن مافيا هذا المعدن الثمين تقوم بتهريبه من الكونغو ليصل إلى هولندا ثم بعد ذلك إلى مراكز تصنيع الألماس فى عدد من الدول الأوروبية والولايات المتحدة بالإضافة إلى إسرائيل والهند. على أن هذه التجارة غير المشروعة يوازيها تجارة أخرى غير مشروعة فى السلاح حيث يتم عقد صفقات لشراء الأسلحة وهو ما يسهم فى استمرار واقع الصراعات والحروب الأهلية فى الدول الأفريقية الغنية بالألماس أو المجاورة لها من خلال إثارة القلاقل وتشجيع حكم الأقليات غير المستقر خاصة فى أوغندا ورواندا (الحلفاء التقليديون لها بالمنطقة وحيث قام رئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو، بجولته المكوكية لأربعة من دول حوض النيل (أوغندا– كينيا– أثيوبيا– رواندا) منهم دولتا أوغندا ورواندا فى يوليو 2016).

قطر وتركيا

وهكذا بالإضافة للتنافس التقليدى فى القارة الأفريقية (الفرنسي-الأمريكي) دخلت دول عديدة – خاصة الاقتصاديات البازغة– فى دائرة التنافس والتكالب على منطقة البحيرات العظمى وتعددت المداخل لذلك. فمثلاً قطر تعد إحدى أكبر الدول الداعمة مالياً لمؤتمرات المانحين فى أفريقيا وأنفق جهاز قطر للاستثمار (الصندوق السيادي)، ما يقرب من 30 مليار دولار فى عام 2012 فى مشروعات أفريقية، كما لعبت الدور الإغاثى فى معظم الدول الأفريقية، إلى جانب جمعيات ومنظمات أهلية وخيرية، تتركز أعمالها فى بناء المساجد، ودعم المدارس الإسلامية، والمراكز الصحية، حيث تصل الجمعيات الإغاثية القطرية إلى مواقع الصراعات المسلحة الخطرة فى عدة دول.

كما أبدت الحكومة التركية ورجال الأعمال اهتماما باحتياطيات السوق الأفريقية التى لم يلتفت إليها من قبل. واستخدمت خطوط الطيران والمنح الدراسية كوسائل بدائية للربط بالإضافة إل المنتدى الذى أقامته خصيصاً للقارة، وتركيا ستستضيف فى سبتمبر 2017، قمة بين تركيا والدول الإفريقية، بمشاركة رؤساء دول ووزراء ورجال أعمال، فى تجمع هو الأكبر بين الجانبين.

وقد أقامت الهند أيضاً وكوريا وغيرها المنتديات للتقارب مع أفريقيا بشكل عام وتتسم منطقة البحيرات العظمى بتغلغل للعناصر الهندية شأنها فى ذلك شأن باقى دول شرق وجنوب القارة.

3 – جهود المنظمات الإقليمية لإحلال السلام والتنمية:

بناء على دراسات الجغرافيا السياسية والمنافسة والصراع الدولى على المنطقة، فإنه من الواضح أنه لن يكون هناك حلول لصراعات ومشاكل منطقة البحيرات العظمى إلا نابع من داخلها، فالمنطقة مقبرة المنظمات والجهود الأممية وفيها استشهد ثانى سكرتير عام للأمم المتحدة داج همرشولد، الذى دفع ثمن قوته وصراحته فى جعل الأمم المتحدة منظمة حقيقية وقوية بأن لقى حتفه فى حادث تحطم طائرته الذى لا يزال غامضاً حتى اليوم فوق أرض الكونغو فى سبتمبر 1961.

وتساهم مصر بقوات فى بعثة حفظ السلام فى الكونغو الديمقراطية فى إطار الحرص المصرى على معالجة قضايا منطقة البحيرات العظمى، وتوفير مستقبل أفضل لشعوبها. كما أن مركز القاهرة الإقليمى للتدريب على تسوية

المنازعـــات وحفظ الســـلام يلعب دوراً فى رفع كفـــاءات المنظمات الإقليمية من خلال دورات وورش عمل. ومصر حاليا تمثـــل أفريقيا فى مجلس الأمن (2016-2017) وتـــرأس لجنة القـــرار 1533 التى نشأت بمقتضى القرار 1533 لعام 2004 المعنيـــة بمتابعة نظام العقوبات الخاص بالكونغو الديمقراطية، وكذلك فإن مصر عضو بمجلس الســـلم والأمن الأفريقى (2016/2018). وتقوم مصر بدعم جهود الأمم المتحـــدة والمنظمات الإقليمية لتأمين تحقيق الســـلام فى عدد من مناطـــق النزاعات الممتـــدة فى قارة أفريقيا ومساهمتها حاليا بنحو ٢٥٨٥ فردا فى البعثات الأممية، وبذا تعد مصر من أكبر الدول المساهمة بقوات فى بعثات الأمم المتحدة لحفظ السلام، وترسل مصر المبعوثين للوساطة فى النزاعات الداخلية من خلال مهمات لوزارة الخارجية كما تم فى مهمة السيد الســـفير نائب وزير الخارجية لبوروندى والوساطة المصرية فى الصومال.

وقـــد يكون من المفيـــد عرض لأهم المنظمات الإقليميـــة العاملة فى المنطقة والتـــى تُعقـــد عليها الآمـــال فى تهدئة الصراعات إن لم يكن حلها، مع إشـــارة للدور المصرى فى هـــذه المنظمات التى تنضم مصر لبعضها.

* تجمع شرق إفريقيا (ايكا)

يعتبر من أقوى التجمعات والتكتلات القُطرية فى إفريقيا ومقر ســـكرتاريته أروشـــا فى تنزانيا؛ حيث نجح فى تحقيق قدر من التكامل الإقليمى على مستويات كثيرة؛ فعلى عكس الجماعـــة الإنمائية لجنـــوب إفريقيا يكاد يكـــون التجمع منظمة متماســـكة حققـــت العديد من الإنجازات الكبرى والتى اســـتعصت على التكتـــلات الإقليمية الأخـــرى فى القارة. ففى غضون فترة زمنية قصيرة نسبيًّا لا تتجاوز بضعة عشر عامًا، حقق التجمع تقدمًا فى مجال التكامـــل الإقليمى على جميع المستويات لاسيما القطاع التجاري؛ مما أدَّى إلى ارتفاع الناتج المحلى الإجمالى فى المنطقة إلى 110 مليارات دولار فى عام 2014. وقد تأسَّس تجمع شرق إفريقيا عام 1967 من قِبل كينيا وتنزانيا وأوغندا لكنه لم يستمر سوى 10 سنوات؛ حيث تمَّ حلُّه بسبب انتشار النزاعات فى المنطقة وتدهور البنية التحتية، فضلاً عن الحرب بين تنزانيا وأوغندا فى الســـبعينات، ثم تمت إعادة تأسيسه فى 30 نوفمبر1999؛ وذلك عندما عقدت الدول الثلاث مؤتمرًا فى مدينة «أروشـــا» التنزانية والذى تم التوقيع فيـــه على إنشـــاء التجمع مرة ثانية كمنظمة إقليميـــة جديدة، غير أن التجمع بدأ ممارســـة مهامه وأنشطته فى 2001. وفى بدايـــة عام 2007 طلبت كل من جمهوريتى «رواندا، وبوروندي» الانضمام إلى التجمع، وأصبحتا عضوين رسميين فى 1 يوليو 2007 بموافقة من الدول الأعضاء.

وتجدر الإشـــارة إلى دور التجمع فى حلحلـــة الأزمة البوروندية، فالرئيس الأوغندى موســـيفينى هو وسيط الأزمة البوروندية المعـــين من قبل تجمع شرق أفريقيـــا بمعاونـــة الرئيـــس التنزانى الســـابق بنجامين مكابا كميسر للأزمة البوروندية. وتدعم مصر جهود الميسر مكابا وقد أصدرت عـــدة بيانات تأييد لجهود الحل كمـــا أوفدت مبعوثاً خاصاً للأزمة البوروندية هو الســـيد الســـفير حمدى ســـند لوزا نائب وزير الخارجية للشئون الأفريقية.

وتتبنى مصر وجهـــة نظر محايدة تجاه الأزمة السياســـية التـــى تمر بها بوروندى الأمر الذى تجلى فى امتناع مصر عن التصويت على قـــرار مجلس الأمن رقم 2303 الخاص بنشر قوات مراقبة شرطية (228 فرداً) تابعة للأمم المتحدة فى بوروندى دون التشاور مع الحكومة البوروندية خاصة وأن بوروندى تعانى بشـــدة من وطأة الضغوطات السياسية والعقوبات الاقتصادية المفروضة عليها وهى ثانى أفقر دولة فى العالم. كما قامت بعثة مصر لـــدى الأمم المتحدة فى جنيف بدور فعال فى تشـــكيل اتجاه معارض لقرار مجلس حقوق الإنسان فى أغسطس 2016، ورفضـــت مصر تجاوز المجلس فى ســـلطاته ومبالغته فى وصف تدهور الأوضاع فى بوروندى.

التجمـــع الاقتصـــادى لـــدول شرق أفريقيـــا (إيـــكاس)

هو الـــذراع الاقتصادى لتجمع شرق أفريقيا. وقد وقّـــع التجمع الاقتصادى لدول شرق أفريقيا ككتلة إقليمية موحَّدة اتفاقًا فى أغســـطس 2014 مع الاتحاد الأوروبى (ولم توقع عليه ســـوى كينيا باعتبارهـــا الدولة الوحيدة بالتجمع غير المنتمية للـــدول الأكثر فقـــراً وتأمل فى الاستفادة من اتفاق التجارة مع الاتحاد الأوروبـــى الـــذى يســـمح « بكل شيء ماعدا الســـلاح»)، واتفاقاً مع الولايات المتحدة الأمريكية فى فبراير 2015 بشأن الاســـتثمار ليصبح بعد ذلك فى طليعة التكتلات الإفريقية الثلاثة (تجمع شرق إفريقيا-الكوميسا- ســـادك) فى مجال التنمية الاقتصادية؛ حيث وصل إجمالى حجم اقتصاد مجموعـــة شرق إفريقيا فى عـــام 2014 إلى 110 مليارات دولار أمريكى مقارنة مع عـــام 1999 (20 مليـــارًا)، فيما لا تزال الـــدول الأعضاء تسعى إلى إعداد خطط للبنية الأساسية عـــبر الحدود لجلب المزيـــد من المولين المحتملين. ففى عام 2005، خطا التجمع خطوة نوعيـــة نحو تعميـــق التكامل الإقليمى وذلـــك عندما وقّعـــت الدول الأعضاء بروتوكـــول «الاتحاد النقدي» على غرار الاتحاد الأوروبى ما سيؤدى إلى انخفاض تكاليف المعاملات التجارية مع زيادة فى النشاط الاقتصادى.

الاتحـــاد الجمركـــى لتجمـــع دول شرق أفريقيـــا:

أنشـــأ التجمع اتحـــادًا جمركيًّا فى 2005، ودخـــل الاتحـــاد بالفعل حيز التنفيذ من 2010، لتفتح بورصة نيروبى بعد ذلك أبوابها أمام المســـتثمرين من تنزانيا وأوغندا، بحيث أصبح من السهل على رجال الأعمال فى الدول الأعضاء شراء أســـهم فى شركات الدولة الأخرى، وعلى الرغم من أن العملـــة الموحدة لم تدخل حيز التنفيذ، وربما تتأخر أكثر من عشر ســـنوات، إلا أن البروتوكول يمثِّل إشارة قويـــة لدفع عجلة التنميـــة إلى الأمام فى المنطقة. وهو مـــا اعتبره البعض بمثابة نقطة تحول من منطقة مليئة بالنزاعات والصراعات إلى وجهة استثمارية واعدة على خريطة العالم.

وتتردد تنزانيا دائمًا فى تسريع عملية التكامل الإقليمى على الرغم من أنها تبدى حماسًـــا «ظاهريًّا»؛ فتنزانيا وبوروندى يعانيان من تهميش واضح من قِبل كينيا

وأوغندا ورواندا، ويتجلَّى ذلك من خلال موافقة الدول الثلاث الأخيرة على بناء سكك حديدية جديدة تربط بينها وذلك دون تنزانيا وبوروندي؛ الأمر الذى دفع المسئولين التنزانيين إلى طلب تفسير لذلك أكثر من مرة. مقابل ذلك، فقد رفضت تنزانيا محاولة من الدول الثلاث أيضًا لاتفاق ملزم حول الموارد المشتركة، مثل الاستفادة من مياه بحيرة «فيكتوريا» والتى يشترك فيها جميع الدول الأعضاء إضافة إلى المحميات البرية. علاوة على ذلك، فإن الدول الثلاث، كينيا وأوغندا ورواندا، أطلقت مؤخرًا تأشيرة سياحية موحدة والتى دخلت حيز التنفيذ فى يناير 2015، مقابل تحفظ تنزانيا وبوروندى على الاتفاق، واللتين يقال: إنهما غير متعجلتين فى عملية التكامل الإقليمى.

وعاء الطاقة لدول شرق أفريقيا (مصر عضو به)

هو أحد أذرع الكوميسا (السوق المشتركة لشرق وجنوب أفريقيا) وتستضيف أثيوبيا سكرتارية الوعاء والتى تكونت من خلال توقيع أعضائها للاتفاقية الحكومية الموقعة عام 2005 حيث تم تأسيس الوعاء الذى بدأ بعدد 7 دول فقط هى مصر وأثيوبيا والسودان وبوروندى ورواندا والكونغو الديمقراطي، وتوسعت العضوية حتى أصبحت حالياً 11 عضواً تضم جميع دول منطقة البحيرات العظمى لتشمل تنزانيا وأوغندا وكذلك ليبيا فى 2010 ومؤخراً جيبوتي، ومهمتها الأولى الربط الكهربائى واعتماد الخطة الرئيسية للطاقة فى المنطقة. وتحاول مصر من خلال عضويتها فى هذا الوعاء المساهمة بخبرتها فى وضع خطط واستراتيجية للطاقة للمنطقة تخدم جميع الأطراف وتحقق التنمية لدوله.

منظمة المؤتمر الدولى للبحيرات العظمى (مصر عضوية متبناة).

منظمة المؤتمر الدولى لمنطقة البحيرات العظمى نشأت عام 2006 وتعتمد المنظمة على قاعدة التوافق فى اتخاذ القرارات مما يجعل معظم قراراتها توصيات لا أكثر ولا أقل، وليس لها أدوات للضغط على أعضائها فى ضوء ضعف دورها التنموي، فهى مُلتقى تشاورى مهم تحرص دول المنظمة عليه. ومقر سكرتاريتها بوجمبورا عاصمة بوروندى.

المنظمة تتكون من خمس دول أساسية هى دول منطقة البحيرات العظمى التى تضم (الكونغو الديمقراطية، بوروندي، رواندا، أوغندا، وتنزانيا) ودول لها حدود معها أو مصالح حيوية مع المنطقة أو إثنيات متصلة وهى (أنجولا، زامبيا، السودان، جنوب السودان، أفريقيا الوسطي، كينيا، والكونغو برازافيل)، بالإضافة إلى دول متبناه تشمل: مصر وأثيوبيا وغيرها من دول فى جنوب وشرق أفريقيا، كما أن هناك العديد من الدول والمنظمات تحظى بوضعية مراقب.

وقع أعضاء المنظمة عشرة بروتوكولات واتفاقيات تعاون معظمها فى مجالات السلم والأمن وهى (بروتوكول عدم العدوان والدفاع المشترك، بروتوكول الديموقراطية والحوكمة الرشيدة، بروتوكول التعاون القضائي، بروتوكول منع وتجريم جرائم الحرب والإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وكل أشكال التمييز، بروتوكول تجريم الاستغلال غير الشرعى للموارد الطبيعية، بروتوكول إعادة الإعمار المتخصص وتنمية المنطقة، بروتوكول منع وقمع العنف الجنسى ضد المرأة والطفل، بروتوكول حماية ومساعدة النازحين، بروتوكول حفظ حقوق الملكية للمواطنين العائدين لأوطانهم، بروتوكول إدارة المعلومات والاتصالات). وللمنظمة صندوق لإعادة الإعمار والتنمية يشارك فى تمويله البنك الأفريقى الدولى والشركاء من الدول المتقدمة بمساهمات طوعية وهو المدخل الذى تشارك منه وكالة التعاون الدولى الألمانية وغيرها من الدول الأوروبية فى وضع أولوياتها والمشاريع التى تهمها قيد التنفيذ، فمثلاً يتم الاهتمام بشكل أكبر على التعاون الفنى وبناء القدرات فى مجال شهادات المنشأ للدول أعضاء المنظمة فى مجال الثروات الطبيعية لتسهيل تصديره.

تواجه منظمة البحيرات العظمى العديد من التحديات نظراً لحالة الاضطراب السياسى وعدم استقرار الأوضاع فى الدول الأساسية. فخمس دول من أعضاء المنظمة تعانى من الحروب الداخلية وهى بوروندي، والكونغو الديموقراطية، وجنوب السودان، وأفريقيا الوسطى وأوغندا. ولم تحقق قمم المنظمة المنتظر منها لإيجاد مخرج للأزمة السياسية فى كل من بوروندى وجنوب السودان، كما أخفقت القمة فى تقريب وجهات النظر ورأب الصدع بين القيادة السياسية الحاكمة فى بوروندى ورواندا، وحاولت سكرتارية المنظمة عمل قمة استثنائية فى 15 ديسمبر 2016 لتقييم 10 سنوات من عمل المنظمة التى قامت لتحقيق الأمن والسلم فى المنطقة وانتهت بحروب داخلية وبينية إلا أن الدول الأعضاء رفضت ذلك.

تواجه المنظمة صعوبات كبيرة من الناحية الاقتصادية والمالية مما يعوقها عن تنفيذ أدوارها ويعطل الكثير من برامج التنمية المزمع تنفيذها للنهوض بالدول الأعضاء، ودولتان فقط (هما السودان وأنجولا) تتحملان الجزء الأكبر من مساهمة الدول الأعضاء بالمنظمة، إلا أن أنشطة المنظمة المختلفة تتحملها وكالات التنمية التابعة للاتحاد الأوروبى وأهمها وكالة التعاون الدولى الألمانية.

وقد نظمت وزارة الخارجية المصرية (مركز القاهرة لحل النزاعات وحفظ السلام فى أفريقيا، الوكالة المصرية للتنمية من أجل التنمية) مع منظمة المؤتمر الدولى المعنى بمنطقة البحيرات العظمى، ورشة عمل فى القاهرة فى 27 فبراير 2017 بشأن تعزيز الاستجابات الجماعية لتهديدات السلام والأمن فى منطقة البحيرات العظمى، فى ضوء دور مصر كعضو متبن للمنظمة تحت رعاية السيد سامح شكرى وزير خارجية جمهورية مصر العربية والسيد جورجس شيكوتى وزير العلاقات الخارجية فى جمهورية أنجولا ونواب وزراء خارجية دول منطقة البحيرات العظمى وعدد من المبعوثين الدوليين للمنطقة.

الاتفاق الإطارى للسلم والأمن:

دعا الاتحاد الأفريقى لمؤتمر دولى حول منطقة البحيرات الكبرى، وعقد

الاجتماع الأول للمنسقين الوطنيين للمؤتمر الدولى يومى 23 و24 يونيو 2003؛ حتى تم الحصول على موافقة بلدان المنطقة على انعقاد المؤتمر لتوقيع الاتفاق الإطارى للسلم والأمن والتعاون الخاص بالكونغو الديموقراطى والمنطقة والموقع فى أديس أبابا 24 فبراير 2013. وقد أشار الاتفاق أن المقصود بالمنطقة هم الدول الموقعة على الاتفاقية وأن آلية إنفاذ الاتفاق تشمل 12 دولة أساسية (ما يسمى دول المنطقة) وتشمل الكونغو وأفريقيا الوسطى وأنجولا ورواندا وبوروندى والسودان وجنوب السودان وجنوب أفريقيا وتنزانيا وزامبيا وأوغندا + 4 منظمات هى: المساعى الحميدة للسكرتير العام للأمم المتحدة ورئاسة الاتحاد الأفريقى ورئاسة منظمة السادك ورئاسة منظمة البحيرات العظمى. أما الشركاء الدوليون فيشمل: الاتحاد الأوروبى وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد انبثق عن هذا الاتفاق آليات لضمان تنفيذه أهمها الاجتماع الرفيع المستوى الأخير للآلية الإقليمية للرقابة لجمهورية الكونغو الديموقراطية ومنطقة البحيرات العظمى الضامنة لإطار التعاون فى السلم والأمن وتعقد اجتماعاتها بصفة سنوية فى نيويورك على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ويحضرها السكرتير العام للأمم المتحدة، ورئاسة الاتحاد الأفريقى ورئاسة منظمة السادك ورئاسة منظمة البحيرات العظمى وممثل المفوضية الأفريقية وممثلو دول المنطقة: بوروندى ورواندا وكينيا والكونغو الديموقراطى والسودان وجنوب السودان وأوغندا وزامبيا وتنزانيا + جنوب أفريقيا. وكان آخر الاجتماعات رفيعة المستوى للآلية الإقليمية للرقابة فى لواندا- 26 أكتوبر 2016.

كما تعقد منظمة ؟؟؟ بالتعاون مع مكتب السيد سعيد جانيت المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة لمنطقة البحيرات العظمى فى نيروبى اجتماعات لمتابعة هذا البروتوكول وبتمويل مكتب الأمم المتحدة وفقاً لبروتوكول التعاون القضائى الموقع بين الدول الأعضاء (أحد البروتوكولات الرئيسية العشرة التى تضع أساس عمل المنظمة).

مبادرة دول حوض النيل (مصر مُجمدة عضويتها)

هى اتفاقية تضم مصر، السودان، أوغندا، إثيوبيا، الكونغو الديموقراطية، بوروندي، تنزانيا، رواندا، كينيا،أريتريا، جنوب السودان.

وفى فبراير 1999 تم توقيع مبادرة حوض النيل بين دول حوض النيل العشر آنذاك، بهدف تدعيم أواصر التعاون الإقليمى الاجتماعى بين هذه الدول. وقد تم توقيعها فى تنزانيا وتنص على الوصول إلى تنمية مستدامة فى المجال السياسي-الاجتماعي، من خلال الاستغلال المتساوى للإمكانيات المشتركة التى يوفرها حوض نهر النيل. وتأسست أمانة المبادرة فى 1999 ومهمتها تقديم الدعم الإدارى لمجلس الوزراء واللجنة الاستشارية الفنية. ومقر الأمانة فى عنتيبي، أوغندا، ويرأسها مدير تنفيذى.

وتتضمن مبادرة حوض النيل ثلاثة برامج رئيسية: برنامج الرؤية المشتركة، برنامج العمل الفرعى فى النيل الأزرق (انسااب) الذى يهدف إلى تنمية الموارد المائية فى حوض النيل الأزرق بطريقة مستدامة وعادلة لضمان الازدهار والأمن والسلام لجميع شعوبها. ويديره المكتب الإقليمى الفنى للنيل الأزرق (انترو) ومقره فى أديس أبابا، إثيوبيا. ويتبنى البرنامج الاستثمارات قصيرة الأجل والاستثمارات المتعددة الأغراض على طويلة الأجل.

والثالث برنامج العمل الفرعى فى البحيرات العظمى (نلساب) وهو برنامج استثمارى تحت مبادرة حوض النيل. مهمته المساعدة فى تقليل الفقر، تعزيز النمو الاقتصادي، مكافحة التدهور البيئى. يشمل برنامج العمل الفرعى على البحيرات الاستوائية العمل على مجالين أساسيين: تنمية وإدارة الموارد الطبيعية، تجارة وتنمية الطاقة.

وغنى عن البيان أن مبادرة النيل هى مبادرة مصرية فى الفكرة والنشأة، إلا أن مفاوضاتها لم تكتمل وتم فتح باب التوقيع على الاتفاقية الإطارية لها عام 2010 فى عنتيبي، وأن جميع دول منطقة البحيرات العظمى - فيما عدا الكونغو الديموقراطى -موقعة على الاتفاقية الإطارية (اتفاق عنتيبي) واثنان منها موقعان ومصدقان هما رواندا وتنزانيا، واثنان موقعان بدون تصديق هما بوروندى وأوغندا. وتقود أوغندا جهوداً للتوافق بين الدول الأعضاء تعظيماً لفوائد التعاون المشترك والتنمية للمنطقة، فقد دعا الرئيس موسيفينى لقمة لدول الحوض فى 17 يونيو 2017.

- منظمة «الجماعة الاقتصادية لدول منطقة البحيرات العظمى» (سبجل)

تأسست فى سبتمبر 1976 بهدف تحقيق التكامل الاقتصادى بين بوروندى ورواندا والكونغو الديموقراطي، إضافة إلى توفير حرية الحركة لانتقال الأفراد والبضائع والخدمات بما يساهم فى تنمية المنطقة اقتصادياً واجتماعياً. يعد مشروع إنشاء سد روزيزى على الحدود المشتركة بين الدول الثلاث المشروع الأهم لدول التجمع للحصول على الطاقة الكهرومائية.

جدير بالذكر أن أنشطة التجمع شبه متوقفة فى ضوء توتر العلاقات السياسية بين بوروندى ورواندا من جهة وبين الكونغو الديموقراطية ورواندا من جهة أخرى.

والخلاصة إذن، أنه فى ظل التكالب والتدخلات الخارجية والداخلية فمن المتوقع استمرار الصراعات فى المنطقة وأن تخفق جهود الوساطة فى إيجاد مخرج لأزمات المنطقة خاصة الأزمة البوروندية أو الكونغولية لغياب الفهم الحقيقى للصراعات السياسية المرتبطة بالتقسيمة العرقية للمنطقة وإلى غياب التنسيق بين المنظمات الأممية والإقليمية ودون الإقليمية، بالإضافة إلى تضارب المصالح بين القوى الدولية والإقليمية الكبرى ومصالحها فى تأمين موارد الثروات الطبيعية فى المنطقة)خاصة الماس والذهب) مما يؤدى إلى عدم استطاعتهم بلورة رأى أو طرح سياسى واضح لحل أزمات المنطقة مستفيدين من حالة الصراع، وحيث أصبح الهدف إدارة الصراع – وليس حله – وذلك بأقل الخسائر للدول ذات المصالح مع تعظيم مكاسبها منه.

الامن فى البحر الاحمر خط أحمر

إذا كانـــت عبقرية المكان والزمان التى تحدث عنها العالم الجليل الدكتور جمال حمدان حول موقع مصر الفريد والمتفرد كواسطة عقد وقلب العالم القديم بقاراته الثلاث، فإن الرؤية الإستراتيجية لموقع مصر سواء فى محيطها أو فى إطار هذا العالم تدفع نحو القول بأن البحر الأحمر بقناة السويس، هو واسطة عقد البحار والمحيطات، وقلبهم فى ذات العالم، أو قل هو الشريان التاجى لهذا القلب. ويتأســـس ذلك القول على كونه الرابط بين القارات الثلاث أفريقيا وآســـيا وأوروبا، وبين بحار ومحيطات ذلك العالم، وهو بحكم موقعه ـ وما تستوجبه مصالح شعوب ودول العالم، للوصـــل وليس للفصل بين جانبين (العالم العربى والقارة الأفريقية)، وغنـــى عن البيان، فإن نطاق الأمن القومى العربى يمتد من الخليج العربى شرقا حتى المنطقة الواقعة غرب البحر الأحمر حيث الدول العربية/ الأفريقية، وهو نطاق يمتد فى اتجاه المحور الجنوبى حتى الصومال، ويمتد فى اتجاه المحور الشـــمالى الغربى حتى موريتانيا والمغرب (ما يقرب من نصف عدد الدول العربية بأغلبية الشـــعوب العربية بالقارة الأفريقية). ومن هنا تجئ مقولة أن أمن البحر الأحمر فى اتصال بالأمن فى الخليج العربى، وأن الأمن فى كليهما وفى ارتباط بينهما خط أحمر بالنســـبة للدول العربية عامة وبالنسبة لمصر بصفة خاصة.

واقع الأمر على ضوء مـــا تقدم، فإنه يمكن رصد مخاطر وتحديات مستحدثة ـ بجانب القديمة وأبرزها إسرائيل تهدد الأمن القومى العربى بصفة عامة والأمن القومى المصرى بصفة خاصة وعلى نحو يرتبط ـ بحكم طبيعـــة وحجم المصالح المســـتقرة فى المنطقة للعديـــد من القوى الإقليميـــة والدوليـــة ـ بالأمن والســـلم الدوليين.

لعل من أبـــرز هـــذه المخاطر وتلك التحديـــات المحور الثلاثـــى الذى يضم قطر وإيران وتركيـــا وربما دولا تنطوى تحت لوائهم وتخضـــع لنفوذهم، إذ يمتد نشـــاطه فى زعزعة الأمن والاســـتقرار فى منطقة الخليج إلى منطقة البحر الأحمر، فضلا عن تنظيمـــات إرهابية ومتطرفة يتوفر لهـــا من جانب دول المحور الثلاثى دعم تمويـــلى وتدريبى وملاذ آمن وأبواق دعائية وفكريـــة، تثير نزعـــات عرقية ودينية ومذهبية وطائفية وجهوية لتفتيت وتقســـيم دول معينة للسيطرة والهيمنة وتغيير خريطة العالم العربى.

ففى الوقت الذى أنشـــأت فيه تركيا قاعدة عسكرية فى قطر، يتعاظم التواجد العســـكرى التركى إلى حد يتأكد معه بناء قاعدة عسكرية فى الصومال التى تقع على مدخل البحر الأحمر حيث حركة الشباب المتطرفة والمرتبطـــة بالقاعدة، وفى الوقت الذى تتدخل فيه إيران فى الشئون الداخلية

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

لدول بالخليج، تضطلع بتدخل عسكرى ســـافر فى اليمن المتشـــاطئ على البحر الأحمر وتوفر دعما للحوثيين ذوى التوجه الشيعى فى إطار ذلك المحور.

وتجدر الإشـــارة هنـــا إلى توقيت ما أثير من لغط حول ملكية جزيرتى تيران وصنافير وحق السيادة عليهما، إذ ارتبط بالمخاطر والتحديات التى تحيق بالأمن فى البحر الأحمر وأبرزها أنشطة ذلك المحور خاصة فى اليمن، التـــى تحمل فى طياتها تهديدا للأوضـــاع فى منطقة مضيق باب المندب الحيوى.

وفى اتصال بما تقدم، فإن قطر كدويلة نحيلة المساحة فقيرة الموارد البشرية فى إطار تعزيز طموحها المفـــرط، وأحلام يقظتها الجامحـــة، بأن تكون قـــوة إقليمية تتوق للهيمنة والسيطرة على المستوى الإقليمى، والمكانة والنفوذ على المستوى الدولى، وذلك عبر استثمار إمكاناتها المالية الضخمة على هذين المستويين، تبنت توجهات متناقضة وسياســـات مزدوجة بررتها بدعوى حق السيادة ناسية ومتناسية أنه ليس حقا مطلقا وإنما مقيد بعضويتها فى معاهدات واتفاقات وتنظيمات إقليمية ودولية تستوجب الاحترام وعدم الانتهـــاك. وتضطلع قطر بالتعاون مع تركيا بدور مشـــبوه معاد لمصر بصفة خاصة فى دول متشاطئة مع مصر فى البحر الأحمر مثل الســـودان، والصومال، وأخرى غير متشـــاطئة بل مغلقة مثل أثيوبيا التى تسعى للنفاذ إلى البحر الأحمر عبر كل من الصومال وجيبوتى. وتجدر الإشارة هنا إلى ســـحب قطر لقوات حفظ السلام القطرية فجأة من جزيرتى رأس دميرة، ودميرة، إثر الأزمة القطرية تاركة العلاقة بين جيبوتى وأريتريا المتشـــاطئتين على البحر الأحمر فى حالة من التوتر مع محاولات هشـــة من الاتحاد الأفريقى والجامعة العربية، فى وقت يتواصل فيه الدعم المادى القطرى لأريتريا.

ولعل من بين التحديات والمخاطر التى قد تنال من الأمن والاســـتقرار فى منطقة البحر الأحمر انتشـــار ظاهـــرة التواجد العسكرى فى شكل قواعد متحركة وأخرى ثابتة لقـــوى محلية ودوليـــة، فبجانب القواعد العســـكرية المتحركـــة للقوى الكبرى والتى تتواجـــد من آن لآخر، فإن دولة جيبوتى تكتظ بها قواعد عســـكرية عديـــدة وجميعها بمقابل مادى يشـــكل المورد الأساسى للدخل القومى لجيبوتى،

للسعودية قاعدة عسكرية لدعم التحالف فى اليمن (تجدر الإشارة إلى اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين مصر والسعودية ربطا بقضية السيادة على جزيرتى تيران وصنافير)، القاعدة الفرنسية (حوالى 900 جندى) ومهمتها حماية حركة التجارة عبر مضيق باب المندب، وقد تصدت لمحاولة تمرد عام 2000، قاعدة أمريكية (حوالى 3000 جندى) وقد أنشئت عام 2000 ومهمتها مراقبة المجال الجوى والبرى والبحرى للسودان وأريتريا والصومال واليمن وكينيا وجيبوتى، وتدريب جنود جيبوتى، وتشارك فى عمليات عسكرية ضد حركة الشباب فى الصومال والقاعدة فى اليمن. قوة من الاتحاد الأوروبى وتندرج مهمتها تحت مسمى قوة العملية الأوروبية لمكافحة القرصنة «أتلانتا» بهدف تطويق جرائم القرصنة فى مضيق باب المندب ومراقبة حركة التجارة. قاعدة عسكرية للصين تضم 10000 جندى أنشئت عام 2016 ـ 2017 لمدة عشر سنوات. هذا بجانب تلك القواعد يتردد أن لإسرائيل قاعدة عسكرية فى أريتريا ولم تنف الأخيرة ما يقال بشأنها.

لقد شهد العقد الحالى فى المنطقتين المشار إليهما تطورات وتحديات جسام، لعل أبرزها تزايد أعمال القرصنة، والهجرة غير الشرعية، والاتجار بالبشر وتهريب المخدرات، ثم صراعات دامية على السلطة والثروة فى إطار حروب أهلية داخلية بدول فى المنطقتين، تتأسس على العرق أو الدين أو المذهب، بدعم من قوى إقليمية ودولية تستهدف كل منها ـ أى تلك القوى ـ الهيمنة والسيطرة، ولتتفجر بموجبها نزعات استقلالية كامنة قد تنتهى بالتفتيت والتقسيم لدول عربية، ولتظهر كيانات غير عربية بالمنطقة العربية شرق البحر الأحمر أو غربه، تسهم على نحو أو آخر فى طمس الهوية العربية للمنطقة، وتعزز حال تواجدها والاعتراف بها، نجاح مسعى إسرائيل الاعتراف بها كدولة يهودية، بل وقد يصل الأمر إلى تغيرات فى موازين القوى الإقليمية على المسرح العربى والأفريقى، قد تتراجع فى إطارها أدوار قوى إقليمية قديمة، وتتنامى أدوار قوى إقليمية مستحدثة.

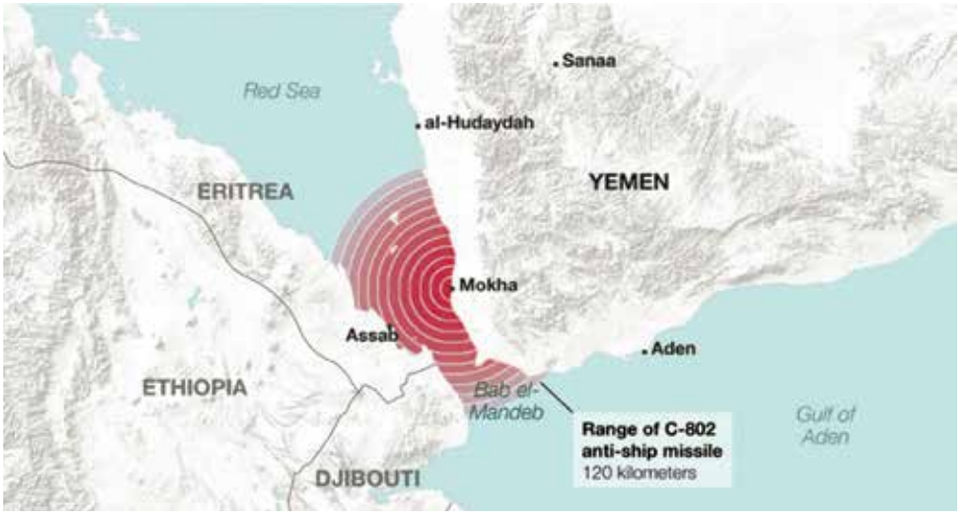

ولعل أخطر تلك التطورات والتحديات تنامى ظاهرة الإرهاب وتعاظمها، بل وتعدد التنظيمات التى تمارسه ولو تباينت فى درجة التشدد، وسواء كان ذلك باتفاق أو بدونه بين التنظيم الأم وبين التنظيمات الأخرى، التى طورت من أهدافها لتتمحور حول هدم مؤسسات الدول وخاصة مؤسساتها العسكرية والأمنية وتحويلها إلى دول فاشلة، مع تنامى الحديث عن دول إقليمية وقوى دولية تستخدم تلك التنظيمات لتحقيق أهداف سياسية ذاتية.

هذا وعلى الرغم مما يتردد على لسان كبار المسئولين بدول تلك القواعد بأنها جاءت إلى جيبوتى على خلفية اعتبارات أمنية إستراتيجية فى إطار اتفاقات تقنن تواجدها وتحدد نطاق المهام المفوضة بها، مقابل عائد مادى تحصل عليه دولة مقر القواعد، إلا أن مكمن الخطورة هو إمكانية استخدام تلك القواعد فى غير الغرض المخصص لها فى ظل ضعف سيطرة وعدم قدرة دولة المقر على الحيلولة دون ذلك.

إن هذه التطورات بجانب اعتبارات أخرى تهيئ على الأرجح مناخا أفضل لتحديات ومخاطر من نوع آخر، لعل أبرزها إنفاذ مشروعات منافسة أو بديلة لقناة السويس وبالتالى البحر الأحمر، مثل مشروع ممر الشمال ـ الجنوب، والذى يعد من أضخم مشاريع النقل الدولية فى القرن الحالى ويربط آسيا بأوروبا، وتتبناه كل من روسيا وإيران وأذربيجان.

وفى التقدير، أن مجمل تلك التحديات وهى تمس الأمن فى البحر الأحمر، قد دفعت ـ بجانب اعتبارات أخرى ـ مصر إلى الاهتمام، بدعم وتطوير بل وتحديث قواتها البحرية ـ التى تعد سادس قوة بحرية عالمياً ـ وخاصة الأسطول البحرى الجنوبى المتواجد فى البحر الأحمر، والذى يعد من الناحية العسكرية قاعدة بحرية متحركة، فى ارتباط وثيق بالسعى نحو تنامى العلاقات المتعاظمة مع دول متشاطئة بالبحر الأحمر من أبرزها جيبوتى، والسعودية، والسودان، والصومال وأريتريا، حفاظا على الأمن القومى فيه، من جانب، وداعما عند المقتضى للأمن فى الخليج العربى الذى يواجه مخاطر وتحديات مماثلة خاصة مملكة البحرين التى تشهد العلاقات بينها وبين مصر تعاظما وتناميا غير مسبوقين.

فى التقدير أيضاً وعلى ضوء ما تقدم، فإن ما تشهده منطقة البحر الأحمر من تطورات وتحديات قد تطال الأمن القومى العربى وكذا أمن واستقرار دول بالقارة الأفريقية، تستوجب النظر فى إنشاء منظمة إقليمية فرعية للأمن والتعاون فى البحر الأحمر تضم الدول المتشاطئة عليه من الدول الأعضاء فى كل من الجامعة العربية والاتحاد الأفريقى، مع دراسة إمكانية إنشاء قوة ردع عربية أفريقية فى هذا الإطار.

طريق الحرير: رؤية افريقية

دعا السيد وانج يى وزير خارجية الصين فى يناير 2017 الدول الأفريقية إلى الانضمام لمبـــادرة طريق الحرير الجديد والمعروفة بالبناء المشترك للحزام الاقتصادى لطريق الحرير، وطريق الحرير البحرى للقرن الحادى والعشرين.

وقد عقد فى بكين فى مايو2017 منتدى طريق الحرير وقمته الأولى، وشـــارك فيها من أفريقيا الســـيد أوهورو كينياتا رئيس كينيا، والسيد هيلامريام دســـالجين رئيس وزراء أثيوبيا، وتم توقيع مذكرتى تفاهم للتعاون حول مبادرة طريق الحرير بين الصين وكلا الدولتين.

وحضر عن مصر الســـيد طارق قابيـــل وزير التجـــارة والصناعة المصرى ووزير الثقافة التونسى.

موقع أفريقيا على طريق الحرير

مر طريق الحريـــر القديم عبر ثلاثة طرق برية رئيســـية تمتد من الصـــين إلى أوروبـــا وأحدهما إلى أفريقيا وهو الطريق البرى الجنوبى الذى يســـير من الصـــين إلى الهند وفارس ثم بلاد الرافدين إلى الشام ثم إلى مصر حتى ميناء الإسكندرية. كما كان طريق الحرير البحرى يبدأ من موانىء شرق وجنوب الصين إلى أندونيسيا ثم ســـيام والهند وبحر العرب وهنا يتفرع الطريق شـــمالا إلى البحـــر الأحمر إلى موانىء مصر عليـــه والطريق جنوبا إلى الصومال وموانىء شرق أفريقيـــا، وكلاهما يلتقى مع قسم من طريق «البخور» البحـــرى الموازى لشـــاطىء شرق أفريقيا وقسم من طريق «التوابل» البحرى.

وكانـــت هذه الطـــرق بدورها تنتهـــى إلى طرق أخـــرى قديمة وشهيرة نذكر منها طريق «الحج»

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

البرى الممتد من غـــرب أفريقيا إلى المغـــرب ثم بطول ســـواحل البحر المتوسط إلى مصر ثم يعبر الحجاج البحر الأحمـــر من الموانىء المصرية إلى جدة. وبعد الكشوف الجغرافية الأوروبيـــة أصبح طريـــق الحرير البحرى متصلا بالطريق حول رأس الرجاء الصالـــح إلى موانىء غرب أفريقيا ثم شمالا إلى أوروبا أو غربا إلى أمريكا اللاتينية.

مبادرة طريق الحرير وأفريقيا

تهـــدف المبـــادرة الصينية إلى اســـتكمال وتكامل البنية التحتية للدول الأعضاء عن طريق بناء طرق برية سريعة وحديثة وسكك حديدية وقنوات وخطـــوط اتصالات حديثة تربط بين الصين(آســـيا) وأفريقيا وأوروبـــا وتخصص اســـتثمارات ضخمة على مدى زمنى طويل لهذا الغرض. وقد أنشأت الصين صندوق طريق الحرير بمبلغ 40 مليار دولار تم زيادتها إلى 100 مليار دولار فى مايو 2017 وتم إنشاء بنك الاستثمار للبنية التحتية الآسيوى برأس مال 100 مليار دولار. والمبادرة مفتوحة -كما أعلنت الصـــين- لكافة الدول حتى من خارج نطاق طريق الحرير القديم لأنها تســـتلهم روح التعاون والتبـــادل والتواصـــل على طريق الحرير القديم.

وتؤكد الصين أن تطبيق المبادرة يقوم على مبـــادىء القانون الدولى والأمم المتحدة وسياســـة التعايش الســـلمى ومبدأ عـــدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى وعلى أساس اقتصاديات السوق والتعاون والمكسب المشترك.

Globe Tracker coverage new silk road

هذا وقد مرت أربع سنوات تقريبا على إعلان الرئيس الصينى شى جين بينج لمبادرة الحـــزام والطريق تم خلالها إنجاز العديد من المشروعات الكبرى وآخرها ما أعلنته الصين فى مايو الماضى عن إتمام بناء وتشغيل خط ســـكك حديدية من أديس أبابا إلى جيبوتى.

العلاقات الصينية الأفريقية

1- تعود علاقـــات الجانبين إلى سبع رحلات شهيرة قام بها البحار الصينى المسلم الشـــهير جنج خه بداية من عـــام 1405 وصل فيها إلى مكة وإلى سواحل شرق أفريقيا وذلك على رأس أسطول ضخم وكان يتبادل الهدايا مـــع حكام المناطق التى نزل بها.

2 - تعود العلاقات الحديثة إلى عام 1955 عندمـــا حضر الرئيس جمال عبدالنـــاصر مؤتمر باندونج والتقى بالزعيم شـــوين لاى رئيس وزراء الصين حينئذ وفى العام التالى اعترفت مصر رســـميا بجمهورية الصين الشعبية وأعقبها فى الاعتراف كثير من الدول العربية والأفريقية.

3 - ســـاندت الصـــين حركات التحرر الأفريقى فى الخمســـينيات والســـتينيات من القـــرن الماضى وقامت الدول الأفريقية من جانبها بمساندة حق الصين فى شغل المقعد الدائم بمجلس الأمـــن الذى كانت تشـــغله تايوان فى ذلك الحين كما أيدت مطالبة الصين للدول الغربية بإعادة أراضيها إليها(هونج كونج وماكاو وتايوان).

4 - قدمـــت الصين بعض المنح المالية والقروض الميسرة إلى بعض الدول الأفريقية كمـــا قامت ببناء بعض المشروعات وكان أشـــهرها وأعمقها أثرا خط السكك الحديدية الذى ربط بين زامبيا وتنزانيا وعرف باسم خط «تانزام».

5 - اتبعت الصين منذ نهاية عام 1979 سياســـة الإصلاح والانفتاح واستمرت فى تبادل التأييد السياسى مع الدول الأفريقية. وفى عام 2003 تم إقامة منتـــدى التعاون الصينى الأفريقى الـــذى يعقد قمة كل ثلاث سنوات بانتظام. وقد عقدت القمة الأخيرة فى جوهانسبرج عام 2015.

6 - تحصل الصـــين على كثير من المواد الخام اللازمة لصناعاتها والنفـــط مـــن الـــدول الأفريقية وتعتبر القارة أيضا ســـوقا رائجة للمنتجات الصينية لرخص أسعارها ومناســـبتها لاحتياجـــات المواطن الأفريقى محدود الدخل.

7 - معظم الدول الأفريقية تنظر إلى الصين نظرة إيجابية باعتبارها قوة دولية صديقة تساعد فى تنميتها بدون شروط مسبقة وأن ليس لديها ماض استعمارى بل ساندت التحرر الأفريقى من الاستعمار.

8 - أن التعاون الصينى الأفريقى قد أثار حماس قوى أخرى للتعاون مع أفريقيا فأقيمت العديد من آليات التشـــاور والتعـــاون المنتظمة مع القارة ككل من جانب اليابان وكوريا والهند وإيـــران وتركيا وإسرائيل وفرنسا وألمانيا، وهكذا انفتحت أمام الدول الأفريقيـــة منصات لتعاون أكبر وأشمل مع دول العالم تساعدها فى تحقيق أهدافها والتى بلورتها فى أجندة 2063 الأفريقية.

9 - مع زيادة التعاون الصينى الأفريقـــى بـــدأت وســـائل إعلام فى توجيـــه الانتقـــادات إلى الصين باستغلالها للعمالة الأفريقية وغياب المســـئولية الاجتماعيـــة للشركات الصينية وأن الصين تنقل صناعاتها القديمة إلى أفريقيا وأن شركاتها لا تهتم بالحفاظ على البيئة (وغابات أفريقيا تعتبر الرئـــة الثانية للعالم بعد غابات الأمازون فى البرازيل).

10 - اهتمت الصين خلال العقد الأخير وبســـبب توســـع تجارتها العالمية بإرســـال دوريات لحماية ســـفنها التى تعبر باب المندب من هجمات القراصنة. وفى عام 2011 بعد أحـــداث الربيع العربى فى ليبيا أرسلت ســـفنها لإجلاء الآلاف من رعاياهـــا فى أول عملية لها فى البحر المتوسط على الشـــواطىء الشمالية لأفريقيـــا. وقد أقامت الصين قاعدة لوجيســـتية لها فى جيبوتى. وكذلك تســـتثمر الصين حاليا فى موانىء لومى ولاجوس فى غرب القارة وهى منطقة غنية بمناجـــم المواد الأولية والبترول.

أجندة 2063 الأفريقية

وضع الاتحاد الأفريقى الأجندة باعتبارها خطة عمل تعالج مشاكل القارة وتجمع الجهـــود فى خطط عشرية بحيث يمكن تحقيق الوحدة والرفاهية فى القـــارة بحلول العيد المئوى لتأســـيس منظمـــة الوحدة الأفريقية. وورد بالأجندة أن هدفها الرئيسى هـــو «أفريقيـــا متكاملة ومزدهرة تنعم بالســـلام يقودها مواطنوها وتمثل قوة متحركة على الساحة الدولية».

ويمكن تلخيص الأهداف الواردة بها فيما يلى:

التنمية المســـتدامة بمشـــاركة الشعوب- ســـيادة الحكم الرشيد والديمقراطيـــة وحقوق الإنســـان والعدالة وسيادة القانون - وتوحيد القارة سياســـيا وتمتعها بالســـلم والأمن. وقد وضعـــت الأجندة 12 مشروعا جماعيا مهما للتنفيذ وهى:

الشـــبكة المتكاملـــة للقطـــار فائـــق السرعة- جامعـــة أفريقية افتراضية وإلكترونية- استراتيجية للتصنيع- إقامة منتـــدى أفريقى سنوى- إنشـــاء منطقة تجارة حرة بحلول عام 2017 - جواز ســـفر أفريقى موحد وحرية تنقل الأفراد - تنفيذ مشروع سد أنجا العظيم- الشـــبكة الإلكترونيـــة الأفريقية-

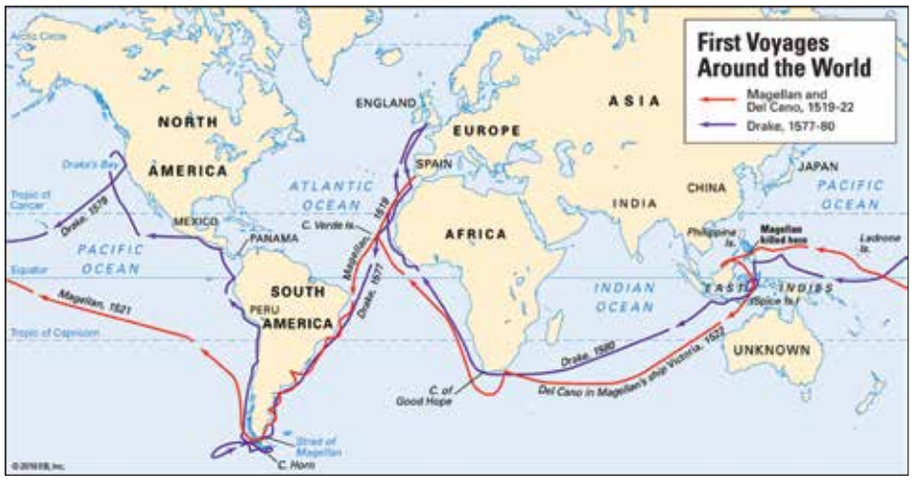

إنهاء الصراعات بالقارة بحلول عام 2020- وضع استراتيجية للفضاء الخارجى- إنشاء سوق أفريقية واحدة للنقل الجوى- إنشاء المؤسسات المالية الأفريقية.

قمة جوهانسبرج لمنتدى الصين وأفريقيا

حددت القمة الصينية الأفريقية الأخيرة (2015) عشرة مجالات للتعاون بين الجانبين هى: الصناعة وبناء القدرات الصناعية- الأمن الزراعى والغذائى- تنمية البنية التحتية- التعاون المالى- البيئة والتنمية الزراعية- تطوير التجارة والاستثمار- تقليل الفقر- الرعاية الطبية والصحة العامة- التبادل الثقافى- السلم والأمن.

وفى القمة أعلن أن التجارة بين الصين والدول الأفريقية قد ارتفعت من 10 مليارات دولار فى عام 2000 إلى 220 مليار دولار عام 2014 وأنه من المخطط أن تصل إلى 400 مليار دولار فى عام 2020 وأن الاستثمارات الصينية فى القارة الأفريقية ستصل إلى 100 مليار دولار فى نفس العام.

نموذج التعاون فى السكك الحديدية

فى عام 2014 ذكر رئيس وزراء الصين أن حكومته ستساعد أفريقيا على تحقيق حلم ربطها بشبكة قطارات وهو الأمل الذى كانت السيدة زوما مفوضة الاتحاد الأفريقى قد أعلنته ووقعت فى عامى 2015 و2016 مذكرات تفاهم مع الصين للمساعدة فى إنشاء البنية التحتية الأفريقية من سكك حديدية وطرق سريعة وخطوط طيران. ومن المعروف أن لدى الاتحاد خططاً مفصلة لكثير من المشروعات العابرة للقارة ومنها طريق القاهرة- الكاب فى جنوب أفريقيا. أما الدول الأفريقية فإن أربعا منها فقط له مذكرات تفاهم للتعاون فى مبادرة طريق الحرير الجديد وهى: مصر وأثيوبيا وكينيا وجنوب أفريقيا.

وتقوم هيئة الطرق والجسور الصينية الحكومية بتنفيذ مشروع خط سكة حديد نيروبى- مومباسا ويبنى فى مرحلتين: الأولى خط طوله 485 كم يربط مومباسا ونيروبى والثانية خط طوله 440 كم يربط بين كينيا وبوروندى وتنزانيا ورواندا وأوغندا. ويوجد تخطيط لمده إلى أثيوبيا وجنوب السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية.

وتتلخص الشروط الاقتصادية للمشروع فى أن تتحمل الصين 80 % من تكاليف إنشاء الخط ويقدم بنك التصدير والاستيراد الصينى (الأداة المالية الصينية الأولى فى القارة الأفريقية) قرضا تجاريا بمبلغ 1.6 مليار دولار بسعر فائدة 1.4% لمدة 15 عاما.

خاتمة: الظروف الأفريقية

إذا نظرنا إلى الظروف الأفريقية نجد أنها فى تحسن رغم عظم التحديات ومن ذلك، ارتفاع أسعار المواد الأولية عموما، واتساع الطبقة الوسطى عما كانت عليه فى الماضى مما يساعد على التوسع فى النشاط الاقتصادى والتجارى، وتحسن السلم والاستقرار فى القارة رغم ظهور الإرهاب فى بعض أجزاء القارة، وتوافر منصات عديدة دولية خاصة مع الاقتصادات الصاعدة ومن الفرص الجديدة والممتدة حتى القارة الأفريقية مثل مبادرة طريق الحرير الصينية.

وهناك عدة مزايا مهمة توفرها هذه المبادرة أهمها أن المبادرة الصينية توفر رؤوس أموال واستثمارات ضخمة تحتاجها الدول الأفريقية خاصة فى مجال البنية التحتية، وأن المبادرة مفتوحة لتعاون القطاعين العام والخاص وهى فرصة لتنمية القطاع الخاص الأفريقى كما يمكن للمؤسسات المالية الأفريقية أن تشارك فى التمويل مع صندوق طريق الحرير وبنك الاستثمار فى البنية التحتية الآسيوى، وأن أفريقيا تحتاج إلى نقل تكنولوجيا «حديثة» و«صديقة للبيئة» ونقل المعرفة الفنية الخاصة بها للكوادر الأفريقية وهو ما وعدت الصين بتحقيقه للمساعدة فى تصنيع أفريقيا.

الخلاصة أن المبادرة الصينية تساهم فى تحقيق أهداف الدول الإفريقية التى صاغتها فى أجندة التنمية 2063.

القيادات الكاريزمية وتجارب التنمية فى آسيا

مهاتير محمد «فارس التنمية الماليزية» جزء «2»

كان لدراســـته وممارسته الطب أعظم الأثر فى قدرة مهاتير محمد على تشخيص الحالة الماليزية ووضع روشتة العلاج المناسبة لها، وهو ما أشار إليه فى كتابه «المعضلة المالايوية» الـــذى أثار موجة من الغضب ضـــده إلى حد مصادرة الكتاب ووقـــف توزيعه نظرًا لحدته وصراحته فى انتقاد حال وحالة غالبية ســـكان ماليزيا من المالايويين الذين ينتمى هو أيضًا إليهم والذين يمثلون 58% من ســـكان ماليزيا إلى جانب 24% من أصول صينية و7% من أصول هندية إضافة إلى أقليات عرقية أخرى من أصول مختلفة.

حيث انتقد مـــا وصفه قناعتهم بالبقاء فقراء وارتباطهم بالعيش فى الريف اكتفاء بزراعة الأرز وعزوفهم عن العمل فى التجارة وعدم احتراف مهن مهمة كالطب والهندسة وعدم الحرص عـــلى التعلم وبالتالى توقف ارتقائهم للســـلم الاقتصادى، مدللا على ذلـــك بأنه حينمـــا حاول رفع مســـتوى الريفيين منهم ونقل عدد منهم إلى المدن، فإنهم بدلاً من العمل على رفع مستوى معيشتهم وإقامتهم بنوا عشـــوائيات داخـــل العاصمة بأكواخ وحبـــات من البلاســـتيك والصفيح الأمر الذى أثار اســـتياءه حيث يرى إن العيش فى المدن لا يعنى مجرد التمتع بالأضواء الســـاطعة للمدينـــة فقط، إنمـــا يتعلق الأمر بالعمل الدءوب والانضباط السلوكى والقدرة على التكيف مع نظام عمل ونمط معيشة جديد، لأن الإخفاق فى ذلك يعنى الانحـــدار إلى الحضيض من جديد وهو ما لا يمكن أن يقبل به أو يتسامح معه فى ظل هدفه الأسمى بإيجاد نظام عمل يسمح للمالايويين باحتلال حوالى 30 % من ثروة البلاد على الأقل، حيث إن الثروة الوطنية فى ماليزيا كانت موزعة بنسب 60 % للأجانب، 30 % للصينيين و10 % لباقى الأعـــراق الأخرى، منهم 2 % فقط للمالايويين.

سفير رضا الطايفي

taifyreda@yahoo.com

– أدرك مهاتير محمد من البداية ضرورة الارتقاء بغالبية السكان من المالايويين سواء بحثهم على التعليم أو بانخراطهـــم فى أعمـــال تجارية وصناعية وحرفيـــة لم تكن مألوفة لهم، كما أدرك أهمية الســـلم الأهلى والاستقرار الداخلى فى ظل بلد تتعدد فيها الأعراق ما بين صينيين يتصفون فى نظره بالنهم فى جمع المال وهنود يتصفون بالعنف والعدوانية وغالبية من المالايويين موصوفين بالكســـل وافتقاد القدرات الفكرية، وقد نجح فى صهر المجتمـــع الماليزى فى بوتقة واحـــدة باعتبـــار أن كل من ولد فى ماليزيا ويدين لها بالولاء دون غيرها يصبح كما كان يأمل ويخطط فردًا من أفراد الشعب والأمة حاملاً اسم بانغا «ماليزيـــا». ولقد كان لإعلائه مبدأ المواطنة أعظـــم الأثر فى نجاح التجربـــة التنمويـــة الماليزية التى قادها مهاتير محمد بـــكل اقتدار، فضـــلاً عن حرصه عـــلى تغليبه ما أسماه «النكهة الآسيوية» فى التنمية اعتمادًا عـــلى توجهـــه شرقًا نحو اليابان وكوريا الجنوبية حيث ثقافة الانضبـــاط وحب العمـــل والانتماء والنظام وإرادة التحدى والتحديث المتواصـــل والإبداع، كمـــا نجح فى توظيـــف تعاليم الدين الإســـلامى الداعية إلى العلم والقراءة والجدية فى العمل والأمانة والصدق وغيرها حيث يرى أن الإسلام ليس مجرد منظومة معتقدات وشـــعائر بـــل إنه يوجه المجتمع فى الأنشطة الحياتية اليومية كافة حتى فى نواح مثل مراعاة دقة المواعيد والنظافة الشخصية وحماية البيئة فى خدمـــة مشروعه التنموى الذى اســـتطاع خلال حوالى عقدين من الزمـــان أن ينقـــل ماليزيا من بلد كان متوســـط دخل الفرد فيه لا يتجاوز 350 دولاراً عام الاستقلال عن بريطانيا 1957، ومن بلد كان أكثر من 70% من سكانه يعيشون تحت خط الفقر ونســـبة من كانوا يجيدون القراءة والكتابة فيه متدنية جدًا، فضلاً عن أن عـــدد من كانوا يحملون شهادات جامعية لا يتعدى 100 شخص فى سائر أنحاء ماليزيا التى كانت تعتمد فى اقتصادها على صادراتها من المطاط والقصدير عبر

ميناء سنغافورة، إلى دولة صناعية مصدرة عبر موانيها الوطنية المتعددة، زاد دخل الفرد فيها إلى 7000 دولار عام تنحيه عن السلطة بمحض إرادته وهو فى قمة مجده السياسي وذروة شعبيته فى سابقة استحقت أن يقف أمامها المؤرخون بكل إجلال وإعجاب، وتدنت نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر إلى أقل من 5%، وتجاوزت نسبة المتعلمين 90% من السكان، وتحولت كوالالمبور من عاصمة غير معروفة كان يقطنها حوالى 300 ألف نسمة غداة الاستقلال إلى مدينة عالمية يقطنها أكثر من مليونى نسمة يتميز مشهدها بمبان مدهشة يتصدرها برجا «بترونـاس» التوأم اللذان بقيا مدة من الزمن أطول برجين فى العالم، وهى إنجازات لرئيس وزراء رفع خلال أولى حملاته الانتخابية عام 1982 بعد توليه السلطة مباشرة ثلاثة شعارات تحولت إلى برامج عمل هى تطهير البلاد من الفساد، رفع الكفاءة فى الأداء الحكومى، التحلى بالأمانة مع ضرورة تقليص الإجراءات البيروقراطية حيث كان بناء فندق على سبيل المثال يحتاج إلى الحصول على 200 موافقة وإذن وترخيص، الأمر الذى اقتضى العمل بمبدأ وأسلوب «الشباك الواحد» أمام المستثمرين، مرتبطًا بوضع «لائحة تدقيق» ملزمة للحكومة تتضمن المتطلبات الواجب تحقيقها وتحديد الحد الأقصى للوقت اللازم لدراسة كل طلب والرد على المستثمر بالموافقة عليه أو رفضه.

- لاحظ مهاتير محمد احتلال الشركات البريطانية جميع مناجم التصدير الكبيرة التسعة فى بلاده وكذا جميع مزارع المطاط وإدراجها فى بورصة لندن، حيث كانت السلعتان تشكلان نحو 80% من ثروات وعوائد صادرات ماليزيا حسب معظم أرباحها فى خزانة بريطانيا ولم تستفد ماليزيا منها إلا عائداً قليلاً من الضرائب التى كانت تسددها الشركات البريطانية، فقرر البحث عن وسيلة تستطيع بها ماليزيا استرداد واسترجاع ما كان ينبغى أن يكون ملكا للماليزيين، وهنا يرى مهاتير أنه لم يكن يستطيع اللجوء إلى خيار «تأميم الشركات الأجنبية» مثلما فعلت بلدان أخرى كثيرة حين نالت استقلالها، لأن ذلك كان سوف يرتد سلبًا على الاستثمار الأجنبى الذى كانت ماليزيا فى حاجة إليه فى ذلك الوقت، ولذا لجأ وهو بصدد ما أسماه «مليزة الشركات» إلى حيلة شراء أصول الشركات بشكل منسق من قبل عدة أطراف ماليزية فى وقت واحد من سوق الأوراق المالية «بورصة لندن» فيما أطلق عليه لاحقًا «غارة الفجر» حيث ما إن فتحت البورصة أبوابها للتداول فى 7 سبتمبر 1981 حتى انقض الفريق الماليزى واشترى أسهم الشركات، وبموجب قواعد سوق الأسهم البريطانية، وبعد أن استحوذ الماليزيون على 30% من أسهم الشركات، كان يحق لهم التقدم بطلبات لشراء بقية أسهم الشركات بالسعر نفسه وهو ما فعله مهاتير محمد بطريقة ذكية لاسترداد ممتلكات بلاده قانونًا من البريطانيين. وهنا يتحدث مهاتير محمد بفخر أن «غارة الفجر» قد استدل بها مرارًا فى الطرق القياسية لإدارة أسواق الأوراق المالية، إلى أن غيرت بورصة لندن لاحقًا قواعد اللعبة المالية بعد الغارة الماليزية، بحيث تصبح مثل هذه العمليات الشرائية المباغتة قريبة من المستحيل.

- يرى مهاتير محمد أن التنمية يجب أن تتم بالمشاركة ما بين الحكومة والقطاع الخاص فعلى الدولة الأقل إقامة البنى التحتية اللازمة والضرورية لعمليات التنمية، ويقدر أن الخصخصة قد لعبت دورًا مهما فى نجاح تجربته التنموية ويؤكد أنه لا يمكن لأحد أن يساوره شك فى أنه لولا الخصخصة لما قدر لماليزيا أن تتطور بهذه السرعة ويبلور رئيس وزراء ماليزيا الأسبق وفارس تجربتها التنموية مفاهيمه للخصخصة فى النقاط التالية:

- إن البعض يظن أن الخصخصة شر رأسمالى، لكن ماليزيا لجأت إليها لأنه ثبت مرارًا أن التأميم كان خطأ اشتراكياً، بل إن الدول الشيوعية نفسها قد لجأت إلى القطاع الخاص لإنعاش اقتصادها، ولم ينجح التأميم فى ذلك لغياب الحافز للعمل. وفى غياب حافز تحقيق الربح لا يبذل العاقل جهداً إضافياً لتحسين الخدمات وتحقيق المزيد من الأرباح.

- إن الخصخصة قد لا تكون وحدها ضمانة للنجاح، لكنها ستؤدى على الأرجح إلى تقديم خدمات أفضل بتكاليف أقل فضلاً عن أنها تعفى الحكومة من الحاجة إلى تحمل تكلفة الهيكل الوظيفى مثل الرواتب والأجور والمخصصات الأخرى، وغالباً ما تستطيع الحكومة فى حالة تخصيص بعض الشركات التعويض عن دعمها المالى من خلال الضرائب المفروضة على أرباح الشركات وأرباح الشركات المعاونة التابعة لها إذا ما وضع «نظام ضريبى كفء» وربما تبلغ الأرباح والعوائد الضريبية حداً يجعل من رفض الخصخصة لاعتبارات أيديولوجية حماقة مطلقة «على حد وصفه».

- إنه من دون الخصخصة، لن تقدر الحكومة على دعم الخدمات والمرافق التى يحتاج إليها النظام الباقى، إلا اذا اختارت تمويل ذلك من خلال القروض وهو بديل لا

يتحمس له حيث يـــرى مهاتير أن اللجـــوء إلى الاقتراض لـــه حدوده وعيوبه ومخاطره.

- إن مشـــاريع الخصخصة - فى مفهومه- لا ينبغى أن تكون متاحة أو معروضة على الجميع، بل يتعين أن ترســـو على شركات أو أشخاص لديهم القدرة وسجل نجاحات مسبق ومثبت، ولديهم الكفاءة على النجاح فى تنفيذ وإدارة المشروعات وتخفيف بعض الأعباء عن كاهل الحكومة.

- إن معظـــم الانتقـــادات التى وجهت إلى عمليـــة الخصخصة فى ماليزيا راجعة إلى سياسة الحكومة الســـماح للـــشركات الماليزية فقط بالمشاركة فى مناقصات الخصخصة ولو أن الحكومة ســـمحت للشركات الأجنبية بحيازة المؤسسات المعروضة للخصخصة لقل عدد منتقديها.

- إن الحكومة الماليزية قد حاولت خلال عمليـــات الخصخصة إنقاذ بعض الـــشركات المتعثرة، حيث إن فكرة إغلاق الـــشركات التى تعانى صعوبات هى فكرة قصيرة النظر، حيث إن انتشالها من عثرتها المالية والإدارية قد يكون الخيار الأمثل من الناحيـــة الاقتصادية، كما أنه يخدم قضية العدالـــة الاجتماعية تفاديًا لتسريح العمالة وتشـــجيعًا للشركة على ســـداد الضرائب المستحقة من أرباحها، علمًا بـــأن إنقاذ الشركات المتعثـــرة الذى ســـيؤدى يقيناً إلى التغلب على المشـــكلات الاقتصادية والاجتماعية التـــى يمكن أن تنجم عن إغلاق هذه الـــشركات، كان هو الإجراء الاقتصادى الأصوب، كما أنه لم يكن «بدعة ماليزية»، حيث سبق أن حدث ذلـــك فى الولايات المتحدة فى ســـبتمبر 2008 حيـــث طلبت إدارة «بوش الابن» من الكونجرس الأمريكى الموافقـــة على حزمة إنقاذ مالى بقيمة 700 مليار دولار لإنقاذ شركات أمريكية كانت متعثرة مثل مؤسســـة الرهن العقـــارى «فانى ماى» و«فريدى ماك»، لأنه ببساطة هناك بعض الشركات التى تعد أكبر من أن يسمح لها أن تفشل.

- إن الخصخصـــة - فى مفهوم- مهاتير محمد كانت لا تعنى التخلى عن كامل الملكية، حيث لا يســـمح للشركات الأجنبيـــة بتملك أكثر من 30 % من الشركات الماليزية.

- فى تقديـــره، أن سياســـة الخصخصـــة التـــى تحمـــس لها ونفذها قد حققـــت نجاحًا ولعبت دورًا فى تحقيـــق النهضة الماليزية، حيث ســـاهمت فى نمو الناتج المحلى الإجمـــالى وفى ادخـــار أمـــوال من الموازنة لتخصيصهـــا فى مبادرات وإنجازات تنموية مهمة، كما زادت العائدات الحكوميـــة من الضرائب وأرباح الأسهم، كما حسنت وحفزت الشركات الصغيرة وساهمت فى نمو الشركات الكبيرة فى القطاع الخاص.

لم تكـــن الخصخصـــة إذن فى النموذج التنمـــوى الماليزى مجرد شـــعار اقتصادى براق تحمســـت له الحكومة وإنمـــا كانت إجراءات مدروسة حققت عوائدها الاقتصادية والمالية، وراعـــت الأبعاد الاجتماعية المختلفة، فضلاً عـــن حفاظها على الاســـتقلال الاقتصادى والســـيادة الوطنية، ونأت بنفسها عن استسهال الاســـتدانة واللجـــوء إلى الاقتراض من المؤسســـات المالية الدولية، الأمر الذى ساهم فى تحصين صانع القرار الماليزى تجاه أية ضغوط خارجية.

ولعل هـــذا العـــرض للتجربة الماليزيـــة الناجحـــة لعمليـــة الخصخصـــة يقودنا إلى التســـاؤل هل راعت سياســـات الخصخصة المتعاقبة فى مصر مثل هذه الروابط التـــى التزمت بهـــا ماليزيا؟ أم أن تجربة الخصخصة فى مصر شـــابها العديد من الســـلبيات على الصعيد الاقتصادى حيث تم خصخصة عديد من المشروعـــات الناجحة انتهى بها الأمر بقيام المســـتثمر- سواء كان

وطنيا أم أجنبياً «بتسقيع» المشروع اكتفاء بجنى أرباح ضخمة من بيع الأراضى التى يقـــام عليها المشروع استفادة فى ذلك من الطفرة الهائلة فى سوق العقارات فى مصر!!!

ومـــا أدى إليه ذلـــك أيضًا من تداعيات اجتماعية سلبية، فضلا عن خسارة الدولة للأرض أو على الأقل الفارق فى سعرها، تم تسريح مئات الآلاف من العمالـــة المدربة وغياب دخل ثابت لمئات الآلاف من الأسر!!!

ولعل هـــذا يدعونـــا إلى الأخذ بسياسة اقتصادية أكثر واقعية تلجأ إليها العديد من الدول مثلما شاهدت أثناء خدمتى فى فيتنام على ســـبيل المثال وهو منح المستثمر الوطنى أو الأجنبى حق امتياز استخدام الأرض التى يقام عليها مشروعه لمدد زمنية محددة دون احتلال الأرض التى تعد ملكاً أبديا خالصـــاً للدولة بأجيالها المتعاقبة، علماً بأن هذه السياســـة لم تكن يومًا عائقًا أمام تدفق مئات البلايين من الدولارات للاستثمار فى فيتنام ولم تحل دون توجه شركات عالمية كبرى للاستثمار هناك.

الصعود الصينى والتراجع الأمريكى والجمود الروسى

يراقب العديد من المحللين والمتابعين للمشـــهد الدولى النمو المتصاعد للصين على الساحة الدولية بمزيج من التوجس والقلق، ويعود ذلك أساســاً إلى تجارب تاريخية سابقة وأقربها للذاكرة صعود قوة ألمانيا القيصرية فى نهاية القرن التاســع عــشر وبداية القرن العشرين وصدامها مع القوى الكبرى الرئيسية آنذاك، روسيا وبريطانيا وفرنسا، ومن ثم قيام الحرب العالمية الأولى، وخلص أنصار هذا الرأى إلى حتمية الصراع والصدام بين الصين الصاعدة وبين القوة الأولى فى العالم اليوم وهى الولايات المتحدة الأمريكية. فهل يتكرر المشـــهد؟ هل الصراع حتمى بالفعل؟ وماذا عن القوى الكبرى الأخـــرى فى العالم، وخاصة الاتحاد الروسى؟ وهل يلعب دور رمانة الميزان التى سترجح دور إحدى القوتين المتنافستين، الصين أو أمريكا، وبما يفضى إلى هيمنة طرف بشـــكل مطلق على الطرف الآخر، أم إننا بصدد عالم جديد متعدد الأقطاب مازالت ملامحه لم تتشكل بعد، وفى الأغلب لن تتشكل فى القريب المنظور.

مخاوف من صعود الصين

بداية يجب أن نشير إلى أن صعود الصين يثير من المخـــاوف والهواجس أكثر ممـــا يبعث عـــلى الطمأنينة أو الارتياح، وقد أشار كيسنجر إلى هذا فى كتابه بعنوان «النظام العالمى؛ تأملات فى شخصية القوميات ومسار التاريخ» الصـــادر فى عـــام ٢٠١٤، فى الفصل الســـادس تحت عنـــوان «نحو نظام أسيوى: مواجهة أم شراكة؟» ص٢١٢-٢٣٣، والذى يعكس المعضلة الأمريكية فى كيفية التعامل مع الصعود الصينى هذا. ويشـــير كيســـنجر فى معرض فصله هذا عـــن تاريخ الصين ورؤيتها للعالم من حولهـــا قرب نهاية الفصل (ص٢٢٨) إلى دراســـة أجرتها جامعة هارفارد الأمريكية حول خمس عشرة حالة فى التاريـــخ لصعود قوى جديدة تتحدى النظام القائم وقتها، انتهت فى عشر حالات إلى صدام مســـلح ونشوب حرب بين القوى الجديدة وبين القوى التقليدية آنذاك. وقد كتب الدكتور محمد كمال أســـتاذ العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياســـية بجامعة القاهـــرة مقالاً بعنـــوان «الحرب بين أمريكا والصين» بجريدة المصرى اليوم فى ١٣ أغســـطس الماضى، تعرض فيه أيضا لما ذكره أستاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفارد جراهام أليســـون فى كتابه بعنوان «الحرب الحتمية: الصين وأمريكا وفخ توسيديدس»، الذى قام بتحليل ١٦ حالـــة لقوة صاعدة قامت بتهديد قوة مســـيطرة فى العالم خلال الخمســـمائة عام الأخيرة، أدى ذلك فى ١٢ حالة إلى الحرب، فى حين تم تجنب الحـــرب فى ٤ حالات فقـــط. لا يعنى ما تقدم حتمية المواجهة العســـكرية بين الصين وأمريـــكا، ولكن مع توتر الأجواء بين البلدين منذ وصول الرئيس الأمريكى الحالى دونالد ترامب إلى سدة البيت الأبيض وما هو معروف من آراء مستشاره الاستراتيجى ستيف بانون من التنبؤ بحتمية الصراع مع الصين، فإن المراقب لا يســـتطيع ســـوى أخذ هذه النظريات الســـابقة حول صعود القوى الجديـــدة إلا بمزيد من الجدية والاهتمـــام، وخاصة مع الاهتمام المثير للجـــدل للرئيس ترامـــب في التقارب

سفير د. علاء الحديدي

alaaelhadidi@yahoo.com

مع روسيا، وكأنه يسعى إلى تحييدها وكسبها لصفه استعدادا للمواجهة القادمة مع الصين، وهنا نطرح السؤال عن الموقف الروسى من صعود الصين أو التقارب مع أمريكا، وكيف ينعكس ذلك على مجمل العلاقات بين هذه الدول الثلاث وتأثير ذلك كله على حالة السلم والاستقرار فى العالم.

شعور روسيا بالغبن من الموقف الغربى

لا نستطيع تفهم التوجهات الروسية الحالية دون الرجوع إلى الحقبة الروسية التى أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتى السابق فى نهاية عام ١٩٨٩، والتى سبق وأن وصفها الرئيس الروسى الحالى فلاديمير بوتين بأنها أكبر كارثة جيوإستراتيجية حلت بالقرن العشرين، وهو تصريح كاشف عن توجهات القيادة الروسية الحالية التى تتوق لاستعادة بعض من نفوذ موسكو القديم. ويمكن تفهم تصريح بوتين هذا لما شهدته الدولة الروسية من انهيار وتراجع فى عهد الرئيس الروسى الأسبق بوريس يلتسين وما صاحبه ذلك من توسع حلف الناتو الذى بات على بعد أميال قليلة من الحدود الروسية بعد انضمام دول شرق أوروبا إليه فى أعقاب الثورات الملونة التى اجتاحت بلادها. وهى الثورات التي بدأت مع انحسار الدور الروسى وانسحابه من دول المعسكر الاشتراكى فى أوروبا الشرقية فى عهد آخر زعيم سوفيتى (ميخائيل جورباتشوف) والذى يتم تحميله اليوم مسئولية انهيار الاتحاد السوفيتى بما حاول أن يقوم به من إصلاحات لإنقاذ النظام الشيوعى المتداعى آنذاك. إلا أن ما أصاب الكبرياء الروسى كان أكثر من الانهيار الاقتصادى، وانخفاض مستوى الدخل بشكل غير مسبوق، وتفشى الجريمة والبطالة. كان هناك شعور بالمرارة والغبن من الموقف الغربى بصفة عامة والأمريكى بصفة خاصة تجسد في استغلال ضعف الدولة الروسية لتحقيق مكاسب على حسابها بدلا من مساعدتها والدخول معها فى نوع من الشراكة الجديدة ضمن الأسرة الأوروبية. فالنخبة الروسية كان دائما يتنازعها تياران لا ثالث لهما، تيار ينحاز للهوية الأوروبية والفكر الليبرالى والحريات الشخصية والفردية، وهو التيار الذى كان غالبا فى أعقاب سقوط الشيوعية وكرد فعل طبيعى على ما شهده المجتمع من كبت للحريات وانتهاكات لحقوق الإنسان فى السابق، إلا أن هذا التيار فشل فشلا ذريعا فى حل مشكلات المجتمع وخاصة الاقتصادية، بل زادت سوءا مع الأزمة المالية عام ١٩٩٨ والعجز عن سداد الديون والاقتراب من إعلان الإفلاس، إلا أن الضربة الكبرى لأنصار هذا التيار كانت تخلى الغرب عن دعمهم وخذلانهم أمام الشعب الروسى مثلما ذكرنا من قبل بشأن توسيع الناتو وبما أصبح يهدد الأمن القومى الروسى بشكل مباشر.

التيار الثانى هو التيار السلافى الذى يؤكد على خصوصية الهوية القومية الروسية ببعدها الآسيوى وثقافتها الأرثوذكسية ككيان هوية منفصلة عن الحضارة الأوروبية الغربية. وكان من أبرز دعاة هذه المدرسة أو التيار يفجينى بريماكوف الذى كان توليه منصب رئيس الوزراء فى ١٩٩٨-١٩٩٩ إيذانا بأفول عهد التيار الأوروبى وبداية صعود التيار السلافى والذى توج بتقلد فلاديمير بوتين مقاليد الحكم فى عام ١٩٩٠.

جهود لاستعادة الدور الروسى

ومن أبرز تداعيات سيطرة هذا التيار على مقاليد الحكم فى موسكو: تكوين اتحاد جديد من روسيا وبلاروسيا وكازاخستان وأرمينيا وطاجيكستان، والمحاولات الدؤوبة لضم دول أخرى وخاصة من آسيا الوسطى، وتعميق العلاقة مع الصين وتحقيق أكبر قدر من التعاون معها دون أن يرقى ذلك إلى مستوى التحالف الرسمى، والتدخل الروسى في جورجيا عام ٢٠٠٨ ثم أوكرانيا وضم شبه جزيرة القوقاز في عام ٢٠١٤. إلا أنه من اللافت للنظر أن هذا التيار رغم شكوكه إزاء الغرب وجهوده من أجل استعادة الدور الروسى مع دول الاتحاد السوفيتى السابق مثلما ذكرنا من قبل، إلا أنه فى ذات الوقت لم يفقد الأمل فى التعاون مع الغرب وقبوله ضمن الأسرة الغربية بشكل ما. ومازلت أذكر كم كانت دهشتى عندما كنت سفيرا فى موسكو خلال الفترة من مارس ٢٠١٠ إلى سبتمبر ٢٠١٢ حين كنت ألتقى بكبار المسئولين بوزارة الخارجية الروسية الذين كانوا يصفون الولايات المتحدة بـ«الصديق الأمريكى»، وكيف كانت روسيا تتطلع فعلاً للتعاون مع الغرب رغم كل مظاهر العداء للقيم والنظم السياسية الغربية وخاصة ما تعارف على تسميته بالثورات الملونة التى اجتاحت دول شرق أوروبا فى نهاية الثمانينيات باعتبارها جزءاً من المؤامرة الأمريكية الغربية لمحاصرة روسيا وخنقها.

فروسيا كانت ومازالت بحاجة إلى استثمارات وتكنولوجيا الغرب من أجل اللحاق بركب الدول الصناعية المتقدمة، ومساواة المواطن الروسى بنظيره فى أوروبا الغربية وأمريكا فى الخدمات

ومستوى المعيشة.بمعنى أوضح فإن روسيا رغم ما تمتلكه من قوة عسكرية وصواريخ نووية تضعها على قدم المساواة مع الولايات المتحدة، إلا أن الاقتصاد الروسى لا يصل حتى إلى عشر الاقتصاد الأمريكى (١.٣ ترليون دولار مقارنة بـ١٨ ترليون دولار أو٪24.3 من الاقتصاد العالمى) ولا يقارن أيضا بالاقتصاد الصينى (١١ ترليون دولار أو٪14.8 من الاقتصاد العالمى) الآخذ في النمو بشكل يفوق الاقتصاد الروسى بمراحل، بل إن الاقتصاد الروسى شهد تراجعا بلغ ٪0.7 فى عام ٢٠١٤، ثم ٪3.7 فى عام ٢٠١٥، ثم ٪0.6 فى العام الماضى، ويتوقع أن يشهد نموا العام الجارى بمقدار ٪1.5 طبقا للبنك الدولى. وكما هو معروف فإن الاقتصاد الروسى مازال يعتمد وبشكل أساسى على تصدير المواد الأولية كالبترول والغاز الطبيعى والفحم والماس وبعض الحاصلات الزراعية كالقمح، وكان انخفاض أسعار البترول فى الثمانينيات أحد أهم أسباب انهيار الاتحاد السوفيتى السابق. ورغم جهود الإصلاح والعمل على تنويع مصادر الدخل، إلا أن روسيا لم تتمكن حتى الآن من الخروج من عنق الاعتماد على تصدير البترول والغاز الطبيعى، ولم تحقق الصناعة الروسية الطفرة التى تليق أو تتناسب مع إحدى القوتين العظميين فى العالم.

هذا ويزيد من مأزق الاقتصاد الروسى ما تشهده البلاد من تناقص فى السكان وبما يهدد قدرة الصناعة الروسية على التوسع وزيادة حجم العمالة لديها، حيث انخفض عدد السكان من 148.689 فى عام ١٩٩١ إلى حوالى ١٤٣ مليوناً فى عام ٢٠٠٥ بمعدل ٪0.5 أو ٧٥٠-٨٠٠ ألف نسمة فى العام. وقد حذرت دراسة للأمم المتحدة وقتذاك أنه فى حالة استمرار المعدلات الموجودة وقتذاك، فإن عدد سكان روسيا سيتقلص بمعدل الثلث بحلول عام ٢٠٥٠ ويبلغ عدد السكان الآن 143.666.000. لذلك تعتمد روسيا بشكل متزايد على هجرة العمالة القادمة من دول الاتحاد السوفيتى سابقا فى آسيا الوسطى لتوفير النقص فى العمالة (مثلما تعتمد الولايات المتحدة على هجرة العمالة القادمة من أمريكا الوسطى والجنوبية)، مع ما يصاحب ذلك من مشاكل اجتماعية جراء رفض الروس البيض لهم وزيادة حدة الاحتكاكات بينهم جراء نمو الحركات العنصرية والقومية المتطرفة. فإذا أضفنا إلى ما سبق معدلات النمو بين السكان المسلمين الروس سواء فى جنوب البلاد فى شمال القوقاز أو شمالها فى تاتارستان (رغم الفارق الكبير بينهما والذى لا يتسع المجال هنا لشرحه) لأدركنا حجم المشكلة التى تواجه صانع القرار الروسى.

انتفاء الصراع الأيديولوجى بين بكين وموسكو

لذلك لم يكن أمام القيادة الروسية بعد تجربة الثمانينيات، وعزوف الغرب عن مساعدة روسيا بالشكل الذى كانت القيادة الروسية تتمناه آنذاك، إلا التوجه نحو آسيا وفى القلب منها الصين. وهناك عدد من التفسيرات حول توجه الصين أيضا إلى روسيا وترحيبها بمثل هذا التعاون والعمل من جانبها أيضا على تعميقه ولكن دون أن يصل إلى مرحلة التحالف الرسمى. أول هذه الأسباب هو انتفاء الصراع الأيديولوجى الذي كان قائما بينهما مع سقوط الشيوعية في موسكو وزوال الخطر الذى كان الاتحاد السوفيتى السابق يمثله على الدولة الصينية، ونتذكر جميعاً كيف وصل الصراع الصينى السوفيتى إلى مرحلة الصدام المسلح على الحدود بينهما فى الستينيات واستجابة بكين لمبادرة نيكسون فى قبول صداقة أمريكا، وهو ما قلب الموازيين الدولية فى ذلك الوقت. ثانياً الحاجة إلى قوة روسيا من أجل موازنة ما تراه بكين الآن من هيمنة أمريكية على العالم وخاصة في آسيا حيث تتعارض المصالح وبشكل متزايد في بحر الصين الجنوبى. وترى الصين أن دور روسيا فى موازنة النفوذ الأمريكى فى أوروبا والشرق الأوسط يشتت الانتباه الأمريكى ويتيح لبكين هامش حركة ما كانت تستطيع الاستفادة منه لولا الثقل والدور الروسى هذا. ثالثاً، حاجة الصين المتزايدة للتكنولوجيا العسكرية المتطورة التى تحظى بها الصناعة العسكرية الروسية والتى لم تصل الصناعة العسكرية الصينية لمستواها رغم النمو الاقتصادى المتسارع للاقتصاد الصينى. أخيراً وليس آخراً، إدراك القيادة الصينية لحاجة الجانب الروسى لتصدير ما لديه من بترول وغاز الطبيعى بعد أن تقلص حجم السوق الأوروبى أمام الصادرات الروسية، الأمر الذى يمكن معه توقيع العديد من العقود طويلة المدى لتلبية احتياجات الجانب الصينى وبأفضل الشروط، وبالتالى هى صفقة رابحة للجانبين يتم بمقتضاها تصريف الإنتاج الروسى من عدد من المواد الأولية وعلى رأسها البترول واستيفاء حاجات الاقتصاد الصينى المتزايدة من الطاقة.

تطوير العلاقات الصينية الروسية

وبناء على ما تقدم، تطورت العلاقات الصينية الروسية فى السنوات العشر الماضية بشكل غير مسبوق وتم الدخول فى العديد من الشراكات الاقتصادية وتفعيل أطر التعاون والتنسيق السياسى بين الدولتين فى مختلف المحافل والهيئات الدولية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر تجمع دول البريكس من الصين وروسيا والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا، وقبل ذلك تجمع دول إعلان شنغهاى. وإذا كانت الصين تولى منطقة شرق آسيا وبحر الصين الجنوبى أولوية متقدمة فى سياستها الخارجية وتفكيرها الإستراتيجى وفي القلب منها مسألة تايوان، فإنها تضع أيضاً نصب عينها ما تعتبره فناءها الخلفى من دول آسيا الوسطى، ولهذا كانت مبادرتها المعروفة إعلاميا باسم طريق الحرير الجديد، والذى يهدف ضمن ما يهدف إلى تعزيز التواجد الصينى فى هذه الدول (وهو ما سبق أن عرضت له بشكل أكثر تفصيلا فى مقال سابق بعنوان: «هل نحن أمام شكل جديد من العولمة؟ المنشور بمجلة الدبلوماسى عدد ٢٥٧-

٢٥٨ يوليو أغسطس ص٣٠-٣٥) مستخدمة فى ذلك ما تتمتع به الصين من وفورات مالية ضخمة (ثانى أكبر احتياطى نقدى فى العالم) لتقديم حزمة من المساعدات والمنح والقروض من أجل إنشاء شبكة واسعة من الطرق والبنية الأساسية التى تهدف إلى نمو التجارة من الصين إلى أوروبا عبر هذه البلدان، وهى ذات البلدان التى كانت جزءاً من الاتحاد السوفيتى سابقا، ومازالت تخضع حالياً للنفوذ السياسى والعسكرى لموسكو، الأمر الذى يرى معه بعض المراقبين بداية صراع أو تنافس بين الجانبين الروسى والصينى على تقاسم مناطق النفوذ فى هذه المنطقة من العالم الغنية أيضاً بالمصادر والثروات الطبيعية غير المستغلة، وهل سيكون هناك نوع من الشراكة وتقاسم الأدوار بالتعاون مع هذه الدول أم صراع وتنافس، خاصة وأن البعض يرى أيضاً توجساً روسياً من تمدد النفوذ الصينى على حساب النفوذ الروسى الموجود هناك، وأن هذا التمدد الصيني قد يطول مستقبلا الأرَاضى الصينية السابقة والتى ضمت إلى روسيا فى أواسط القرن الثامن عشر وتقدر مساحتها بأكثر من نصف مليون ميل مربع، ومع النمو السكانى في الصين وضعفه فى روسيا، ومع وجود مناطق شاسعة فى سيبيريا تحظى بأقل كثافة سكانية داخل الأراضى الروسية، فإنها ليست سوى مسألة وقت قبل أن يبدأ الزحف السكانى الصينى على هذه المناطق، والتى بدأت بالفعل بموجات محدودة من الهجرة غير الشرعية من داخل الأراضى الصينية إلى هذه المناطق حيث تتراوح التقديرات حول عددهم فيما بين مائة إلى مائتي ألف مهاجر صينى.

علاقة أقرب للشراكة عنها إلى التحالف

إذن كل طرف، روسيا أو الصين، بحاجة إلى الطرف الآخر، ولكن يمكن القول أن العلاقة أقرب منها للشراكة بسبب التقاء المصالح عنها إلى تحالف رسمى رغم تشابه نظم الحكم فى البلدين وكثير من القيم والتوجهات السياسية التى تبعدهما عن النظم السياسية فى الغرب، وما يصاحبهم من قيم ثقافية وحضارية. إلا أن العديد من المراقبين يتساءلون في خبث عن فحوى هذه الشراكة ومضمونها، خاصة وأنه لا يفوتهم انقلاب الأحوال وتحول الصين إلى دولة صناعية مستوردة للطاقة فى حين أن روسيا أصبحت هى الدولة المصدرة للمواد الأولية، ولذلك فالعلاقات بينهما ليست بالعلاقة المتكافئة، بل إنها تميل إلى صالح الصين التى لم تعد تخشى تهديداً مباشراً من روسيا وتستفيد من حاجة موسكو إليها لتحقيق طموحاتها الخارجية التى تعمل على تحقيقها بشكل متدرج مثلما وضح فى تبنيها لمبادرة طريق الحرير الجديد. بل يذهب هؤلاء المراقبون إلى أن كل من الصين وروسيا تضع نصب عينها دائما العلاقة مع واشنطن والتى تمثل القاسم المشترك الذى يجمعهما معا.

الولايات المتحدة تقود الثورة الصناعية الرابعة

حقيقة أن روسيا تملك أكبر ترسانة نووية فى العالم، وهو ما يؤهلها لمكانة إحدى القوتين الأعظم، إلا أن الأرقام التالية توضح وبكل جلاء مدى الفجوة الموجودة بين الولايات المتحدة من جانب، وبين كل من الصين وروسيا على الجانب الآخر، حيث يبلغ الاقتصاد الأمريكى حوالى ١٨ تريليون دولار، فى حين تأتى الصين تالية بـ١١ تريليون دولار، ولم يتعد الاقتصاد الروسى 1.4 تريليون دولار. فإذا تحدثنا عن الإنفاق العسكرى فإنه حوالى ٦٠٠ مليار دولار أمريكى فى الولايات المتحدة، فى حين أنه ٢١٥ مليار دولار فى الصين، و٦٦ ملياراً فى روسيا. مؤشر آخر على القوة العسكرية عدد حاملات الطائرات لدى كل دولة حيث تمتلك الولايات المتحدة ١١ منها، انضمت الأخيرة من أسابيع قليلة بتكلفة بلغت ٣٠ مليار دولار، فى حين تملك الصين وروسيا واحدة لكل منهما، من المنتظر زيادتهما إلى ٢ لكل منهما فى المستقبل القريب. لا تتوقف المقارنة عند هذه الأرقام فقط، ولكن التفوق الأمريكى الحقيقى لا يكمن فى الاقتصاد أو التسليح، ولكن فى التكنولوجيا حيث تقود الولايات المتحدة ما بات يعرف باسم الثورة الصناعية الرابعة (يرجى الرجوع لمقالى بعنوان «هل نحن أمام شكل جديد من العولمة؟» المنشور بمجلة الدبلوماسى عدد ٢٥٧-٢٥٨ يوليو/ أغسطس ص٣٠-٣٥).

ومع كل هذا، يذهب العديد من الكتاب والمحللين إلى أن الولايات المتحدة قوة عظمى بدأت مرحلة التراجع والانحدار بعد أن بلغت أقصى مدى لها فى التوسع والانتشار، وباتت فى وضع تنوء معه بما تتحمله من أعباء ومسئوليات. وكان أول من أشار إلى هذا الأمر هو الباحث الأمريكى بول كينيدى فى كتابه بعنوان «صعود وسقوط القوى الكبرى» فى عام ١٩٨٧ والذى تعرض فيه لما تواجهه الإمبراطوريات الكبيرة من انحدار وتدهور بعد أن تبلغ الذروة فى توسعاتها. ويشرح كينيدى في كتابه هذا أن كل إمبراطورية تمر بعدة مراحل منذ بداية تكوينها، مروراً بمرحلة النمو والصعود، إلى أن تبلغ الحد الأقصى لها، وهى المرحلة التى لا تستطيع معها بسط كامل سيطرتها ونفوذها على كل أراضيها، فتبدأ مرحلة فقدان سيطرة المركز على الأطراف والتى يتبعها مرحلة انحدار وتدهور تدريجى إلى أن تسقط الإمبراطورية فى النهاية. وقد عرض كينيدى بشكل مسهب لنظريته هذه ضارباً المثل بالإمبراطوريتين الأسبانية والبريطانية، محذرا من أن ذلك ما قد تتعرض له الولايات المتحدة. وبالتالى فالولايات المتحدة اليوم غير الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية والتى كان يشكل ناتجها القومى ثلث الإنتاج العالمى. فالولايات المتحدة اليوم، ورغم مكانتها الاقتصادية والعسكرية، إلا أنها أصبحت تنوء بأعباء القيادة وتواجه من المشاكل والتحديات ما يدفعها إلى بدء عملية انسحاب تدريجى من الساحة الدولية بدأت فى عهد الرئيس الأمريكى السابق باراك أوباما تحت مسميات عدة مثل القيادة من الخلف والتوجه نحو آسيا (لمجابهة دور الصين المتصاعد فى آسيا والعالم) والانسحاب من الشرق الأوسط. وهو ما أدركه الرئيس الروسى فلاديمير بوتين بحسه الإستراتيجى فكان التدخل العسكرى غير المباشر فى أوكرانيا وضم

الصعود الصينى والتراجع الأمريكى والجمود الروسى

شبه جزيرة القرم ثم التدخل العسكرى المباشر فى سـوريا وعجز واشنطن عن مجابهة هذا التحدى الروسى.

شعار»أمريكا أولا»

ومن هنا فلا غرو أن يأتى الرئيس الأمريكى الجديد دونالد ترامب رافعاً شعار «أمريكا أولا» طالباً من الحلفاء أن يدفعوا ما عليهم وإلا تحملوا النتائج، وهو ما ذكره صراحة خلال قمة الناتو فى شهر مايو الماضى بضرورة قيام دول الحلف بدفع ما عليها من مسـتحقات (وبما يعنى أن عليها أن تدفع أولا قبل أن تطلب حماية الولايـات المتحدة)، وضرورة تحمـل الحلفـاء لنصيبهم الكامل فى تكاليـف الدفاع عن القارة الأوروبية، وهو ما سبق أن اتخذ الحلف قراراً بشأنه فى عام ٢٠١٤ من اعتماد كل دولة ٢٪ من إجمالى دخلها القومى بحلول عـام ٢٠٢٤ لميزانيـة وزارة الدفاع لديها. ورغـم أن هذا التاريخ مازال بعيدا، فقـد قام ترامب بتقريع قادة الحلف بأن خمس دول فقط من ثمانية وعشرين دولة اسـتوفت معيار الـ٢٪. بـل إن ترامب بعد ذلك طالب كوريـا الجنوبية بدفـع مليار دولار إضافية لتعزيـز منظومة الصواريخ الأمريكية المضادة للصواريخ المعروفة باسم «ثاد» من أجل الدفاع عن حليفها فى سول لمواجهة التهديدات القادمة من كوريا الشـمالية. وهو ما يعنى عمليا انسحاب واشنطن من قيادة ما يسمى بـ» العالم الحـر»، وبدعوى مواجهة المشـاكل الداخلية أولاً والتى يأتى على رأسها المشـاكل الاقتصادية. وقد تبع ذلك فك ارتباط أمريـكا بالعديد من السياسـات والمعاهدات التجارية مثل اتفاق التجارة الحرة مع شركاء أمريكا فى آسيا المعروف باسم «اتفاق الشراكة التجارية عـبر المحيط الهادى»، فضلا عن إعادة التفاوض على اتفاق التجارة الحرة لدول شـمال أمريكا (النافتا) مع كل من كندا والمكسيك، ناهيك عن إعلان الانسـحاب من اتفاقية باريس للمناخ. كل ذلك تحـت دعوى حماية العمالة الأمريكية من المنافسة الأجنبية، وخاصة الصينية، والتـى ركز عليها ترامب هجومه أثناء حملته الانتخابية متهماً إياها بعدم الأمانة فى معاملاتها التجارية، والتلاعب فى سـعر عملتها حتى وصل العجز التجارى الأمريكى معها إلى ٤٠٠ مليار دولار، الأمر الذى تسبب من وجهة نظره فى إغلاق العديد من المصانع وتشريـد عمالها وزيادة البطالة.

ومـن ناحية أخـرى، وعلى عكس النظرة السـلبية التـى كان يروجها ترامب حول الصـين، فقد كان يدعو لتطبيع العلاقات مع روسـيا، مقدما نفسه باعتباره رجل أعمال ناجح يجيد فن التفاوض وعقـد الصفقات، وأنه الوحيد القادر على إنهاء أسباب التوتر بين البلدين وتوحيد جهودهما المشتركة من أجل التفرغ للقضية الأهم، ألا وهى مكافحة الإرهاب. وقيل إن ترامب أو من تحدثوا باسمه كانوا على استعداد لرفع العقوبات عن روسيا والاعتراف بدورها فى سـوريا. وقد فسر البعض سياسة ترامب هذه بأنها تهدف إلى جذب روسيا بعيدا عن الصـين، مثلما فعل الرئيس الأمريكى السـابق ريتشارد نيكسون بزيارته التاريخية لبكين فى فبراير من عام ١٩٧٢ والتى أدت إلى كسر المحور الروسى الصينى آنذاك، وقلب الموازين الدولية وقتئـذ. ويضيف أصحاب هذا التفسير أن الخطر الصينى هو الخطر الأشد على أمريكا، وأن روسيا بما تعانيه من مشاكل اقتصادية وحاجتها الملحة للتكنولوجيا الغربية، فضلا عما تشعر به من قلق وتوجس جراء نمو جارتها الآسيوية، ستكون أكثر قبولا للعرض الأمريكى واسـتعدادا للتعاون معها. هـذا، ومن المعروف كيف اسـتقبلت موسكو فوز ترامب بالارتياح والترحيب الشديدين، وخاصة مع المواقف شديدة العداء التـى كانت تكنها المرشـحة الديمقراطية هيلارى كلينتون لبوتين. وقد بلغ التفـاؤل بالبعض فى كل من موسكو وواشنطن إلى تصور أن ترامب بصدد فتح صفحة جديدة فى العلاقات مع موسكو، وأن من أول القرارات التى سيتخذها الرئيس ترامب ستكون رفع العقوبات الأمريكية عن روسيا. إلا أن الرياح جاءت بما لا تشـتهي السفن، حيث واجه ترامب عقبتين رئيسيتين؛ الأولى: العـداء التقليـدى للحـزب الجمهـورى والمؤسسـات الأمريكية الأخـرى لروسـيا باعتبارها الخصم الاستراتيجى لأمريكا، فضلا عن النظرة شديدة السلبية من قبل العديد من دوائر صنع القرار فى واشـنطن لبوتين على خلفية سجله فى مجالى حقوق الإنسان والديمقراطية. العقبة الثانية: الشكوك التى تحوم حول علاقة ترامب وأعضاء حملتـه الانتخابية بروسـيا، و قيامه بإقالة مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى FBI عـلى خلفية التحقيقات الخاصة بهذا الموضوع، مما أدى لتعيين محقق خاص للنظر فى صحة هذه الاتهامات، وتزعزع مركز ترامب نفسه وانصراف جهـوده للدفاع عـن إدارته ودحض الاتهامات الموجهة ضده. أما العلاقات الأمريكية الروسية، فقد شهدت مزيدا مـن التدهور بعد قيـام الكونجرس الأمريكى بفرض عقوبات إضافية على العقوبات الموجودة على موسـكو، ولا يلوح فى الأفق أى بـوادر على إمكانية تحسـن العلاقات فى الأجل المتوسط، وخاصـة بعد رد موسـكو بتقليص حجم العاملين فى السـفارة الأمريكية بأراضيهـا بنحو ٧٥٥ فـردا. وهكذا انتهت الآمال التى سبق وأن انتعشت فى كل من موسكو وواشنطن على تحسن العلاقات بينهما، ويبدو أن موسكو قد فقدت أى أمل فى قدرة ترامب على قيادة السـفينة الأمريكية شطر روسيا كما كانت تراهن، على الأقل، وباتت الولايات المتحدة تحت قيـادة دونالد ترامب فى حالة توتر مع كل من موسكو وبكين، وبدلاً من أن تعمل على التفريق بينهما، مثلما فعل نيكسون من قبل، فيبدو أن كليهما أصبحا يتوجسـان مما يريانه من جموح الرئيـس الأمريكى الحالى دونالد ترامب.

الخاتمة

لقد شهد العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ما عرف باسم القطبية الثنائية (الاتحاد السوفيتى- الولايات المتحـدة الأمريكية) ثم بعـد انهيار الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٩١ انفراد الولايات المتحدة بلقـب القوة الأعظم

فى العالم، ومع تراجع مكانة الاتحاد الروسى وريث الاتحاد السوفيتى إلى مكانة «القوة الإقليمية» كما وصفها الرئيس الأمريكى الأسبق باراك أوباما، تزامن ذلك مع التنبؤ بظهور عالم متعدد الأقطاب مكون من الولايات المتحدة الأمريكية والصين والاتحاد الروسى وأخيراً الاتحاد الأوروبى. إلا أن الأزمات المتتالية التى تواجه الاتحاد الأوروبى من خروج المملكة المتحدة، إلى كيفية مواجهة خطر الإرهاب وتدفق اللاجئين بشكل غير مسبوق، ناهيك عن التحدى الروسى بعد ضم شبه جزيرة القرم عام ٢٠١٥، فضلاً عما يواجه المشروع الأوروبى من تحديات أخرى سواء اقتصادية أو سياسية سبق التعرض لها فى مقال سابق («هل بلغ الاتحاد الأوروبى سن التقاعد؟» مجلة الدبلوماسى عدد ٢٥٥ - ٢٥٦ مايو/ يونيو ٢٠١٧ ص٢٨-٣٥)، قد أخرجت الاتحاد الأوروبى حاليا أو مؤقتاً من نادى القوى الدولية العظمى في الوقت الراهن على الأقل. كما إنه من المبكر القول بأفول الولايات المتحدة كقوة كبرى سريعا على غرار ما حدث للاتحاد السوفيتى سابقا. وفى ذات الوقت يراقب العالم تنامى قوة الصين وقيامها بشغر مقعد القيادة الدولية بشكل متدرج فى كل موقع تقوم الولايات المتحدة بالانسحاب منه، مثلما رأينا بعد انسحاب واشنطن من اتفاقية باريس للمناخ. وتظل روسيا بما تملكه من صواريخ نووية وقدرات عسكرية تقوم بتوظيفها بحنكة سياسية لاعبا استراتيجياً مهماً يفرض نفسه على الساحة الدولية، حيث نجح بوتين فى الحصول على اعتراف دولى ببلاده ككقوة عظمى، ولذلك يمكن القول إننا قد نكون بصدد ميلاد عالم ثلاثى الأقطاب من روسيا والصين وأمريكا.

هذه العلاقة الثلاثية ستتحد بشكل أساسى بما تنتهجه الولايات المتحدة الأمريكية من سياسات فى المستقبل المنظور، ليس فقط فى عهد الرئيس الحالى دونالد ترامب، ولكن أيضاً على من سيخلفه من رؤساء قادمين، جمهوريين أو ديمقراطيين. وهل ستواصل واشنطن سياسة الانسحاب التدريجى واتباع سياسات تجارية حمائية، أم ستعول على تفوقها التكنولوجى وتسعى مرة أخرى لفرض دورها القيادى فى العالم؟ والتقدير أن أيا كانت سياسة واشنطن المستقبلية، فإن بكين ستواصل سياستها الحالية فى التصاعد التدريجى على الساحة الدولية. وهو ما يتسق مع إدراك القيادة الصينية لمخاطر الدخول فى مواجهة أو صدام مع الولايات المتحدة، بل وستعمل على تفادى هذا الأمر وانتهاز كل مناسبة أو فرصة لتطبيع العلاقات مع واشنطن وتحسينها. فالقيادة الصينية قارئة جيدة للتاريخ، وتعي تماما درس ألمانيا القيصرية فى بداية القرن العشرين، ناهيك عن درس ألمانيا الهتلرية. أما بالنسبة لروسيا، فطالما استمر وضعها الاقتصادى دون تحسن ملحوظ، فإنها ستظل أقل الأطراف الثلاثة تأثيراً فى مثلث العلاقات الصينية الروسية الأمريكية، وستتحدد سياساتها الخارجية طبقا لما ستنتهجه القوتان الأخريان من مواقف وتحركات، فتتقرب من هذا الطرف أو تبتعد عن الآخر. الموقف الحالى يفرض على موسكو مزيداً من التقارب مع بكين، والأخيرة هى المستفيدة الأكبر من هذه العلاقة.

أثر التطورات السياسية على المنظمات الاقليمية فى امريكا اللاتينية

صـــدق برلمان الارجنتين فى مايـــو 2017 على اتفاقية التجارة الحرة لمصر مع الســـوق الجنوبية المشـــتركة لجنوب القارة الامريكية (مركوسور) والتى انشئت عام 1991 وتضم كل من البرازيل والارجنتين واورجـــواى وباراجواى وهى اقوى تجمع اقتصادى فى امريكا اللاتينية حيث يبلغ عدد سكانه حوالى 275 مليون نسمة والناتج القومي الاجمالى المجمع اكثر من 3 تريليون دولار ســـنويا. وستفتح الاتفاقية الباب امام زيادة الصادرات المصرية وزيادة التبادل التجارى مع السوق والذى بلغ حوالى مليار دولار العام الماضى.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

وشهدت القارة اللاتينية مؤخرا عدة تطورات سياســـية مهمة منذ تولى الرئيس الأمريكى ترامب مهام منصبه فى يناير الماضى. ومن أهم هذه التطورات:

1 – إعلان الرئيس ترامب فى يناير 2017 انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادى TPP والموقعة عام 2005 وتضم فى عضويتها 12 دولة مشاطئة للمحيط الهادى فى آسيا والأمريكتين.

2 – وقع الرئيس الأمريكى قرارا تنفيذياً فى يونيـــو 2017 بالتراجع عن الإجراءات التى اتخذها الرئيس السابق أوباما بشأن تطبيع العلاقات مع كوبا. وتناولت تلك التخفيضات أو التعديلات جانبين أساسيين وهما وضع قيود على السياحة الأمريكية إلى كوبـــا، بالإضافـــة إلى الحد من التدفقات المالية إلى بعض الشركات الحكومية الكوبيـــة. ومن الواضح أن اللوبى الكوبـــى من المهاجرين الكوبيين فى ميامى وراء الإجراءات التى اتخذها الرئيس ترامب. وقامت الولايات المتحدة بطرد دبلوماسيين كوبيين من واشنطن فى أوائل شهر أغسطس 2017 بعدما ذكرت أنها رصدت مشـــكلات صحية لبعض الدبلوماســـيين الأمريكيين العاملين فى سفارتها فى هافانا. ومن جانبها أعلنت كوبا أنها على استعداد للحوار وللبحث عن مســـببات المشـــكلات الصحية خاصة وأن شـــيئا مشابها لم يحدث قط فى تاريخ كوبا.

3 – أعلـــن الرئيـــس ترامب فى ينايـــر 2017 أنه يرغـــب فى بناء ســـور على الحدود مع المكسيك وأن تقوم المكســـيك بتمويل بنائه وذلك لمنع الهجـــرة غـــير الشرعية منها ومن الدول اللاتينية الأخرى الذين يتخـــذون من المكســـيك معبراً إلى الولايات المتحدة. كما أعلن عن رغبته فى إعادة التفاوض حـــول اتفاقية المنطقة الحرة لأمريكا الشـــمالية الموقعة عـــام 1994 والتى تضم فى عضويتها مـــع الولايات المتحدة كلاً من كندا والمكسيك.

4– ما يواجهه الرئيس الفنزويلى نيكولاس مادورو مـــن مظاهرات معارضة نتيجة لتدهـــور الأحوال الاقتصادية التـــى بدأت مع تراجع الأسعار العالمية للبترول فى 2014. وازدادت حـــدة المظاهـــرات بعد انتخاب جمعية تأسيســـية لوضع دســـتور جديد للبلاد حيث تعتبر المعارضة هـــذه الخطـــوة بمثابة ســـلب أو انقلاب دستورى لحرمان المعارضة من الأغلبية التى تتمتع بها فى البرلمان الحالى منذ انتخابات عام 2015. وقد اعتبرت الولايات المتحدة أن انتخابات الجمعية التأسيســـية الجديـــدة غير دســـتورية وطالبت الرئيس مـــادورو بالتراجع عنها، فأعلن عن استعداده للقاء الرئيس ترامب.

خلفية تطور التنظيمات الإقليمية

نلقى هنا نظرة على تطور هذه التنظيمات وعلاقتها بما يحدث من تطورات على الساحة اللاتينية. ويمكن القول أن أغلب هذه التنظيمات اقتصادية وتجارية الطابع وسبب ذلك استقرار الأوضاع والحدود السياسية إلى حد كبير بين الدول اللاتينية. فقد مرت التنظيمات أو التجمعات الإقليمية بمرحلتين رئيسيتين:

المرحلة الأولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام 2000 وكانت التنظيمات والاتفاقيات المشتركة تعكس الرغبة بين الدول المتجاورة فى تحقيق التعاون الاقتصادى وتكوين الأسواق المشتركة أو التكامل الاقتصادى. وفيما يلى التنظيمات التى ظهرت وفقاً لتاريخ نشأتها:

❋عام 1948 منظمة الدول الأمريكية، OAS وهى منظمة سياسية واقتصادية تضم الولايات المتحدة وكندا بالإضافة إلى جميع دول أمريكا اللاتينية والكاريبى ماعدا كوبا التى طردت منها فى يناير عام 1962 بعد توتر علاقاتها مع الولايات المتحدة نتيجة انتصار الثورة الكوبية فى يناير1959.

❋عام 1969 تجمع الاندين CAN ويضم أربع دول هى: بوليفيا وكولومبيا وإكوادور وبيرو.

❋عام 1973 تجمع الكاريبى CARICOM ويضم 15 دولة من الدول المتحدثة باللغة الإنجليزية.

❋عام 1980 رابطة تكامل أمريكا اللاتينية ALADI وهى تجمع لـ28 دولة من أمريكا اللاتينية وبحر الكاريبى للتنسيق والتعاون.

❋عام 1991 السوق المشتركة للجنوب MERCOSUR والتى تضم البرازيل وأورجواى وباراجواى والأرجنتين، وانضمت إليها فنزويلا (ولكن تم تعليق عضويتها فى ديسمبر 2016 لأنها لم تطبق المعايير المطلوبة من أعضاء السوق) وبوليفيا (جارى إجراءات انضمامها). والجدير بالذكر هنا أن السوق تنشىء اتحاداً جمركياً بين أعضائها، ولها اتفاقات تجارة حرة مع عدد من الدول منها دول فى الشرق الأوسط. فهناك اتفاقية مع إسرائيل وقعت عام 2007، واتفاقية مع السلطة الفلسطينية وقعت عام 2011، واتفاقية مع مصر وقعت عام 2010 اكتمل التصديق عليها فى مايو 2017.

❋عام 1993 نظام التكامل فى أمريكا الوسطى CICA ويضم كل دول أمريكا الوسطى.

❋عام 1994 المنطقة التجارية الحرة لأمريكا الشمالية NAFTA وقد بنيت على اتفاقية كانت موقعة بين الولايات المتحدة وكندا فى عام 1988 وانضمت إليها المكسيك لاحقاً عام 1994.

وأما المرحلة الثانية فمنذ بداية القرن الحالى وحتى الآن. ويمكن ملاحظة ظهور تجمعات اقتصادية وتجارية أكثر عدداً وأكبر حجماً،

كما أن دول القارة أصبحت أعضاء فى تجمعات تمتد إلى خارج القارة أو فى خارج الأمريكتين.

ومن الواضح فى هذه المرحلة أن الاتجاه الاجتماعى اليسارى قد نجح فى إنشاء بعض التنظيمات الجديدة لإظهار استقلاليته عن النفوذ القديم والمستمر للولايات المتحدة.

والتنظيمات التى ظهرت خلال هذه المرحلة حتى الآن هى:

*عام 2003 اتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وأمريكا الوسطى وجمهورية الدومنيكان DR-CAFTA وهى نتيجة لحوار طويل حول فكرة إنشاء اتفاقية تجارة حرة للأمريكتين (من الواضح أن سبب اتجاه كثير من الاستثمارات الأجنبية إلى دول هذه المجموعة خاصة إلى جمهورية الدومنيكان هو الاستفادة من إمكانيات المنطقة الحرة مع الولايات المتحدة، وهو ما يجب أن يتنبه له المصدرون المصريون).

*عام 2004 التحالف البوليفارى لشعوب قارتنا الأمريكية ALBA (والمختصر معناه بالأسبانية الفجر) كمنظمة تهدف إلى تطبيق سياسات نظم اجتماعية أو اشتراكية أو اشتراكية ديمقراطية لمحاربة الفقر والتفرقة الاجتماعية، وتبنى أهداف اجتماعية يسارية. وقد أنشأتها كوبا وفنزويلا وتضم 9 دول أخرى هى: انتيجوا وباربودا- بوليفيا- دومينيكا (وهى دولة غير جمهورية الدومنيكان)- اكوادور- جرنادا- نيكاراجوا- سانت كيتس ونفيس- سانت لوتشيا- سان فنسنت وجرينادين- سورينام.

وقد تعاونت كوبا وفنزويلا فى وضع مشروعات كان لها تأثير كبير فى القارة اللاتينية وربما من أهم هذه المشروعات «بتروكاريبى» لتوفير البترول والطاقة الكهربائية لدول المنظمة، وبالتالى مساعدتها على تخطيط التنمية الاقتصادية المنتظمة (وكانت الدول الصغيرة لا تستطيع ضبط وتقدير ميزانياتها السنوية بسبب تذبذب أسعار الطاقة). ومشروع «نعم أستطيع» Si,Yo Puedo لمحو الأمية. ونجح فى القضاء عليها فى كل من فنزويلا وبوليفيا والإكوادور ونيكاراجوا، ومشروع «المعجزة» Milagro لمعالجة العيون واسترداد النظر لـ 2 مليون فقير فى أمريكا اللاتينية.

*عام 2005 المشاركة عبر المحيط الهادى TPP وهى اتفاقية بين 12 دولة فى آسيا والأمريكتين تقع على شواطىء المحيط الهادىء هى: استراليا وبروناى وكندا واليابان وماليزيا ونيوزيلندا وسنغافورة والولايات المتحدة وفيتنام. وقد أعلن الرئيس ترامب انسحاب الولايات المتحدة منها معتبرا إياها غير مفيدة. وهذه الاتفاقية تتضمن الكثير من التفاصيل بشأن حرية التجارة وتحكيم الاستثمار وحقوق الإنسان فى الدول المشاركة. وأشار بعض المحللين إلى أنها كانت تهدف إلى تعميق روابط الاقتصاد الحر بين الولايات المتحدة وجيران الصين (حيث إن معظم أعضاء الاتفاق هم أعضاء أيضا فى منتدى التعاون الاقتصادى لآسيا والمحيط الهادى APEC).

*عام 2008 اتحاد دول أمريكا الجنوبية UNASUR وهو تنظيم يهدف إلى تحقيق التكامل بين الأعضاء فى المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والاجتماعية والثقافية، ويضم فى عضويته 12 دولة فى أمريكا الجنوبية.

*عام 2010 تجمع دول أمريكا اللاتينية والكاريبى CELAC وهو ثانى أكبر تجمع فى أمريكا اللاتينية منذ إنشاء منظمة الدول الأمريكية عام 1948، ويضم 33 دولة (بما فيها كوبا) ولاتوجد الولايات المتحدة أو كندا فى عضويته. ويعكس التجمع إرادة سياسية لتوفير منصة لاتينية بحتة مستقلة عن النفوذ الأمريكى.

*عام 2011 تحالف المحيط الهادى ADP وهو اتفاق للتعاون من أجل التجارة مع دول المحيط الهادى ويضم 4 دول هى شيلى وكولومبيا والمكسيك وبيرو. وقام الأعضاء بتجربة جديدة تتمثل فى إنشاء سفارات وقنصليات مشتركة فى عدة دول فى غانا والجزائر والمغرب وفيتنام وذلك بهدف فتح أسواق جديدة فى حوض المحيط الهادى أو قريبا منه، وهى تجربة جديدة تستحق الدراسة سواء من النواحى الاقتصادية أو القانونية.

ملاحظات على الاتفاقيات والتنظيمات الإقليمية اللاتينية:

أ- هناك منظمة شاملة تضم كل دول الأمريكتين وهى منظمة الدول الأمريكية التى أنشئت عام 1948 ولكن كوبا لم تعد إليها حتى الآن، بينما هناك منظمة «سيلاك» تضم كل الدول اللاتينية بما فيها كوبا

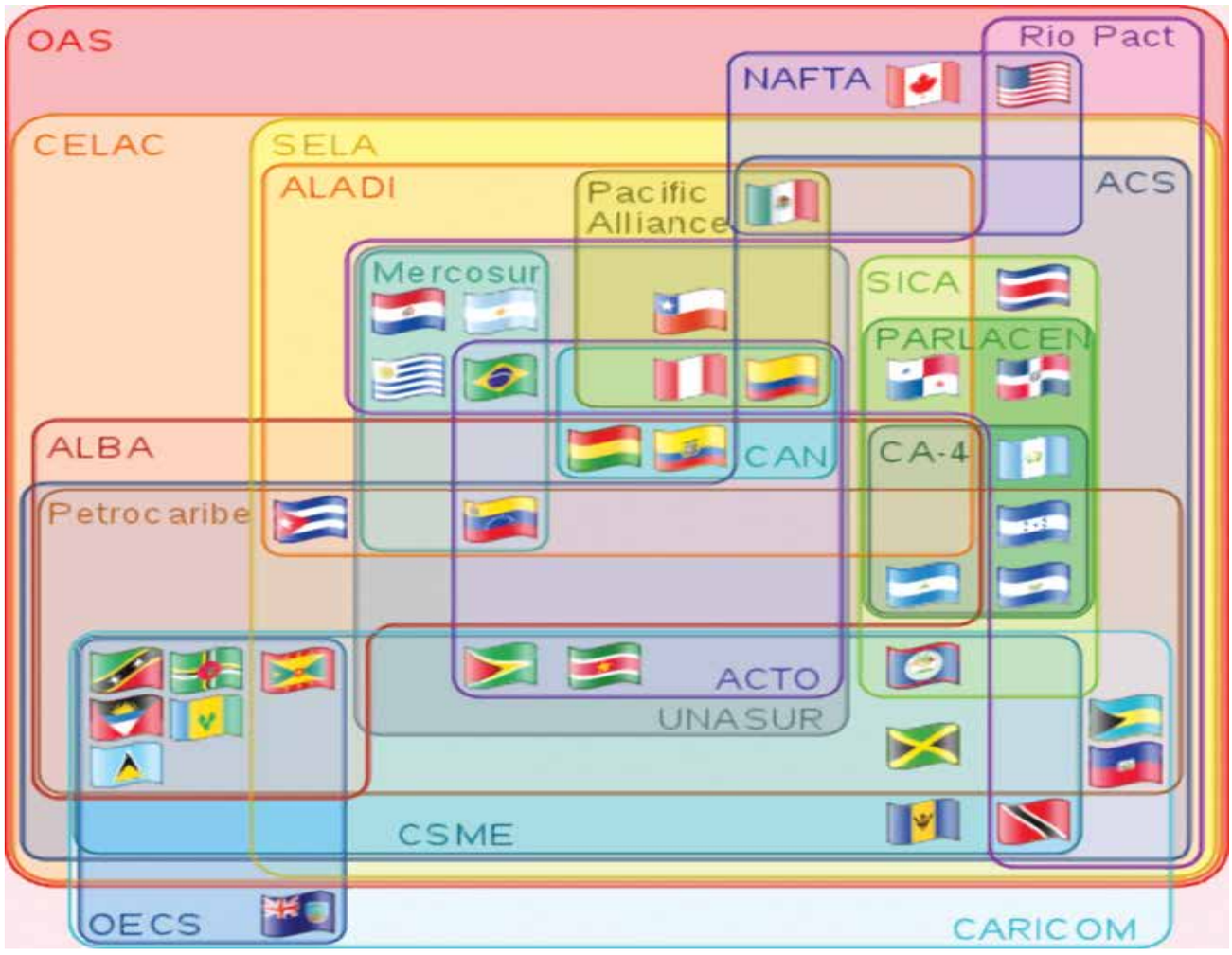

ولا توجد الولايات المتحدة أو كندا فى عضويتها. ويدل تكوين هذه المنظمة على رغبة وإرادة الدول اللاتينية فى التخفف من النفوذ السياسى الأمريكى عليها. ولذا يمكن توقع أن تزداد قوة أى من المنظمتين كبديل للأخرى كلما شعرت الدول اللاتينية عليها بضغوط للولايات المتحدة فى قضية معينة.

ب- ازداد عدد المنظمات ذات الطابع السياسى نسبياً خلال المرحلة الثانية (ثلاث منظمات)، وخاصة ظهور منظمة «سيلاك» بسبب انتشار النظام الديمقراطى ورغبة الحكومات المنتخبة فى إظهار استقلاليتها.

ج- تخشى معظم التنظيمات اللاتينية من قوة الاقتصاد الأمريكى ومن أن تصبح رهنا له، ولذا نجد أنه فى حالة إنشاء منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية طلبت كندا انضمام المكسيك إلى الاتفاق الموقع بينها وبين الولايات المتحدة فى عام 1988، ويفسر هذا بأنها أرادت إحداث نوع من التوازن داخل الاتفاق. ومثال آخر على الخشية من قوة الاقتصاد الأمريكى وسيطرته هو أن الولايات المتحدة أطلقت مبادرة منطقة التجارة الحرة للأمريكتين فى عام 2005 ولكنها لم تنجح فى إقناع دول الأمريكتين على تحقيقها.

د- كثرة الاتفاقات والتنظيمات فى القارة اللاتينية وفى أوقات متفاوتة قد يؤدى إلى تبديد الوقت والموارد بسبب التضارب فى الخطط بين التجمعات المختلفة، وربما تضطر بعض هذه التنظيمات فى المستقبل القريب إلى الاندماج من أجل مزيد من الفاعلية.

هـ- لا يخفى القوة المتزايدة للاقتصادات اللاتينية وامتدادها دولياً من خلال التنظيمات الإقليمية والدولية فالبرازيل والمكسيك والأرجنتين أعضاء فى مجموعة العشرين التى توجه الاقتصاد العالمى، كما أن شيلى والمكسيك وبيرو أعضاء فى المنتدى الاقتصادى لآسيا والمحيط الهادى، وشيلى والمكسيك أعضاء فى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية والتى أغلب أعضائها من الدول الأوروبية والدول المتقدمة والبرازيل عضو فى

مجموعة الـــدول الصاعدة المعروف باختصار «بريكس» BRICS.

أثـــر التطـــورات الأخـــيرة عـــلى التنظيمـــات فى القـــارة اللاتينيـــة:

أولاً: أعلنت بعض الدول الأعضاء فى الشراكـــة عبر المحيـــط الهادى عـــن نيتها الاســـتمرار فى الاتفاقية رغم انســـحاب الولايـــات المتحدة إدراكاً منهـــا لفائدة الإجراءات التى تتضمنها الاتفاقيـــة لاقتصاداتهم الوطنية، بالإضافة إلى الأمل فى عودة الولايات المتحدة إليها مستقبلا بعد تغير الظروف السياســـية أو تغير نظرة قيادتها.

ثانياً: رغم تعديل الرئيس ترامب للإجراءات التـــى اتخذها الرئيس أوباما تجاه إعادة العلاقات مع كوبا، فإن عودة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين فى حد ذاتها بعد 50 عاما من القطيعـــة تعتبر إنجازاً كبيراً فى العلاقات. ويأمل الرئيس ترامب من قراره أن تغير كوبا نهجها السياسى والاقتصـــادى وهو أمـــر لا تقبله القيادة الكوبية التى تقوم بخطوات إصلاح وانفتاح متدرجة فى المجالين السياسى والاقتصادى. ورغم إصدار منظمة الدول الأمريكية قرارا فى عام 2016 (بعد استئناف العلاقات بين الولايات المتحدة وكوبا) بإعادة كوبا إلى عضوية المنظمة، فإن كوبا عزفت عن العـــودة للمنظمـــة حتى الآن، ويبدو أنها ستكتفى بعضويتها فى ثانى أكبر منظمة فى أمريكا اللاتينية وهى تجمـــع دول أمريكا اللاتينية والكاريبى والتـــى لاتوجد الولايات المتحدة أو كندا فيها.

ثالثـــاً: إن محاولـــة الرئيـــس الأمريكى بناء ســـور مع المكسيك، وإعلانه رغبته فى إعادة مناقشـــة اتفاقيـــة التجارة الحـــرة لأمريكا الشـــمالية قد جعلت المكسيك تقلق بشدة حيث أصبح اقتصادها يعتمد بدرجة كبيرة على هذه الاتفاقية، لذلك نشطت المكســـيك مؤخرا فى البحث عن بدائل وعـــن شركاء اقتصاديين يســـتطيعون المســـاعدة فى حفظ توازن الاقتصاد المكســـيكى إذا ما نفذ الرئيس الأمريكى أفكاره تجاه المكســـيك. وقد تتعرض الاتفاقية للانهيار إذا تشـــدد أحد الأطراف فى تأكيد مصالحـــه، وهذا احتمال بعيد. ويبـــدو أن الرئيس الأمريكى متأثر بطريقة ما بما ذكره صمويل هنتنجتـــون فى كتابـــه: من نحن؟ عن الشـــخصية القومية الأمريكية وتحذيـــره للأمريكيين مـــن أن ما يحدث من «غـــزو» المهاجرين غير الشرعيين مـــن أمريكا اللاتينية من خلال الحدود مع المكســـيك سيهدد بتغيير طبيعة الشخصية الأمريكية وتراثها.

رابعـــاً: مـــع تفاقـــم الوضع الاقتصادى والاضطراب الســـياسى فى فنزويلا، والتى قامت بدور مهم فى تمكين اقتصادات دول الكاريبى وعلى وجه الخصـــوص من خلال منظمة التحالـــف البوليفارى، فإنه من المتوقع أن تتعرض هذه المنظمة لخطـــر التفكك بســـبب عدم قدرة فنزويـــلا على دعمه واســـتمراره، حيث قامت العلاقـــات الاقتصادية والتجاريـــة على أســـاس مفهوم «التضامـــن»، وعلى دعـــم فنزويلا للمنظمة عندمـــا توافرت لها ثروة كبـــيرة من دخل بيـــع البترول ذى الســـعر المرتفع فى المـــاضى. وهذا ســـيعنى ضعف قدرة الأعضاء فى الفترة القادمة على التنبؤ بميزانياتهم خلال فترة زمنية طويلة نســـبياً، وبالتالى عدم القـــدرة على تخطيط وتحقيق تنميـــة اقتصادية منتظمة رغم كل النجاحات الماضية.

النزاع الأوكرانى الروسى

نظرة تاريخية وسياسية

على مدى التاريخ تغيرت حدود أوكرانيا كثيرًا عن الحدود المعروفة سواء حاليًا أو قبل عام 2013 التى بلغت خلالها حجمها الأقصى حيث ضمت وقتها أوكرانيا الشرقية وغرب أوكرانيا وشبه جزيرة القرم ولكل منها تاريخ منفصل وانضمت إلى الدولة الأوكرانية فى أوقات متباعدة وسنتناول كل جزء من هذه الأجزاء على حدة:

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

أولاً: شبه جزيرة القرم:

وكان آخر اسم لها ضمن أوكرانيا «جمهورية القرم شبه المستقلة».

تعتبر شبه جزيرة القرم من المناطق التى تداول على حكمها العديد من الدول من الدولة العثمانية إلى روسيا القيصرية ثم السوفيتية وأخيرًا ضُمت لأوكرانيا ثم انفصلت عنها.

فمساحة القرم أكبر من مساحة بلجيكا وموقعها الاستراتيجى على البحر الأسود الذى يتميز بتضاريس خاصة فى مدينة سيفاستوبول تسمح بإيواء السفن والغواصات النووية ولا يعادلها أى ميناء آخر على البحر الأسود.

وتزداد أهميتها لروسيا حيث إنها لا تملك أى ميناء آخر على البحر الأسود غير سوتشى والذى هو شواطئ سياحية ولا تصلح كميناء عسكرى وبالتالى فلو تم انتزاع القرم من روسيا فلن يصبح لها أى ميناء عسكرى على البحر الأسود وستصبح أساطيلها وغواصاتها متأخرة كثيرًا فى الوصول إلى مناطق الأحداث سواء فى الشرق الأوسط أو فى أوروبا حيث إن ميناءها الآخر الوحيد فى هذه المنطقة يقع على بحر الأزوف ومن ثم يحتاج إلى وقت للوصول منه إلى البحر الأسود ثم الأبيض.

وكانت القرم حتى القرن السابع عشر تركية لذلك فسكانها الأصليون هم تتار القرم وظلوا فيها حتى عام 1944.

وكانت القرم تفرض الجزية على روسيا واستمر ذلك إلى أن قويت روسيا وبدأت هى فى تحصيل الضرائب من تتار القرم «أتراك مسلمين» حتى تمكنت روسيا من احتلال القرم فى القرن الثامن عشر وشملتها الحربين العالمية الأولى والثانية. وفى عام 1954 وفى عهد خروتشوف الأوكرانى الأصل أعلن عن ضم القرم إلى أوكرانيا ضمًا إداريًا داخل الاتحاد السوفيتى.

وتعد مدينة سيفاستوبول هى عاصمة القرم رغم صغرها ولكنها تتوسط الجزيرة وهى المدينة الوحيدة التى تصلح كمطار وكمحطة سكك حديدية لأن الجزيرة محاطة بالجبال من كل النواحى، كما أن مدينة يالطاهى أكبر مدينة فى القرم ووقعت فيها معاهدة يالطا عام 1945 بقصر ليفاديا بين الاتحاد السوفيتى ستالين- والولايات المتحدة روزفلت- وبريطانيا تشرشل «من 4-11/2/1945» وترتب عليها:

- الاتفاق على تأسيس الأمم المتحدة.
- تقسيم ألمانيا بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا «التى لم تحضر المؤتمر».
- إنشاء محاكم جرائم النازيين.
- تقدير التعويضات للحلفاء من ألمانيا.
- توحيد أوكرانيا وضم :أجزاء من ليتوانيا وبولندا ورومانيا والمجر وسلوفاكيا.

وقبل نهاية الحرب طرد ستالين تتار القرم من بلادهم فى شاحنات لنقل المواشى إلى سيبيريا وكازاخستان خلال 4 أيام فقط ولم يجمعوا أمتعتهم وأحيانا تركوا أبناءهم الرضع للموت حيث اتهموا بالعمالة للنازى هتلر.. ونتج عن ذلك موت عدة آلاف منهم أثناء عملية النقل الإجبارى.

ثانيًا: شرق أوكرانيا

تعد شرق أوكرانيا دولة منذ فترة طويلة وهى تضم معظم مناجم الفحم والحديد والمصانع الثقيلة وأهم مدنها كييف «وهى أصل الجنس السلافى وهم سكان أوكرانيا وروسيا» ومدن أوديسا أكبر ميناء على البحر الأسود ومدينة خاركوف عاصمة أوكرانيا القديمة ومدينة دينبرو بتروفسك وهى مدينة صناعية كبيرة بالإضافة إلى إقليم الدونباس الذى يضم مقاطعتى لوجانسك ودونستك وهما اللتان سيطرت عليهما قوات المعارضة وأعلنت جمهورية فى كل منهما ثم أعلن أخيرًا عن توحيدهما فى جمهورية واحدة. وتتهم أوكرانيا روسيا بتسليح المعارضة هناك بينما تنفى روسيا ذلك وتعلن أنها تقدم المساعدات الصحية والغذائية والفنية فقط. وهذه الجمهورية كانت قد انضمت إلى الاتحاد السوفيتى بعد تكوينه.

ثالثًا: غرب أوكرانيا

كان منطقة صغيرة وظل مستقلاً حتى نشوب الحرب العالمية الثانية واحتل هتلر هذه المنطقة فحارب معه سكانها ضد الاتحاد السوفيتى وضد أوكرانيا الشيوعية وكان لهم زعيم يسمى باندرا والذى يعد حاليًا بطلاً قومياً بالنسبة لسكان الغرب وخائن بالنسبة لسكان الشرق وروسيا.

وبعد هزيمة هتلر فى الحرب العالمية

الثانية وبقصر ليفاديا بالقرم «كان قصر ليفاديا هو أحد قصور قياصرة روسيا» تم توقيع معاهدة يالطا التى أشرنا إليها وترتب عليها اقتطاع أجزاء كبيرة من رومانيا وليتوانيا وبولندا والمجر وسلوفاكيا وضمها إلى غرب أوكرانيا وتوحيد الأوكرانيتين. وغرب أوكرانيا منطقة خصبة جدًا وكذلك بين منتجعات للتزلق على الجليد ومدن سياحية.

ظل وضع أوكرانيا بحجمها الكبير «ثانى أكبر دولة فى أوروبا بعد روسيا» حتى عام 1991 تحت السيادة السوفيتية، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى أعلنت دولة مستقلة ولكن روسيا تداركت وضع القرم الذى تم ضمه إلى أوكرانيا ضمًا إداريًا فى عهد خروتشوف، فوقعت روسيا اتفاقًا مع أوكرانيا تحتفظ بمقتضاه بميناء سيفاستوبول الاستراتيجى والذى يضم ترسانتها النووية البحرية مقابل تقديم الغاز الطبيعى لأوكرانيا بسعر مخفض وكذلك بعض التسهيلات.

من بعد الاستقلال حتى 2013 :

كانت العلاقات الروسية الأوكرانية شديدة التميز فى عهد كل الرؤساء ورؤساء الوزارات الأوكرانية حتى فترة تولى الرئيس فيكتور يانوكوفيتش الذى استمر فى سياسة التعاون مع روسيا ووثق علاقاته بها وكان يرغب فى الانضمام إلى الاتحاد الأوراسى وهو يضم روسيا وروسيا البيضاء وكازاخستان. وكانت أوكرانيا ستوقع للانضمام إلى هذا الاتحاد بينما كان سكان أوكرانيا وبالذات فى غربها يرغبون فى الانضمام للاتحاد الأوروبى.

انتهزت الولايات المتحدة الفرصة ومعها الاتحاد الأوروبى وبدأت أجهزة الإعلام الغربية الموجهة تؤتى ثمارها وتجمعت جموع المتظاهرين وخصوصًا من غرب أوكرانيا فى قلب ميدان الاستقلال «الملقب بالميدان» وتواجد أشخاص غرباء مرتدين زى حرس الرئيس وأطلقوا النيران على الطرفين «المتظاهرين والأمن» وقاد أحد مليشيات الغرب الأوكران ويسمى القطاع الأيمن عملية مهاجمة قصر الرئيس يانوكوفيتش وعليه نصح بمغادرة القصر إلى روسيا حيث يستقر حاليًا هناك وسادت الفوضى لفترة طويلة «كما حدث فى الربيع العربى فى مصر وتونس».. وبدأت زيارات معظم المسئولين الأمريكيين وأهمهم نائب الرئيس وكذلك السيناتور جون ماكين ووزيرة الخارجية كلينتون والسيدة نولاند نائبة وزيرة الخارجية الأمريكية التى تم تسجيل مكالمة تليفونية لها مع السفير الأمريكى فى كييف يتحدثان فيها عن دورهما فى تغيير نظام الحكم وإسقاط يانوكوفيتش.

بعد سقوط يانوكوفيتش:

استمرت الدولة فى حالة الفوضى وظل المتظاهرون يحتلون ميدان الاستقلال والميدان الأوروبى وشارع كيرشاتك أهم شارع فى كييف «يعادل الشانزليزيه فى باريس» وعليه قررت روسيا إجراء استفتاء فى القرم على الانضمام لروسيا بنعم أو لا وأعلن أن نتيجة الاستفتاء جاءت بنعم وما ترتب عليه بعد ذلك من ضم القرم إلى روسيا وسمح لمن يرغب فى المغادرة لأوكرانيا بالمغادرة وتم منح باقى السكان الجنسية الروسية.

وبعد فترة وبعد تشكيل الحكومة وانتخاب رئيس جديد هو الملياردير بوروشينكو صاحب عدد كبير من المصانع للشيكولاته الفخمة وللزوارق الحربية، أصدر البرلمان الأوكرانى «الرادا» قانونًا يلغى التعامل باللغة الروسية والثقافة الروسية وتمت إزالة تماثيل لينين من كل الشوارع والميادين وتنصل من دورهم فى الاتحاد السوفيتى وغير يوم عيد النصر ليسبق بيوم عيد النصر السوفيتى.

ترتب على القرارات التى صدرت ضد اللغة الروسية وهى كانت اللغة الأكثر انتشارًا فى أوكرانيا وتليها اللغة الأوكرانية وكذلك فإن الثقافة الروسية كانت ثقافة جزء كبير من الشعب، بدأ السكان من أصول روسية فى شرق أوكرانيا إجراءات لمواجهة ذلك وقام الانفصاليون فى مقاطعتى لوجانسك ودونيتسك بإعلان جمهوريتى لوجانسك ودونيتسك ثم وحدوهما فى جمهورية واحدة «وهما يضمان مناجم الفحم والحديد فى أوكرانيا مما اضطر أوكرانيا لاستيراد الفحم من الخارج».

حاول الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة الضغط على روسيا ووقعوا عليها عقوبات ولكنها لم تدفعها إلى التخلى عن القرم أو عن مساعدة انفصالى الدونباس بل وعاقبت روسيا الغرب أيضًا بإيقاف استيراد الخضراوات والفواكه الأوروبية وتحولت إلى أسواق الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية.

حاولت أوروبا - بعد تضررها من مقاطعة روسيا لها - أن تبحث عن حل سلمى لمشكلة شرق أوكرانيا «الدونباس»، عقدت عدة اتفاقيات فى مينسك «عاصمة روسيا البيضاء» ورباعية نورماندى بين 4 دول هى: روسيا وفرنسا وأوكرانيا وألمانيا لمحاولة وضع نقاط لحل الأزمة.. وقرروا:

- وقف إطلاق النار شرق أوكرانيا وسحب الأسلحة الثقيلة لمسافة متوازية على الجانبين.
- مراقبة وقف إطلاق النار بمعرفة منظمة الأمن والتعاون الأوروبى.
- إطلاق حوار بين الطرفين لإجراء انتخابات محلية فى إقليم الدونباس وحكم ذاتى له وعفو شامل عن المقاتلين وتعديل الدستور الأوكرانى قبل 2015 لتحقيق لامركزية الأقاليم إلا أن شيئاً من ذلك لم يتحقق ومازال الموقف مشتعلاً.

نظرة مستقبلية:

يرى المراقبون أن هذا النزاع سيبقى إلى ما شاء الله وسينضم إلى المشاكل الدولية المعلقة منذ عشرات السنين كإقليم كشمير وفلسطين وناجورنوكاراباخ حيث إن أوكرانيا هى بوابة روسيا وتلاعب الولايات المتحدة فيها هو محاولة لإسقاط روسيا أو تفتيتها على أقل تقدير، ولعل هذا يفسر الدور الروسى فى سوريا ردًا على الدور الأمريكى فى أوكرانيا فالقضيتان متشابكتان ولن تحلا إلا معًا.

بريجينسكى صانع الجهاديين

طالعتنـــا الأخبار فى صيف 2017 بتطورات الموقف فى العراق وتحرير مدينة الموصل بالكامل من المرتزقة التابعين لداعش أو ما يسمى بدولة الخلافة الإسلامية.

وما أشبه اليوم بالبارحة. فاســـتخدام عنصر الإسلام السياسى وخلق جماعات مسلحة تهدم وتحارب باســـم الدين هو صنيعة غربية أمريكية بامتياز نشأت بشكل ممنهج وتطورت على يد أب روحى أطلق الفكرة وروج لها وأســـس بدايتها فى السبعينات من القرن العشرين. إنه زيجنيو بريجنسكى الذى توفى فى مايو 2017 عن عمر يناهز التسعين عاما. هو البولندى الماكر الذى صنع فكرة المجاهدين الأفغان لمواجهة موســـكو فابتلى العالم كله بإرهاب أعمى ولا ســـيما فى العالم العربى. وكان قد أصدر عدة كتب منها «خارج السيطرة»، و«رقعة الشطرنج الكبرى»، و«الاختيار»، و«الفرصة الثانية»، ثم «رؤية اســـتراتيجية: أمريكا وأزمة القوة العالمية». وكانت نقطة انطلاقه هى القوة الأمريكية ومستقبلها.

منى الدالـى

monamdaly@yahoo.fr

استخدام سياسى للإسلام

لقد أعاد مشهد تحرير الموصل ومن قبله وفاة بريجنسكى للأذهان نشأة هذه الجماعات الأصولية المسلحة التى مهما اختلف اسمها فهى طالبان أو القاعدة أو داعش أو غيرها ولكنها تستقى أفكارها ومنهجهـــا وربما تمويلهـــا من نفس الجعبة.

ولد بريجنســـكى فى بولندا يوم 28 مارس 1928 ونال الجنســـية الأمريكية فى الخمسينات من القرن الماضى وعمل فى البداية فى المجال الأكاديمي، ويعتبر من المنظرين السياسيين المعادين للسوفيت وللشـــيوعية. وتولى بريجنسكى منصب مستشـــار الأمن القومى فى عهد الرئيس الديمقراطـــى جيمى كارتـــر من عام 1977 وحتـــى 1981. وعرف عنه نهج سياسة خارجية متشـــددة وكان عوناً لكارتـــر فى مجابهة عـــدة قضايا دولية من بينها الثـــورة الإيرانية التى أطاحت بالشـــاه واحتجاز 52 رهينة أمريكية فى طهران ومحاولة فاشلة لإنقاذهم وكذلك الغزو السوفيتى لأفغانستان.

ولقد بذل أقـــصى الجهود لكى تقدم الإدارة الأمريكية كل المساعدات الممكنة للمســـلحين الأفغان الذيـــن قاتلوا ضد القوات السوفيتية وضد الحكومة الموالية للســـوفيت، ولاحقا دعا إلى توسيع حلف الناتو تجاه الشرق. وساعد بريجنسكى فى تشكيل ونشاط وعمل اللجنة الثلاثية أو منتـــدى القادة السياســـيين ورجال الأعمـــال فى أمريكا الشـــمالية وأوروبا واليابـــان. كان بريجنســـكى عضوا فى الحـــزب الديمقراطي، لكنه صاحب آراء محافظـــة، وكان عضوا فى منظمة العفو الدولية، ومدافعا شرسا عن ريادة الولايات المتحدة للعالم، وهو من أنصار الوجود الأمريكى فى كل مكان. ومن أهم الأحداث السياسية الخارجية التى لبريجنسكى يدٌ فيها: هى التوقيع على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد الســـوفيتي، واتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل واستخدام سلاح حقوق الإنسان بغية إضعاف الاتحاد السوفيتى.

دعم المجاهدين لوجيستياً ومالياً

كما دعم عام 1979 الجهاديين فى كل من باكســـتان وأفغانستان، مادياً عبر الـــ»سى آى إيه»، والـــ»إم آى 6» البريطانـــي، ليشـــمل ذلك الإعداد والتدريب والتوجيـــه، بهدف تمكينهم مـــن إســـقاط الحـــزب الديمقراطى الشـــعبى الأفغانى الشيوعي، من أجل دفع موسكو للتدخل عسكريًا.

كانت سياسة دعم المجاهدين الأفغان فى وجه موسكو هى الأكثر كلفة والأكثر

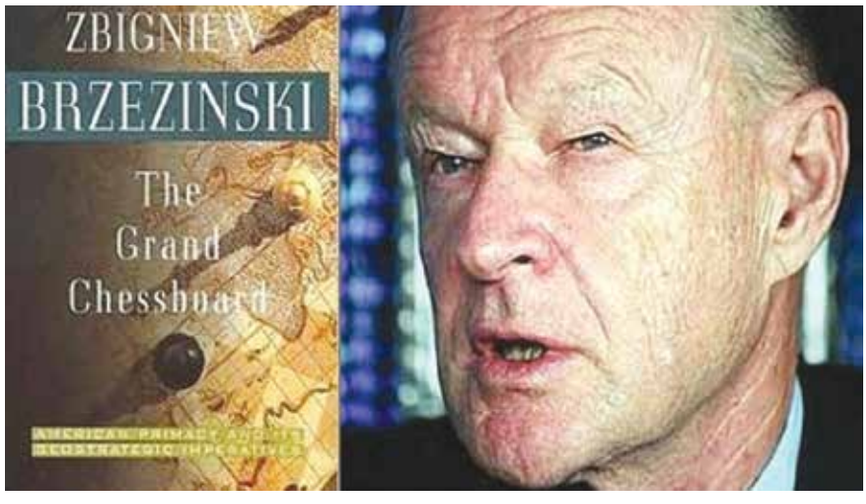

سرّية لـــ سى آى إيه، حيث جرى إنفاق عشرين مليـــار دولار أمريكى من أجل إعداد وتدريـــب المجاهديـــن الأفغان. ويمكن القول إن عهد بريجنســـكى هو عهد تأســـيس الـ«القاعدة» من خلال المساعدات اللوجيستية والمالية الأمريكية، فى ســـبيل إخراج عدو واشنطن اللدود «موسكو» من أفغانستان.

وبريجنســـكى هو أول من دعا إلى تفكيك النظام الإقليمى العربي، وإعادة تشكيله على أسس عرقية ومذهبية. فقد ذكر الكاتب محمـــد حسنين هيكل فى مقال بعنوان «واشنطن تؤذن للجهاد فى كابول» نشر عام 2002 أن اســـتعمال أفغانستان قاعدة لإدارة وتوجيه عمليات إقلاق وإزعاج الاتحاد الســـوفيتي، بدأ على استحياء أوائل الخمسينيات، واشتد فى الســـتينيات، وبلـــغ الـــذروة أواخر الســـبعينيات حين أصبح هدف مجلس الأمن القومى الأمريكى وعلى رأســـه فى ذلك الوقت بريجنسكي، استفزاز الاتحاد الســـوفيتى بتصعيد النشاط المعادى له فى أفغانستان من المســـتوى النفسى إلى المســـتوى العملي، فإذا تحقق ذلك فهذه هى الفرصة لتحويل ذلك البلد إلى فيتنام ســـوفيتية تؤثر عليه بمقـــدار ما أثرت فيتنام الأمريكية على أصحابها.

وكان تقديـــر «بريجنســـكي» كما عرضـــه على الرئيس جيمـــى كارتر أن الولايات المتحـــدة لا يصح لها أن تظهر علانية فى أفغانســـتان، وإنما الأفضل أن تظل بعيدة بمســـافة كافية، وأن تترك المعركة للمســـلمين يخوضونها باســـم الجهاد الإســـلامى ضد الإلحاد المادى. وأهـــم من ذلك يتكفلـــون بتمويلها لأن العبء أثقل مما تستطيع وكالة المخابرات المركزية أن تتحَملَـــه ميزانيتها، كما أنه أكبر مما يقبل به الكونجرس فى الموافقة على اعتمادات لعملية سرية. وزيادة على ذلك فإن الذهاب إلى «لجنة الأمن» لطلب الموافقة على مبالغ بهذا الحجم يؤدى إلى كشـــف العملية، وذلك يحرج السياسة الأمريكية مما قد يؤدى لتعقيدات دولية من الأفضل تجنبها.

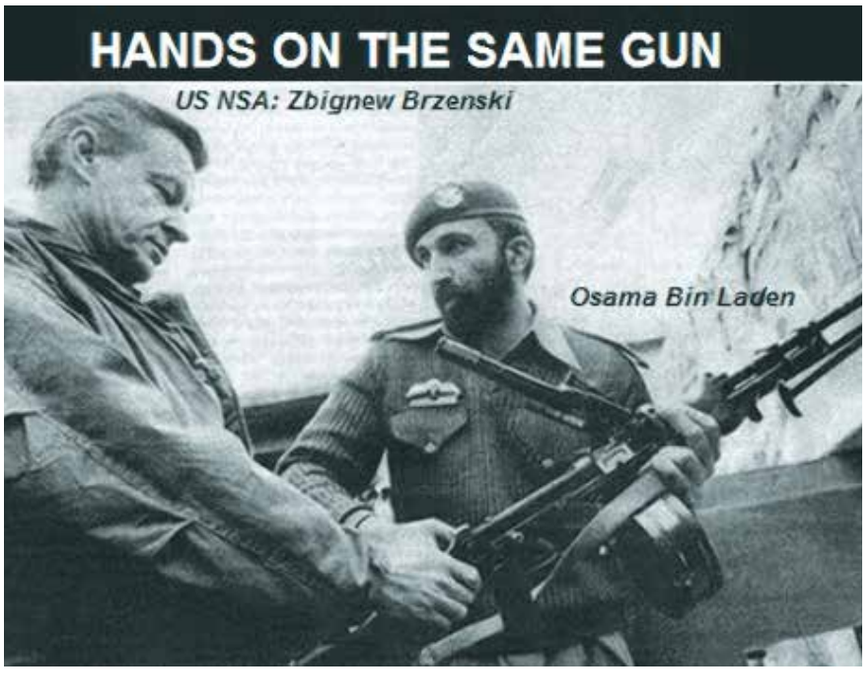

وكان معنى ذلك فى تقدير بريجنسكى أن الولايات المتحـــدة لابد لها من ترتيب يُمَكِّنها من العمـــل ميدانياعلى الأرض، والصرف عـــلى العمـــل وإدارته تحت إشرافها، دون أن يظهر دليل يثبت عليها شيئا تتورط بسببه.

تجارة المخدرات لتمويل الجهاد

ويبقـــى دائما تســـاؤل حائر حول مصادر تمويل هذه الجماعات فمن غير المنطقـــى أن تصرف الولايـــات المتحدة من أموال دافعـــى الضرائب على قضايا خارجيـــة. ويذكر هنـــا نصيحة حصل عليها الرئيـــس الأمريكى رونالد ريجان بعد تنصيبه عام 1980 وعمل بها. جاءت هذه النصيحة من قبل رئيس المخابرات الفرنسية آنذاك ألكســـندر دوميرانش تدعـــو ريجان إلى تخصيـــص جزء من مضبوطـــات المخـــدرات بعدما يجرى تسريبه إلى معسكرات الجيش السوفيتى فى أفغانستان للطرح فى الأسواق العالمية ويُعاد بيعه عن طريق «شبكات أهلية»، ويكون من عائـــده فائض يدفع نصيب الولايات المتحدة فى الجهـــاد الأفغانى. وهى التجـــارة التـــى توارثتها طالبان والقاعدة فيما بعد. وبدءا من عام 1989 وحتى 1992 تم انسحاب السوفيت من أفغانستان عبر جسر الصداقة. ثم حدث بعد النصر أن تصرفت الولايات المتحدة إزاء «الجهاد الإســـلامي» فى أفغانستان بسرعة متناهية وهجرت الساحة وكأنها لم تكن هناك. وقـــد تصرفت عن حِسْ استراتيجى يدرك متى تبدأ الأشياء ومتى تنتهى ليبدأ فصل جديد من اســـتخدام الأصوليـــة الجهاديـــة كما أســـس لها بريجنســـكى فى مناطق أخرى كالعراق واليمن وليبيا وبالطبع سوريا.

ودور بريجنســـكى فى الحـــرب بين العراق وإيران والتـــى اعتمدت بجانب الدوافع الاقتصادية على دوافع أيديولوجية مذهبيـــة لا يقل أهمية عن دوره فى تبنى مجاهدى أفغانستان الأوائل. فصحيح أن واشنطن لم تعط الضوء الأخضر لصدام حسين ليبدأ هجومه على إيران فى سبتمبر 1980 ولكنها عرفـــت كيف تدير الدفة لمصلحتها.

أمّا بالنسبة لسوريا، فى سياقات تفكير بريجنسكى الأخيرة، فهى الفوضى الشاملة، تسير من سيىء إلى أسوأ؛ وإنْ كانت تمنح الولايات المتحدة فرصة لاستمالة إيران إلى اتفاق إقليمى شامل، يتضمن الملفّ النووى أيضاً، وينتهى لصالـــح إسرائيل فى المقام الأوّل. والخلاصة أن دعم الولايات المتحدة للجهاديين بمختلف مسمياتهم والمستمر منذ أواخر السبعينات، أدى إلى انفجارات عكسية ارتدت إلينا فى العالم العربى لتعذبنا بويلاتها مرات عديدة. فمن أشـــهر أقوال بريجنسكي: «سنلعب على وتر الطائفية، فاليوم تنخرالطائفية فى الجســـد العربى المثقل وتزيده ضعفاً يوماً بعد يوم».

أجندة التنمية 2030 وأهداف التنمية المستدامة

لقد مثل عام 2015 مرحلة فارقة فى تاريخ التعاون الدولى الإنمائى لما شهده من ثلاث نقاط تحول رئيسية على مسار السياق التنموى العالمى والجهود العالمية من أجل تحقيق التنمية المستدامة، حيث تم إطلاق أجندة التنمية المستدامة 2030 خلال الدورة الـ70 للجمعية العامة للأمم المتحدة لتحل محل أهداف الألفية الإنمائية، وانعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الثالث للتمويل من أجل التنمية فى العاصمة الأثيوبية أديس أبابا الذى أسفر عن إصدار «برنامج عمل أديس أبابا»، أما المسار الثالث والأخير هو التوصل إلى اتفاقية إطارية للأمم المتحدة بشأن تغير المناخ (باريس- 30 نوفمبر/ 11 ديسمبر 2015).

إعداد سفير أشرف ابراهيم

achraf.ibrahim@mfa.gov.eg

بمعاونة:

سكرتير أول رانيا عبد المجيد

سكرتير ثالث نادر رفعت

سكرتير ثالث محمد قوزع

سكرتير ثالث سما مصطفى

ولا شك أن أجندة التنمية العالمية 2030 تعد أبرز هذه العلامات الفارقة، حيث تتضمن 17 هدفاً و169غاية، ويتمثل هدفها الرئيسى والمحورى فى القضاء على الفقر بكافة أشكاله وأنواعه، وتعد أجندة متطورة عن سابقتها «أهداف الألفية الإنمائية» من حيث نطاقها حيث تتعدى القضاء على الفقر والجوع والمرض إلى معالجة أسباب تلك الآفات عبر التطرق إلى التصنيع المستدام والتدريب المهنى والأمن الغذائى والسلم والأمن وحقوق الإنسان والحوكمة والحفاظ على البيئة. كما تتعدى الأهداف الكمية إلى الجوانب الكيفية لتلك الأهداف مثل العمل الكريم اللائق، التغذية السليمة، التعليم الجيد، المجتمعات الآمنة، الطاقة المستدامة والعمل المنتج، وغيرها.

ويعد برنامج عمل أديس أبابا الصادر عن مؤتمر الأمم المتحدة الثالث للتمويل من أجل التنمية (أديس أبابا، يوليو 2015) جزءاً لا يتجزأ من أجندة التنمية العالمية 2030، باعتباره ركيزة أساسية للشراكة العالمية لتمويل التنمية بين الدول المتقدمة والنامية، حيث يتضمن مجموعة كبيرة من الإجراءات والتدابير لتعبئة الموارد المالية اللازمة لتمويل تنفيذ أجندة التنمية العالمية لما بعد عام 2015، وتنويع مصادر هذه الموارد بما يشمل محاور جديدة ومبتكرة تتعلق بالعلم والابتكار وبناء القدرات، ونقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة للدول النامية.

وقد بذلت مصر جهداً كبيراً من أجل مواكبة هذه التطورات التى شهدها السياق التنموى العالمي، ويتمثل أبرزها فى إطلاق الاستراتيجية الوطنية لتحقيق التنمية المستدامة «رؤية مصر 2030» باعتبارها رؤية مستقبلية لتحقيق التنمية بأبعادها الثلاثة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وأساس لخطط التنمية الوطنية قصيرة ومتوسطة المدى. وقد تم إعدادها اعتماداً على نهج تشاركى يضم كافة أصحاب المصلحة والفئات المجتمعية لتحقيق أكبر قدر من الشمول، وأيضاً بناءً على التجارب الناجحة فى العديد من الدول مثل جنوب أفريقيا وماليزيا وغيرها.

خطة 2030 وأهداف التنمية المستدامة

من أهداف الألفية التنموية MDGs إلى التنمية المستدامة SDGs

يعتبر العام 2015 علامة فارقة فى تاريخ التعاون الدولي، حيث شهدت الأعوام الثلاث التى سبقته - مع قرب انتهاء تنفيذ أهداف الألفية التنموية الثمانية- جهودا دولية مكثفة لخلق مناخ مواتٍ لتنمية مستدامة لما بعد عام 2015 – وهو

أجندة التنمية 2030 وأهداف التنمية المستدامة

العام الأخير فى خطة أهداف الألفية التنموية-، وذلك عبر مسارين متوازيين لصياغة أجندة التنمية الجديدة، وهذان المساران هما:

• الأجندة التنموية الدولية المستقبلية: حيث شكل أمين عام الأمم المتحدة فريق عمل رفيع المستوى لوضع توصيات حول الأجندة التنموية الجديدة، تم رفعها إلى الجمعية العامة فى سبتمبر 2013، تتأسس على ضرورة البدء من حيث انتهت إليه جهود تنفيذ أهداف الألفية الإنمائية «ما بعد 2015»، والبناء على الخبرات المتراكمة خلال فترة التنفيذ.

• أهداف التنمية المستدامة (SDGs): نتجت عن مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة (ريو دى جانيرو- يونيو 2012) الذى أوصى بضرورة اتساق أهداف التنمية المستدامة مع خطة التنمية لما بعد 2015. لذلك تم إنشاء مجموعة عمل مفتوحة العضوية (تتكون من 30 عضواً، من بينها مصر) قامت برفع توصياتها فى هذا الشأن إلى الدورة الـ69 للجمعية العامة فى سبتمبر 2014، وقد تمثلت هذه التوصيات فى بلورة 17 هدفاً (Goals) يندرج تحتها 169 غاية فرعية متصلة بها (Targets).

تمت عملية دمج المسارين فيما بعد بموجب قرار الجمعية العامة رقم 68/309 لسبتمبر 2014، والذى نص على أن التقرير الصادر عن مجموعة العمل مفتوحة العضوية بشأن أهداف التنمية المستدامة، يعد الأساس للتفاوض من أجل إدماج أهداف التنمية المستدامة فى أجندة التنمية لما بعد 2015، وقد بدأت العملية التفاوضية بشأن الأجندة فى يناير 2015، حيث عقدت سلسلة من المفاوضات الحكومية لصياغة أجندة التنمية لما بعد 2015، والتى انتهت بإصدار الوثيقة الختامية للأجندة فى 2 أغسطس 2015 تحت عنوان «تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة للعام 2030» والتى تم إقرارها فى قمة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة التى عقدت خلال الدورة الـ70 للجمعية العامة (25-27) سبتمبر 2015.

أجندة التنمية 2030 وأهداف التنمية المستدامة SDGs

قامت الـ 194 دولة الأعضاء فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 25 سبتمبر 2015 باعتماد أجندة التنمية 2030: «تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة للعام 2030»، وتشتمل الأجندة الرسمية على 92 بندا، حيث يتضمن البند 51 تفصيلا لعدد 17 هدفا تنمويا وغاياتها الفرعية وعددها 169، وجدير بالذكر أن أهداف التنمية المستدامة تتميز عن أهداف الألفية بشموليتها، حيث تتجاوز مجرد العمل على القضاء على الفقر والجوع والمرض، لتشمل معالجة أسباب تلك الآفات من خلال التصنيع المستدام والتدريب المهنى والأمن الغذائي، وكذا السلم والأمن وحقوق الإنسان والحوكمة والحفاظ على البيئة، كما تتميز أيضا بأنها لا تركز فقط على الأهداف الكمية، بل تتعداها لتشمل الجوانب الكيفية لتلك الأهداف مثل العمل الكريم اللائق، التغذية السليمة، التعليم الجيد، المدن والمجتمعات الآمنة، الطاقة المستدامة والعمل المنتج.

تتسم الأجندة التنموية الدولية الجديدة بعالميتها فى التطبيق، وبقابليتها للتنفيذ فى كافة بلدان العالم، من خلال تحقيق عدد محدد من الأهداف والغايات الواضحة، بما يراعى التفاوت فى مستويات الدخل بين الدول، وكذا التنوع الثقافى فيما بينها، وبما يتأسس على احترام المبادئ العالمية لحقوق الإنسان، والتأكيد على الحيز السيادى للدول فى صياغة سياساتها وخططها الوطنية التنموية فى إطار الأجندة، ويأتى هذا من أجل تعزيز الشراكة العالمية من أجل التنمية، ودعم الخطط والسياسات التنموية على المستوى الوطنى فى تحقيق التنمية المستدامة.

وينقسم نص أجندة التنمية 2030 ببنوده الـ 92 إلى أربعة أقسام:

1. الديباجة: تسلط الضوء على ستة عناصر أساسية (البشر/ الكرامة/ الرخاء/العدالة/ الشراكة/ الكوكب) لتأكيد الطبيعة العالمية والتكاملية والتحولية للأجندة، بما يحقق التوازن بين الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة (الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية).

2. الإعلان السياسي: يركز بشكل عام على «البعد الحقوقي» و«عنصر الاستدامة» و«محور السلم والأمن»، و«دور المعنيين» فى تنفيذ الأجندة وفق ما يلى:

• البعد الحقوقي: بالتأكيد على ضرورة مكافحة أشكال عدم المساواة داخل البلدان وفيما بينهم، وحماية حقوق الإنسان وتحقيق المساواة بين الجنسين، مع التركيز بشكل خاص على تمكين المرأة والفتيات، بما يشمل التمكين الاقتصادى والاجتماعى والسياسي، وحتى ما يسمى التمكين التكنولوجي، وبشكل عام الشباب والفئات الضعيفة، وكذا

الإشارة إلى دور المهاجرين فى تحقيق النمو الشامل والتنمية المستدامة، بالإضافة إلى تعزيز الديمقراطية والحكم الرشيد وسيادة القانون والعدالة، كما لم تغفل الأجندة التأكيد على سيادة الدولة الدائمة والكاملة على ثرواتها ومواردها الطبيعية وأنشطتها الاقتصادية، وحق تقرير المصير للشعوب تحت الاستعمار أو الاحتلال الأجنبى.

• عنصر الاستدامة: عن طريق الحماية المستدامة لكوكب الأرض وموارده، ومساعدة الدول النامية، ولا سيما الأقل نموا على تحقيق النمو الاقتصادى الشامل والمستدام، والتحول إلى أنماط الإنتاج والاستهلاك المستدام، ومواجهة التحديات الجمة الناتجة عن تغير المناخ.

• السلم والأمن: التنويه إلى محور السلم والأمن من خلال بناء مجتمعات سالمة وعادلة وشاملة.

• وسائل تنفيذ الأجندة: (وفقاً لما ورد فى الهدف الـ17 من أهداف التنمية المستدامة)، وذلك من خلال تعزيز الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة، وحشد مختلف الموارد المالية بما لا يعد بديلاً عن المساعدات الرسمية الإنمائية وبناء القدرات ونقل التكنولوجيا النظيفة والسلمية بيئياً، وتعزيز النظام التجارى متعدد الأطراف، واتساق السياسات من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وبناء الشراكات مع كافة المعنيين، وكذا دعم قدرات الدول النامية فى توفير بيانات دقيقة وافية، ووضع مقاييس لرصد التقدم المحرز فى تحقيق التنمية المستدامة، بالإضافة إلى تفعيل الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة.

3. أهداف التنمية المستدامة: الأهداف الـ17 المتضمنة 169 غاية فرعية، وفيما يلى قائمة الـ17 هدفا المتضمنة فى الأجندة:

1. القضاء على الفقر.
2. القضاء على الجوع.
3. الرعاية الصحية والرفاهة.
4. الخدمة التعليمية المتميزة.
5. المساواة بين الجنسين.
6. استخدام مستدام للمياه النظيفة.
7. الحصول على الطاقة.
8. النمو الاقتصادى المستدام وتوفير العمل المناسب.
9. تطوير الصناعة على أسس مستدامة وتوفير البنية التحتية.
10. تخفيض درجة عدم المساواة بين الدول وداخلها.
11. أمن واستدامة المدن والمجتمعات.
12. ضمان معايير الإنتاج والاستهلاك المستدام.
13. مكافحة التغيرات المناخية.
14. الحفاظ على ثروات البحار والمحيطات.
15. حماية النظم البيئية البرية والاستخدام المستدام للغابات ومكافحة التصحر.
16. السلام والعدالة والمؤسسات الفعالة من أجل التنمية المستدامة.
17. دعم آليات تنفيذ شراكات عالمية للتنمية المستدامة.

4. عملية المتابعة والمراجعة: والتى ستكون على ثلاثة مستويات (وطني، إقليمي، دولي)، وستكون بشكل طوعى من قبل الدول، وفى إطار تبادل الخبرات لاستخلاص أفضل الممارسات من التجارب التنموية الناجحة، بالتعاون مع اللجان والمنظمات الإقليمية، على أن يصب ذلك فى النهاية فى المنتدى السياسى رفيع المستوى المعنى بالتنمية المستدامة على المستوى الدولى.

تقييم أجندة التنمية 2030

تعتبر وثيقة أجندة التنمية لما بعد 2015 بصفة عامة وثيقة شاملة وطموحة، وقد استطاعت الدول النامية أن تتفادى أى تقييد لسيادتها فى اختيار سياساتها ووضع الخطط المناسبة لتنفيذها فى إطار الأجندة، غير أن الوثيقة ركزت بشكل كبير على احتياجات الدول الأقل نموا، وبشكل أقل على التحديات التنموية التى تواجه الدول النامية متوسطة الدخل- من بينها مصر- فضلاً عن ذلك، لم يكن بالإمكان تفادى تسييس الأجندة بشكل كلي، حيث تم تضمين بعض المسائل التى تتعلق بموضوعات حقوق الإنسان والسلم والأمن جنباً إلى جنب مع المكون التنموي، وبالرغم من أنه تم تفادى تضمين الوثيقة لكثير من المفاهيم الخلافية، إلا أن صياغة بعض المسائل جاءت مبهمة، بما يفتح الباب لترجمتها مستقبلاً وفقاً لرؤية كل طرف.

أولا: أهم المكاسب التى حققتها الدول النامية من وثيقة أجندة التنمية 2030:

• راعت الوثيقة فى صياغتها مسألة أنه بالرغم من تغير السياق العالمى للتعاون الدولى بالتحول من صيغة «المانح/المتلقي» إلى مفهوم «الشراكة»، إلا أن ذلك لا يعنى الافتئات على حق الدول النامية فى التنمية؛ بما يعنى ضمنياً استمرار التزام الدول المتقدمة بنقل التكنولوجيا وبناء القدرات لصالح الأولى، وعلى نحو يتيح للدول النامية تنفيذ الأجندة التنموية الجديدة وفقاً لأولوياتها التنموية الوطنية دون المساس بسيادتها الوطنية، وبما يتيح لها أحقية الدخول فى أسواق الدول المتقدمة.

• نجحت الدول النامية فى الحد

من محاولات الدول المتقدمة، لوضع إطار قوى للمتابعة والمحاسبة من شأنه الانتقاص من سيادتها، وبما يمكن أن يكون بمثابة ذريعة للتدخل فى شئونها، حيث تم وأد فكرة تضمين الوثيقة لإطار للمحاسبة المتبادلة، وتم عوضا عن ذلك وضع إطار لآلية المتابعة والمراجعة لوسائل تنفيذ أجندة يتم على ثلاثة مستويات (دولي، إقليمي، وطني)؛ على أن يكون المستوى الدولى معنياً بقياس التقدم المحرز فى تنفيذ أهداف التنمية المستدامة، ورصد الفجوات التى تعوق التنفيذ، بينما يختص المستوى الإقليمى بتبادل الخبرات، واستخلاص الدروس المستفادة من تجارب الدول الناجحة، فيما ستترك مسألة المتابعة والمراجعة للسياق الوطنى لكل دولة.

• تم تحجيم دور العديد من المعنيين مثل (المنظمات غير الحكومية، المجتمع المدني، الأكاديميين، مراكز الأبحاث، البرلمانيين ورجال الأعمال، وغيرهم)، ومساهمتهم فى تنفيذ الأجندة، ويرجع الفضل فى ذلك إلى النهج التفاوضى للدول النامية، والذى كان يؤكد دوماً على الطبيعة الحكومية للعملية التفاوضية حول الأجندة، وبالتبعية على الطبيعة الدولية للوثيقة الناتجة عنها.

• التأكيد على أن الدور الذى يلعبه تعاون دول جنوب- جنوب، لا يمثل بديلاً عن إطار تعاون شمال- جنوب، والمساعدات الإنمائية الرسمية- القاعدة الأساسية فى التعاون الدولي- بما لا يعفى الدول المتقدمة من مسئوليتها التاريخية تجاه الدول النامية.

• حققت الدول النامية عددا من المكاسب، من خلال تضمين الوثيقة النهائية للأجندة الإشارة إلى بعض المسائل التى تمثل أولوية لمعظم الدول النامية، وأبرزها: مبدأ المسئولية المشتركة مع تباين الأعباء، بهدف إتاحة الفرصة العادلة والمتكافئة للدول لتحقيق التنمية المستدامة/ مبدأ الحق فى التنمية/ احترام حيز السياسات للدول، ومن ثم احترام سيادة الدول فى وضع وتنفيذ السياسات والخطط التنموية الوطنية/ حق تقرير المصير للشعوب تحت الاحتلال/ اعتبار خطة عمل أديس أبابا جزءاً لا يتجزأ من أجندة التنمية لما بعد 2015، باعتبارها إحدى ركائز تمويل الأجندة بجانب المصادر الأخرى للتمويل/ إنشاء آلية لتيسير نقل التكنولوجيا النظيفة والسلمية بيئياً للدول النامية.

ثانياً: بالرغم من المكاسب التى حققتها الدول النامية، إلا أن التوصل لصياغات توافقية خلال عملية التفاوض على الوثيقة - تقليصا لهوة الخلافات بين الدول- قد قوض بعضا من تلك المكاسب على النحو التالي:

• بالرغم من أنه تم وأد فكرة الاتساق بين مسار أجندة التنمية لما بعد 2015، ومسار تمويل التنمية -الذى يعد الإطار الأشمل للتنمية- تم فى النهاية اعتبار خطة عمل أديس أبابا جزءاً لا يتجزأ من أجندة التنمية، إذ لم تسمح الدول المتقدمة بالفصل الكامل بين المسارين، وذلك بهدف الحد من الالتزامات التى ستقع على عاتقها لتمويل ترجمة الأجندة إلى حقيقة على أرض الواقع.

• وردت الإشارة لمبدأ المسئولية المشتركة مع تباين الأعباء فى إطار المبدأ السابع من إعلان ريو، وهو ما يعنى ضمنياً تقييد تطبيقه فى إطار البعد البيئى للتنمية المستدامة، وليس بشكل متوازن وشامل للأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة (البيئية، الاقتصادية، الاجتماعية).

• جاءت الإشارة للحق فى التنمية فى إطار حقوق الإنسان، والأخذ علماً به فى فقرة أخرى، وقد أعلنت الولايات المتحدة رسمياً تحفظها عليه، ومن ثم عدم قبولها بما قد يترتب عليه تباعاً من التزامات.

• على الرغم من أنه تم الابتعاد عن المصطلحات الخلافية المتعلقة بالحقوق الجنسية (مثل المثليين، مزدوجى الهوية الجنسية، ومتحولى الجنس)، إلا أن الإشارة للصحة الجنسية والإنجابية جاءت فضفاضة، كما ورد فى الهدف (5.6) من أهداف التنمية المستدامة، حيث تتحفظ مصر فى هذه الفقرة على الجزء الخاص ببرنامج عمل المؤتمر الدولى للسكان، وبرنامج عمل بكين، ووثائق مؤتمرات المراجعة الخاصة بها، وذلك لأن بعض بنود برامج العمل المذكورة، ووثائق مؤتمرات المراجعة الإقليمية تتضمن بعض الموضوعات الخلافية بشأن حقوق الإنسان.

جهود وطنية وإقليمية موازية

على المستوى الوطني، تمت عملية الإعداد لأجندة التنمية لما بعد 2015 على مرحلتين؛ الأولى فى النصف الأول من عام 2013 من خلال مشاركة مصر فى مشاورات برنامج الأمم المتحدة للتنمية مع 50 دولة، وقد ساهمت تلك المشاورات بدورها فى بلورة تقرير الأمين العام للجمعية العامة فى دورتها الـ68 حول أجندة التنمية ما بعد عام

2015، أما المرحلة الثانية فقد بدأت بعقد مشاورات مع الأطراف الوطنية المعنية بمختلف محاور التنمية (الوزارات، والأجهزة الحكومية، ومراكز الفكر، والمجتمع المدني) لوضع تصور للأولويات التنموية الوطنية القابلة للتنفيذ فى ظل أجندة التنمية لما بعد 2015، وخلصت المشاورات إلى وضع مصفوفة بالغايات والأهداف التنموية الوطنية وكذا المؤشرات الكمية، حيث تمت الاستعانة بها فيما بعد فى الإعداد للاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة للمرحلة 2015-2030، ويلاحظ أن أجندة 2030 الوطنية هى انعكاس بدرجة كبيرة للـ SDGs الدولية، التى ساهمت مصر بشكل فعال فى بلورتها وصياغتها واعتمادها، والتى تعد هى الإطار العام لرسم ملامح السياق الدولى لتحقيق التنمية المستدامة خلال الخمسة عشر عاماً المقبلة، حيث تتبنى رؤية مستقبلية طموحة، تبدأ من حيث انتهت إليه أهداف الألفية الإنمائية MDGs، بل وتتجاوزها فى نطاقها وأهميتها؛ إذ تسعى الأجندة الجديدة لتحقيق أهداف غير مسبوقة تشمل اجتثاث الفقر بكافة أشكاله وأبعاده، والقضاء على الجوع، وضمان الحقوق الأساسية للتنمية، وعلى رأسها الحق فى حياة صحية وتعليم مناسب.

والحقيقة أنه بمراجعة سريعة لمدى نجاح مصر فى تنفيذ أهداف الألفية، نجد أن مصر استطاعت تحقيق عدد من تلك الأهداف فى الأعوام الخمسة عشر (2001-2015)، بينما واجهت صعوبات فى تحقيق البعض الآخر، ويمكن القول أن الظروف التى مرت بها مصر فى الأعوام الأربعة الأخيرة من أجندة الألفية (2011-2015) كانت أحد الأسباب الرئيسية فى عدم تحقيق النجاح المطلوب، فعلى سبيل المثال لم تحقق مصر الهدف الأول من أهداف الألفية، المتمثل فى خفض عدد الذين يعيشون تحت خط الفقر إلى النصف، ويرجع ذلك إلى تضافر عدد من العوامل أهمها الأزمات الاقتصادية والمالية التى شهدها العالم فى أواخر العقد الماضي، والتى تفاقمت آثارها مع اندلاع ثورة يناير وما تلاها من أحداث.

وفى هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أهمية الاستفادة من دروس الماضي، ومراجعة أسباب تعذر تحقيق بعض أهداف الألفية فى مصر، وذلك فى سبيل تفادى تلك الأسباب والعمل على تحقيق النجاح فى تنفيذ أهداف التنمية المستدامة خلال الأعوام الخمسة عشر القادمة وحتى 2030، حيث يعتبر القضاء على الفقر واجتثاثه المحور الرئيسى لأجندة التنمية 2030، ويتطلب تحقيق النجاح المنشود تضافر جهود الحكومة مع كافة المعنيين من رجال أعمال ونقابات ومنظمات أهلية، لوضع الخطط الكفيلة بتحقيق التقدم المأمول على هذا المسار، مع مراعاة أهمية إدماج الشباب والمرأة فى تنفيذ تلك الأهداف.

أما على المستوى الإقليمي، فقد تم عقد المؤتمر الوزارى لبلورة الأهداف والغايات للتنمية العربية لما بعد 2015 وذلك فى أكتوبر 2014 فى شرم الشيخ، ونتج عنه صياغة رؤية الأهداف التنموية العربية التى تأسست على الورقة المصرية التى أعدتها وزارة الخارجية المصرية، فى إطار الإعداد الوطنى لأجندة التنمية لما بعد 2015 المشار إليه عاليه، وتم اعتماد الأهداف التنموية العربية فى القمة العربية التنموية فى دورتها الرابعة (تونس- مارس 2015).

تمويل التنمية وأهداف التنمية المستدامة

أظهرت التطورات السياسية والاقتصادية التى شهدها العالم نهاية القرن الماضى وبداية الجاري، على رأسها الأزمة المالية والاقتصادية الآسيوية 1997، وإطلاق جولة الدوحة التنموية بمنظمة التجارة العالمية والتى ترتكز ولايتها على دعم التنمية بالدول النامية والأقل نمواً، فضلاً عن مؤتمرات الأمم المتحدة للتنمية وعلى رأسها مؤتمر قمة الألفية 2000 والذى أسفر عن إعلان الأمم المتحدة للألفية واعتماد أهداف الألفية الإنمائية، ومؤتمر ريو 1993 والذى تتمثل أبرز نتائجه فى تعهد الدول المتقدمة بتخصيص 0,7% من ناتجها المحلى الإجمالى كمساعدات تنمية رسمية للدول النامية والأقل نمواً – أظهرت مدى حاجة المجتمع الدولي، وخاصة الدول النامية، لعقد مؤتمر دولى تحت مظلة الأمم المتحدة لبحث موضوع تمويل التنمية ومناقشة سبل توفير التمويل اللازم لعمليات التنمية الشاملة والمستدامة العالمية، وذلك بهدف القضاء على الفقر وتحقيق النمو الاقتصادى المطرد والتنمية المستدامة.

فى هذا الإطار، عقد مؤتمر التمويل من أجل التنمية الأول فى مدينة مونتيرى بالمكسيك عام 2002، وأسفر عن «توافق آراء مونتيرى Monterrey Consensus» والذى تضمن ستة محاور لتمويل التنمية وهي: حشد وتعبئة الموارد المحلية للتمويل، وحشد وتعبئة الموارد الدولية وعلى رأسها مساعدات التنمية الرسمية المقدمة من الدول المتقدمة باعتبارها أحد أهم وأبرز مصادر التمويل الدولية، وتشجيع وزيادة التجارة الدولية كمحفز

أجندة التنمية 2030 وأهداف التنمية المستدامة

رئيسى للتنميـــة، وتعزيز التعاون المـــالى والتقنى من أجـــل التنمية، والعمـــل على حل مشـــكلة الديون الخارجيـــة وتخفيف عبء الديون، وتحقيق التماســـك والاتساق المالى والنقدى والتجارى العالمى.

يعد توافق مونتيرى الإطار العام للشراكة العالمية من أجل التنمية بين الدول المتقدمة والنامية، حيث ركزت بنود التوافق على الإجراءات الواجب اتخاذها من قبل الدول عبر المحاور الستة السابق ذكرها، بالإضافة إلى التأكيد على أهمية تحقيق الحوكمة الاقتصادية العالمية كخطوة رئيسية لمواجهة تحديات توفير التمويل من أجل التنمية، إلا أنه لم يتضمن آلية واضحة لتعبئة الموارد المالية اللازمة لتمويل التنمية.

عقد المؤتمر الثانى للتمويل من أجل التنميـــة بالعاصمة القطرية الدوحـــة عـــام 2008 بهـــدف اســـتعراض وتقييم التقدم المحرز فى تنفيذ توافق مونتيري، وأســـفر المؤتمر عن «إعـــلان الدوحة Doha Declaration» والذى أشار إلى أنه على الرغم من التقدم المحرز فى تنفيذ بعض الإجـــراءات والالتزامات التى نص عليها «توافق مونتيري»، إلا أن المجتمع الـــدولى بات يواجه تغيرات وتحديات عميقة وجديدة مثل تزايد انعدام الأمن الغذائي، وتقلب أسعار الطاقة والســـلع الأساسية، وتغير المناخ، والأزمة المالية العالمية 2008، وتعثر المفاوضات التجارية متعددة الأطراف، وفقـــدان الثقة فى النظام الاقتصادى العالمـــي، والتى تمثل معوقات رئيسية أمام جهود توفير التمويل من أجل التنمية.

وقد جـــاء إعـــلان الدوحة أكثر قوة من توافق مونتيرى حيث نص على حق الدول متوســـطة الدخل فى استكمال عملية التنمية بها، وشدد على الملكية الوطنية لخطط التنمية فى الـــدول الناميـــة، وأهمية التزام الدول المتقدمة بتخصيص نسبة الـ 0.7% مـــن ناتجها المحلى الإجمالى كمســـاعدات تنمية رســـمية لدعم عمليات التنميـــة فى الدول النامية. كما أبرز أهمية إقامـــة نظام مالى واقتصادى عالمى عادل وشـــامل، وإصلاح كافة المؤسسات الاقتصادية الدولية، وتلبية الاحتياجات الإنمائية لأفريقيـــا، وأهمية تمكـــين المرأة والقضاء على كافة أشـــكال التمييز بين الرجل والمرأة.

جدير بالذكر أن المؤتمر قد أسفر أيضاً عن عقد مؤتمر رفيع المستوى حـــول الأزمة الماليـــة والاقتصادية العالميـــة 2008 وأثرها على التنمية عـــام 2009 تحـــت مظلـــة الأمم المتحدة، على الرغم من تحفظ الدول المتقدمـــة على عقد هـــذا الاجتماع، وتتمثل أبـــرز نتائجـــه فى الإقرار بالآثار السلبية الحادة للأزمة المالية العالمية على الدول النامية على الرغم من عدم كونها سبباً للأزمة، وكذلك الإقرار بمشـــاركة الأمم المتحدة فى جهود إصلاح وتطوير النظام المالى والاقتصادى العالمي، فضلاً عن تأكيد التزام الـــدول بدعم التنمية العالمية من خلال خلق فرص عمل، وتعزيز النفاذ إلى خدمات الصحة والتعليم، تحقيق التنمية المستدامة بأبعادها الثلاثـــة الاقتصاديـــة والاجتماعية والبيئية، وغيرها.

فى ضوء ما سبق، فقد أقر مؤتمر الدوحة والمؤتمر رفيع المستوى حول الأزمة المالية العالميـــة وأثرها على التنمية أهمية توفر آلية دولية لمتابعة تمويل التنمية بهدف تقييم التقدم الحاصل والوقـــوف على التحديات والعقبات أمام توفير التمويل اللازم سواء تلك الموجودة بالفعل أو التى تفرضها التطورات الدولية، وهو ما تعزز مع التطور الخاص بصياغة أجندة التنمية العالمية لما بعد 2015 والمتضمنة أهـــداف وغايات التنمية المستدامة.

وبناءً عليه، فقد تقرر عقد المؤتمر الـــدولى الثالث للتمويـــل من أجل التنمية خلال الفترة 13-16 يوليو 2015 فى أديس أبابا وفقاً لقرارى الجمعية العامة للأمم المتحدة رقمى 204/68، و279/68، بهـــدف تنفيـــذ توافق مونتـــيرى وإعلان الدوحـــة، وتعزيـــز آليـــة متابعة تمويل التنميـــة، وذلك بضغط من الدول النامية وخاصة مجموعة الـ 77+الصـــين، اقتناعاً بعدم جدوى صياغة أجندة تنموية عالمية جديدة دون أن يتم العمل فى مسار موازٍ على توفير وســـائل تحقيق هذه الأجندة وتمويل تنفيذهـــا، ودون الوقوف بداية على معوقات وتحديات التقدم فى موضوع تمويل التنمية.

هذا وقـــد أســـفر المؤتمر عن «برنامج عمـــل أديس أبابا»، والذى اعتمدته الأمـــم المتحدة وفقاً للقرار 313/69، ويعـــد تطـــوراً بارزاً لتعزيز الشراكـــة العالمية من أجل تمويـــل التنمية، خاصة عبر إضافة محـــاور جديدة مبتكـــرة بخلاف المحاور الســـتة التقليدية الواردة فى كل من «توافق مونتيري» و«إعلان الدوحة»، وعلى رأسها محور العلم والتكنولوجيـــا والابتـــكار وبناء القدرات متضمناً إنشاء آلية لتيسير نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة للدول النامية، وإنشاء منتدى حول تطوير البنيـــة التحتية، فضلاً عن الاهتمام بمصـــادر التمويل المحلى

وتنويع المصادر بالتركيز على دور القطاع الخاص الحيوى فى هذا الصدد. هذا بالإضافة إلى الاهتمام بمتابعة تنفيذ برنامج العمل والنظر فى عقد مؤتمر دولى للمتابعة بحلول عام 2019.

ويأتى «برنامج عمل أديس أبابا» متزامناً مع وضع أجندة التنمية العالمية لما بعد 2015 التى تم اعتمادها فى سبتمبر 2015 خلال الدورة السبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة والتى تتضمن أهداف وغايات التنمية المستدامة، وهو ما أدى إلى تباين مواقف الدول النامية والمتقدمة حول العلاقة بين مسارى أجندة التنمية العالمية وتمويل التنمية حيث طالبت الدول المتقدمة باعتبار مخرجات مؤتمر أديس أبابا هى نفسها الشق الخاص بوسائل تنفيذ أجندة التنمية العالمية، بينما ارتكز موقف الدول النامية على الفصل بين المسارين، استناداً إلى أن الهدف رقم 17 من أهداف التنمية المستدامة يتناول وسائل التنفيذ إضافة إلى وسائل التنفيذ التى تضمنها كل هدف من الأهداف الـ16 الأخرى، وبما لا يحرم الدول النامية والأقل نمواً من مصادر تمويل جديدة، وبما لا ينافى حقيقة أن المسارين متوازيان ويكملان بعضهما البعض. وارتكزت رؤية الدول النامية على أن مخرجات مؤتمر تمويل التنمية تمثل عناصر لتوفير البيئة المواتية لتنفيذ أهداف التنمية المستدامة. وتجدر الإشارة إلى أنه تم النص فى أجندة التنمية العالمية على أن مخرجات اجتماع أديس أبابا جزء لا يتجزأ من أجندة التنمية العالمية.

وقد اتفقت الدول على مجموعة من الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها من خلال توفير المناخ المواتى، وتتمثل تلك الأهداف فى توفير الحماية الاجتماعية والخدمات العامة الأساسية للجميع وتكثيف الجهود للقضاء على الجوع وسوء التغذية. كما تم الاتفاق على تحفيز التصنيع المستدام الشامل للجميع وتوفير العمالة الكاملة المنتجة والعمل اللائق والنهوض بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمتناهية الصغر، وإنشاء منتدى جديد لسد فجوة البنية التحتية. بالإضافة إلى تشجيع قيام مجتمعات مسالمة شاملة، وتمكين المرأة والشباب وحماية النظام الأيكولوجى.

ويهدف برنامج وثيقة أديس أبابا إلى توسيع قاعدة الإيرادات وتحسين سبل تحصيل الضرائب، ومكافحة التهرب الضريبي، ومكافحة التدفقات المالية غير المشروعة، وتحسين استغلال الموارد المحلية عن طريق الاستخدام الأمثل للموارد الوطنية العامة والمؤسسات التجارية والمالية الخاصة المحلية والدولية وتعزيز التعاون الإنمائى والتجارة الدولية باعتبارها محفزاً للتنمية.

وتجدر الإشارة إلى أن الدول المتقدمة ورغم تأكيد التزامها بتقديم نسبة الـ0.7% من الناتج المحلى الإجمالى كمساعدات رسمية للتنمية، إلا أنها حاولت إلقاء عبء تمويل التنمية على الدول النامية من خلال التركيز على حشد الموارد المحلية، والعمل على رفع نسبة الضرائب إلى الناتج المحلى فى الدول النامية.

ونعرض فيما يلى للعناصر الرئيسية التى تضمنها برنامج عمل أديس أبابا لتمويل التنمية والذى أسفر عنه المؤتمر الدولى الثالث لتمويل التنمية (أديس أبابا، 13-16 يوليو 2015) والذى يعد ركيزة أساسية للشراكة العالمية لتمويل التنمية بين الدول المتقدمة والنامية، حيث يتضمن مجموعة كبيرة من الإجراءات والتدابير لتعبئة الموارد المالية اللازمة لتمويل التنمية وتحقيق أجندة التنمية العالمية لما بعد عام 2015 وتحقيق التنمية المستدامة، على النحو التالي:

أولا- الموارد العامة الوطنية: يركز برنامج العمل بصورة رئيسية على أهمية حشد وتطوير الموارد المحلية لتمويل التنمية فى إطار مبدأ الملكية الوطنية لسياسات التنمية:

1. حث الدول على اعتماد سياسات اجتماعية واقتصادية وبيئية رشيدة، بما فى ذلك إرساء الحكم الرشيد وسيادة القانون وإنشاء مؤسسات ديمقراطية تلبى احتياجات الناس، ومكافحة الفساد، واعتماد قوانين وسياسات اجتماعية غير تمييزية، والمشاركة الفعالة للمجتمع المدنى والمنظمات غير الحكومية والإعلام فى هذا الصدد.

2. تطوير وتحسين النظم والسياسات الضريبية، والارتقاء بكفاءة تحصيل الضرائب، واعتماد نظم ضريبية تصاعدية حديثة، وتوسيع القاعدة الضريبية، لاسيما دراسة فرض ضرائب إضافية على السلع الضارة مثل التبغ، والعمل على إدماج القطاع غير الرسمى فى القطاع الرسمى وفقاً لظروف كل دولة. هذا بالإضافة إلى التركيز على أهمية دور التعاون الدولى المالى والضريبى لبناء قدرات الدول النامية فى هذين المجالين، والحد من التدفقات المالية غير المشروعة، بما فى ذلك مكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحة التهرب الضريبى ومكافحة الفساد، وضمان الشفافية فى جميع المعاملات المالية بين الحكومات والقطاع الخاص، ودعوة غير المنضمة لميثاق الأمم المتحدة

لمكافحة الفساد UN Convention against Corruption» على الانضمام إليه.

3. تشجيع الدول النامية على الاستثمار فى الأنشطة والقطاعات ذات القيمة المضافة بهدف تنويع الصادرات وعدم الاعتماد بشكل رئيسى على تصدير المواد الخام، خاصة الأنشطة الاستخراجية والتعدينية، لما له من تأثير إيجابى مباشر على إيرادات والميزان التجارى للدول.

4. ترشيد نظم الدعم على الطاقة والعمل على إزالة كافة التشوهات التى ترتبط بهذه النظم، وذلك وفقاً للأوضاع الداخلية لكل دولة خاصة الدول النامية، وبما يحافظ على وصول الدعم لمستحقيه ولا يعيق عمليات التنمية بهذه الدول.

5. التأكيد على دور بنوك التنمية الوطنية والإقليمية فى تمويل التنمية المستدامة، وحثها على زيادة جهودها فى هذا الشأن خاصة فى قطاعات سوق الائتمان التى تعانى من فجوة تمويلية، مع التركيز على قطاعات البنية التحتية والطاقة والنقل والمياه والزراعة والشمول المالى وتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة ومتناهية الصغر.

6. الالتزام بزيادة وتطوير التعاون الدولى مع الحكومات المحلية بالدول النامية والأقل نمواً والدول الجزرية الصغيرة لبناء ورفع قدراتها فى وضع وتنفيذ سياسات تنمية اجتماعية واقتصادية وبيئية، وإدارة وتخفيف الديون، التخفيف من آثار تغير المناخ والتكيف معها ومواجهة تداعيات الكوارث الطبيعية.

ثانياً- مؤسسات التمويل والقطاع الخاص المحلى والدولي:

1. تقر الوثيقة بأهمية دور القطاع الخاص (بدءاً من المشروعات متناهية الصغر إلى الشركات الضخمة متعددة الجنسيات)، خاصة الاستثمار الأجنبى المباشر، كمحفز رئيسى للنمو الاقتصادى الشامل والإبداع وخلق الوظائف، وتحث القطاع الخاص على المشاركة فى عملية تمويل التنمية والاستثمار فى القطاعات والمجالات ذات الأهمية لعمليات التنمية، والتحول لنمط إنتاج واستهلاك مستدام.

2. وضع سياسات لتشجيع القطاع الخاص ومواءمة أهدافه مع أهداف وغايات السياسات العامة، وخلق مناخ أعمال مواتٍ لجذب الاستثمار وضمان استمرار تدفق رؤوس الأموال المحلية والدولية، وخاصة الاستثمار الأجنبى المباشر، دون الإخلال بالمبادئ والاعتبارات الإنسانية والاجتماعية والبيئية وفقاً لمواثيق الأمم المتحدة ذات الصلة مثل حقوق العامل وفقاً لمنظمة العمل الدولية.

3. تحقيق الشمول المالى وضمان الحصول على الخدمات المالية لجميع المواطنين دون تمييز، والإقرار بدور المهاجرين فى تحقيق النمو الاقتصادى والعمل على خفض متوسط تكلفة التحويلات المالية للمهاجرين بحلول عام 2030 إلى أقل من 3%.

4. الالتزام بتحقيق المساواة بين الجنسين فى الحقوق والفرص فى صنع القرارات السياسية والاقتصادية، والحقوق المرتبطة الملكية والائتمان والميراث، ودعوة القطاع الخاص لتحقيق هذا الهدف من خلال المساواة بين الجنسين فى فرص التوظيف والأجور والمرتبات، وزيادة الاستثمارات فى المؤسسات التجارية المملوكة للنساء، وغيرها.

5. زيادة التعاون بين منظمات المجتمع المدنى غير الهادفة للربح والحكومات والأطراف الأخرى الفاعلة فى عملية التنمية، مع الأخذ فى الاعتبار مبدأ الشفافية والمساءلة للمؤسسات الخيرية.

6. تشجيع الاستثمار العام والخاص فى مجالات الطاقة النظيفة لتوفير خدمات الطاقة الحديثة والمستدامة للجميع بحلول عام 2030، وتعزيز التعاون الدولى لنقل الخبرات والتكنولوجيا وبناء قدرات الدول النامية فى هذا المجال.

ثالثاً- التعاون الإنمائى الدولي:

الترحيب بزيادة حجم التمويل الدولى العام منذ انعقاد مؤتمر مونتيري، لاسيما زيادة حجم مساعدات التنمية الرسمية، والتأكيد على تعهد الدول المتقدمة بتخصيص نسبة 0,7 % من الناتج المحلى الإجمالى كمساعدات تنمية رسمية للدول النامية، ونسبة تتراوح بين 0,15 % إلى 0,20 %للدول الأقل نمواً.

1. الإقرار بأهمية التعاون جنوب –جنوب، باعتباره مساراً مكملاً وليس بديلاً عن المحور التقليدى التعاون شمال-جنوب، نظراً لتشابه النسق والأوضاع التنموية لدول الجنوب.

2. التسليم بأن اتفاق الأمم المتحدة الإطارى لتغير المناخ ومؤتمر الأطراف هما المنتدى الدولى الحكومى الرئيسى للتصدى لتغير المناخ، وحث الأطراف على التوصل إلى اتفاق طموح فى باريس 2015 يعكس مبدأ المسئولية المشتركة، فى

ضوء الظروف الوطنية المختلفة.

3. تقر الوثيقة بأهمية مراعاة الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة خاصة البيئية، ومراعاة التكيف مع آثار تغير المناخ والقدرة على مواجهة الكوارث فى تمويل التنمية من أجل ضمان استدامة نتائج التنمية، ولذلك لابد من الاستثمار فى الجهود الرامية إلى تعزيز قدرات الجهات الوطنية والمحلية على إدارة أخطار الكوارث وتمويل إجراءات التصدى لها، تعبئة الموارد المالية لحفظ التنوع البيولوجى والنظام الأيكولوجي، وحفظ المحيطات والبحار ومواردها من خلال نمط استهلاك مستدام.

4. تكثيف الجهود الرامية لمساعدة الدول لتمويل أنشطة التنمية وبناء السلام فى أوضاع ما بعد النزاعات.

5. تعزيز التنسيق بين النظم الصحية الدولية والوطنية وتوفير التغطية الصحية للجميع، وتعزيز قدرة الدول على إدارة المخاطر الصحية، وكذلك تحقيق زيادة فى تمويل الرعاية الصحية وتوظيف قوة عاملة وتدريبها والاحتفاظ بها.

6. تعزيز التعاون الدولى لتوفير تعليم جيد للجميع والمساواة بين الجنسين فى التعليم من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وتوفير خدمات التعليم للأطفال الذين يعيشون فى فقر مدقع، وذوى الاحتياجات الخاصة، المهاجرين واللاجئين، وفى حالات النزاع وما بعد النزاع، وتوفير بيئات تعليمية آمنة وخالية من العنف وشاملة وفعالة للجميع، وذلك عن طريق الاستثمارات والتعاون الدولى بما فى ذلك مبادرات مثل الشراكة العالمية من أجل التعليم.

رابعاً- التجارة الدولية كمحرك للتنمية:

1. الإقرار بدور التجارة كمحرك وقاطرة رئيسية للنمو الاقتصادى الشامل والحد من الفقر، وأهمية العمل على تطوير وتحسين النظام التجارى متعدد الأطراف ذى طابع عالمى فى إطار منظمة التجارة العالمية يتسم بالشفافية والشمول والإنصاف وعدم التمييز، وكذلك تحرير المُجدى للتجارة.

2. مطالبة الدول الأعضاء بمنظمة التجارة العالمية بالقيام بتنفيذ جميع القرارات الواردة فى إعلان بالي، بما فى ذلك المزايا الممنوحة للدول الأقل نمواً، وقرار التخزين الحكومى لأغراض الأمن الغذائي، وبرنامج العمل بشأن الاقتصادات الصغيرة، والتعجيل بالتصديق على اتفاق تيسير التجارة، والإسراع فى إنهاء مفاوضات جولة الدوحة التنموية المستمرة منذ عام 2001 حتى الآن مع التأكيد على الطابع التنموى لولاية هذه الجولة وأن تلبى فى المقام الأول احتياجات وطموحات الدول النامية والأقل نموا والحفاظ على المزايا والمرونات الممنوحة لهذه الدول.

3. الالتزام بتنشيط وتعزيز التكامل الاقتصادى الإقليمى والتنفيذ الفعال لاتفاقيات التجارة الإقليمية، وحث مؤسسات التمويل الدولية ومتعددة الأطراف وبنوك التنمية الإقليمية على دعم مشروعات وأطر جهود التكامل الإقليمي، مع إعطاء اهتمام خاص لدعم التكامل الاقتصادى فى أفريقيا، وتوفير التمويل اللازم لإزالة معوقات التكامل الإقليمى مثل تطوير البنية التحتية اللازمة للربط بين الدول، بالإضافة إلى دعم دمج الشركات والمشروعات الصغيرة والمتوسطة ومتناهية الصغر بالدول النامية فى سلاسل القيمة العالمية.

4. تعزيز دور مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأنكتاد) كأداة رئيسية بنظام الأمم المتحدة للتعامل الشامل والمتكامل لموضوعات التجارة والتنمية، والموضوعات ذات الصلة على رأسها التمويل والاستثمار ونقل التكنولوجيا والتنمية المستدامة.

خامساً- الديون واستدامة الديـن:

1. يمثل الاقتراض أداة مهمة لتمويل تنفيذ أهداف التنمية المستدامة، ومن ثم أهمية مساعدة الدول النامية فى تحقيق القدرة على تحمل الديون طويلة الأجل من خلال اتباع سياسات رشيدة تهدف إلى تعزيز تمويل وتخفيف عبء الديون، وإعادة هيكلة الديون وإدارتها على نحو سليم.

2. الترحيب بجهود نظام الأمم المتحدة وصندوق النقد والبنك الدوليين الرامية إلى دعم الإدارة السليمة للديون السيادية، ودراسة أوضاع كل دولة وتحديد مستوى الاقتراض المناسب. وكذلك الترحيب بوضع منهجية للتوفير العلنى لبيانات الديون السيادية الحكومية والديون الخارجية، والنظر فى إنشاء سجل مركزى للبيانات، بما فى ذلك معلومات عن عمليات إعادة هيكلة الديون. وتشجيع الحكومات على تحسين الشفافية فى إدارة الديون، وأهمية التنسيق والتعاون مع الدائن والمدين لمنع حدوث حالات عدم القدرة على سداد الديون. كما تشجع الوثيقة المبادرات الخاصة بتعزيز الحوار بين الدائنين والمدينين السياديين بشأن مسائل الديون مثل مبادرة «منتدى باريس» التى أطلقها نادى باريس مؤخراً.

3. كما تؤكد الوثيقة على أهمية اتسام عمليات إعادة هيكلة الديون بالفعالية والإنصاف، وأن تتم عن طريق التفاوض بحسن نية، وأن

الخروج من أية أزمة من أزمات الديون السيادية ينبغى أن تهدف إلى استعادة القدرة الحكومية على تحمل الدين، مع الحفاظ على إمكانية الوصول إلى موارد التمويل، وأن نجاح عمليات إعادة هيكلة الديون يعزز من قدرة الدول على تحقيق التنمية.

سادساً- معالجة المسائل العامة Systemic Issues :

1. تطوير وتنظيم الأسواق المالية لتعزيز الاستقرار المالى والاقتصادي، فضلا عن ضرورة وجود شبكة أمان مالية عالمية، وأيضاً بناء القدرة على مواجهة والتصدى للاضطرابات المالية الدولية، والحد من الآثار الجانبية للأزمات المالية العالمية. والتزام الدول بصياغة وتطبيق سياسات اقتصادية سليمة تساهم فى تنفيذ هذه الأهداف وتحقيق الاستقرار العالمى.

2. الالتزام بتمكين الدول النامية من المشاركة فى عملية صنع القرار الاقتصادى على المستوى العالمى تحقيقاً للحوكمة الاقتصادية العالمية، واستمرار جهود تطوير عمل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للتكيف مع التغيرات التى يشهدها الاقتصاد العالمى وضمان تلبية احتياجات ومعالجة شواغل الدول النامية.

3. تعزيز شبكة الأمان المالية الدولية الدائمة، وذلك عن طريق الحفاظ على قوة صندوق النقد الدولى واستناده إلى الحصص، مع توافر الموارد الكافية له للوفاء بمسئولياته العامة، وتعزيز التعاون بين صندوق النقد الدولى والترتيبات المالية الإقليمية، مع الحفاظ على استقلال كل مؤسسة.

4. تعزيز التعاون على الصعيد الدولى لتوفير هجرة آمنة ومنظمة ونظامية، فى ظل الاحترام الكامل لحقوق الإنسان، وتعزيز التعاون فى مجال الاعتراف بالمؤهلات الأجنبية، والتعليم والمهارات، وتوظيف المهاجرين، وفقاً للظروف والتشريعات الوطنية.

5. تعزيز دور المؤسسات الإقليمية والوطنية ودون الوطنية لمنع جميع أشكال العنف، ومكافحة الإرهاب والجريمة، وإنهاء الاتجار بالبشر، خاصة النساء والأطفال، وفقاً للقانون الدولى لحقوق الإنسان. بالإضافة إلى تعزيز قدرات المؤسسات الوطنية لمكافحة غسل الأموال والفساد وتمويل الإرهاب، لما لها من آثار خطيرة على التنمية الاقتصادية والتماسك الاجتماعى.

سابعاً- العلم والتكنولوجيا والابتكار وبناء القدرات:

1. الالتزام بتطبيق وتطوير البنى التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لاسيما فى الدول النامية والأقل نمواً والدول النامية الحبيسة والدول الجزرية الصغيرة، وبناء القدرات فى هذا المجال، بما فى ذلك الإسراع فى وتيسير خدمات الاتصال بالإنترنت بأسعار معقولة، وتمكين النساء والشباب وذوى الاحتياجات الخاصة من النفاذ إلى خدمات تكنولوجيا المعلومات، نظراً للدور المهم الذى تلعبه العلوم والتكنولوجيا الحديثة والابتكار، وما يرتبط بها من نقل الخبرة والمعرفة، فى تحقيق النمو الاقتصادى والتنمية المستدامة.

2. زيادة الدعم الدولى لموضوعات بناء القدرات فى الدول النامية والأقل نمواً، وإنشاء شراكات فعالة بين أصحاب المصلحة المتعددين فى هذا الشأن، دعماً للخطط الوطنية الرامية إلى تنفيذ أهداف التنمية المستدامة.

3. وضع وتنفيذ سياسات جديدة لتحفيز الابتكار والبحث العلمى والتوصل لتكنولوجيا جديدة، وخلق بيئة مواتية تمكن جهود الابتكار وتطبيق التكنولوجيا الحديثة فى الدول النامية لاسيما بالنسبة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمتناهية الصغر، مع احترام حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بهذه الموضوعات وفقاً لمنظمة التجارة العالمية.

4. تشجيع تبادل المعرفة والخبرات ودعم الشراكات والتعاون بين أصحاب المصلحة، وعلى رأسها الحكومات وشركات القطاع الخاص والأوساط الأكاديمية والمجتمع المدني، فى مجال العلوم والابتكار والتكنولوجيا الحديثة وبناء القدرات، خاصة فى القطاعات ذات الأهمية والأولوية لتحقيق التنمية المستدامة.

5. دعم جهود البحث العلمى وتطوير التكنولوجيا الحديثة فى المجالات الحيوية على رأسها صناعة الدواء، والزراعة والأمن الغذائى.

6. الاتفاق على إنشاء «آلية لتيسير التكنولوجيا Technology Facilitation Mechanism» فى إطار الأمم المتحدة، بمشاركة أصحاب مصلحة متعددين على المستوى الدولى والوطنى ودون الوطني، من خلال إنشاء قاعدة بيانات تتضمن جميع المعلومات والخبرات وأفضل الممارسات فى مجال التكنولوجيا الحديثة والعلوم، والمبادرات وأطر التعاون فى هذا الصدد، على أن تتم إحاطة المنتدى

السياسى رفيع المستوى بتطورات ونتائج الآلية.

التنمية المستدامة فى مصر – رؤية مصر 2030

فى إطار التطورات التى شهدها السياق التنموى العالمى والتعاون الدولى الإنمائى التى تطرقنا إليها فى المقالين السابقين، إطلاق أجندة التنمية المستدامة العالمية 2030، وعقد مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لتمويل التنمية (أديس أبابا- يوليو 2015) الذى أسفر عن إصدار أجندة عمل أديس أبابا، بالإضافة إلى التوصل إلى اتفاقية إطارية للأمم المتحدة بشأن تغير المناخ (باريس- 30 نوفمبر/ 11 ديسمبر 2015)، فقد حرصت مصر على المشاركة الفعالة فى هذه المراحل المختلفة المتعلقة بالإعداد لهذه التطورات المهمة، وأن تمثل صوتاً متزناً يعكس طموحات ورؤى الدول النامية والأقل نمواً، ويعالج شواغلها فى التنمية، والتأثير فى مخرجات هذه الوثائق العالمية بما يحافظ على حقوق الدول النامية ويأخذ فى الاعتبار أولوياتها التنموية.

وفى هذا الإطار، فقد شاركت مصر بفعالية فى مختلف الجولات التفاوضية الخاصة بصياغة أجندة التنمية المستدامة 2030، وعملت على مواكبة هذه التطورات على المستوى الوطنى حيث تم تشكيل لجنة وطنية فور إطلاق أجندة التنمية الأممية 2030 لمتابعة تنفيذ مصر لأهداف التنمية المستدامة 2030 برئاسة السيد المهندس رئيس مجلس الوزراء، وعضوية كافة الوزارات والهيئات الحكومية المعنية. كما شاركت مصر فى الدورة الأولى للمنتدى السياسى رفيع المستوى بالأمم المتحدة بإجراء المراجعة الوطنية الطوعية لتنفيذ أهداف التنمية المستدامة (نيويورك، يوليو 2016) ضمن 22 دولة.

وفى ذات السياق، فقد أطلقت مصر استراتيجية وطنية من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030 «رؤية مصر 2030» كرؤية طموحة تستهدف المضى قدماً نحو تحقيق التنمية المستدامة بأبعادها الثلاثة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية تكون أساساً للخطط التنموية متوسطة وقصيرة المدى. وتشمل الاستراتيجية أربعة أهداف رئيسية هى وضع الاقتصاد المصرى ضمن أفضل ثلاثين اقتصاداً فى العالم (مقاساً بحجم الناتج المحلى الإجمالي)، وتعزيز التنمية البشرية، ومكافحة الفساد، ورفع تنافسية الأسواق. وقد دخلت حيز التنفيذ فى يناير 2016 من خلال وضع الخطط الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة فى إطار الاستراتيجية.

ولقد قادت وزارة التخطيط والمتابعة والإصلاح الإدارى إعداد «رؤية مصر 2030» منذ 2014- نهاية أهداف الألفية الإنمائية وبدء العمل الدولى لوضع أجندة التنمية العالمية -2030 وذلك بناءً على الجهود والخطط التنموية السابقة التى أعدتها الحكومة أو القطاع الخاص والمجتمع المدني، فضلاً عن الاستفادة من التجارب الناجحة للعديد من الدول فى هذا المجال مثل الهند وماليزيا ودبى وجنوب إفريقيا وغيرها، بحيث تعد إطاراً شاملاً متكاملاً يرتكز على محاور رئيسية محددة تتطرق للمشكلات الأساسية التى تواجه المجتمع المصرى.

وتم الاعتماد فى وضع هذه الرؤية على النهج التشاركى من خلال التواصل والتشاور المستمر مع ممثلى الوزارات والهيئات الحكومية، ومنظمات المجتمع المدني، والقطاع الخاص، والخبراء، والأكاديميين، كما تم عقد العديد من ورش العمل مع المنظمات المالية والتنموية الدولية مثل البنك الدولي، والأمم المتحدة (خاصة صندوق الأمم المتحدة للسكان، وهيئة الأمم المتحدة للمرأة)، والوكالات الدولية المتخصصة مثل منظمة العمل الدولية.

ومن هذا المنطلق، تم مراعاة ذوى الإعاقة فى الأبعاد المختلفة للاستراتيجية بما يتناسب مع المستهدف تحقيقه فى عام 2030، فعلى سبيل المثال: تضمنت الأهداف الرئيسية لمحور التعليم والتدريب «إتاحة التعليم للجميع دون تمييز»، وخرج عن هذا الهدف الرئيسى هدف فرعى يتمثل فى «توفير بيئة شاملة داعمة لعملية دمج ذوى الإعاقة البسيطة بمدارس التعليم قبل الجامعى وتحسين جودة مدارس التربية الخاصة للمتعلمين ذوى الإعاقة الحادة والمتعدّدة»، ولقد تمت دراسة دور ذوى الإعاقة فى الاستراتيجية بالتنسيق مع المجلس القومى لشئون الإعاقة.

وتم الاعتماد عند اختيار محاور الاستراتيجية على أبعاد التنمية المستدامة الثلاثة والتى تتضمن البعد الاقتصادى والبعد الاجتماعى والبعد البيئي، وتمت إضافة محور الثقافة نظراً لأهميته بتشكيل وعى المجتمع وعدم طرحه بشكل واضح فى الاستراتيجيات السابق إعدادها، وكذا محور التنمية العمرانية من خلال ربطه بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. مع وضع البعد السياسى كإطار عام للاستراتيجية، حيث أن تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب وجود استقرار سياسى.

وفى هذا الإطار، تضم

الاستراتيجية ثلاثة أبعاد رئيسية تشتمل على عشرة محاور كما يلي:

• البعد الاقتصادي: ويضم محاور (1) التنمية الاقتصادية، (2) الطاقة، (3) المعرفة والابتكار والبحث العلمي، (4)الشفافية وكفاءة المؤسسات الحكومية.

•البعد الاجتماعي: ويضم محاور (5) العدالة الاجتماعية، (6) الصحة، (7) التعليم والتدريب، (8) الثقافة.

•البعد البيئي: ويضم محاور (9) البيئة، (10) التنمية العمرانية.

وجدير بالذكر أن أهداف التنمية المستدامة تختلف عن أهداف الألفية الإنمائية من حيث نطاق شمولها، حيث تتعدى القضاء على الفقر والجوع والمرض لتشمل معالجة أسباب تلك الآفات مثل التصنيع المستدام والتدريب المهنى والأمن الغذائى والسلم والأمن وحقوق الإنسان والحوكمة والحفاظ على البيئة. كما تتميز بأنها لا تركز فقط على الأهداف الكمية بل تتعداها لتشمل الجوانب الكيفية لتلك الأهداف مثل العمل الكريم اللائق، التغذية السليمة، التعليم الجيد، المجتمعات الآمنة، الطاقة المستدامة والعمل المنتج.

وبمراجعة سريعة لمدى نجاح مصر فى تنفيذ أهداف الألفية الإنمائية نجد أن مصر استطاعت تحقيق عدد من تلك الأهداف فى الأعوام الخمسة عشر، بينما واجهت صعوبات فى تحقيق البعض الآخر، ويمكن القول أن الظروف التى مرت بها مصر فى الأعوام الستة الماضية كانت أحد الأسباب الرئيسية فى عدم تحقيق النجاح المطلوب. ولم تحقق مصر النجاح فى تنفيذ الهدف الأول من أهداف الألفية ألا وهو خفض عدد الذين يعيشون تحت خط الفقر إلى النصف، ويعود ذلك إلى تضافر عدد من العوامل أهمها الأزمات الاقتصادية والمالية التى شهدها العالم فى نهاية العقد الماضى وآثارها الاقتصادية، والتى تفاقمت مع اندلاع ثورة يناير وما تلاها من أحداث.

وفى ضوء ما سبق، يجدر التنويه إلى أهمية الاستفادة من دروس الماضى، ودراسة أسباب فشل مصر فى تحقيق بعض أهداف الألفية، لتفادى تلك الأسباب وتحقيق النجاح فى تنفيذ أهداف التنمية المستدامة فى الأعوام الخمسة عشر القادمة وحتى 2030 التى ترتكز على القضاء على الفقر بكل أشكاله وأنواعه. ويتطلب تحقيق النجاح المنشود تضافر جهود الحكومة وأصحاب المصلحة من رجال أعمال ونقابات ومنظمات المجتمع المدنى لوضع الخطط الكفيلة بتحقيق التقدم على هذا المسار، مع إدماج الشباب والمرأة كجزء لا يتجزأ من الجهود الماضية قدماً نحو تنفيذ تلك الأهداف.

عرض عام لمحاور» رؤية مصر 2030»

أولاً، البعد الاقتصادى وينقسم إلى أربعة محاور:

محور التنمية الاقتصادية: بحلول عام 2030 يتسم الاقتصاد المصرى باستقرار أوضاع الاقتصاد الكلي، وأن يكون قادرا على تحقيق نمو شامل مستدام، ويتميّز بالتنافسية والتنوّع ويعتمد على المعرفة، ويكون لاعباً فاعلاً فى الاقتصاد العالمي، قادرا على التكيّف مع المتغيّرات العالمية، وتعظيم القيمة المُضافة، وتوفير فرص عمل لائق ومنتج، ويصل نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى الحقيقى إلى مصاف الدول ذات الدخل المتوسط والمرتفع.

محور الطاقة: ضمان أمن الطاقة بحلول عام 2030 بحيث يكون قطاع الطاقة قادراً على تلبية كافة متطلبات التنمية الوطنية المستدامة من موارد الطاقة وتعظيم الاستفادة الكفء من مصادرها المتنوعة (تقليدية ومتجدّدة)، وزيادة مساهمة قطاع الطاقة فى الناتج المحلي، وتعزيز الإدارة الرشيدة والمستدامة للقطاع، بما يؤدى إلى المساهمة الفعالة فى دفع الاقتصاد والتنافسية الوطنية والعدالة الاجتماعية والحفاظ على البيئة مع تحقيق ريادة فى مجالات الطاقة المتجدّدة والإدارة الرشيدة والمستدامة للموارد، ويتميّز بالقدرة على الابتكار والتنبؤ والتأقلم مع المتغيّرات المحلية والإقليمية والدولية فى مجال الطاقة وذلك فى إطار مواكبة تحقيق الأهداف الدولية للتنمية المستدامة.

محور المعرفة والابتكار والبحث العلمي: يكون المجتمع المصرى بحلول عام 2030 مجتمعا مبدعا، ومبتكرا، ومنتجا للعلوم والتكنولوجيا والمعارف. ويتميز بوجود نظام متكامل يضمن القيمة التنموية للابتكار والمعرفة، ويربط تطبيقات المعرفة ومخرجات الابتكار بالأهداف والتحديات الوطنية.

محور الشفافية وكفاءة المؤسسات الحكومية: بحلول عام 2030 يكون هناك جهاز إدارى كفء وفعال، يحسن إدارة موارد الدولة، ويتسم بالشفافية والنزاهة والمرونة، يخضع للمساءلة ويعلى من رضا المواطن ويتفاعل معه ويستجيب له.

ثانياً، البعد الاجتماعي:

محور العدالة الاجتماعية:

تعزيز الاندماج المجتمعى والحد من الاستقطاب السلبي، ورفع مستوى الاندماج المجتمعى والحد من الاستقطاب السلبي، وترسيخ شراكة فعالة بين شركاء التنمية (الدولة – المجتمع المدنى – القطاع الخاص).

تحقيق المساواة فى الحقوق والفرص، تحفيز فرص الحراك الاجتماعى من خلال نظام مؤسسى يحقق المساواة فى الحقوق والفرص الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

تحقيق الحماية للفئات الأولى بالرعاية ضمان عدالة التوزيع وتقليص الفجوات الطبقية من خلال مساندة شرائح المجتمع المهمّشة وتحقيق الحماية للفئات الأولى بالرعاية.

محور الصحة:

النهوض بصحة المواطنين فى إطار من العدالة والإنصاف والاهتمام بكل ما يؤثر فى صحة المصريين من محددات اجتماعية، بنية تحتية، وعى عام، وتحفيز نمط الحياة الصحى.

تحقيق التغطية الصحية الشاملة لجميع المصريين مع ضمان جودة الخدمات المقدمة، الاهتمام بتوفير خدمات علاجية ووقائية عالية الجودة ومتاحة لجميع المصريين القادرين وغير القادرين.

حوكمة قطاع الصحة وإتاحة البيانات الدقيقة التى تؤدى إلى اتخاذ قرارات سليمة فى الوقت المناسب مع تحسين كفاءة إدارة موارد القطاع فى إطار من الشفافية والمساءلة.

أن تكون مصر رائدة فى مجال الخدمات والبحوث الصحية والوقائية عربياً وأفريقياً.

محور التعليم والتدريب:

تحسين جودة نظام التعليم بأنواعه الثلاثة الأساسى والجامعى والفنى بما يتوافق مع النظم العالمية- إتاحة التعليم للجميع دون تمييز- وتحسين تنافسية نظم ومخرجات التعليم.

إتاحة التعليم والتدريب للجميع بجودة عالية دون التمييز، وفى إطار نظام مؤسسي، وكفء وعادل، ومستدام، ومرن. وأن يكون مرتكزاً على المتعلم والمتدرب القادر على التفكير والمتمكن فنياً وتقنياً وتكنولوجياً، وأن يساهم أيضاً فى بناء الشخصية المتكاملة وإطلاق إمكانياتها إلى أقصى مدى لمواطن معتز بذاته، ومستنير، ومبدع، ومسئول، وقابل للتعددية، يحترم الاختلاف، وقادر على التعامل تنافسياً مع الكيانات الإقليمية والعالمية.

محور الثقافة: دعم الصناعات الثقافية كمصدر قوة للاقتصاد، تمكين الصناعات الثقافية لتصبح مصدر قوة لتحقيق التنمية وقيمة مضافة للاقتصاد المصرى بما يجعلها أساساً لقوة مصر الناعمة إقليمياً ودولياً .ورفع كفاءة المؤسسات الثقافية والعاملين بالمنظومة الثقافية، رفع كفاءة وفاعلية المؤسسات الثقافية وتعظيم دورها وتأثيرها وتوسيع نطاق وصولها لمختلف فئات المجتمع وكذا رفع كفاءة العاملين بالمنظومة الثقافية بما يتلاءم مع واقعنا وظروف المرحلة. حماية وتعزيز التراث بكافة أنواعه، ضمان حماية وصيانة التراث الحضارى ورفع الوعى الخارجى والداخلى به.

ثالثاً، البعد البيئي:

محور البيئة: يركز محور البيئة على تحقيق الأمن المائى وجودة الموارد المائية، ويستهدف:

1. تحقيق الإدارة الرشيدة والمستدامة لأصول الموارد الطبيعية لدعم الاقتصاد وزيادة التنافسية وخلق فرص عمل جديدة. ترشيد استخدام الموارد الطبيعية وإيجاد بدائل غير تقليدية لها لضمان استدامتها.
2. الحد من التلوث والإدارة المتكاملة للمخلفات، الحد من أحمال تلوث الهواء والتلوث الناتج عن المخلفات غير المعالجة لما له من آثار بيئية وصحية خطيرة.
3. الحفاظ على توازن النظم الأيكولوجية والتنوع البيولوجى والإدارة الرشيدة والمستدامة لها. صون التنوع البيولوجى المتميز فى مصر ورفع كفاءة إدارته عن طريق المحميات الطبيعية بما يضمن لهذا التنوع البيولوجى الاستمرارية والاستدامة.
4. تنفيذ مصر لالتزاماتها الدولية والإقليمية تجاه الاتفاقيات البيئية ووضع الآليات اللازمة لذلك مع ضمان توافقها مع السياسات المحلية البيئية.

محور التنمية العمرانية: ويستهدف:

1. زيادة مساحة المعمور بما يتناسب مع توافر الموارد وحجم وتوزيع السكان. وينقسم هذا الهدف إلى شقين: يتناول الشق الأول تحقيق التوازن فى التوزيع السكانى بالمناطق المعمورة الحالية والمستقبلية، فى حين يتناول الشق الثانى تعظيم عوائد التنمية بالمناطق الجديدة لضمان قدرتها على جذب الزيادة السكانية واحتوائها.
2. الارتقاء بمستوى جودة البيئة العمرانية من خلال رفع مستوى جودة الحيز المعمور الحالى والمستقبلى بالإضافة إلى العمل على معالجة قضايا العمران المتفاقمة

والملحة.

3. تعظيم استغلال الموقع الاستراتيجى لمصر إقليمياً ودولياً من خلال السعى نحو تحقيق الاستفادة القصوى من موقع مصر الجغرافى المتميز نسبة لباقى دول العالم عن طريق زيادة اتصال مصر مع العالم الخارجى والتوسع فى المشروعات الاستراتيجية الجاذبة للاستثمارات المحلية والأجنبية.

محور العدالة الاجتماعية

برنامج عمل الحكومة 2016-2018

تعد الحماية الاجتماعية ركيزة رئيسية لاستراتيجية التنمية المستدامة: رؤية مصر 2030، وكذلك لبرنامج الإصلاح الاقتصادى الشامل المصري، لضمان حماية الفقراء ومحدودى الدخل من آثار سياسات الإصلاح الاقتصادي، وبما يحقق التوازن بين الاستقرار المالى والنمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية.

تأتى المشروعات القومية العملاقة التى أطلقتها الحكومة خلال الفترة الأخيرة فى الصعيد والوادى الجديد والساحل الشمالى الغربى وظهيره الصحراوى وقناة السويس وسيناء خطوة رئيسية لتحقيق النمو الاقتصادى المتوازن جغرافيا، يضمن التوزيع العادل لثمار النمو مع خلق وظائف جديدة لائقة وتحسين مستوى المعيشة فى مختلف أنحاء الجمهورية، ودعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

بالإضافة لما سبق، يتضمن محور العدالة الاجتماعية العديد من السياسات والبرامج تندرج تحت ركيزتين:

1. رفع كفاءة منظومة الدعم والحماية الاجتماعية لضمان وصول الدعم بمختلف أنواعه المالية والخدمية والعينية إلى مستحقيه وتحقيق مردوده المجتمعى.

2. رفع مستوى المعيشة من خلال تطوير وتحسين مستوى الخدمات العامة.

البرامج المدرجة تحت الركيزة الأولى «رفع كفاءة منظومة الدعم والحماية الاجتماعية»:

1. تقديم الدعم النقدى المشروط وتمكين الأسرة «تكافل وكرامة» لتطوير شبكات الأمان الاجتماعى للفئات الفقيرة والضعيفة وتلبية احتياجاتهم الأساسية، ويستهدف البرنامج الوصول إلى مليون وخمسمائة ألف أسرة فقيرة، وتوفير الحد الأدنى من الرعاية للمسنين (أكثر من 65 عاماً) وذوى الإعاقة.

2. ميكنة منظومة الحماية الاجتماعية بالكامل لتعزيز شفافية البيانات وتقوية آليات المتابعة والمحاسبة.

3. إطلاق برنامج قومى للتغذية المدرسية فى مرحلة التعليم الأساسى العام والأزهرى والطفولة المبكرة.

4. إعداد سجل وطنى موحد لربط قواعد البيانات الخاصة بالأسر الفقيرة بما يسهم فى وصول الدعم لمستحقيه وتكامل سياسات الحماية الاجتماعية.

5. وضع معايير للجودة للخدمات المقدمة لذوى الإعاقة فى مؤسسات ومراكز الرعاية والتأهيل، وصدور قانون الأشخاص ذوى الإعاقة وإعلان استراتيجية حماية هذه الفئة ودمجهم فى منظومات الصحة والتعليم والتشغيل.

6. برنامج علاج ظاهرة أطفال بلا مأوى بنسبة 80% على مستوى الجمهورية من خلال تطوير برامج التدريب والتعليم وتحسين البنية التحتية لمؤسسات الرعاية.

7. تطوير نظم المتابعة والرقابة والتقييم لجميع دور الرعاية بالتعاون مع المجتمع المدنى.

8. بناء مجتمع منتج عبر توفير فرص عمل بالقطاع الخاص لـ 50% من الشباب خريجى مؤسسات الرعاية، ورفع نسبة الإقبال على التوظيف بالمناطق الفقيرة من خلال تطوير دور بنك ناصر الاجتماعي، والشراكة مع القطاع الخاص والمجتمع المدنى.

9. زيادة دخول المزارعين عبر التحول من الدعم العينى إلى نقدي، وتقديم التسهيلات المالية والسلف بسعر فائدة مناسب، إعادة إحياء دور صندوق دعم موازنة الأسعار للمحاصيل الزراعية.

10. تطوير التشريعات والقوانين المعنية وعلى رأسها قانون الضمان الاجتماعي، والجمعيات الأهلية، والتأمينات، والإعاقة، والخدمة العامة.

11. تطوير دور الأجهزة الرسمية ذات الصلة مثل جهاز حماية المستهلك، وحماية المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية، والمجلس القومى للطفولة والأمومة، والمجلس القومى لحقوق الإنسان، والمجلس القومى لشئون الإعاقة، وغيرها.

11. مد مظلة الحماية التأمينية لتطوير الحماية المقدمة لأصحاب المعاشات والعمالة غير المنتظمة.

برامج الركيزة الثانية «تحسين مستوى الخدمات العامة»:

1. تطوير خدمات الإسكان والمرافق العامة: مشروعات الإسكان الاجتماعى بتكلفة 13 مليار جنيه (مستهدف 600 ألف وحدة بنهاية

2018)، والإسكان المتوسط (دار مصر) ومستهدف 150 ألف وحدة بتكلفة 42 مليار جنيه، وإتاحة الأراضى للفئات القادرة لإنشاء مساكن خاصة بالمدن الجديدة مثل الإسكان العائلى والاجتماعى ومشروع بيت الوطن للعاملين بالخارج. هذا بالإضافة إلى إصدار التشريعات المنظمة للإسكان والبناء، وتطوير المناطق العشوائية (مستهدف إزالة 24 منطقة عشوائية فى 6 محافظات، وتطوير العشش فى 87 موقعاً بتكلفة 10 مليارات جنيه)، وتوفير خدمات الكهرباء ومياه الشرب والصرف الصحى.

2. تطوير الخدمات الصحية: مد مظلة التأمين الصحى لتغطية شاملة تتضمن الفئات غير القادرة بإجمالى 3 ملايين أسرة، والفئات الأكثر عرضة للمخاطر (الأمهات والأطفال والمسنين)، وتطوير الهيكل التنظيمى لخدمة التأمين الصحي، وتطوير المستشفيات والوحدات والمراكز الصحية، والقضاء على فيروس سى وتطوير صناعة الدواء ورفع كفاءة المنتجات الدوائية المنتجة محلياً، تدريب الأطباء والتمريض، وتطوير خدمات السكان وتنظيم الأسرة (تم إعداد الاستراتيجية القومية للسكان 2030 للارتقاء بمستوى المعيشة وخفض معدلات الزيادة السكانية).

3. تطوير قطاع التعليم: مضاعفة مخصصات بناء وتجهيز المدارس فى الموازنة العامة إلى 6 مليارات سنويا، وبناء شراكات مع القطاع الخاص لتوفير التعليم بأسعار مناسبة وجودة عالية، وتحسين أوضاع هيئة التدريس مالياً، وتطوير المناهج والكتب المدرسية والامتحانات، وتحسين جودة الحياة المدرسية بمراحل التعليم المختلفة ورياض الأطفال، وتطوير الأنشطة التربوية الاجتماعية والرياضية والكشفية والإرشادية.

4. هذا بالإضافة إلى تطوير منظومة التعليم الفنى لربط مخرجات التعليم الفنى باحتياجات السوق ومؤسسات الإنتاج وتفعيل المبادرات الابتكارية وتحويل 30 مدرسة فنية إلى مجمعات تكنولوجية. وأيضاً تطوير التعليم والبحث العلمى.

5. تطوير أنشطة الشباب والرياضة: وتطوير البنية الأساسية للمنشآت الرياضية والشبابية من خلال فكر استثمارى بما يتيح لهذه المراكز تحقيق عائد مالي، مع تطوير الأنشطة الشبابية بداخلها فى مجالات السياحة الداخلية وتمكين الشباب فى سوق العمل، ورعاية الموهوبين وإعداد الأبطال الرياضيين. فضلاً عن إصدار قانونى الشباب والرياضة.

6. تطوير الخدمات الثقافية والآثار: التوسع فى توصيل الخدمات الثقافية مثل إنشاء دار أوبرا فى الأقصر، وإنشاء فروع لأكاديمية الفنون خارج القاهرة، والتوسع فى المكتبات ومعارض الكتاب خارج القاهرة، بالإضافة إلى نقل هذه الخدمات عبر وسائل الإعلام، والتواصل مع الجيل الثانى والثالث من المقيمين بالخارج، والحرص على اتفاق المنظومة الثقافية مع القيم المصرية والدينية بما يحترم التنوع والاختلاف، والانتهاء من المشروعات الثقافية الكبرى والحفاظ على الآثار مثل مشروع المتحف المصرى الكبير.

7. تطوير العمل فى مجال التنمية المحلية: تطوير المناطق العمرانية وتنمية المحافظات الصحراوية والحدودية، وتطوير أكثر من 200 قرية من القرى الأشد احتياجاً، وتطبيق اللامركزية وتطوير الإدارة المحلية والانتخابات المحلية، وتحقيق التنمية الريفية.

8. مراعاة الاعتبارات البيئية: تطوير منظومة متكاملة للنظافة وإدارة المخلفات البلدية، والتخلص الآمن من المخلفات الناجمة عن الأنشطة الصناعية والطبية والالكترونية والتخلص الفورى من 2000 طن من الملوثات العضوية الثابتة المتراكمة، وتحسين نوعية المياه، والهواء عبر إحلال وسائل النقل القديمة بأخرى جديدة تعمل بالغاز، وحماية المناطق الساحلية والبحرية، وإدماج البعد البيئى فى المشروعات القومية العملاقة بحيث تكون صديقة للبيئة، والتصدى للتحديات الناجمة عن تغير المناخ وتنفيذ الالتزامات الدولية فى هذا الشأن.

9. تطوير المنظومة المرورية: تطوير وسائل النقل العام خاصة مترو الأنفاق، وتطبيق نظم المراقبة الإلكترونية، توفير خدمات سداد الرسوم إلكترونياً، وتنفيذ محطات الفحص الفنى الآلى للمركبات، وتطوير نظم المراقبة الجوية لمتابعة الحرمة المرورية وتلقى الإخطارات بشأن الاستغاثات والإسعاف.

10 . النهوض بالخدمات الدينية: تطوير الخطاب الدينى لتصحيح صورة الإسلام عبر تدريب الأئمة والدعاة وتحسين دخولهم وإعداد موسوعة دينية علمية للرد على الفكر المتطرف، وزيادة التثقيف والتعليم والمشاركة المجتمعية عبر التوسع فى إنشاء المكتبات، والمراكز الثقافية الدينية، وفى مجال الترجمة، وتمحيص التراث وتنقيحه. بالإضافة إلى التحرك دولياً لإبراز سماحة الإسلام وتطوير المراكز الإسلامية بالخارج.

خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة2030

رأي حول السياق والتاريخ

فى الأول من يناير من العام الماضى 2016، بدأ رسميا تنفيذ خطة التنمية المستدامة 2030، والتى أقرتها الدول أعضاء الأمم المتحدة فى سبتمبر 2015 فى اجتماع للجمعية العامة حضره معظم قادة العالم. هذه الخطة التى وردت فى وثيقة تحمل عنوان «تحويل عالمنا- خطة التنمية المستدامة 2030»، تضمنت 17 هدفا و169 غاية وألحق بها بعد ذلك 232 مؤشراً لقياس الأداء فى التنفيذ قامت بوضعه اللجنة الإحصائية بالأمم المتحدة. وجدير بالذكر أن خطة التنمية المستدامة بأهدافها وغاياتها ومؤشراتها ليست ملزمة قانونا للدول أعضاء الأمم المتحدة، وإنما تمثل توافقاً فى الآراء حول الجهود التى ينبغى أن تبذل جماعياً لتحقيق مستقبل أفضل للأجيال القادمة فى كل دول العالم

سفير د. عادل عبداللطيف

adel.abdellatif@undp.org

جاءت هذه الخطة بعد مفاوضات ومشاورات استمرت لعدة سنوات تكثفت بعد مؤتمر ريو20+ الذى عقد فى عام2012. كما أنها تأتى فى أعقاب ما عرف من قبل بالأهداف الإنمائية للألفية والتى تضمنت ثمانية أهداف فقط تركز على الحدود الدنيا لتحقيق التنمية، وبالتالى كان نطاق تنفيذها يتركز على الدول النامية فقط.

وهناك من يعتبر أن أهداف التنمية المستدامة جاءت لتحل محل الأهداف الإنمائية للألفية. وهنا ينبغى توخى الحذر من هذه الرؤية ليس فقط لأن الخطة الجديدة عالمية وأن الدول الأعضاء قامت بصياغتها خلافا لما حدث بالنسبة للأهداف الإنمائية للألفية والتى اقترحها الأمين العام السابق كوفى عنان عام 2001. ولكن أيضا هناك اعتبارات عديدة تجعل من خطة 2030 إطارا مختلفا للتعاون الدولى إلى حد كبير.

ولذا فمن الضرورى فهم مضمون هذه الخطة والسياق التاريخى الذى يتم فى إطاره تنفيذ الأهداف الـ17. فما هى العناصر الحاكمة ضمن هذه الخطة وفى أى سياق تاريخى تمت صياغتها وسيتم تنفيذها؟ من المهم استيعاب هذه العناصر وعدم القفز إلى ما قد يعتاد من ممارسات تتجه نحو التنفيذ وقياس الأداء على نحو ميكانيكى تقنى بحيث تتحول المسألة إلى مجرد موضوع يقتصر على الفنيين الذين يبرعون فى إعداد تقارير مزدانة بالجداول والأشكال وتُنزع الخطة من سياقها السياسى والزمنى.

وبداية من الضرورى أن نتذكر ما ورد فى الخطة من هدف أسمى يقضى بأن مكتسبات النمو ينبغى أن تعم على جميع الناس أو ما اصطلح عليه «بألا يتخلف أحد عن الركب». هذا فى حد ذاته يعبر عن المخاوف الدفينة بأن هناك جماهير غفيرة ليست لديها القدرة على الاستفادة من النمو والتقدم المتحقق فى عالمنا وأن هناك الكثيرين ممن سيفدون إلى هذا العالم حتى عام 2030. يتوقع لهم نفس المصير. والمشكلة هنا لا تكمن فقط فى الحرمان من مكتسبات النمو ولكن فيما سيترتب على ذلك من انعكاسات قد تهدد أو بالفعل بدأت فى تهديد الاستقرار العالمى (انظر لما يحدث فى البحر المتوسط من هجرة غير شرعية نحو أوروبا قادمة من أفريقيا).

نحن نعيش فى عالم وصل عدد سكانه إلى ما يربو على 7.5 مليار نسمة ومتوقع أن يزيد خلال الخمس عشرة سنة القادمة بأكثر من مليار شخص ليتعدى الـ 8.5 مليار عام 2030. ومعظم هذه الزيادة ستكون ما بين أفريقيا التى سيرتفع عدد سكانها بحوالى 448 مليون شخص ليتعدى الـ1700 مليار، وآسيا ستزيد بحوالي443 مليون نسمة لتصل إلى حوالى 4950 ملياراً. فى هاتين القارتين تتركز النسبة الغالبة من الفقراء من سكان الأرض وتتركز كذلك معظم بؤر الصراعات والنزاعات المسلحة فى عالمنا الْيَوْمَ. ويعيش عالمنا أيضا أكبر موجات من الهجرة والنزوح منذ الحرب العالمية الثانية.

ونحن نعيش فى عالم لايزال يكافح للخروج من أزمة مالية طاحنة ونظام اقتصادى عالمى شهد تقدما هائلا فى تقنية المعلومات والعولمة، ولكنه أيضا يشهد مزيداً من تركز الثروة. فطبقا لتقرير صدر عن أوكسفام بداية هذا العام هناك 85 شخصاً فقط يمتلكون ثروة تقابل ما يمتلكه نصف سكان العالم. والعولمة التجارية أسهمت فى انتعاش اقتصاديات خارج معسكر الدول الصناعية وخاصة فى جنوب شرق آسيا والصين وهى دول أظهرت قدرة

تنافسية فى إنتاج العديد من السلع بجودة معقولة وأسعار أرخص. ونشهد نتيجة ذلك تغيرا فى موازين القوى اقتصادياً وسياسياً. فنحن نعيش عالم مجموعة العشرين ونودع عالم مجموعة السبعة. ولكن ذلك بدأ يُشعر الدول الصناعية بضعف قدراتها التنافسية وخسارتها الآلاف من الوظائف. تأثيرات ذلك تفاعلت مع أمور أخرى كانت من بين دوافع التصويت نحو خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى وكذلك نتيجة الانتخابات الأمريكية عام 2016 وما نشهده من صعود ليمين متطرف فى العالم الغربى.

ونحن نعيش فى عالم بدأت تقل فيه الوظائف اللائقة للأجيال الشابة وهى عديدة وخاصة فى الدول النامية. فحصيلة النمو لا تنتج فرصاً جديدة للعمل. وعالمنا أيضا يشهد ثورة صناعية رابعة فحواها الانتقال لاقتصاد رقمى قد ينتج عنه إزالة العديد من الوظائف الحالية.

ونحن نعيش فى عالم يتخبط فى التعامل مع ما يعترى المناخ من تغيرات. وبالرغم مما أثبت علميا بأن النشاط الاقتصادى الإنسانى مسئول بشكل مباشر عما يعترى عالمنا من تغير فى طبيعة المناخ ودورته لا تزال الدول غير قادرة بحسابات المصالح أن تأخذ خطوات جريئة للحد والتخفيف من الانبعاثات التى تتسبب فى احترار كوكبنا.

باختصار نحن نعيش فى عالم متخم سكانيا، أغنياؤه يتناقصون عدديا وفقراؤه يتسارعون رقميا فى التزايد. عالم تقل فيه الفرص والوظائف. عالم تخيم عليه مخاطر مناخ متغير مضطرب. عالم بدأت الريادة تخرج فيه من إطار المعسكر الغربى. ولكن لم تظهر بعد الملامح الرئيسيّة للنظام الجديد. الحاضر يتلاشى من المشهد العام والقادم لا يزال فى طور الإنجاب.

هذه خلفية المشهد التى تلقى بظلال كثيفة على مستقبل عالمنا. لا شك أنه قد تحقق تقدم هائل فى القضاء على الفقر خلال الخمسة عشر عاما ولكن معظمه تركز فى عدد قليل من الدول النامية على رأسها الصين. البعض اعتبر أن هناك خطا متصاعدا لن يتوقف. ولكن المشهد الحالى لا يدعو كثيرا إلى الحماس لاستمرارية الصعود التنموى. وعلينا أن نتذكر أن التنمية ذاتها تحمل تحديات كما أنها فى بعض الأحيان ثمن قد يكون فادحا. وهناك من يستخدم المصطلح الشهير «النتائج غير المرتقبة» فى هذا السياق. فنحن نصارع للقضاء على معاناة من لا يزالون تحت خط الفقر وكذلك ما أنتجه التقدم الاقتصادى من تأثيرات هائلة على البيئة والمجتمع.

نخلص من ذلك إلى أن هناك ثلاثة محاور رئيسية تبنتها الخطة ضمن أهدافها سيشكل التعامل معها إلى حد كبير ملامح مجتمع الغد. كيف سيتأقلم النظام الاقتصادى مع قضايا التوظيف (الهدف رقم 8) والمساواة (الهدف رقم 10) وتغير المناخ (الهدف رقم 13). لاشك أن القضايا الأخرى لها قدر مهم أيضا ولكن هذه الأمور الثلاثة ستلقى بثقلها على النظام الاقتصادى الدولى. نحن نعيش مخاض عصر جديد هذا أقل ما يمكن أن يقال عن المرحلة الزمنية التى جاءت فى إطارها الخطة الجديدة. قد يعتبر البعض أنها لم تأت بجديد وقد يكون ذلك إلى حد ما صحيح، ولكنها جاءت لتقر بحدود وقصور النظام الاقتصادى الدولى. هل ستقف عند ذلك أم ستسهم فى تطويره إلى نظام لا يتخلف فيه أحد عن الركب؟ هذه قصة أخرى!

إطلالة على إستراتيجيات التنمية

تناولنا فى مقال سابق (فى عدد مارس- أبريل 2017 من مجلة الدبلوماسي) موضوع مؤشرات قياس التنمية، واستكمالاً للموضوع يطرح هذا المقال عدداً من النقاط ذات الصلة بقضايا التنمية، وهى جوانب من إستراتيجيات التنمية، ووسائل تمويل عملية التنمية، وأهمية تحديد الطاقة الاستيعابية للاقتصاد الوطنى، حيث اكتسب الاهتمام بتحقيق التنمية أهمية متزايدة من منتصف القرن العشرين، وتحديداً بعد الحرب العالمية الثانية، وبدء موجة استقلال مستعمرات الدول الأوروبية فى أفريقيا وآسيا، والتى اتسمت مستويات المعيشة فيها بقدر من التدنى حتم على شعوبها وقادتها التفكير فى تبنى خطط لتغيير ذلك الحال

وزير مفوض د. حسام حسين
hossam_hussein@yahoo.com

ولاتزال قضية التنمية حتى يومنا هذا تمثل أحد محاور الاهتمام على مستوى العالم، وطنيا، وإقليمياً، ودولياً. فحكومات كافة دول العالم بلا استثناء تضع هدف رفع معدلات التنمية على رأس أولوياتها، كما تعتبر العديد من التجمعات الإقليمية ذلك الهدف محوراً أساسياً لعملها وتبرم من أجله اتفاقيات متنوعة وفى مجالات شتى، وكذا على الصعيد الدولى حيث تولى الأمم المتحدة ذلك الأمر اهتماماً كبيراً وتعقد من أجله مؤتمرات كبرى مثل مؤتمر تمويل التنمية. وقد أصبح من المسلم به أن إطلاق برنامج تنموى جاد أو خطة تنموية هادفة فى دولة ما لابد وأن يراعى تلك النقاط كحد أدنى لتحقيق مقومات النجاح.

رفع معدلات التنمية على رأس الأولويات

بداية نتناول بعض استراتيجيات التنمية، ويقصد بها الأسلوب الذى تتبعه السلطة المسئولة لإحداث التغيير البنيانى المرجو من أجل تحقيق الزيادة فى الدخل الفردى الحقيقى وذلك على امتداد فترة زمنية.

ومن أبرز استراتيجيات التنمية تأتى استراتيجية "الدفعة القوية" والتى تقوم على أساس توجيه حد أدنى من الموارد لعملية التنمية الاقتصادية بما يحقق للاقتصاد قدرة على الوصول إلى مرحلة نمو ذاتى. ويتحدد مقدار تلك الدفعة القوية لكل اقتصاد من خلال القدر المطلوب من الاستثمار. ولتقريب تلك الفكرة من الأذهان يشبهها مؤيدوها بحالة إقلاع طائرة حيث إنه حتى تتمكن الطائرة من الإقلاع والطيران فلابد أن تصل إلى حد أدنى من السرعة حتى يتمكن الهواء من حمل الطائرة صعوداً إلى أعلى، وبالتالى فإن مقدار الاستثمارات المطلوبة لدى تطبيق الدفعة القوية يوازى السرعة المطلوبة فى مثال إقلاع الطائرة.

ونادى مفكرون اقتصاديون آخرون بتطبيق استراتيجية "النمو المتوازن" والتى تقوم على فكرة أن التغلب على معوقات التنمية فى الدول النامية تستدعى إطلاق برنامج استثمارى تتوجه فيه الاستثمارات إلى جبهة واسعة من المشروعات الصناعية وغير الصناعية مع اشتراط وجود تكامل بين تلك المشروعات، وتزامن فى توقيت انطلاقها.

ومن جهة أخرى رأى تيار مختلف من المفكرين أن استراتيجية "النمو غير المتوازن" تعد الأنسب لظروف الدول النامية، لأنها تهتم بتركيز الجهد الإنمائى على مجموعة محدودة من القطاعات أو الصناعات التى تتمتع بتفوق على مستوى ذلك الاقتصاد. ويبرهن أنصار هذا التيار على صحة دعوتهم من خلال التجارب التاريخية فى التنمية، والتى تظهر أن أغلب التجارب التنموية الناجحة عبر التاريخ اعتمدت على وجود قطاع اقتصادى رائد.

ومن الجدير بالملاحظة أن تلك الإستراتيجيات الثلاثة قد مثلت النواة الأساسية على الصعيد العملى وليس النظرى، لما شهده القرن العشرون من تطبيقات لخطط وبرامج تنموية، فإستراتيجية النمو المتوازن تقترب فى الواقع العملى من تطبيق نمط "الإحلال محل الواردات"، فى حين يتشابه أسلوب إستراتيجية النمو غير المتوازن مع نمط "الإنتاج من أجل التصدير"، كما تُرجم تطبيق إستراتيجية الدفعة القوية فى فكر النهوض بالتنمية البشرية واعتبار أن الاستثمار البشرى يمكن أن يمثل أسلوب وهدف عملية التنمية فى آن واحد.

تمويل العملية التنموية

إن اتباع أى إستراتيجية للتنمية يقود إلى سؤال لا غنى عنه ألا وهو أسلوب تمويل تلك العملية، وتبرهن التجارب التاريخية الناجحة أن تمويل التنمية لابد وأن يعتمد فى المقام الأول على مصادر الادخار المحلى، على أن يُستعان بمصادر التمويل الخارجى كعنصر مساند تتفاوت أهميته وفقاً للمرحلة التنموية التى تمر بها الدولة فى فترة زمنية معينة.

ويتكون الادخار المحلى من مدخرات القطاع العائلى، ومدخرات قطاع الأعمال، والادخار الحكومى. ومن أبرز سمات ادخار القطاع العائلى فى الكثير من الدول النامية أنه محدود وغير مؤثر، ويعود ذلك إلى انخفاض مستوى الدخول فى الأساس، ويضاف إلى ذلك المأخذ أن ما يتوافر من مدخرات فى القطاع العائلى عادة لا يتم استثماره فى

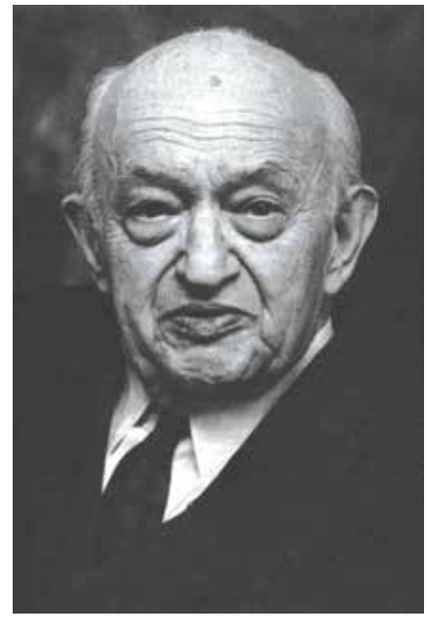

بول روزنشتين رودان
(مؤسس استراتيجية الدفعة القوية)

راجنر نيركسه
(أبرز الداعين لإستراتيجية النمو المتوازن)

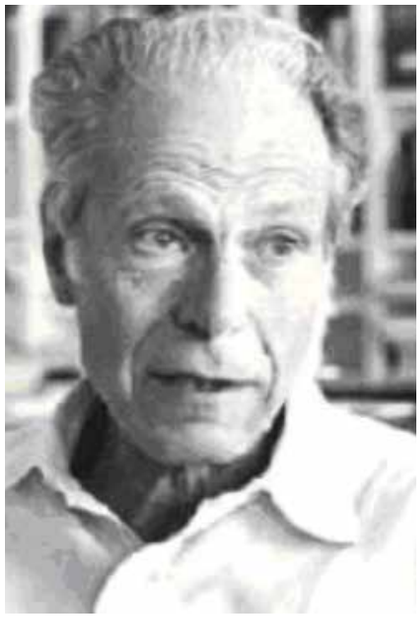

ألبرت هيرشمان
(أبرز الداعين لاستراتيجية النمو غير المتوازن)

أغراض إنتاجية.

وتتمثل مدخرات قطاع الأعمال فى الأرباح المحتجزة (أى ذلك الجزء من الأرباح الذى لا يتم توزيعه على المساهمين أصحاب رأس المال) وبالتالى فهو يتوقف بالأساس على القدر المحقق من الأرباح.

أما الادخار الحكومى فهو يأتى من الفارق بين إيرادات الحكومة ونفقاتها، والملاحظ أنه فى أغلب الدول النامية فإن نفقات الحكومات تكون أعلى من إيراداتها، وبالتالى تلجأ للاقتراض لسد تلك الفجوة، وعادة ما تمثل مدخرات قطاع الأعمال المصدر الرئيسى لتمويل الاقتراض الحكومى. وبالتالى يقود ذلك الوضع إلى حالة تكاد تكون فيها المدخرات المحلية شديدة التواضع وغير مؤهلة لتنفيذ أى من استراتيجيات التنمية.

ولذلك فإنه على أية حكومة تضع خططاً للتنمية أن تعمل على تشجيع الادخار المحلى، والأهم من ذلك الحرص على خلق بيئة تشجع على توجيه تلك المدخرات إلى أنشطة منتجة وليس إلى أنشطة الاكتناز والمضاربة، وذلك من خلال استخدام أدوات كالبيئة التشريعية والضرائبية ومظلات التأمين الاجتماعى.

وباستثناء تجارب محدودة، فقد لجأت أغلب الدول تاريخياً إلى الاستعانة بالتمويل الخارجى لسد الفجوة التى عجز الادخار المحلى عن تغطيتها ولتمويل التنمية حيث استندت انجلترا فى القرنين السابع والثامن عشر إلى موارد أجنبية وخاصة من هولندا، وكذلك استعانت الولايات المتحدة بالتمويل الخارجى فى القرن التاسع عشر. ويلاحظ أن الميزة الأساسية فى التمويل الأجنبى أنه بخلاف تخفيف الضغط على الادخار المحلى، فإنه يقوم بتوزيع عبء التنمية على عدة أجيال، وذلك الأمر وإن كان يعد ميزة، إلا أن أى خلل فى حسابه يؤدى إلى نتائج وخيمة تحمل الأجيال التالية أعباء قد تكون فى حد ذاتها من معوقات التنمية.

الطاقة الاستيعابية للاقتصاد

تعد معرفة الطاقة الاستيعابية فى الاقتصاد مسألة فى غاية الأهمية لأنها تحدد المقدار المطلوب من الاستثمارات الذى يتفق مع احتياجات وقدرات ذلك الاقتصاد. وسوء تقدير تلك الطاقة بالزيادة أو النقصان يؤدى إلى نتائج سلبية، فالتقدير بالزيادة يؤدى إلى عدم الرشادة فى استخدام الموارد، وسوء توزيعها، ويرفع من إمكانية السقوط فى مخاطر التضخم، فى حين أن تقديرها بالنقصان يعنى حرمان الاقتصاد من فرص الاستعانة بمدخرات محلية أو رؤوس أموال أجنبية كان يمكن أن تساهم فى دفع مسيرة التنمية.

وتتمثل المحددات الاقتصادية للطاقة الاستيعابية فى حجم السوق الداخلى والخارجى المتاح لاقتصاد ما، ومدى توافر اليد العاملة ومستوى تأهيلها، ومستوى التقدم التكنولوجى السائد فى القطاعات الإنتاجية، ومقدار الطاقات الإنتاجية العاطلة، وحالة الاستثمار العام فى البنية الأساسية، وحجم الواردات الإنتاجية فى ذلك الاقتصاد. ويؤكد ذلك على أهمية توافر البيانات والمعلومات الدقيقة عن واقع المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة لتتخذى القرار فيما يتعلق بالعملية التنموية حتى يتمكنوا من اتخاذ القرارات وتحديد الأهداف الممكن تحقيقها على أسس سليمة.

ومن واقع التجارب التاريخية فإن لكل منهج وأسلوب مما سبق مؤيدين ومعارضين، ومزايا وعيوباً، وقد لجأت أغلب الدول التى قطعت أشواطاً تنموية متقدمة إلى الأخذ بأساليب وإستراتيجيات متنوعة لتحقيق التنمية المنشودة، ولكن فى أطر متناسقة ومتناغمة محددة الأهداف. لذا فإن تحقيق التنمية ليس حكراً على فكر اقتصادى معين أو مسار واحد لا بديل سواه، ولكن تبقى القدرة على إدارة مسيرة التنمية والتخطيط المستقبلى الواعى المستشرف للعقبات والفرص مع القدرة على ابتكار حلول للمشكلات تتفق مع واقع البيئة المحلية أحد المقومات الأساسية التى لا غنى عنها لنجاح أية مسيرة تنموية وطنية.

الإدارة التعاونية لموارد المياه المشتركة

هل أبالغ إذا زعمت أن الإدارة التعاونية لموارد المياه المشتركة تعتبر خيار المستقبل الذى لا بديل له سوى النزاع؟ لا والله لست أبالغ، بل إن جميع الدول تدرك أهمية الإدارة التعاونية وضرورة تحويلها إلى واقع ملموس، ليس فقط الدول التى تعتبرها كلاسيكيات المياه فى موقف الضعف باعتبارها دول مصب، ولكن أيضا دول المنابع التى تراها نفس الكلاسيكيات فى موقف القوة باعتبارها دول المنبع.

وقراءتى للموقف أن الجميع لابد أن يكونوا على يقين أن إنكار قناعتهم لأهمية التعاون، أو الإقرار بوجود تلك القناعة مقترنة بشروط بعيدة عن الواقع، أو الاعتراف بها دون إعداد جيد لمتطلبات ذلك التعاون، لا يعنى إلا شيئا واحدا، أن هذا الطرف أو ذاك يتجاهل أن النظرة الحديثة للمياه تؤكد أن التعاون فى إدارة موارد المياه المشتركة أمر لا مفر منه إذا أرادت الدول لشعوبها خيرا.

لذلك- وحديثى إلى جميع الدول المشتركة فى مياه دولية، فالمصير واحد- أقول إذا لم يكن لديكم رغبة حقيقية للتوصل إلى آلية مشتركة للإدارة التعاونية لمواردكم المائية، فاعلموا أن هناك خطأ ما، ابحثوا عنه واجتهدوا فى إصلاحه، وسوف تصلون فى النهاية إلى اليقين بأن الإدارة التعاونية هى غاية وهدف هذا العصر باعتبارها الطريق نحو تحقيق التنمية المستدامة المنشودة. وكما يقول الأستاذ جون كولارز: «إن الأمم فرادى لا يمكنها تحقيق الإدارة المتكاملة أو تحسين الوضع بشكل عادل يرضى جميع الأطراف. وإذا كان منطلق النظام الإيكولوجى يؤكد أن حوض النهر هو الوحدة العلاقية محل الاعتبار، فإن مصادر المياه تعتبر جزءا لا يتجزأ من الشبكة ككل، وما يحدث فى أى مكان على طول المجرى المائى يصبح جزءا من مسئولية كل من يستخدم المجرى، واستنفاد ونضوب أو تلويث مصاب النهر العليا هى مشاكل تهم وتمس جميع دول الحوض، ومن هذا المنطلق فإن إدارة مصادر المياه لا يمكن أن تكون شأنا فرديا».

مناهج إدارة المياه الدولية

د.حسام الإمام

مدير المركز الإقليمى لأخلاقيات المياه

hosamelemam111@yahoo.com

لا شك أن تنوع مصالح الدول فى استغلالها للمورد المائى الدولى يمكن أن يؤدى إلى تنازع تلك المصالح، إذا ما ذهب كل طرف إلى تحقيق مصالحه دون اعتبار لمصالح الدول المشاطئة الأخرى. ومن ثم يثور التساؤل حول السلوك الأمثل والمنهج الأفضل الذى يجب أن تلتزم به الدول فى إدارتها للمورد والحصول على أقصى فوائد منه، بلا ضرر ولا ضرار؟ حيث إن اتباع كل دولة لاستراتيجية خاصة فى الحصول على أقصى استغلال للنهر دون التنسيق مع دول الحوض الأخرى، يمكن أن يقود إلى محصلات غير مرغوب فيها وفوائد قليلة من النهر، فى حين أن تلك الفوائد يمكن مضاعفتها فى حالة العمل الجماعى والتنسيق بين إستراتيجيات الدول.

إذن المحصلة التى يمكن أن تجنيها دول المورد المائى الواحد تتوقف على المنهج السلوكى لتلك الدول فى استخدامها للمورد. ورغم تعدد المناهج التى تحلل سلوك الدول فى إدارتها لعلاقاتها السياسية الدولية، إلا أن المناهج تعتبر محدودة فيما يتعلق بالكيفية التى تتفاعل بها الدول المشتركة فى المورد مع بعضها البعض، وهل هى تعاونية أم لا.

من تلك المناهج المنهاج القانونى، الذى يحدد الإطار القانونى لالتزامات وحقوق الدول المشتركة فى النهر الدولى. هذا المنهاج يعنى بدراسة وتحليل المعاهدات والاتفاقات الدولية، وما ترتبه من التزامات وحقوق للدول الأطراف والجزاءات التى توقع على الأطراف التى تخل بالتزاماتها.

ونعتقد أنه رغم نجاح المنهاج القانونى فى تحديد الإطار القانونى لعلاقات الدول المشتركة فى النهر الدولى، إلا أنه لا يمكن الاكتفاء به كمدخل لإحداث التوفيق والتنسيق والتفاعل المطلوب بين تلك الدول

التى تحكم علاقاتها مصالح متنوعة سياسية واقتصادية..إلخ (وخاصة إذا تركزت الخلافات التاريخية بين دول الحوض حول المعاهدات والحقوق التاريخية، كما هو الوضع فى حوض نهر النيل وحوضى دجلة والفرات). فالمنهاج القانونى لا يتعرض للعوامل والمتغيرات التى تؤثر فى سلوك الدول، وإنما يعنى أساسا بتحديد مدى قانونية وشرعية هذا السلوك وفقاً للالتزامات المتفق عليها بين الدول.

نظرية المباراة Game Theory

تعتبر نظرية المباراة من أوضح وأبرز المناهج الخاصة بدراسة السلوك الإنساني، وترجع نشأتها إلى عام 1940 ويعتبر أول رواد تلك النظرية John von Neumann & Oscar Morgenstern. وتذهب النظرية إلى أن المباراة تتكون من مجموعة من القواعد التى تحكم موقفاً تنافسياً بين طرفين أو أكثر، لاختيار استراتيجية إما أن تعظم أو تقلل مكاسبهم، وتحدد تلك القواعد الخيارات المتاحة لكل طرف، والقدر المتاح من المعلومات حول تلك الخيارات، والنتيجة المترتبة على كل اختيار سواء كانت مكسباً أو خسارة.

وقد لفتت النظرية انتباه كل من نيومان ومورجنستيرن إلى المباريات ذات المحصلة الصفرية Zero-Sum Games التى لا يكسب فيها أحد الأطراف إلا على حساب خسارة الطرف الآخر Win-Lose.

وقد لفتت تلك الملاحظة أيضاً انتباه John F. Nash فى أوائل عام 1950، وكانت تلك هى البداية للتمييز بين المباريات التعاونية Cooperative Games والمباريات غير التعاونية Non-cooperative Games.

حيث وضع ناش ما يعرف باسم «موازنة ناش» Nash Equilibrium التى بمقتضاها لا يستطيع أحد الأطراف أن يجنى أية مكاسب إذا قام بتغيير استراتيجيته، طالما بقيت استراتيجيات الأطراف الأخرى دون تغيير. أى أن حصول جميع الأطراف على مكاسب يقتضى التوفيق والتنسيق بين استراتيجياتهم.

وتعتبر تلك النظرية من أكثر الأساليب المستخدمة فى مجال التحليل النظرى للعلاقات الدولية. وهى تقوم على تخيل وجود أزمات دولية، وإسناد أدوار محددة لعدد من الأطراف، وتقوم هذه الأطراف بتحليل كافة أبعاد الأزمة وعمل نطاق واسع من القرارات البديلة التى تصلح لحل هذه الأزمات. ومن ثم تساعد النظرية أطراف العلاقة على اختيار الإستراتيجية المناسبة لإدارة علاقاتهم.

وأشهر مثال لنظرية المباراة فيما يتعلق بإدارة المصادر المائية المشتركة، هو نموذج معضلة السجين Prisoner's Dilemma، والتى تعتبر النموذج الكلاسيكى لإشكالية المصالح الفردية فى النظام الإقليمى أو العمل الجماعى بشكل عام. وتنسب تلك النظرية إلى Albert Tucker الذى قام بوضعها فى عام 1950 ويعرض «توكر» نظريته من خلال المثال التالى:

«إذا قام البوليس بضبط اثنين من اللصوص بالقرب من مكان الجريمة وبحوزتهم سلاح غير مرخص، يكون أمام كل منهم إما أن يعترف ويورط الآخر أو لا، وتكون الفروض كما يلى: إذا لم يعترف أى منهم تكون العقوبة الحبس عاماً واحداً لكليهما لإحراز أسلحة غير مرخصة، أما إذا اعترف الاثنان وورطا بعضهما البعض فكلاهما سوف يتعرض لعقوبة السجن 10 أعوام، وأما إذا

اعترف أحدهما، بالاتفاق مع البوليس، وورط الآخر فى حين لم يعترف الآخر تم إطلاق سراح الذى اعترف وتعاون مع البوليس، فى حين يتعرض الذى لم يعترف لعقوبة السجن 20 عاما.»

وبالتالى تكون القضية فى هذا المثال هى: الاعتراف أو عدم الاعتراف. والاختيار المحقق لمصلحة الطرفين فى هذا المثال هو أن يختار كل طرف عدم الاعتراف وتكون العقوبة الحبس لمدة عام واحد فقط لكليهما، بدلا من السجن 10 أعوام لكليهما أو أن يطلق سراح أحدهما فى حين يعاقب الآخر بالسجن 20 عاما نتيجة لإيثار الآخر لمصلحته الفردية، ورغم أن إيثار النفس فى تلك الحالة قد يكون أمراً منطقياً، إلا أن القياس على ذلك المثال بالنسبة للأنهار الدولية سوف يؤدى بالضرورة إلى محصلات غير منطقية.

إن مقصد النظرية من ذلك المثال، فيما يتعلق بإدارة المياه الدولية، هو طرح إشكالية عدم التنسيق بين استراتيجيات الدول المشتركة فى مورد مائى واحد، واتباع كل طرف لاستراتيجية يحقق من خلالها مصالحه الخاصة، وهى ما يطلق عليها «استراتيجية مسيطرة» Dominant Strategy ، فإذا اختارت كل الدول اتباع تلك الاستراتيجية كانت النتيجة سلبية، أما إذا حدث تنسيق ووافق البعض أن يتنازل عن جزء قليل من مصالحه فى سبيل التعاون مع باقى الدول وتحقيق المصلحة الجماعية، فسوف يحدث نوع من التوازن، وتلك الحالة يطلق عليها «توازن الاستراتيجية المسيطرة» Dominant Strategy Equilibrium.

مما سبق، يمكن ملاحظة ما يلى:

1ـ تفترض نظرية المباراة فى المثال الخاص بمعضلة السجين وجود طرفين فقط فى العلاقة، غير أن تطبيقاتها تؤكد أنها تصلح للتطبيق على العلاقات متعددة الأطراف.

2ـ تفترض النظرية عدم وجود اتصال أو تنسيق بين الأطراف (السجينين). أما إذا حدث اتصال وتنسيق فمن الطبيعى أن تختلف النتيجة.

3ـ وفقاً للنظرية يتم التفاعل بين السجينين مرة واحدة، أما إذا تكرر الموقف أكثر من مرة فلابد وأن تتغير النتيجة تماماً، حيث ستتوافر لكليهما الفرصة لمعرفة الإستراتيجية الواجب اختيارها والتى تحقق لكليهما أقصى فائدة.

وفقاً لذلك قد يبدو واضحاً أن الحل السحرى هو مدى توافر الاتصال والتنسيق «المستمر» بين جميع الدول المشتركة فى المورد المائى، بهدف الوصول إلى توافق آراء حول الاستراتيجية التى تحقق الفائدة للجميع. فإذا افترضنا أن دولتين مشاطئتين لنهر دولى تقومان بسحب المياه من المجرى المائى، هاتان الدولتان يمكنهما التعاون من خلال المحافظة على حد متفق عليه للسحب من مياه المجرى، والتعاون على منع تلوث المجرى المائى. ورغم أن هذا التعاون قد تكون له تكاليف تتحملها الأطراف المعنية، إلا أنه يؤدى إلى الاستخدام الدائم والمستمر للمجرى المائى. تلك الاستمرارية تعتمد على وجود وسائل فعالة للاتصال، وإلا فمن غير الممكن إقامة توازن بين مصالح الدول، وهذا من شأنه عدم استقرار استخدامهم لمياه النهر الدولى مما يؤدى إلى وصول الجميع إلى استنفاد المصدر أو تلويثه، وهو ما يعرف بمحصلة باريتو المتدنية Pareto-Inferior Outcome.

تتحقق تلك المحصلة إذا لم يكن هناك إمكانية لتحسين فوائد أحد الأطراف دون إحداث خسارة للطرف الآخر، وتجنب حدوث ذلك يقتضى أن تتنازل الدول عن استراتيجياتها غير التعاونية فى سبيل تحسين الفائدة لكل الأطراف.

وإضافة إلى نموذج معضلة السجين، يوجد نموذجا Chicken Game & Stag Hunt Game اللذين يعبران عن سلوك الدول المشتركة فى المصادر المائية الدولية فى مواقف معينة.

ويعكس نموذج Chicken Game مشكلات عديدة لفكرة العمل الجماعى فيما يتعلق باستخدامات المصادر المائية المشتركة، وهو يعبر

عن حالة وجود الرغبة فى التعاون لدى الدول المشتركة فى مورد واحد، غير أن هذا التعاون يقوم على اعتماد أو انتظار كل طرف لمبادرة الآخر فى التعاون. وتعتمد تصرفات كل طرف على مدى تقديره لأفعال الطرف الآخر. وحيث أن كل الأطراف تفضل التقهقر عن التعاون انتظارا لمبادرة الطرف الآخر، فمن المتوقع أن تنتج محصلة سلبية عن هذا الموقف. ولكن مغامرة أحد الأطراف ومبادرته بالتعاون هو فقط الذى يمكن أن يمنع تلك المحصلة السلبية. ومثال ذلك النموذج: اثنان من المشاطئين يقومان بسحب المياه من مجرى مائى مشترك بشكل طبيعى، ثم يدعيان أن المصدر ملوث وأن كل مشاطىء يمكنه إزالة هذا التلوث بشكل منفرد. الملاحظ أن كليهما يفضل أن يقوم الآخر بالمهمة، وبالطبع كان الأولى أن يتعاون الطرفان فى إزالة هذا التلوث حتى يصبح المصدر صالحاً للاستعمال، إلا أنهما فضلا إلقاء تبعة المهمة على بعضهما البعض وبالتالى تكون المحصلة سلبية فى حالة استمرارهم فى هذا السلوك. أما إذا توافرت الرغبة والقدرة لدى أحدهما لتطوير المجرى المائى وصيانته، فإن هذا المشاطىء سوف يعمد إلى تحمل التكاليف وحده إذا فضل تلك المحصلة، بدلا من فكرة ترك المصدر للدمار نتيجة للسلوك السلبى للطرف الآخر. وإن كان هذا السيناريو سوف يعتمد بشكل كامل على قدرات هذا الطرف المادية والفنية.

وفى نموذج Stag Hunt Game تتم إدارة المياه الدولية من خلال فرضية أن جميع الأطراف ليس لديها استراتيجيات خاصة، فكل طرف تعتمد استراتيجيته على الآخرين، إذا تعاونوا جميعا فسوف يتعاون، وإذا تراجعوا جميعا عن التعاون فسوف يفعل المثل.

خلاصة المناهج سالفة الذكر أن العديد من المخاطر والمحصلات السلبية يمكن أن تترتب على تبنى الدول استراتيجيات متعارضة فيما يتعلق بإدارة مياهها المشتركة. إذن ما الحل عند سيطرة الفكر الفردى والنزعة الأنانية للاستفادة من المورد؟ أليس هناك حل؟ الحق أن الفقه والممارسة الدولية قد استقرت على أن التغلب على تلك المخاطر والسلبيات ليس له سبيل سوى منهج العمل الجماعى Collective Action الذى يعمل على تحويل هذا التعارض فى الرؤى إلى تعاون فاعل من خلال التوظيف الجيد للتواصل المستمر بين الدول فى إحداث توافق الآراء، ومن ثم التعاون المنشود.

إن الوقوف على معيار محدد لإدارة المورد المائى المشترك فى ظل خطط واستراتيجيات منفردة يعتبر من الصعوبة بمكان، إلا أن استمرارية التواصل بين الأطراف المعنية يساعد جميع الدول على إدراك حقيقة أن استخدام المصدر المائى بشكل فردى سوف يؤدى حتما إلى الإضرار بمصلحة الجماعة. عندئذ يمكن أن يكون هذا التهديد بدمار المصدر المائى حافزا للأطراف نحو اختيار استراتيجية تعاونية تضاعف المنافع العائدة عليهم جميعا على المدى الطويل. كما أن إحساس الدول النشطة، التى تكون قد اتخذت خطوات نحو تنظيم استخدامات المياه، بتواكل وسلبية بعض الدول الأخرى قد يدفعهم إلى حث الخطى نحو التشاور مع تلك الدول لتغيير حساباتهم وتعديل سياساتهم والحفاظ على اتفاقاتهم من أجل مستقبل شعوبهم، هذا بالطبع إذا نظرت الدول إلى المنافع المستقبلية المتوقعة من المصدر المائى وحاولت الاستفادة منها. أما إذا حدث العكس، فالمتوقع أن الدول المشاطئة سوف تفضل اتباع سياسات قصيرة الأجل انفرادية، رغم الأضرار المتوقعة من اتباع تلك الاستراتيجية فى الأجل الطويل، وقد يدفع ذلك الباقين إلى محاولة الحصول على أكبر المغانم القصيرة الأجل من النهر قبل نفاده، وفى ظل ذلك سوف يتزايد الطلب على المياه بشكل قد يهدد بنضوب المصدر فى وقت قصير.

وختاماً، فإن موضوع التعاون فى إدارة موارد المياه لم يفرد له الحيز الذى يستأهله على الأجندة البحثية. وعلى الجانب الآخر نجد كماً هائلاً من الكتابات التى تركز على سيناريو الصراع. والواقع أن العلاقات المائية الدولية هى عملة ذات وجهين، وإذا كان احتمال الصراع هو أحد وجهى تلك العملة، فمن المنطقى أن يكون الوجه الآخر هو التعاون والعمل الجماعى. ولما كان سيناريو الصراع قد نال حظه الوفير من الكتابات بحيث بات جلياً واضحاً، نعتقد أنه قد آن الأوان للانتباه إلى سيناريو التعاون، والتركيز عليه، وبحث كافة السبل لإظهاره وإيضاحه، ودعمه ودفعه قدماً إلى الأمام، يقيناً بأن الجنوح إلى النزاع والخلاف سوف يقود الجميع إلى أن يصبحوا ـ كما قال الشاعر العربى قديماً:

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول.

العلاقة بين السياسة الخارجية والصحة العامة والتنمية

دبلوماسيـــة الصحـــة

أضحت العلاقة بين السياســـة الخارجية والتنمية من جانـــب والصحة العالمية من جانب آخر فى تزايد مســـتمر نتيجة للعديد من التطورات التى أدت إلى تداخل دور مختلف القطاعات العاملة فى المجالات الثلاثة.

وقد أصبحـــت الموضوعات المرتبطـــة بالصحة العامة أحد أبـــرز البنود المدرجة على جدول أعمال القمم والمؤتمرات الدوليـــة المختلفة خاصة التى تضم دولا متقدمة، وذلك فى ضوء التداعيات التى تتركها التحديات المرتبطة بها على مختلف الأصعدة السياســـية والاقتصادية والاجتماعية وعلى مختلف المستويات الوطنية والإقليمية والدولية. بل وأدى بـــزوغ مجموعة أخرى من التحديات الطارئة المرتبطـــة بالصحة العامة إلى امتداد هذه التداعيات إلى الأصعدة الأمنية أيضاً.

سفير عمرو رمضان
المندوب الدائم لمصر لدى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية فى جنيـف
amr.ramadan@ties.itu.int

وإبرازاً لهذه العلاقة المتصاعدة، فقد دأبت الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة منذ دورتها الثالثة والستين على اعتمـــاد مجموعة من القرارات المعنونة «الصحة العالمية والسياسة الخارجيـــة» كان أولهـــا القـــرار 33/A/63 فى يناير 2009 حيث تتناول هذه القـــرارات العديد من القضايا المرتبطة بالصحة العامة، وكان آخرهـــا القرار 159/A/71 فى 15 ديسمبر 2016 والذى تناول عنوانه بوضوح العلاقة بين الصحة العامة والسياســـة الخارجية من جانب والتوظيف فى القطاع الصحى والتنمية الاقتصادية من جانب آخر، وهو مؤشر واضح على عمق العلاقة بين السياســـة الخارجية والصحة العامة والتنمية.

الاستثمار فى الصحة من ركائز النمو

وقـــد كان الأســـاس العمـــلى لتدشـــين هذه القرارات هو المبادرة التى أطلقهـــا وزراء خارجية دول البرازيل والنرويج وجنوب أفريقيا وفرنســـا وإندونيســـيا والسنغال وجنوب أفريقيا وتايلاند والمعروفة باســـم «مبادرة السياسة الخارجية والصحة العامة» وذلك على هامش الدورة الحادية والســـتين للجمعية العامة للأمم المتحـــدة فى نيويورك فى ســـبتمبر 2006، والتى اكتسبت دفعة جديدة من خلال إعلان أوسلو الوزارى الصادر فى 20 أبريل 2007، حيث أكـــد هذا الإعـــلان أن هناك حاجة مُلحة لتوسيع أطر السياسة الخارجية التقليدية لتتضمن أيضاً القضايا المرتبطة بالصحة العالمية أخذاً فى الاعتبار متغيرين ذوى أهمية هما: العولمة، والاعتماد المتبادل، مع التنويه إلى أن الصحة هى واحد من أهم الأهداف المُهمَلـــة بعيدة المدى للسياســـة الخارجية، مع الإشارة إلى الوعى المتزايد بأن الاســـتثمار فى مجال الصحـــة يعتبر من ركائز النمو الاقتصادى والتنمية. وقد كان دستور منظمة الصحة العالمية سباقاً فى الإشارة إلى الحق فى التمتع بأعلى مســـتوى ممكن للصحة الجسدية والذهنيـــة باعتباره أحـــد المبادئ الرئيسية لأمن ورفاهية الشعوب. بل إن الإعلان العالمى لحقوق الإنســـان الذى اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 10 ديســـمبر 1948 قد نـــص فى مادته 25 عـــلى أن «لكلِّ شـــخص حقٌّ فى مســـتوى معيشة يكفى لضمان الصحـــة والرفاهة له ولأسرته، وخاصَّـــةً على صعيد المأكل والملبس والمســـكن والعناية الطبية وصعيد الخدمات الاجتماعية الضرورية، وله الحقُّ فى ما يأمن به الغوائل فى حالات البطالة أو المرض أو العجز أو الترمُّل أو الشيخوخة أو غير ذلك من الظروف الخارجة عن إرادته والتى تفقده أسباب عيشه.

كما نصت ذات المـــادة على «أن للأمومة والطفولة حـــقٌّ فى رعاية ومساعدة خاصَّتين، ولجميع الأطفال حقُّ التمتُّع بذات الحماية الاجتماعية سواء وُلِدوا فى إطار الزواج أو خارج

هذا الإطار». وقد أعاد العهد الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذى اعتمدته الجمعية العامة فى 16 ديسمبر 1966 ودخل حيز التنفيذ فى 3 يناير 1976 التأكيد على الحق فى الصحة فى مادته الثانية عشرة بإقرار الدول بحق كل إنسان فى التمتع بأعلى مستوى من الصحة الجسمية والعقلية يمكن بلوغه، والالتزام باتخاذ تدابير لتأمين الممارسة الكاملة لهذا الحق بما يشمل العمل على خفض معدل وفيات المواليد ومعدل وفيات الرضع وتأمين نمو الطفل نموا صحيا، وتحسين جميع جوانب الصحة البيئية والصناعية، والوقاية من الأمراض الوبائية والمتوطنة والمهنية والأمراض الأخرى وعلاجها ومكافحتها، وتهيئة ظروف من شأنها تأمين الخدمات الطبية والعناية الطبية للجميع فى حالة المرض.

ويكفى للتعرف على الدور المهم والحيوى الذى تلعبه الصحة العامة فى الأمن والاستقرار متابعة التأثيرات الفادحة التى خلفها انتشار فيروس الإيبولا فى دول غرب أفريقيا الثلاث؛ سيراليون وليبيريا وغينيا، حيث أظهرت تقارير منظمة الصحة العالمية أن الوباء قد أسفر خلال فترة انتشاره بين 2014 و2016 عن 11310 حالات وفاة من إجمالى 15227 حالة إصابة مؤكدة. وقد لعبت الأوضاع السياسية والاقتصادية غير المستقرة التى مرت بها الدول الثلاث فى مراحل سابقة وتداعى البنية التحتية الصحية فيها إلى زيادة معدلات الوفاة بهذه الصورة الكارثية.

ورغم أن اللوائح الصحية الدولية التى اعتمدتها الدول الأعضاء فى منظمة الصحة العالمية عام 2005 طالبت بوضوح بعدم إغلاق الحدود أو تقييد حركة السفر أمام مواطنى الدول التى تعانى من انتشار الوباء، إلا أن العديد من دول الجوار، فى ضوء تخوفها من احتمال انتقال المرض إلى أراضيها، قد قامت بذلك بالفعل الأمر الذى فاقم من التداعيات الاقتصادية والاجتماعية نتيجة لتراجع حركة التجارة والمسافرين عبر الحدود، وهو مؤشر واضح على حالة التداخل الكبيرة بين الأوضاع الصحية من جهة والقرارات السياسية والاقتصادية المتخذة على صعيد السياسة الخارجية من جهة أخرى. ومن البديهى، أن استقرار المنظومة الصحية للدول الثلاث وتوفر البيئة السياسية والاقتصادية الآمنة والمستقرة كان سيساعد إلى حد كبير على احتواء انتشار المرض والحد من تداعياته. وتدعو اللوائح الصحية الدولية كافة الدول إلى الاستثمار فى منظومتها الصحية من خلال بناء قدراتها الرئيسية للوقاية والرصد والاستجابة لأى عوارض صحية طارئة بما يمكن من احتوائها والحد من تأثيراتها السلبية.

إدماج الصحة فى كافة السياسات

ونتيجة للدور المهم والحيوى الذى تلعبه الصحة العامة فى كافة مجالات الحياة، فهناك اتجاه دولى عام حالياً إلى أن يتواجد عنصر الصحة باستمرار فى كافة قطاعات ونواحى الحياة الأخرى من خلال مقاربة متعارف عليها فى هذا الشأن تعرف باسم

«مقاربة الصحة فى كافة السياسات» Health-in-all-policies approach.

وقد كان اعتماد أهداف الألفية الإنمائية عام 2000 بمثابة توجه إستراتيجى للمجتمع الدولى ككل لإيلاء الأهمية الكافية للمؤشرات المرتبطة بالأوضاع الصحية فى الدول وعلاقتها بالتنمية فى إطار مقاربة اقتصادية واجتماعية متكاملة، إذ أن ثلاثة من ضمن هذه الأهداف الثمانية كانت تتعلق مباشرة بقضايا صحية هى فى إيجاز «الحد من وفيات الأطفال» (الهدف الرابع) و«تحسين صحة الأم» (الهدف الخامس) و«مكافحة مرض نقص المناعة المكتسبة والملاريا والأمراض الأخرى» (الهدف السادس). وبانتهاء الخمسة عشر عاماً المخصصة لتحقيق هذه الأهداف، تبنى المجتمع الدولى توجهاً استراتيجياً آخر يبنى على النجاحات

التى تحققت ضمن الخمسة عشر عاماً السابقة تمثل فى أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر والتى اعتمدها رؤساء الدول والحكومات فى 25 سبتمبر 2015 ضمت هدفاً مستقلاً للصحة هو الهدف الثالث تحت عنوان «ضمان تحقيق حياة صحية وتعزيز الرفاهية للجميع فى كافة الأعمار»، وأخذاً فى الاعتبار أن المقاربة الخاصة بأهداف التنمية المستدامة هى مقاربة شاملة اقتصادية واجتماعية وبيئية. ولا يفوتنا أن نشير فى هذا الشأن إلى أن تحقيق الأهداف الستة عشر الأخرى لأهداف التنمية المستدامة سيعزز بصورة مباشرة أو غير مباشرة من تحقيق الهدف الثالث الخاص بالصحة، إذ أن هناك حالة كبيرة من التداخل بين أهداف ووسائل تحقيق هذه الأهداف جميعها. فعلى سبيل المثال، فإن تحقيق الهدف الحادى عشر من أهداف التنمية المستدامة والخاص بالمدن والتجمعات المستدامة، سيعتمد ضمن أشياء أخرى على الحد من تلوث الهواء، وهو أمر سيكون له انعكاساته الصحية المباشرة إذ تُظهر تقديرات منظمة الصحة العالمية أن تلوث الهواء فى المدن والتجمعات الريفية يسفر عن وفاة ما يقرب من 3 ملايين شخص بصورة مبكرة سنوياً (تقديرات عام 2012) وأن 88% من هذه الوفيات يحدث فى الدول منخفضة ومتوسطة الدخل، حيث يؤدى تلوث الهواء إلى تزايد فى معدلات الإصابة بأمراض القلب والجهاز التنفسى ضمن فئة كبيرة من الأمراض تعرف باسم «الأمراض غير السارية» (غير المعدية) Non-Communicable Diseases، وما لذلك من تداعيات اقتصادية واجتماعية فادحة. وبنفس المقاربة يمكن النظر للهدف الأول المعنى بالقضاء على الفقر فى كل بقعة من بقاع المعمورة، والهدف الثانى المعنى بالمأكل والقضاء على المجاعة وسوء التغذية، والهدف السادس المعنى بالمياه النظيفة والصرف الصحى، وهكذا.

وقد كان إدراك قادة الدول ورؤساء الحكومات للبُعد الخاص بالسياسة الخارجية وعلاقتها بالصحة العامة والتنمية دافعاً إلى تبنى مجموعة متتالية من الإعلانات السياسية تتناول قضايا وشواغل مرتبطة بالصحة العامة، لعل أبرزها الإعلانات السياسية الخاصة بمكافحة مرض نقص المناعة المكتسبة لأعوام 2001 و 2006 و2010 وأخيراً 2016، حيث أعرب الإعلان السياسى لعام 2016 عن قلقه من أن مرض نقص المناعة المكتسبة مازال يمثل تحدياً مهماً على صعيد الصحة، والتنمية، وحقوق الإنسان، والصعيد الاجتماعى أيضاً، وذلك رغم النجاحات التى تحققت خلال أهداف الألفية الإنمائية اتصالاً بالهدف السادس منها. ولا يخفى على أحد التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية بالغة الفداحة التى يسفر عنها هذا المرض إذ يؤدى إلى وفيات بالملايين فى أوساط الفئات الشبابية ومتوسطة العمر، وهى الفئة التى يقع على عاتقها فى الدول المتقدمة تحقيق النمو الاقتصادى والرفاهية من خلال زيادة الأيدى العاملة بما يؤدى إلى تحقيق الرواج الاقتصادى.

واتصالاً بقضية صحية أخرى، فقد تم عقد سلسلة من الاجتماعات رفيعة المستوى حول الأمراض غير السارية عامى 2011 و 2014، ومن المنتظر أن يُعقد الاجتماع الثالث عام 2018 فى ضوء الأعباء التى تلقيها هذه الأمراض على تطور ونمو المجتمعات على كافة الأصعدة.

ضرورة تسريع وتيرة تنفيذ التعهدات

ولا جدال فى أن إيلاء مثل هذه القضايا الاهتمام الكافى على الصعيد السياسى، خاصة إذا كان على مستوى رؤساء الدول والحكومات، يمثل فى حد ذاته قوة دافعة لقيام الجهات الدولية الأخرى (مثل منظمة الصحة العالمية) أو المانحة على تسريع وتيرة تنفيذ التعهدات والالتزامات السياسية. ولا يخفى أيضاً أن تحمس بل ودفع هذه الجهات لرفع مستوى تناول هذه القضايا إلى المستويات السياسية، رغم طبيعتها الفنية، ينبع فى جزء كبير منه من العقبات التى تحول بين هذه الجهات وبين تحقيق الأهداف المرجوة من عملها اتصالاً بهذه القضايا، سواء لغياب الدافع السياسى، أو لنقص التمويل، وكلها عقبات تتطلب اتخاذ القرارات اللازمة لتذليلها على المستوى السياسى.

وتعتبر مقاومة مضادات الميكروبات anti-microbial resistance من التحديات البازغة التى تتطلب اهتماماً سياسياً بالغاً، إذ أسفر سوء استخدام المضادات الحيوية، وباقى مضادات الميكروبات، خلال العقود الماضية عن تزايد مقاومة الميكروبات لما هو متوفر منها. وقد زاد من أبعاد هذه المشكلة عدم تمكن أو رغبة الشركات العملاقة المنتجة للدواء فى إنتاج مضادات حيوية جديدة لعقود، وهو ما يعنى أن المجتمع الدولى قد يصل إلى مرحلة لا يمكن خلالها

القضاء على ميكروبات، حتى ولو كانت بسيطة، فى ضوء عدم توفر المستحضرات الدوائية اللازمة لهذا الغرض. ولا شك أن لهذه المشكلة أبعاداً فى غاية الأهمية، قد تؤدى إلى أن يواجه المجتمع الدولى ظرفاً أشبه بذلك الذى مر على البشرية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، حيث أسفر انتشار وباء الإنفلونزا الأسبانية، وهو وباء فيروسى، عن وفاة الملايين من سكان القارة الأوروبية. ولخطورة هذه المشكلة، فقد تبنى وزراء صحة دول مجموعة الدول السبع إعلاناً وزارياً (إعلان برلين) عام 2015 والذى اعتبر هذه الظاهرة بمثابة تحد عالمى بالغ الخطورة وله تأثيراته على كافة الدول دون استثناء، وأنها تسفر عن وفاة ما يقرب من 700 ألف حالة سنوياً. ولهذه الظاهرة بلا شك أبعاد أمنية، إذ أن استخدام أى عناصر بيولوجية biological agents سواء من قبل الدول أو العناصر الفاعلة من غير الدول قد يشكل تهديداً بالغ الخطورة فى حالة عدم توفر مضادات الميكروبات اللازمة للقضاء على هذه العناصر، خاصة إذا كان العنصر المستخدم معروفاً بمقاومته لمضادات الميكروبات، علماً بأن التطورات المرتبطة بعلوم الأحياء التخليقية synthetic biology قد يسرت بدرجة لا بأس بها من كافة التعقيدات المرتبطة بتخليق الميكروبات، بصورة قد تمكن بعض الفاعلين من غير الدول وبتمويل محدود من أن تشكل تهديداً بالغ الخطورة على أمن وسلامة الدول والمجتمعات.

وقد أدى ارتفاع الوعى بشأن هذه الظاهرة إلى تبنى إعلان سياسى حولها خلال الاجتماع رفيع المستوى للجمعية العامة للأمم المتحدة لعام 2016 تضمن اعتماداً للخطة العالمية المقدمة من منظمة الصحة العالمية فى هذا الشأن لعام 2015 والتى تم تطويرها بالتعاون بين منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة ومنظمة صحة الحيوان.

الأمن الصحى جزء من الأمن القومى

وبالنظر إلى منطقتنا العربية وما يجرى فيها نجد أنها فى حاجة إلى الاهتمام وزيادة الوعى بدبلوماسية الصحة. وينظم المكتب الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط (الإيمرو)- ومقره القاهرة- كل فترة ندوة عن الموضوع كان لى حظ المشاركة فى تلك التى عقدت خلال الفترة من 7-9 مايو 2016، وتضمنت سبع جلسات على مدار يومين تناولت الأولى منها العلاقة بين الصحة والسياسة الخارجية، والثانية الدور الذى تلعبه الشراكات من أجل دبلوماسية الصحة، والثالثة تطبيق الإعلان السياسى الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة حول الأمراض غير السارية (غير المعدية)، والرابعة حول الأمن الصحى كجزء من الأمن القومى والأمن الإنسانى مع التركيز على اللوائح الصحية الدولية، والخامسة حول الأمن الصحى كجزء من الأمن القومى والأمن الإنسانى مع التركيز على الأمراض الناشئة، والسادسة حول حالات الطوارئ والأزمات الإنسانية، والسابعة حول موقع الصحة ضمن أهداف التنمية المستدامة.

وقد تناولت الجلسة الأولى العلاقة العضوية بين الصحة والسياسة الخارجية فى ضوء التهديدات العابرة للحدود وموقع التهديدات الصحية ضمن خريطة التهديدات الدولية بصفة عامة، مع التركيز على أهمية توفر الإرادة السياسية لتوفير منظومة صحية قادرة على مواجهة هذه التهديدات، مع إبراز أهمية تضافر الجهود بين المؤسسات المعنية بإدارة السياسة الخارجية للدول (وزارة الخارجية) وتلك المعنية بإدارة الملف الصحى (وزارة الصحة).

كما تناولت الجلسة الرابعة أهمية مبدأ الأمن الصحى وضرورة دفع العمل الدبلوماسى حول هذا المبدأ، والتركيز على الأهمية التى تكتنف «أجندة أمن الصحة العالمية» Global Health Security Agenda (وهى مبادرة تقدمت بها بعض الدول فى مقدمتها الولايات المتحدة بالتزامن مع انطلاق سلسلة قمم الأمن النووى) لموازاة اللوائح الصحية الدولية لعام 2005. وقد اتضح خلال النقاش الحرص على عدم حدوث ازدواجية فى العمل بين اللوائح الصحية الدولية كصك دولى تم التوصل إليه فى عام 2005 وبين أجندة أمن الصحة العالمية، وهو ما دفع إلى تطوير آلية التقييم المشتركة الخارجية Joint External Evaluation بصورة مشتركة بين المكتب الإقليمى وبين الأجندة باعتبارها الأداة الملائمة لقياس مدى استعداد الدولة لتنفيذ اللوائح الصحية الدولية وهى الآلية التى تم إقرارها من قبل المنظمة وأوضحت الدور الريادى للمكتب الإقليمى لشرق المتوسط، خاصة وأن هذه الأداة ستسهل من جهود المنظمة فى حشد الموارد لبناء القدرات الرئيسية Core Capacities اللازمة لتطبيق اللوائح الصحية الدولية للدول الأعضاء فى المنظمة.

العلاج عن بعد

Telemedicine

لم تتوقف الأبحاث والدراسات العلمية فى المجالات الطبية، مثلما لم تتوقف عمليات تطوير استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مختلف نواحى الحياة، وعندما تزاوج المساران حققا حلماً طالما راود عقول الأطباء فى كل زمان ومكان، ألا وهو توفير خدمات الرعاية الصحية لأكبر عدد ممكن وبأقل تكلفة مع الحفاظ على الجودة. الأمر الذى يطلق عليه الآن «العلاج عن بعد»، ونظراً لغياب مراكز الرعاية الصحية وأيضاً الكوادر الطبية المدربة عن المناطق النائية فى الدول النامية ولاسيما فى قارتنا الأفريقية، فقد مثلت خدمات العلاج عن بعد أداة مهمة لربط هذه المناطق المهمشة بالمراكز الطبية المحلية والدولية.

سكرتير ثان مينا باسيلي

mena.basily@gmail.com

ويعرف العلاج عن بعد بأنه: تطويع لتكنولوجيا المعلومات وسبل الاتصال الإلكترونية لتوفير خدمات الرعاية الصحية فى عدد من المجالات الطبية خارج حدود منشآت الرعاية الطبية، ودون تواجد الطبيب والمريض فى ذات الموقع.

تعود بداية خدمات العلاج عن بعد عندما بدأت شركة ميدفون الأمريكية ما بين عامى 1989-1990 فى توفير إمكانية تشخيص وعلاج بعض حالات أمراض القلب عن طريق استخدام خطوط الأثير وإدخال هذه الخدمة فى 12 مستشفى أمريكي، الأمر الذى مثل النواة التى انطلقت منها الشركات ومراكز الأبحاث لتطوير خدمات العلاج عن بعد وجعلها أكثر تأثيراً عن طريق ومن خلال استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة.

وقد أوضح أ. د. وائل عبد العال، أستاذ أمراض قلب الأطفال بجامعة القاهرة، ورئيس الجمعية المصرية للعلاج عن بعد، وعضو المجلس التنفيذى بمؤسسة مجدى يعقوب للقلب فى أسوان، أننا إذا تخيلنا حجم النفقات والمشقة التى تجابه المرضى من قاطنى المناطق النائية للوصول إلى الاستشاريين فى التخصصات المختلفة لتشخيص حالاتهم وتحديد العلاج المناسب، ومع الوضع فى الاعتبار أهمية عنصر الوقت الذى قد يكون مصيرياً فى حالات بعينها، فإن خدمة العلاج عن بعد تعد الحل الأمثل لكل من المريض والطبيب.

وتمثل الخدمات الطبية الاستشارية 70% من الخدمات الطبية ككل، مع الوضع فى الاعتبار أهمية توافر عامل جودة الخدمة للوصول إلى التشخيص السليم وبالتالى تحديد العلاج الملائم، وهنا تكمن الميزة النسبية للعلاج عن بعد فى توفيره خدمة طبية استشارية متميزة فى وقت زمنى قياسى ودون أن يمثل ذلك عبئا اقتصادياً إضافياً على المريض، وفى ذات الوقت فإنه

يوفر فرصة التعليم الطبى عن بعد للكوادر المصرية من الأطباء. ويتجه المجتمع الطبى حالياً إلى اتباع الأساليب الوقائية فى مجابهة الأمراض قبل الإصابة بها، والاهتمام بتقنيات المؤشرات الحيوية الذكية، وكذا تطوير خدمات العلاج عن بعد. لذا، وجب علينا مواكبة العصر. وباختصار، فإن خدمة العلاج عن بعد هى المستقبل.

أين مصر من العلاج عن بعد؟

دخل مفهوم العلاج عن بعد إلى مصر فى عام 2009، وأمكن خلال الأعوام السابقة، بالتعاون

مع وزارتى الصحـــة والاتصالات، تقديم خدمات العـــلاج عن بعد فى كل من سيوة وأســـوان والخارجة وشـــلاتين، وحالياً هناك خطوات جادة نحو تقديم خدمة العلاج عن بعد إلى أفريقيا، بالتعاون مع وزارة الخارجية المصرية والوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية.

ونشـــير هنا إلى أهـــم مؤتمرات العلاج عن بعد التى عقدت فى مصر، حيث عقدت جمعية اتصال (إحدى منظمات المجتمـــع المدنى المصرى فى مجال الاتصـــالات وتكنولوجيا المعلومات) بالتعاون مع المؤسســـة المصرية للعـــلاج عن بعـــد (أول مؤسســـة مصرية لتقديم خدمات العـــلاج عـــن بعـــد)، أول مؤتمر لتكنولوجيـــا المعلومات والاتصالات لمواجهة التحديات المجتمعية لتطوير الرعاية الصحيـــة، على مدار يومى 14 و 15 مايـــو 2017، بحضور كل من وزيرى الصحة والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وحيث ركز المؤتمر على عدة محاور، كان أبرزها:

أ ـ الفـــرص والتحديات أمام العلاج عـــن بعـــد، ودور المجتمع المدنى.

ب ـ اقتصاديـــات وتطبيقات العلاج عن بعد.

ج ـ التعليم الطبى عن بعد.

د ـ تطويع التكنولوجيا لتحديث خدمات القطاع الصحى فى مصر.

هـ ـ تشـــكيل الوعى المجتمعى لأهمية مواكبة العصر فى الاستعانة بالتكنولوجيـــا الحديثة فى مختلف المجالات الطبية، سواء التعليم الطبى عن بعـــد، والإدارة الطبية والعلاج عن بعـــد، وضرورة تدبير التمويل المناسب لمثل هذه المشروعات.

وتعد هذه الفعالية خطوة مهمة نحو الأمام فى هـــذا المجال الحيوى المهم لصالح صحة المواطن.

الشيخوخة وهم أم حقيقة؟

كانت تشغلنى أسئلة كثيرة منذ الصغر، ويمر بذهنى الكثير من التصورات والأفكار، وكنت أشعر بمضايقات وضجر غير محدود عندما يكون رد الوالد أو أحد الأقارب «آسف. لا أستطيع. أنا متعب. السن له أحكامه يا بني» على أحد أسئلتى أو طلباتي، وعندما بدأ يشتد عودى ولكنى لم أحصل على العلم الكافى بعد، بدأ يدور عدد من الأحاديث فى نفسى فبدأت أتساءل لماذا يعيش الفأر عامين بينما يعيش الفيل ستين عاماً؟ على الرغم من أن كليهما يستهلك القدر نفسه من الأوكسجين خلال حياته بالنسبة لوزنه؟ لماذا تعيش بعض أنواع الحيتان مائتى أو ثلاثمائة عام، بينما يموت سمك «السالمون» بمجرد أن يضع بيضه، فى عمر من عامين إلى ثمانية أعوام؟ كيف تعمل معدلات التمثيل الغذائى على تحديد الأعمار المفترضة لجميع الكائنات الحية، ولماذا تستثنى الطيور من هذه القاعدة؟ لماذا يصل بعض البشر للشيخوخة ببطء وينجحون فى الحفاظ على وظائفهم المعرفية والإدراكية، فى حين تتدهور الوظائف النفسية والمعنوية والبنية الجسدية سريعاً فى البعض الآخر بسبب الشيخوخة؟ هل من الممكن أن نبطئ من وتيرة الشيخوخة؟ هل من الوارد إيقاف عجلة الزمن لبعض الكائنات حتى تتمكن من مجابهة عوامل الشيخوخة والتهرم؟

سكرتير ثالث عبدالرحمن حسن

abdoo_hossam@yahoo.com

تعبر عدد من المجلات العلمية المتخصصة عن عملية التهرم والشيخوخة على أنها العملية التى تكتمل عندما تتوقف الخلايا عن الانقسام وتجديد نفسها، وطبقاً لمراجع طبية عن عملية التهرم والشيخوخة فى الإنسان على أنها تمثل تراكم الطفرات البسيطة عبر الزمن مما يؤدى إلى حدوث تغيرات كبيرة من الناحية البدنية و/أو الاجتماعية و/أو النفسية فيحدث بطء فى الحركة والوظائف البدنية فى حين تزداد الحكمة والكياسة والرزانة. وتحاول وزارات التخطيط فى معظم الدول المتقدمة فى امتصاص توابع ظاهرة الشيخوخة السلبية باعتبارها واحدة من أهم التحولات الاجتماعية فى القرن

الحادى والعشرين والتى ستؤثر على جميع قطاعات المجتمع بما فى ذلك سوق العمل والأسواق المالية، وفى ضوء الأزمات العالمية الاقتصادية والمالية المتتالية ورغبة دول العالم فى ترشيد النفقات وتعظيم الإيرادات، وتقليل الاستهلاك وتعظيم إنتاج الموارد البشرية أو الأصول المادية الثابتة فإن علم طب المسنين أو علم الشيخوخة يزداد أهمية يوماً بعد يوم.

وجدير بالذكر أن التوقعات السكانية للعالم الصادرة عن الأمم المتحدة لعام 2015 تؤكد زيادة أعمار كبار السن الذين تتراوح أعمارهم بين 60 عاماً وأكثر فى العقود القليلة القادمة، حيث توضح الإحصائيات أن 901 مليون نسمة تراوحت أعمارهم بين 60 أو أكثر فى شتى أنحاء العالم عام 2015، فى حين بلغ عدد من تتراوح أعمارهم بين 60 أو أكثر حوالى 607 ملايين نسمة فى شتى أنحاء العالم عام 2000 أى بزيادة قدرها 48 %، ومن المتوقع أن ينمو من تتراوح أعمارهم بين 60 عاماً وأكثر إلى 1.4 بلايين بحلول عام 2030، وإلى 2.1 بليون نسمة بحلول عام 2050. ومن ثم تظهر عدة إشكاليات أهمها أولوية دمج قدرات كبار السن باعتبارهم من المساهمين والفاعلين الرئيسيين فى التنمية، فبدأ الاهتمام بعدد من العوامل الديموغرافية (السكانية) كأعداد المواليد، وأعداد الوفيات، والصحة، والتعليم، والهجرة، والقيم الاجتماعية، ومتوسط حجم الأسرة، والخصوبة.

ونظراً للتقدم العلمى خلال العقود الأخيرة - يرى عدد من الباحثين أن من الإنجازات الكبرى التى تحققت فى القرن العشرين هى حدوث زيادة هائلة فى متوسط العمر المتوقع، حيث ارتفعت المستويات الصحية بشكل كبير فى معظم الدول مما أدى إلى تحسن كبير فى تخفيض حالات الوفاة فى الأطفال وزيادة أعمار كبار السن المتوقعة، وازداد الوعى المجتمعى بأهمية الطاقة النظيفة والخضراء، وضرورة تناول المزروعات والمحاصيل العضوية الطبيعية الخالية من المبيدات الحشرية والكيماويات، وتغيرت القيم الاجتماعية وتراجعت معدلات الخصوبة مما ساهم بالنهاية فى شيخوخة السكان على الصعيد العالمى. ويمكن تأكيد ذلك بدراسة الولايات المتحدة على سبيل المثال، حيث ارتفع متوسط العمر المتوقع من 45 عاماً فى عام 1902 إلى 75.7 عاماً فى عام 2004، وحتى فى السنوات الخمسين الماضية، ارتفع متوسط العمر المتوقع فى معظم الاقتصاديات الغربية طبقاً للتقارير الصادرة عن منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD .

وفى تقرير لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية حول دراسة قدمها كل من الباحثين يونس اكسوى ورون سميث وتوبياس جراسل بجامعة لندن والباحث الاقتصادى هنريك باسو بالبنك المركزى الأسبانى من 68 صفحة عن تحليل المتغيرات فى الاقتصاد الكلى لـ21 دولة غربية خلال الفترة من عام 1970 وحتى عام 2000، أكد الباحثون تأثير الهيكل السكانى والعمرى على الأوضاع الاقتصادية وعلى أوضاع الاقتصاد الكلى على المدى الطويل والقصير من خلال قنوات متعددة لعل من أهمها: أن الفئات العمرية المختلفة لها سلوك ادخار مختلف، ووفقاً لفرضية دورة الحياة (Life Cycle) فلكل مرحلة عمرية مستويات إنتاجية مختلفة، ووفقا للهياكل العمرية للأجور فإن أجور العمل تكون مبالغ مختلفة، مع الوضع فى الاعتبار عوامل التشبع من النجاح وعدم الرغبة فى وجود تحديات أو الرغبة فى تحقيق المجد والإنجاز، فضلاً عن الآثار على مدخلات العمل فإن المساهمة تكون بشكل مختلف فى عملية الابتكار، كما يساهم العاملون الشباب والمتوسطون بأكبر قدر ممكن فى توفير فرص استثمارية ومستدامة، حيث تفضل الشركات إشباع احتياجاتها التوظيفية المختلفة من الشباب ومتوسطى السن. وبالتالي، فمن المتوقع أن تؤثر التغيرات فى الهيكل الديمغرافى على أسعار الفائدة الحقيقية والتضخم والناتج الحقيقى على المدى الطويل والقصير إما بشكل مباشر أو عن طريق تأثيراتها على التوقعات بشأن المسار المستقبلى للمتغيرات الرئيسية.

وكما أنه لشيخوخة السكان تأثيرات سلبية لعل من أهمها: نقص فى أعداد الطبقة العاملة والقادرة على الإنتاج، إذ إن شيخوخة السكان السريعة تعنى أن هناك عددا أقل من الناس فى سن العمل فى الاقتصاد. وهذا يؤدى إلى نقص فى المعروض من العمال المؤهلين، مما يجعل من الصعب على الشركات أن تسد احتياجاتها من الأيدى العاملة الماهرة المدربة. فالاقتصاد الذى لا يستطيع شغل الوظائف يواجه

عواقب سلبية، بما فى ذلك انخفاض الإنتاجية، وارتفاع تكاليف العمالة، وتأخر توسيع الأعمال التجارية، وانخفاض القدرة التنافسية الدولية. وفى بعض الحالات، قد يؤدى نقص الإمدادات إلى رفع الأجور، مما يؤدى إلى تضخم الأجور وخلق حلقة مفرغة من دوامة السعر/ الأجور. والى جانب ذلك فهناك زيادة تكاليف الرعاية الصحية: وبالنظر إلى أن الطلب على الرعاية الصحية يرتفع مع التقدم فى السن، يجب على البلدان ذات السكان المسنين سرعة تخصيص المزيد من الأموال والموارد لنظم الرعاية الصحية الخاصة بهم. وفى ضوء أن الإنفاق على الرعاية الصحية كنسبة من الناتج المحلى الإجمالى مرتفعة بالفعل فى معظم الاقتصادات المتقدمة، فإنه يصعب زيادة الإنفاق مع ضمان تحسين الرعاية والاحتياجات الاجتماعية الأخرى إذا كانت الرعاية الصحية ممولة من الحكومة أو من جهات تديرها الحكومة.

وعلاوة على ذلك، يواجه قطاع الرعاية الصحية فى العديد من الاقتصادات المتقدمة قضايا مماثلة، بما فى ذلك النقص فى الأيدى العاملة والمهارات اللازمة والكوادر البشرية المدربة، وزيادة الطلب على الرعاية المنزلية، والحاجة إلى الاستثمار فى التكنولوجيات الجديدة. كل هذه التكلفة تجعل من الصعب على النظم القائمة التعامل مع زيادة انتشار الأمراض المزمنة، ناهيك عن معالجة بما فيه الكفاية احتياجات طبقة كبار السن المطردة.

فضلاً عن ازدياد معدل الاعتماد على الغير (الإعالة): حيث تعتمد البلدان التى بها أعداد كبيرة من كبار السن على مجموعات أصغر من العمال تجمع فيها الضرائب لدفع تكاليف صحية أعلى واستحقاقات عالية للمعاشات التقاعدية، وغيرها من البرامج الممولة من القطاع العام. وقد أصبح ذلك أكثر شيوعا فى الاقتصادات المتقدمة حيث يعيش المتقاعدون على دخل ثابت مع شرائح ضريبية أصغر بكثير من العمال وامتيازات أعلى بكثير من العمال. ويمثل الجمع بين انخفاض الإيرادات الضريبية، وارتفاع الالتزامات المتعلقة بالإنفاق على الرعاية الصحية والمعاشات

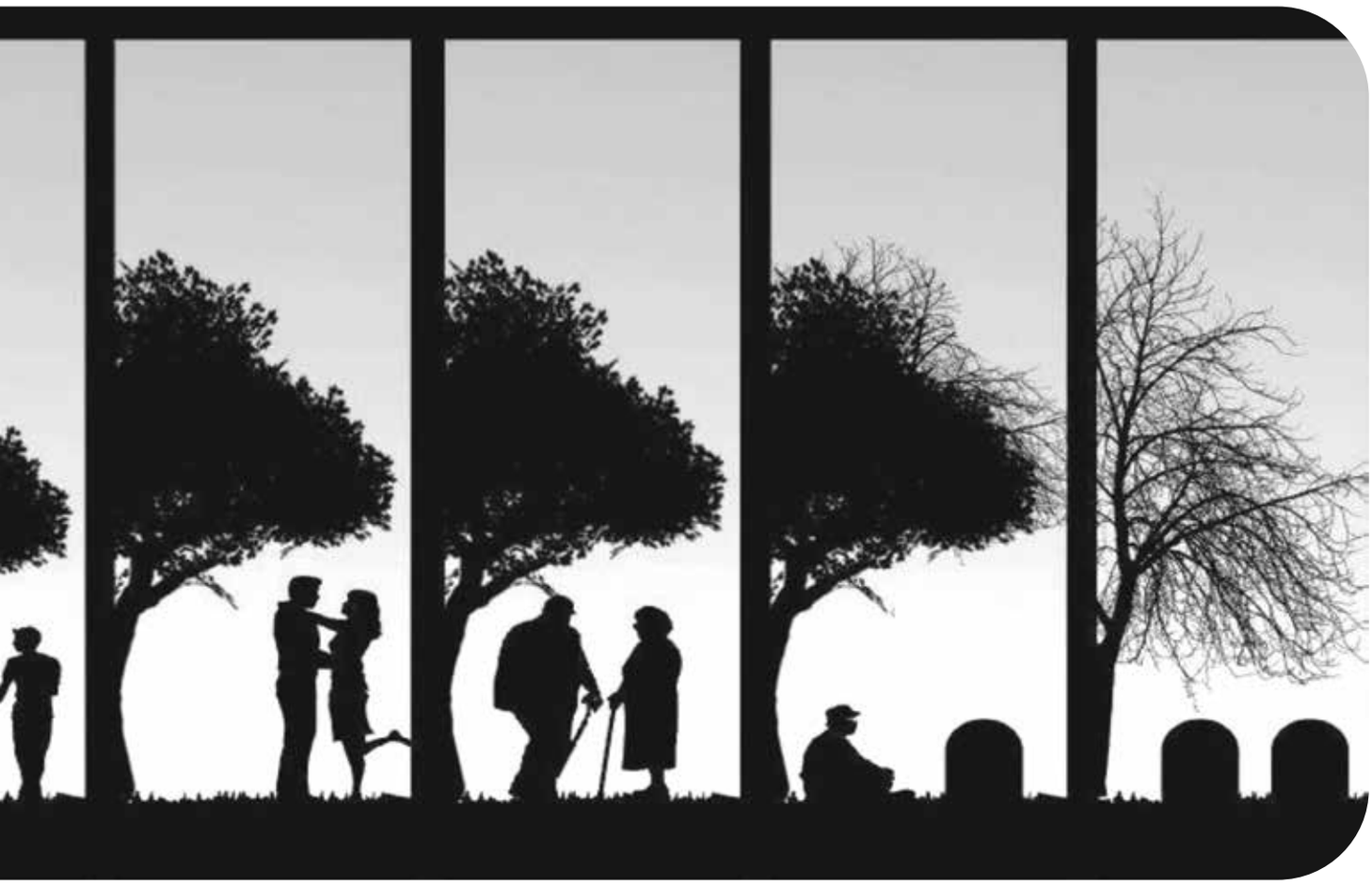

التقاعدية وغيرها من الفوائد شاغلاً رئيسياً للدول.

نسب الإعالة فى عام 2005 ونسب الإعالة المتوقعة فى عام 2050 طبقاً لمنظمة OECD

إلى جانب تغيرات فى هيكلية الاقتصاديات: حيث يحدث اختلاف فى عوامل دفع عجلة الاقتصاد، فعلى سبيل المثال، يميل السكان المسنون بسرعة إلى زيادة الطلب على خدمات الرعاية الصحية، ودور التقاعد. وعلى الرغم من أن هذا ليس سلبياً بالضرورة، قد تواجه الاقتصادات تحديات فى الانتقال إلى الأسواق التى تزداد مدفوعا بالسلع والخدمات المرتبطة بالمسنين. ومع تقدم السن فى الاقتصادات المتقدمة على مدى السنوات الخمس عشرة المقبلة، يبقى من الضرورى أن نرى

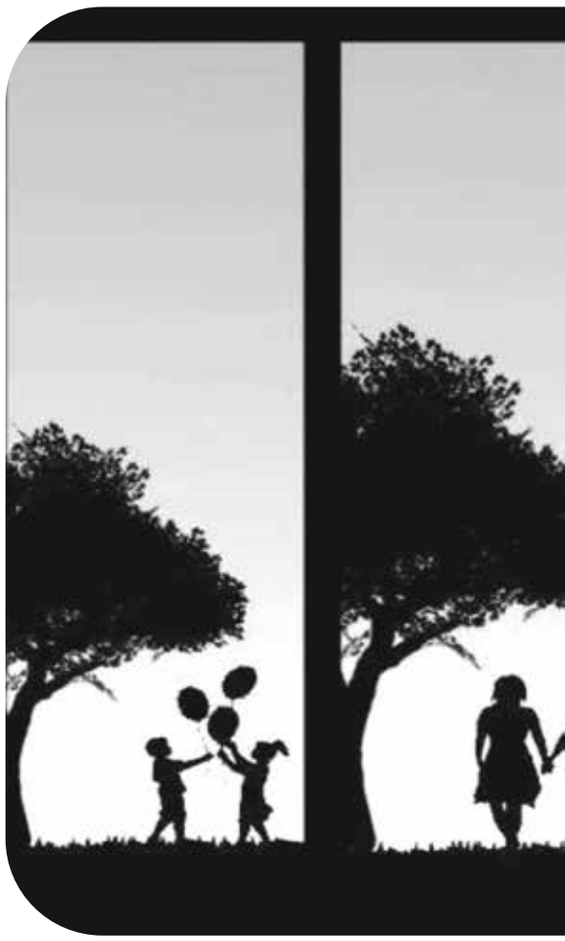

ما إذا كانت الحلول والسياسات التى تبنتها الدول ذات الكثافات العالية لكبار السن ستملأ الفراغات فى القطاعات التى يتركها السكان المسنون أو ما إذا كان يتعين على الاقتصادات أن تتكيف مع التركيبة السكانية المتغيرة.

ولعلاج التأثيرات السلبية بدأت الحكومات تتبع بعض الحلول يأتى على رأسها تسهيل بيئة العمل لمن هم فوق الخامسة والستين عبر استخدام التكنولوجيا الحديثة، وتبنى سياسات التدريب، والتعليم المستمر للموارد البشرية، رفع سن التقاعد إلى 67 سنة وربط سن التقاعد بمتوسط عمر السكان المتوقع كل خمس سنوات، تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار فى المعاشات والرعاية الصحية، زيادة الاستقطاعات والضرائب من أجل توفير عوائد ضريبية يمكنها تغطية المعاشات، زيادة تمكين المرأة ومساواتها فى هيكل الأجور بالرجل، وتشجيع الهجرة. ومن جهة أخرى، فإنه ينبغى التنويه أن هناك أوراقاً بحثية علمية تختلف اختلافاً كلياً مع ما سبق، ويأتى فى مقدمتها الورقة البحثية المقدمة من قبل الباحثين باسكوال ريستريبو وداورن اسيموجلو من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا فى 2017/1/12 بعنوان

Secular Stagnation? The Effect of Aging on Economic Growth in the Age of Automation، حيث جاء بالورقة على أنه خلافا لمجموعة من النظريات بما فى ذلك النظريات الحديثة على الديموغرافيات، لا توجد علاقة عكسية بين شيخوخة السكان ونمو الناتج المحلى الإجمالى حيث اعتمدت النظريات فى السابق على التركيز على قلة مشاركة الأيدى العاملة فى الإنتاج أو قلة إنتاجية العمالة ذات متوسط العمر المرتفع أو سوء الإدارة نتيجة رغبة جهة الإدارة فى زيادة المدخرات والناتج وعدم الإنفاق على الاستثمار مما يؤدى لتهالك كامل لكل الأصول الثابتة. ويعد هذا هو لغز كبير لعدة نظريات التى أصبحت متداولة على مدى السنوات القليلة الماضية، وأحد التفسيرات المحتملة لهذا النمط هو الاستجابة الذاتية للتكنولوجيا على وجه الخصوص، واعتماد تكنولوجيات تؤدى المهام التى كان يضطلع بها فى السابق العنصر البشرى من خلال ميكنة العملية الإنتاجية والاعتماد على التكنولوجيات التى تقلل من استخدام العمالة البشرية. حيث لاحظ الباحثان أن البلدان التى تشهد شيخوخة سكانية أسرع قد اعتمدت المزيد من الروبوتات والأجهزة والماكينات.

وختاماً فهناك حاجة ماسة للعمل المستقبلى الذى يحقق ويدقق بشكل منهجى فى العلاقة بين التغير الديموغرافى السكانى ونمو الناتج المحلى الإجمالي، فضلاً عن المتغيرات التى تعمل من خلالها هذه العلاقة حتى تتمكن وزارات التخطيط من وضع الخطط المستقبلية التنموية للمجتمعات وتمنع تدهور الوظائف المعرفية والإدراكية والبدنية والنفسية والجسدية بتقدم السن للأفراد.

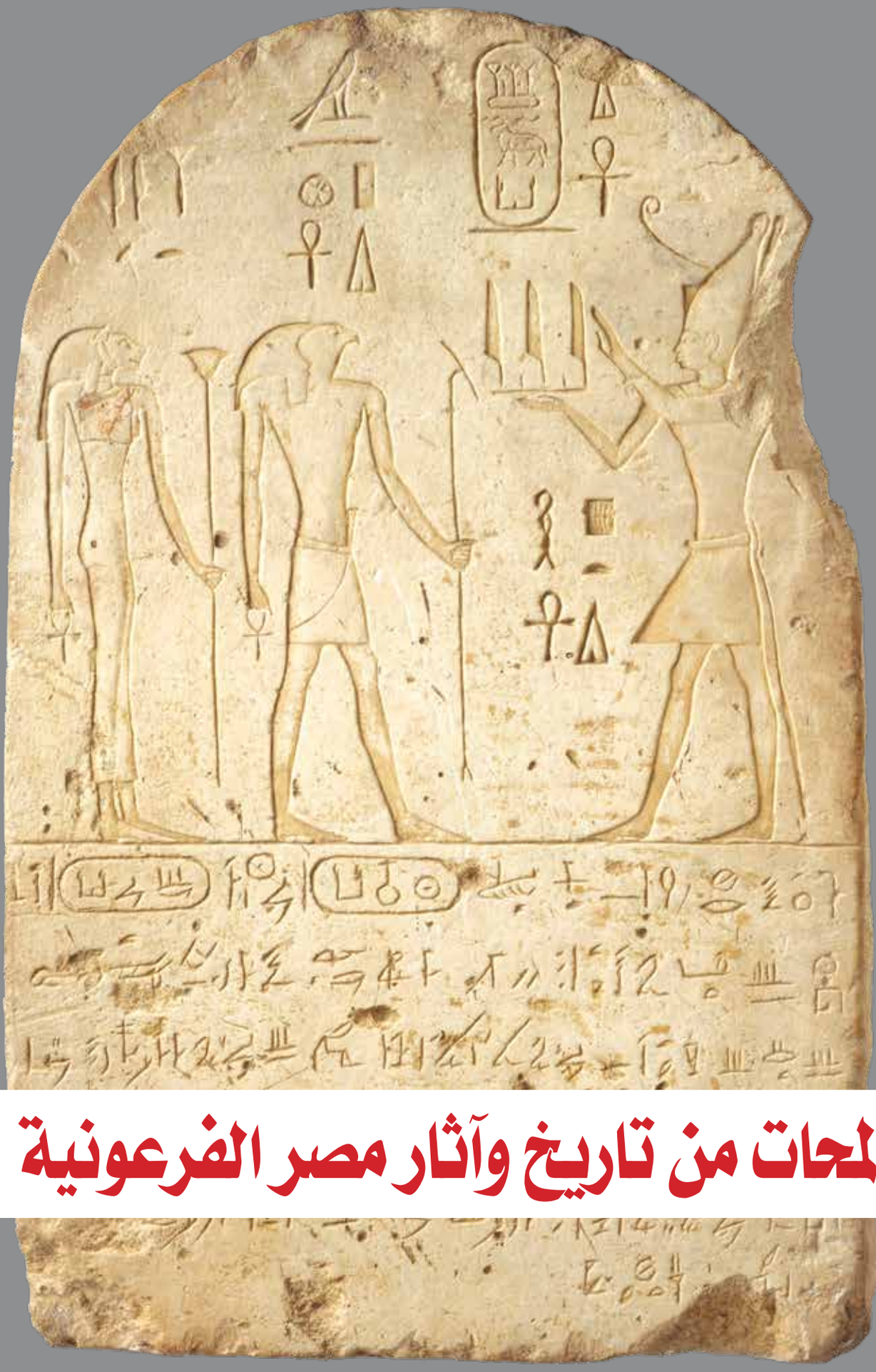

لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية

اصطلح المؤرخون على إطلاق تعبير «تاريخ مصر الفرعونية» على العصور التاريخية التى تعاقبت على مصر منذ بداية التوطن الإنسانى فى وادى النيل وحتى قدوم الإسكندر الأكبر إلى مصر عام 332 قبل الميلاد. كما اتفقوا على تقسيم هذا التاريخ إلى حقب تتميز عن بعضها البعض استناداً إلى اعتبارات سياسية أو اجتماعية أو حضارية محددة استلزمت هذا التقسيم. وبوجه عام فقد انقسم تاريخ مصر الفرعونية إلى فترتين متميزتين هما «عصور ما قبل التاريخ» أو «عصور ما قبل الأسرات»، و«العصور التاريخية» أو «عصور الأسرات». ويرجع السبب فى هذا التقسيم إلى اعتبار علماء الآثار أن اختراع الكتابة قد شكل عامل الفصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية. هذا وقد صادف اقتران معرفة المصرى القديم للكتابة وبداية عصر توحيد مملكتى الجنوب والشمال أى مصر العليا والسفلى، أو الصعيد والدلتا، فى دولة مركزية واحدة عاصمتها «منف».

تمثال من حضارة نقادة من سن الفيل، يرجع إلى الألفية الرابعة قبل الميلاد، ويبلغ طوله 24 سنتيمترا، ويوجد فى متحف اللوفر.

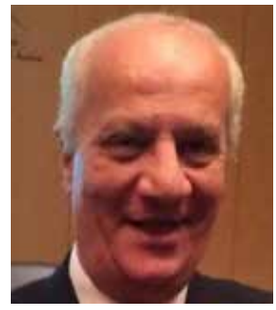

أ.د. محمد إبراهيم على
وزير الآثار الأسبق
moibrahim53@gmail.com

اعتمد الباحثون فى كتاباتهم عن تاريخ مصر القديم إبان عصور الأسرات على الوثائق المكتوبة بكافة أنواعها أما فيما يتعلق بعصور ما قبل التاريخ، فقد اعتمدوا على تطور المظاهر الفنية التى نشأت فى بعض المناطق الحضارية وخاصة فى مصر العليا. ومن المعروف أن الحياة الإنسانية فى مصر لم تبدأ على ضفاف النيل، وإنما قامت على الجبال والهضاب، حيث كانت الظروف الطبيعية القاسية تتحكم فى الإنسان، وكانت وسائل حياته محدودة وبدائية. وقد عاش الإنسان المصرى فى هذه الحقب حياة غير مستقرة متنقلاً من مكان إلى آخر بحثاً عن الغذاء، وسكن خلالها الكهوف واحترف صيد الحيوانات والطيور، واعتمد على جمع البذور والثمار من النباتات والأشجار.

سميت تلك الفترة باسم العصور الحجرية حيث شكل الحجر المادة الرئيسية فى صنع إنسان هذا العصر أدواته، وقد وجدت الكثير من الآثار لحضارات قامت فى الصحراء المصرية منذ قديم الأزل. وقام العلماء بتقسيم هذا العصر إلى ثلاث مراحل حضارية:

العصر الحجرى القديم الأول

بدأ هذا العصر فى مصر قبل 100 ألف سنة تقريباً قبل الميلاد. وقد صنع إنسان هذا العصر أدواته من الحجر، مثل السكين والمنشار والبلطة، وكانت كبيرة الحجم خشنة. وكان الفأس أهم الآلات الحجرية. وفى أواخر هذا العصر عرف الإنسان طريقة استخدام النار، وهو الانقلاب الحضارى الأول، عن طريق حك حجرين من الأحجار الصلبة بقوة، وقد أدى هذا الاكتشاف إلى تطوير حياة المصرى القديم، فاستخدم النار فى الطهو والإضاءة، وإبعاد الحيوانات المفترسة، وصيد الحيوانات. وتعددت بذلك مصادر غذاء الإنسان من أكل النباتات ولحوم الحيوانات، فتحسنت مصادر غذائه وسهل أكل اللحوم بعد طهيها استفادة جسم الإنسان منها. فكبرت دماغ الإنسان

صلاية شهيرة باسم "صلاية الصياد "، يرجع تاريخها إلى حضارة نقادة

بالنسبة إلى الجسم. واكتسب إمكانات جديدة فى التفكير والاختراع والتحكم فى العالم الذى يعيش فيه.

العصر الحجرى القديم الثاني

يعد أهم المراحل الثلاثة حيث ظهرت صناعات حجرية وانتشرت صناعة الآلات وتطورت، وخلاله ازداد الجفاف وقل المطر وانتشرت الأحوال الصحراوية، وتنتهى حضارات العصر الحجرى القديم حوالى عام 10.000 قبل الميلاد.

العصر الحجرى الحديث

يرجع إلى 6000 أو5500 قبل الميلاد، بعد أن قلت الأمطار وساد الجفاف واختفت النباتات فى أواخر العصر الحجرى القديم، اضطر الإنسان إلى ترك الهضبة واللجوء إلى وادى النيل (الدلتا والفيوم ومصر الوسطى) بحثاً عن الماء. فى هذه البيئة الجديدة اهتدى الإنسان إلى الزراعة، التى شكلت الانقلاب الحضارى الثاني، حيث بدأ فى الاستقرار وإنتاج الحبوب مثل القمح والشعير، واستئناس الحيوان والعناية به فربى الماشية والماعز والأغنام، وعاش حياة الاستقرار والنظام والإنشاء بدلاً من حياة التنقل. وتعلم الزراعة وكانت حضارة سابقة لحضارات ذلك الوقت. وأقام المساكن من الطين والخشب، فظهرت لأول مرة التجمعات السكانية على شكل قرى صغيرة، واعتنى الإنسان بدفن موتاه فى قبور، كما تطورت فى هذا العصر صناعة الآلات والأدوات حيث تميزت بالدقة وصغر الحجم، أيضاً صنع الأوانى الفخارية. ويتميز العصر الحجرى الحديث بالتحول إلى الزراعة والاستقرار، واستئناس الحيوان، وارتقاء صناعة الأدوات والأسلحة، وبناء المساكن والقبور، وأخيراً صناعة الفخار.

عصر المعادن

هو عصر استخدام المعادن، وهو العصر الذى يلى العصر الحجرى الحديث، وينتهى ببداية عصر الأسرات فى مصر القديمة. فى هذا العصر عرف المصريون القدماء المعادن، مثل النحاس والبرونز والذهب. وصنعوا من هذه المعادن أدواتهم وآلاتهم وحليّهم. وكان النحاس أوسع المعادن انتشاراً إذ استخدموه فى صنع الأزاميل لتكسير الأحجار. ثم اكتشفوا البرونز وهو خليط من النحاس والقصدير، ويتميز البرونز بصلابة أكبر من صلابة النحاس. وأهم مناجم النحاس كانت فى شبه جزيرة سيناء. وتطورت أيضاً فى هذا العصر صناعة نسيج الأقمشة، والأخشاب،

إناء من حجر الديوريت من حضارة نقادة الثانية

إناء من الفخار من حضارة نقادة الثانية عليه رسوم مراكب سفن.

والأوانى الفخارية. وبنيت المساكن من اللّبن بدلاً من الطين والبوص. وفرشت البيوت بالحصير المصنوع من نبات البردى، وصنعت الوسائد. وأهم ما يميز هذا العصر ظهور بعض العبادات، مثل تقديس الإنسان لبعض الحيوانات.

أهم حضارات عصر ما قبل التاريخ فى مصر

حضارة دير تاسا: تقع قرية دير تاسا على الشاطئ الشرقى للنيل

حجر باليرمو

قائمة الكرنك

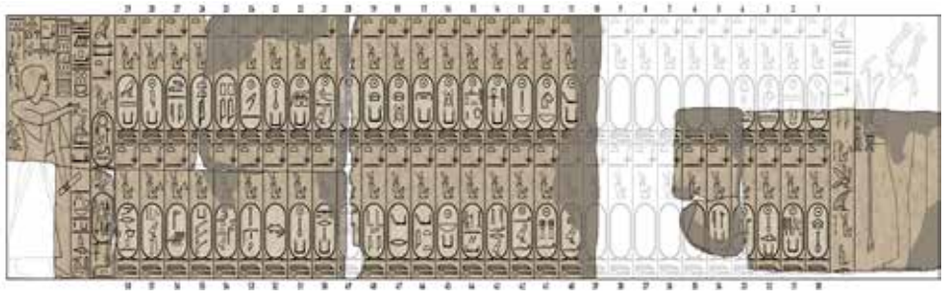

قائمة سقارة

بمركز البدارى بمحافظة أسيوط. وقد قامت الحضارة المعروفة بهذا الاسم حوالى 4800 ق.م حيث كان الموتى يكفنون فى جلود الحيوانات والحصير؛ وكانوا يدفنون بتوجيه نظرهم تجاه الغرب. ومن مميزات تلك الحضارة أيضاً صناعة الفخار الأسود. ويعتقد أن هذه الحضارة طور من أطوار حضارة البدارى.

حضـــارة مرمدة بنى ســـلامة (حوالى عام 4400 ق.م): تقع على الحافة الغربية للدلتا شـــمال غرب القاهرة بنحو 50 كم ومن مميزات تلك الحضارة دفن الموتى ووجوههم متجهة نحو الـــشرق ومعلوماتنا عن هذه الحضـــارة أقل من باقى الحضارات.

حضارة البـــداري: هى إحدى قرى الصعيد على الضفة الشرقية، بمحافظة أســـيوط. وقـــد قدمت حضارة البـــدارى دليلاً مؤكداً على وجـــود الزراعة فى عـــصر ما قبل الأسرات. وازدهرت هذه الحضارة فى فترة مـــا بـــين 4500 ق.م إلى 3800 ق.م وأهم ما يميزها إيمان أهلها بالبعـــث (الحياة الثانية بعد الموت) حيـــث وجد فى مقابر الموتى بعض الفخار والأدوات وحيوانات محنطة. واعتادوا على لف موتاهم بالحصير ودفنهـــم مع حيواناتهم المحببة أو بعض تماثيل للحيوان. وكانوا يضعـــون المتوفى فى حصيرة ثم يدفنونه فى حفرة ورؤوســـهم متجهة نحو الجنوب وناظرين نحو الغرب. كما تميزت هذه الحضارة بوجـــود طبقـــات اجتماعية وتم الاستدلال على ذلك من خلال دفن أفراد المجتمع البدارى من الأغنياء فى جزء آخر من ساحات المقابر. ولم تقتصر حضارة البدارى على صعيد مصر فقط بل امتدت تأثيراتها إلى جنوب وغرب أفريقيا.

حضارة نقادة الأولى، وســـميت أيضـــاً حضارة العمـــرة (3900 -3650 (ق.م) وقـــد وجدت آثار هذه الحضـــارة فى أكثر من موقع ابتداء من مصر الوســـطى وحتى الجندل الأول، وهى ترتبط حضاريا بحضارة العمرة (قرية تقع جنوب شرق العرابة المدفونة بمركز البلينا بمحافظة سوهاج الحالية. (تميزت هذه الحضـــارة بوجـــود صلات تجارية مـــع الواحة الخارجة غرباً والبحر الأحمر شرقاً. وكانت نقادة جبانة لإحدى المدن المصرية المهمة وهى مدينـــة «نوبت») قرية طوخ التابعة لمركز نقـــادة محافظة قنا حالياً) والتـــى كانت مركزاً لعبادة الإله ست. وقد عثر فى جبانتها على بعض الدبابيـــس وأدوات أخرى صغيرة مصنوعة من النحاس، أما عن مســـاكنها فقد كانت بسيطة بنيت مـــن فروع الأشـــجار التى تكسى بالطين. أمـــا مقابرها فقد كانت عبارة عـــن حفرة بيضاوية قليلة العمق، وكان المتوفى يسجى فى

قائمة ابيدوس

وضع القرفصاء ويلف أحيانا بجلد الماعز. وشهدت حضارة نقادة الأولى تحسن صناعة الأدوات الحجرية وتطور تقنيات حرق الفخار، حيث تميز فخار نقادة الأولى باحمراره كما كانت عليه نقوش فى أشكال هندسية. ومع تطور نقادة إلى حضارة نقادة الثانية نحو 3500 قبل الميلاد حدث تقدم فى صناعة الأوانى الحجرية وأتقنت صناعة الفخار كما بدأ المصرى القديم فى تزيين الأوانى الفخارية برسم الإنسان والحيوان والنباتات.

حضارة نقادة الثانية (3650 – 3300) ق.م.

تعتبر حضارة نقادة الثانية أوسع انتشارا وتقدماً من الحضارة السابقة وقد وجدت آثار تدل عليها فى نقادة نفسها، وفى مواقع أخرى فى الشمال فى طرخان، جرزة، وأبو صير الملق، وفى الجنوب فى بلاد النوبة فى وادى السبوع، عمدا، عنيبة.

مهدت نقادة الثانية إلى وحدة البلاد بعد ذلك فى العصور التاريخية حيث نجد تواصل الصلات التجارية السابقة، وكذلك بعض المناوشات الحربية بين الجنوب والشمال وقد ظهرت فى هذه الفترة البدايات الأولى للرسوم الجدارية (فى الكوم الأحمر قرب مدينة إدفو نحو عام 3500 قبل الميلاد(. وظهر الفخار الملون برسوم مراكب وأشكال الإنسان والحيوان والطير.

كما تميزت حضارة نقادة الثانية بإرسائها قواعد الحضارة الزراعية وبأنها خطت خطوات واسعة فى الصناعات الحجرية والمعدنية، وتوسعت فى استخدام النحاس فى صناعة الأدوات. كما استخدمت بعض الخامات غير المحلية مثل اللازورد، وهذا يدل على وجود صلات تجارية مع آسيا حيث يوجد اللازورد فى البلدان الحالية إيران وأفغانستان. كان استخدام اللازورد فى هذه الحقبة السحيقة.

ومن الجدير بالذكر وجود حضارة سميت فيما مضى باسم حضارة العَمرة ولكن اتضح لعلماء آثار ما قبل التاريخ بعد ذلك أن شواهدها الحضارية نفسها حضارة نقادة الأولى. كما ظهرت حضارة أخرى سميت «حضارة جرزة « واتضح بعد ذلك أنها امتداد لحضارة نقادة الثانية.

تطورت فى حضارة نقادة الثانية عملية بناء المساكن قياساً بمساكن أهل نقادة الأولى، وكانت مستطيلة وتبنى من الطوب اللبن. أما عن المقابر فقد بدت هى الأخرى أكثر تطورا عن ذى قبل حيث جرى تحديد جوانب الحفرة وتقويتها بتكسيتها بالطمى أو البوص والحصير. وقد عرف أهل هذه الحضارة الطوب اللبن فدعموا به جدران القبور ولم يقتصر الأمر فى بعض المقابر على

حجرة الدفـــن، فألحقت فى بعض الأحيـــان بحجرة صغـــيرة كانت مخصصة لحفـــظ الأوانى والأثاث الجنزى. واتبعـــت جبانات نقادة الثانية التقاليد السائدة فى حقبة ما قبل الأسرات الملكية من دفن الموتى فى وضع القرفصاء مع وضع بعض من الطعام والشراب والمتاع.

حضارة نقـــادة الثالثة) 3300 3050-) ق.م.

تختلف تلك الحقبة عما قبلها فى طريقة تجهيز الموتى وعلى الأخص أفراد الطبقة العليا. حيث زاد عدد غرف القـــبر إلى غرفتـــين وكانت توضع بهما الجثة المجففة للشخص ويوضع معه طعام وشراب وبعض الأثاث كما اســـتخدم النحاس على مجال واسع كما أتقنت الصناعات الفخارية، وكانت زخرفتها بأشكال الإنســـان والحيوان والنباتات، كما شـــكلت القوارب أيضاً عنصراً فنيا لتزيين الأوانى الفخارية. وظهرت إبان تلـــك الفترة مدينـــة بوتو فى الشمال، كما عثر على آثار من هذه الحضارة فى منطقة «منشـــية أبو عمر .»

لقد ذكر فيما سبق أن تاريخ مصر القديم ينقسم إلى عصور ما قبـــل التاريخ أو مـــا قبل الأسرات وعصور الأسرات. وربما حرى بنا قبل أن نســـير قدماً فى الحديث عن عصـــور الأسرات، إلقاء الضوء على أهم المصـــادر التـــى اعتمد عليها العلماء فى كتابتهم عن تاريخ مصر الفرعونية.

مصادر التاريخ المصرى القديم

إذ تنقســـم مصـــادر التاريخ المصرى القديم إلى النصوص الأثرية التى ســـجلها المصريـــون القدماء بأنفسهم ووردت على الآثار المصرية القديمة وهى تتمثل فى:

أولاً: القوائم الملكية مثل (حجر باليرمو) و(قائمة الكرنك) و(قوائم أبيدوس وســـقارة)، وكذا (بردية تورين):

أطلقت هذه التسمية على الجزء الأكبر من سبعة أجزاء متبقية من لوحة تذكارية كبـــيرة من البازلت الأسود على شكل صدفة غير منتظم أبعادها 43.5 سم طولا، و25 سم عرضًا، و6.5 سم سماكةً فى أعظم نقاطه. وتعرف هذه اللوحة باسم «الحوليات الملكية للدولة القديمة»، وقد ســـجل عليها قائمة بأســـماء ملوك مصر من عصر الأسرة الأولى بعد توحيد مصر الســـفلى ومصر العليا بدءًا من الملك نعرمر إلى بداية عـــصر الأسرة الخامســـة. وتنفرد هذه القائمـــة بذكر الأحداث المهمة فى كل ســـنة من ســـنين حكم كل ملك. ويعتقـــد أن اللوحة قد نحتت خلال عصر الأسرة الخامسة حوالى (2392-2283 ق.م.)

ولما كان هـــذا الجزء من اللوحة ســـابقة الذكر محفوظا فى متحف آثار أنطونيو ساليناس الإقليمى فى مدينة باليرمو بايطاليا فقد جاءت التســـمية المعروف بهـــا الحجر، أما بقية الأجـــزاء فهى موجودة فى متاحف القاهرة ولندن.

وقد تطلق أحيانًا عبارة «حجر باليرمو» على الأجزاء السبعة الباقية من الحوليات الملكية، بما فى ذلك تلك المحفوظة فى القاهـــرة ولندن، كما تطلق على المجموعـــة أحيانًا عبارة «حجر حوليات القاهرة»، رغم أن عبارة «حجر القاهرة» تســـتخدم للإشـــارة إلى الأجزاء الموجودة فى القاهرة فقط.

قام بنقش هـــذه القائمة الملك تحتمس الثالث على جدران إحدى حجرات مبنى الاحتفالات المســـمى «أخ منـــو» بمعبـــد الكرنك وهى موجـــودة حالياً بمتحـــف اللوفر بباريس. وتبـــين القائمة تحتمس الثالث واقفاً يقدم قرابين على أرواح 61 فرعوناً جالسين أمامه. ويوجد بجانب كل ملك أســـماؤه فى هيئة خراطيش. ويذكـــر النص الجملة التالية: «الملك من خبر رع (تحتمس الثالـــث) عسى أن يتمتـــع بالحياة والدوام والقـــوة والصحة مثل رع الأبدى. تقديم قربان «حتب-دي-نســـوت» (أى قربان يقدمه الملك) لملوك مصر العليا والسفلى».

قام الملك ســـيتى الأول (الأسرة الثامنة عشرة) بنقش هذه القائمة على الجدار الأيمن للممر المؤدى إلى حجرات الذبح فى معبده بأبيدوس بالعرابـــة المدفونة مركـــز البلينا محافظة سوهاج.

تحتـــوى القائمة على خراطيش لأسماء 76 فرعوناً حكموا مصر قبل سيتى الأول، ابتداء من الأسرة الأولى وتبدأ بالملك مينـــا موحد القطرين البحرى والقبـــلي، وتنتهى القائمة بســـيتى الأول. لم تذكـــر القائمة بعض أسماء الملوك من الذين حكموا مصر خلال الفترة الانتقالية الأولى كما تنقصها أســـماء ملوك الفترة الانتقالية الثانية وأســـماء خمسة من الأسرة الثامنة عشرة، لم يذكروا لأسباب سياسية أو دينية وهم:

- حتشبسوت التى اعتلت الحكم قبل تحتمس الثالـــث الذى كان لا يزال صغيرا، وكشـــط اسمها بعد ذلك من جدران المعابد فى عهد قديم.

- أخناتون الذى استبدل عبادة آمون بعبـــادة الإله آتـــون الممثل بالشمس.

وبالإضافة إلى إخناتون فلا تذكر القائمة من خلفوه الذين استمروا على عبادة أتون:

- عنخ غبرو رع.
- توت عنخ آمون، والذى كان قبل ذلك «توت عنخ آتون».
- آى

كان ما يعرف باسم قائمة سقارة فى الأصل حائطاً من مقبرة أحد موظفى عصر رمسيس الثانى (ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة) ويدعى تورى. ويشتمل النص المحفوظ حالياً فى الدور الأرضى بالمتحف المصرى بالتحرير، على أسماء ثمانية وخمسين ملكاً مرتبة ترتيباً تراجعياً حيث أنها تبدأ برمسيس الثانى وتنتهى بالملك مينا.

وهى إحدى البرديات التى تعود إلى عصر رمسيس الثانى ومحفوظة حاليا بمتحف تورينو بإيطاليا. وقد اكتشفت هذه البردية فى منطقة دير المدينة بغرب طيبة بواسطة برناردينو دروفتى (المعروف بقنصل نابليون) قبل عام 1824م تقريبا، وقد كتبت هذه البردية، التى تعتبر من المصادر المباشرة للبحث فى تاريخ الحضارة المصرية، حوالى عام 1160 ق.م. على ورق بردى بالمداد الأسود، مسجلة أسماء أكثر من 300 من الملوك وسنين حكمهم وأعمالهم من عصر ما قبل الأسرات حتى الأسرة الثامنة عشرة. وأهم ما يميزها أنها قسمت الملوك إلى مجموعات نسبت كل مجموعة منها إلى العاصمة التى استقرت فيها.

ثانياً: كتابات المؤرخين والرحالة مثل تاريخ مانيتون والرحالة من اليونانيين والرومان مثل هيرودوت (450 ق.م) وديودور الصقلى (59ق.م) واسترابون (24ق.م) وبلوتارك (100م). ويمثل هذا النوع من المصادر ما ورد فى كتابات الرحالة اليونانيين والرومان الذين زاروا مصر فى فترات مختلفة ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الثانى للميلاد. ويعتبر هذا المصدر أقل المصادر دقة لأسباب عدة، منها أن هؤلاء الرحالة لم يكونوا على علم باللغة المصرية القديمة عندما زاروا مصر فاعتمدوا فى تسجيل الأحداث على المترجمين والوسطاء فجاءت كتاباتهم مبتورة ومنافية للحقائق فى بعض الأحيان. ومن الأسباب أيضا أنهم زاروا مصر فى فترات ضعفها أو كانت بلادهم فى حالة عداوة مع مصر، ونذكر منهم على سبيل المثال «هيرودوت» و«ديودور الصقلي» و«بلو تارك الروماني»، ويكفى أن يرجع القارئ إلى كتابات هيرودوت عن مصر ليلحظ ما فيها من التجنى وعدم الموضوعية فى معظم ما ذكروه عن مصر وشعبها.

أما فيما يتعلق بمانيتون فهو مؤرخ مصرى قديم من مدينة سمنود فى محافظة الغربية، وكان كاهناً فى عهد الملك بطليموس الثانى «فيلادلفوس 280ق.م» الذى كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة. وأخذ مانيتون هذه المهمة على عاتقه واعتمد فى كتاباته على الوثائق التى خلفتها الحضارة المصرية والتى كانت تضمها دور حفظ الوثائق بالمعابد بالإضافة إلى كل ما وجده فى متناول يديه من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها. ولكن ولسوء الحظ فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون أثناء حريق مكتبة الإسكندرية، ولم يصلنا من هذا التاريخ إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين، ومنهم على سبيل المثال المؤرخ اليهودى «يوسيفوس» الذى حاول أن يرفع من شأن بنى جنسه ذاكراً أنهم هم الهكسوس الذين غزوا مصر بعد انهيار الدولة الوسطى. ومن المؤرخين كذلك المؤرخ الإفريقى «جوليوس» الذى نقل فى مؤلفه بعض أسماء الملوك التى كانت مدونة فى تاريخ مانيتون الأصلى. وبالتالى لا يكون هذا التاريخ معتداً به إلا فى حالة تأكيد المعلومة من الآثار والمصادر الأخرى. ومن أكثر ما يعيق العلماء عملية مقابلة أسماء الملوك التى كتبت باللغة اليونانية مع ما يقابلها من أسماء كتبت على الآثار باللغة المصرية القديمة.

وبناء على تقسيم مانيتون لملوك العصر الفرعونى إلى ثلاثين أسرة فقد دأب العلماء على بدء عصور مصر التاريخية بالأسرة الأولى، غير أنه نتيجة للأبحاث الأخيرة تم الاتفاق على بدء العصور التاريخية بالأسرة «صفر» على النحو الذى سوف نتناوله فيما بعد.

وهكذا فإن اتجاه التقسيم المعمول به الآن هو:

- عصر ما قبل الأسرات ويقصد به الأسرة صفر.
- عصر الأسرات المُبكر ويسمى أيضا العصر العتيق أو العصر الثِّينى -3200 2780 ق.م ويضم الأسرتين اللتين يبدأ بهما التاريخ المُدوَّن لمصر وهما الأسرتان الأولى والثانية. وقد بدأت هذه الفترة مع توحيد الملك مينا لمصر العليا

والســـفلى حيث كانت «ثني» التى تقع بالقرب من»أبيدوس» العَرَّابة المدفونة، مركـــز البَلِّينا، محافظة سوهاج هى عاصمة مملكة الجنوب قبل أن تنشأ عاصمة مصر الموحدة التى يُنسب إنشـــاؤها للملك مينا والتى سُميت منف.

3 – الدولة القديمة أو عصر بناة الأهرام: اصطلح العلماء على إطلاق أى من هاتين التسميتين على الفترة التى تلت العصر العتيق وتشـــمل الأسرتـــين الأولى والثانية. وكان من أوائل حكام هذه الفترة الملك زوسر صاحب المجموعة الهرمية بسقارة (الهرم المـــدرج). ويطلق على هذا العـــصر عصر بناة الأهـــرام نظرا لبداية وجود الأهرامات فى العمارة المصرية القديمـــة وبكثرة. فكان عندنا من بقايا تلك الفترة الأهرامات الثلاث بالجيـــزة. والدولة القديمة تتكون من أربع أسرات (من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة وحكمت هذه الدولة (حوالى 2780 ق.م إلى 2263 ق.م) علمـــاً بتعدد الآراء بخصوص تواريخ حكم هذه الدولة. ورغـــم ذلك فلايزال تاريخ الدولة القديمة غـــير معروف على وجه الدقة. فحوليات حجر باليرمو مختصرة ومشـــوهة فى الكثير من أجزائها. ويصعب الاســـتعانة بها لمعرفة تاريخ هذه الأمة، ولا يوجد لدينـــا إلا الاعتماد عـــلى ما ذكره مانيتون ونقوش بعض مقابر كبار الأفراد وخاصة فى سقارة والجيزة.

4 – عـــصر الانتقـــال الأول أو عصر الاضمحلال الأول: هو الاسم الذى أطلقه علمـــاء المصريات على الفترة ما بين نهاية الدولة القديمة سواء بنهاية الأسرة السادسة – فى رأى بعض علماء الآثار– أو بنهاية

الأسرة الثامنـــة كما يعتقد البعض الآخر، وحلول الدولة الوسطى.

5 – عصر الدولة الوسطى: يعتبر هذا العصر، الذى يشـــمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، من أزهى عصور مصر الفرعونية، حيث ســـمى بعصر الرخاء الاقتصادى بسبب قيام ملوك الدولة الوسطى بالعديد من المشروعات لاســـتثمار الموارد الطبيعية من أجل النهوض بالبلاد وذلك بعد أن نجح منتوحتب الثانى فى إعـــادة توحيد البلاد مرة أخرى بعد حالة الفوضى التى حلت بمصر فى عهد العصر الانتقالى الأول وقـــد جاء قبله من حـــاول توحيد البلاد إلى أن أصبح منتوحتب الثانى هو حاكم مـــصر وأعاد إليها نفس الحالة التى كانـــت عليها فى عهد الدولة القديمة.

6 – عـــصر الانتقـــال الثاني: ذلك هو الاســـم الذى أطلقه علماء المصريات عـــلى الفـــترة ما بين نهايـــة الدولة الوســـطى وبداية الدولة الحديثـــة. وفى هذه الفترة حكم الملوك الرعـــاة أو ما عرف بالهكســـوس جـــزءا مـــن مصر واتخذوا من أواريس بشرق الدلتا عاصمة للبلاد وكونوا الأسرات من 15 إلى 17 ولأنهـــم كانوا حكاماً غير مصريين لم يسمهم المصريون بالفراعنة إنمـــا أطلق عليهم لفظ ملوك الرعـــاة. ويعتقد البعض، ضمن بضـــع نظريـــات، ربطاً بالقصص الدينـــي، أنه فى عصر حكم الهكســـوس لمـــصر حدثت مجاعة عالمية كان الفضل ليوسف بن يعقـــوب العبرانـــى فى حلها، وظلوا بها حتى خرجوا منها على يـــد الملك المـــصرى أحمس الأول مؤسس عصر الدولة الحديثة.

7 – الدولـــة الحديثة وهو عصر الإمبراطورية المصريـــة: وامتد فى الفترة بين القرن الســـادس عشر قبل الميلاد والقـــرن الحادى عشر قبل الميلاد، وتغطى الأسرة الثامنة عشرة، والأسرة التاســـعة عشرة، والأسرة العشرين.

8 – عصر الانتقـــال الثالث: هو الاسم الذى أطلقه علماء المصريات على الفـــترة ما بين نهايـــة الدولة الحديثة وحلـــول الأسرة المصرية الســـادســـة والعشرين ويشـــمل الأسرات من 21 إلى 25.

9 – العصر المتأخر: وقد جاء بعد عصر الانتقال الثالث وقبل مجيء الإســـكندر الأكبر إلى مصر وبداية العصر البطلمى، أى قبل عام 332 قبل الميلاد.

المتحف المصرى الكبير

هدية مصر للإنسانية

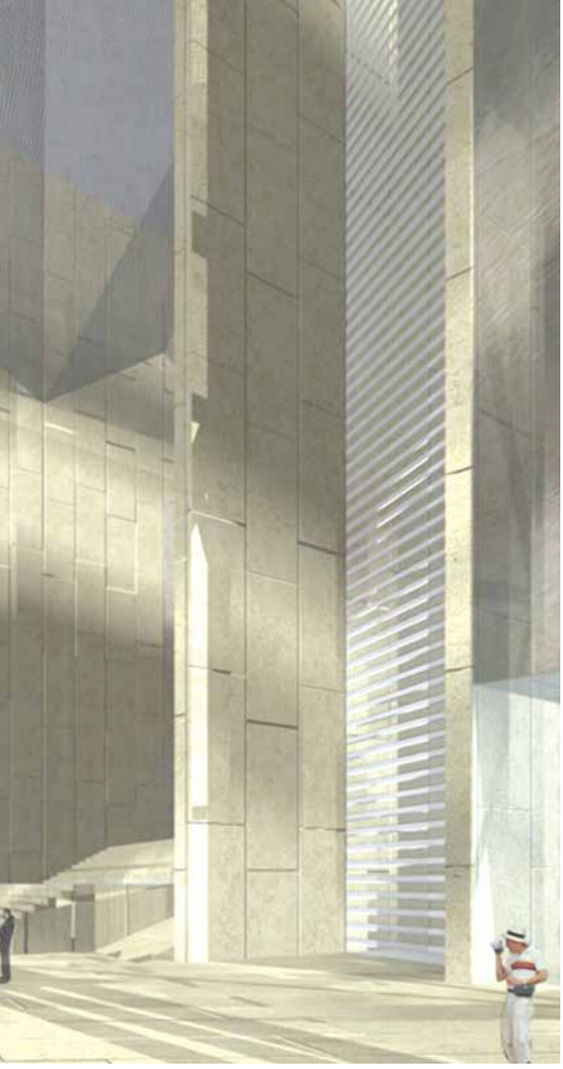

يسأل الكثيرون عن أسباب تأخر افتتاح المتحف المصرى الكبير GRAND EGYTIAN MUSEUM رغم مرور عدة سنوات منذ أن وضع الرئيس الأسبق مبارك حجر أساسه عام 2002، ورغم توقيع اتفاق الشراكة مع اليابان عام 2006، والذى حصلت مصر بمقتضاه على قرضين «فى 2006 و2016» بلغت قيمتهما معاً حوالى 770 مليون دولار. فالكل يذكر العملية الناجحة التى نفذتها المقاولون العرب لنقل تمثال رمسيس الثانى الذى يزن 38 طناً من موقعه القديم فى ميدان المحطة بالقاهرة فى 25 أغسطس 2006 ليوضع فى موقعه الجديد مدخل المتحف الكبير، ويتساءل الناس متى يمكن زيارة ذلك الملك العظيم وهو واقف بشموخ على الدرج العظيم بمدخل المتحف مرحباً بالزوار الذين سيبلغ عددهم بإذن الله خمسة ملايين سنويا.

مجمع ثقافى حضارى عالمى متكامل

حقيقة الأمر هى إنه- بعد سنوات من التوقف أو التباطؤ فى معدلات التنفيذ بسبب الظروف التى مرت بها مصر- فإن العمل يجرى حالياً على قدم وساق للانتهاء من تنفيذ أضخم مشروع لبناء أكبر متحف للآثار، سيكون ضمن أهم ثلاثة متاحف فى العالم. فالمتحف المصرى الكبير هو مجمع ثقافى حضارى عالمى متكامل، يقدم تجربة فريدة ورائدة للإنسانية، بتعريفها عن قرب بالحضارة المصرية وبالتراث المصرى من خلال عرض المقتنيات الأثرية فى أجواء جمالية تضاهى حضارتنا القديمة بعمارتها المتميزة وفنونها الرفيعة، فى عصورها الفرعونية واليونانية والرومانية، وذلك باستخدام أحدث ما فى العصر من تقنيات المعرض المتحفى وتكنولوجيا المعلومات.

سفير هشام الزميتي

hisham_elzimaity@yahoo.com

لقد تم اختيار موقع فريد لإقامة المتحف، عند نقطة التقاء طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوى مع طريق القاهرة الفيوم، والطريق الدائرى، وذلك على مساحة 117 فداناً منها 110 آلاف متر مربع للمبنى الرئيسى، والذى يتيح عرض مائة ألف قطعة أثرية من الأحجام المختلفة. أما باقى المساحة فتشمل مركزاً حديثاً لترميم الآثار، ومركزاً للحفظ والتسجيل، إلى جانب مركز للمؤتمرات والسينما، ومكتبة أثرية، ومعهد للدارسين، ومتحف وحديقة للطفل، وموقع لعرض مراكب الشمس خاصة المركب الثانية للملك خوفو، التى يقوم فريق يابانى متخصص بقيادة عالم المصريات البروفيسور يوشيمورا حالياً بمهمة استخراج أجزائها من الأرض، ومعالجة الأخشاب بشكل علمى وإعادة تركيبها، لتصبح رمزا حيًا للصداقة المصرية اليابانية.

تصميم يمزج الحداثة بهيبة التاريخ

أما عن تصميم المبنى، والذى خضع لمسابقة عالمية تقدم لها 1557 متسابقاً وفاز فيها

الدرج العظيم بالمتحف الكبير

الاستشـــارى SHIH FU PENG، فإنه جـــاء عبقريـــاً إذ زاوج بين حداثة القرن الحادى والعشرين فى الشكل الخارجى للمبنى، وسلاسة التحـــرك داخله مـــن ناحية وعبق التاريخ الذى تعكسه هيبة صحراء هضبة الأهرامـــات من ناحية ثانية. ففكرة تصميم المتحف مســـتوحاة من الأهرامات الثلاثة، حيث ينطلق من كل هرم إشعاع، لتلتقى الثلاثة إشـــعاعات فى نقطة واحدة تحدد جســـم المتحف. فالزائر حين يصل سيجد أمامه واجهة المتحف المسماة «حائط الهرم» ومساحتها 600 متر عرضاً و50 متراً ارتفاعا ثم يخطو إلى الداخل ليجد أمامه تماثيل ملوكنا العظماء رمسيس الثانى وأمنحوتب الثالث والإله حورس فى اســـتقباله على الـــدرج العظيم، ثم يبدأ زيارته بالصعود إلى الطوابق الخمسة التى يحويها المتحف، مستمتعًا بعرض متحفى غير مسبوق، وبعد أن تتاح للزائر- فى ختام زيارته- مشـــاهدة المجموعة الكاملـــة للملك توت عنخ آمون «5000 قطعة» والتى لا تعتبر كنز مـــصر فقط وإنما كنز البشرية كلها، سوف يجد الزائر نفسه واقفاً أمام بانوراما يشـــاهد من خلالها الأهرامات الثلاثـــة فى ختام تجربة فريـــدة وتنويرية وثريـــة، يقدمها الشعب المصرى هدية إلى الإنسانية.

هذا و قـــد روعـــى فى تصميم اللافتـــات الإرشـــادية بالمتحف أن تكون باللغات العربية والإنجليزية والهيروغليفية ليعايش الزائر أجواء المـــاضى التاريخيـــة، خاصة وأن المتحف ســـيتميز بأحدث الأساليب التكنولوجيـــة مســـتخدماً الواقع الافتراضى فى العـــرض للمزيد من الإثارة والتشـــويق والتعليم ونشر المعرفة.

وتجدر الإشـــارة إلى أن «مركز الترميم» بالمتحـــف، والذى افتتح عـــام 2010، قد تم تزويده بأحدث الأجهزة العلمية المتاحة. ويضم هذا المركز ســـتة معامـــل منها «معمل الخزف والزجاج والمعادن»، الخاص بترميم الأوانى والتماثيل المصنوعة من المواد غـــير العضوية، و«معمل الأخشاب» المختص بترميم التوابيت والتماثيل والأثاث الجنائزى والنماذج الخشـــبية والمراكـــب والنواويس الخشـــبية، و«معمـــل الأحجار»، و«معمل الميكروبيولوجى» المختص بتحديد أنواع الكائنات الحية المسببة لتلف الأثر مما يسهل تحضير المواد الكيميائيـــة اللازمة لوقف نمو هذه الكائنات، و«معمل الميكروســـكوب

عبقرية التصور الهندسى لعلاقة مبنى المتحف بالاهرامات

الإلكترونى الماسح» الخاص بوسائل تجهيز العينات والمكونات الكيميائية قبل إرسالها لمعمل الميكروبيولوجى، و«معمـــل المومياوات» الخاص بترميم المومياوات مـــن الحيوانات ومن الطيور خاصة طيور أبومنجل «الإله حورس»، وقد ساهمت اليابان فى تأهيل وتدريب ألفين من العاملين فى هذه المجالات، يعمل منهم حاليا مائتى خبير مصرى من خيرة شبابنا فى عمليات ترميـــم وتجهيز القطع التى سيتم عرضها بالمتحف.

اكتمال البناء عام 2018

إن الشراكة مع اليابان فى تنفيذ هذا الصرح الثقافى العالمى، تعكس مدى احـــترام وإعجاب الشـــعب اليابانى بالحضارة المصرية القديمة. فرئيس الوزراء اليابانى شينزو آبى حـــين زار مصر فى ينايـــر 2015، حـــرص على أن يتوجـــه من مطار القاهرة إلى موقـــع المتحف الكبير مباشرة ليعطى دفعة قوية للعاملين فى المشروع، والذين يصل عددهم إلى ثمانية آلاف عامـــل، يبذلون أقصى الجهد للانتهـــاء من تنفيذ المشروع فى موعده المقرر فى 4 نوفمبر 2022 متزامنـــاً مع مـــرور مائة عام على اكتشاف هاوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون بوادى الملوك. أما فى ربيع عام 2018 فمن المتوقع إقامة مرحلة تجهيز المتحف لاستقبال الزوار. إن المتحف المصرى الكبير مدعاة فخر لكل مصرى ومصرية، وهو مشروع قومى يســـتحق الدعم والمساندة، لأنه بحق، وكما يقـــول الأثريون، الهرم الرابع يشـــيده المصريون فى القرن الحـــادى والعشرين بأحدث تكنولوجيا يتيحها العصر الحديث.

پانوراما لمشاهدة الاهرامات

عملية استخراج دقيقة لاجزاء من مركب خوفو الثانية

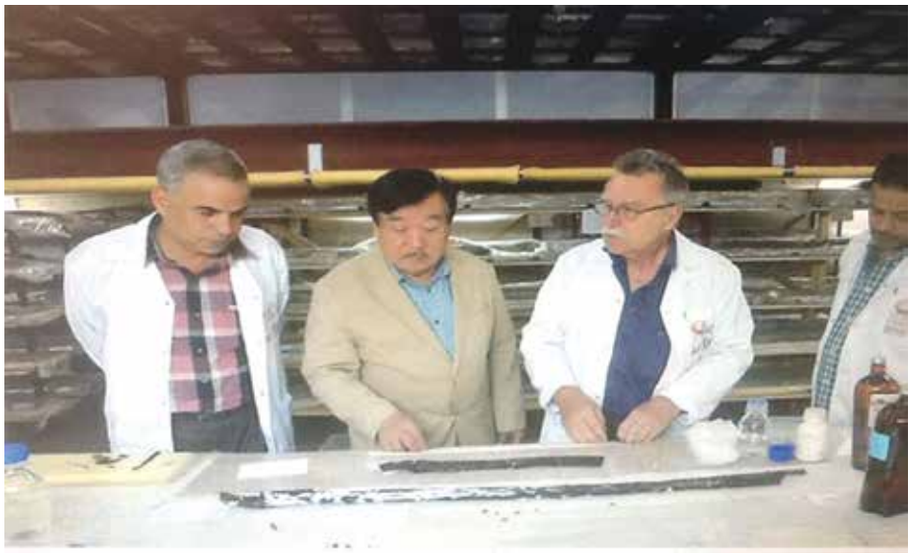

پروفيسور يوشيمورا ومعاونيه يتدارسون قطع من مركب الشمس

أسماء عريقة لمدن مصرية (الجزء 3)

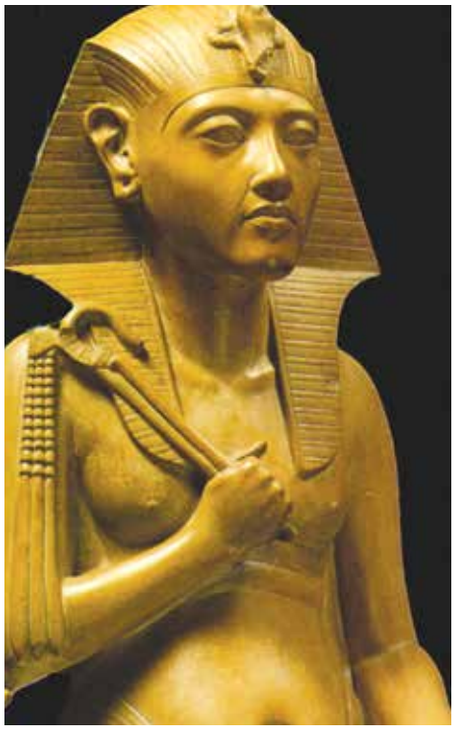

سفير محمد عهدى خيرت

makhairat@gmail.com

صان الحجر:

تقع صان الحجر فى محافظة الشرقية شمال شرق فاقوس، وكانت عاصمة للإقليم التاسع عشر من أقاليم الوجه البحرى وعاصمة لمصر كلها فى مدة طويلة من الزمن، وعرفها المصريون باسم «جعن»، أما الإغريق فقد حرفوها إلى تانيس. واسمها حاليا «صان الحجر» مأخوذ من اللغة المصرية القديمة «زعن - ت»، وسميت « تانيس» فى العصر الإغريقى الرومانى. وكانت إحدى مدن مصر المهمة فى الدولة الحديثة، وكانت عاصمة الإقليم الرابع عشر من أقاليم الوجه البحرى، وعثر فيها على آثار من الأسرة الرابعة والأسرة الثانية عشرة، ولكن يرجح العلماء أن هذه الآثار جلبت من أماكن أخرى أيام الملك رمسيس الثانى. واشتهرت «صان الحجر» بمعبدها الكبير الذى يرجع تاريخه إلى عصر الملك رمسيس الثانى ومازالت بها بعض المسلات الجرانيتية، كما عثر بها على جبانة ملكية وسور معبد الإله «عنت» وتضم الجبانة مقابر الملوك بسوسنس الأول وأمنمؤبى (الأسرة الحادية والعشرون)، وأوسركون الثانى وشاشانق الثالث (الأسرة الثانية والعشرون)، وملك يسمى «حقا - خبر - رع» (شاشانق) لم يكن اسمه معروفا قبل العثور على قبره. ويعتقد بعض العلماء أن أواريس عاصمة الهكسوس كانت فى هذه المنطقة، وهى أيضا «بر - رعمسو» عاصمة ملوك الرعامسة أيام الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين.

«صفط الحنة:

تقع «صفط الحنة» فى محافظة الشرقية قرب مدينة الزقازيق، وكانت عاصمة لأحد أقاليم الوجه البحرى، عرفها الإغريق باسم فاكوسا، وربط بعض العلماء بين هذه المدينة وأرض جوش التى كان يعيش فيها العبرانيون عند إقامتهم بمصر.

الطود:

تقع الطود على الضفة الشرقية للنيل بجانب أرمنت، بها معبد للإله «منتو» أسسه الملك سنوسرت الأول، وأعاد البطالمة بناءه، ومن أهم مميزات هذا المعبد البحيرة القديمة، واسم البلدة مشتق من اسمها فى العصر القبطى ثاووت، أما اسمها فى العصر الإغريقى فكان توفيوم.

طيبة:

تقع مدينة طيبة بمحافظة قنا، وبدأت الحياة فيها منذ العصور الحجرية القديمة، ثم كانت عاصمة لأحد أقاليم الصعيد أثناء الدولة القديمة فعاصمة مصر كلها فى الدولة الوسطى، ثم اتسعت فى عصر الدولة الحديثة لتصبح أكبر وأهم مدينة فى العالم القديم. وقال عنها الشعراء الإغريق أنها المدينة ذات المائة باب، وعرفت المدينة منذ أقدم العصور باسم «واست» ومعناها الصولجان وكان رمزا للحكم والسلطة فى مصر القديمة، ثم أطلق عليها الإغريق اسم طيبة وسماها العرب الأقصرين ثم أصبحت الأقصر.

العريش:

أهم مدن شاطئ سيناء، كانت منذ أقدم العصور ميناء مهما على البحر ومركزا إستراتيجيا على الطريق الحربى الكبير والذى كان يعرف باسم «طريق حورس»، وكانت تسير عليه الجيوش فى طريقها إلى فلسطين. وكانت العريش أحد المراكز الرئيسية للجيش المصرى فى الدولة الحديثة، ولكن لم يبق من حصونها ومعابدها القديمة شىء يذكر وذكرها جغرافيو الرومان تحت اسم «رينوكرورا» ومعناه مقطوعة الأنف، وفسر المؤرخ سترابون ذلك بأن بعض الذين كانوا يرتكبون جرائم كبيرة كان يحكم عليهم بقطع أنوفهم ونفيهم إلى هناك.

العلمين:

عندما تعرضت مصر للغزو

من ليبيـــا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أقام الملك رمســـيس الثانى حصنا كبيرا وشيد داخله معبدا.

الفرما:

وتســـمى أحيانا تل الفرما، وهو الاســـم العربى للبلـــدة التى عرفت قديما باســـم بلوزيوم وكانت أهم حصون الدفاع عن الدلتا من ناحية الشرق. وموقع المدينة الحالى خال من الســـكان وهو على الشاطئ الشرقى لبورســـعيد ولا يوجد بـــه إلا آثار قليلة من بقايـــا الحصون والمعابد. وكانت هذه المدينة عامرة فى العصور القديمة لأن أحد فروع النيل القديمة عرف بالفرع «البلوزى» كان يمر على مقربة منها وكانت محاطة بالحدائق والحقول.

الفيوم:

تضـــم الفيـــوم منخفضـــا من الصحراء الغربية يرويه بحر يوسف ويعده الجغرافيون إقليما متميزا له شخصيته الخاصة وطابعه الفريد، ففيه تلتقى الحياة النيلية المستقرة بالحياة الصحراوية البدوية، وكان يسمى فى العصر الفرعونى «بايوم» بمعنى البحيرة أو الماء، ثم فى القبطية «فيوم». وعثر فى الفيوم على آثار من العصر الحجـــرى الحديث فى أماكن صغيرة انتشرت حول بحيرة قارون فى المرتفعات الغربية فى «ديميا» و«كوم أوشـــيم» و«قصر الصاغة». وأمكن تقسيم حضارة الفيوم الحجرية إلى فترتين الأولى اعتبرت ممثلة لحضارات العـــصر الحجرى الحديـــث المبكر، والثانية هى تطـــور طبيعى للفترة الأولى وترجع إلى عهد يســـبق قيام الأسرات الفرعونية بقليل. وتشـــتهر محافظة الفيوم بآثارها وخاصة آثار الدولة الوسطى التى ارتبطت ارتباطا وثيقا بهذا الإقليم، ونفذت فيها عدة مشروعات لعل أشهرها مشروع السد الذى أنقذ بـــه الملك أمنمحات الثالث (الأسرة الثانية عـــشرة) جانبا كبيرا من أراضى الفيـــوم من الغرق بمياه الفيضان وحول جانبا آخر إلى خزان. كما تشـــتهر الفيـــوم بآثارها التى ترجع إلى عـــصر اليونانى الرومانى وبالقرب منها أطلال عاصمة الإقليم القديمـــة المعروفة باســـم «كيمان فارس». واشتهرت الفيوم فى العصر الإغريقى – الرومانى بالبورتريهات التى عثر عليها فى هذه المنطقة، وهى فى الأصل رسم وجه الشخص المتوفى على تابوتـــه، ولكن تم نزع كثير من هذه الصور مـــن التوابيت لتصبح بورتريهات. وبالرغـــم من أن هذه البورتريهات عثـــر عليها فى أماكن كثيرة فى مصر، إلا أنها سميت جميعا بورتريهـــات الفيـــوم ربما لأن أول البورتريهات التى اكتشفت كانت فى الفيوم.

القصير:

ميناء على البحر الأحمر، كان منذ أقدم العصور نهايـــة درب القوافل التى تربـــط البحر الأحمـــر بنهر النيـــل، وهو الطريق الـــذى كان له احترام خاص أيام الفراعنة، وكانوا يســـمونه طريق الفراعنة أو طريق الآلهة، ويعرف الآن باســـم طريق وادى الحمامات، وكان هذا الطريق يبدأ عند قفط فى أقدم العصور ومع مرور الزمن شـــاركتها مدن أخرى مثل الأقصر وقـــوص وقفا. وكانت القصير تعـــرف فى العصور القديمة باســـم «ثاعـــو»، وفى العصر الذى ســـبق العصر البطلمى كانت تسمى «أنيوم». وفى عصر بطليموس الثانى ســـميت «فليوتراس» ثم «لويكس ليمن» أثناء الحكـــم الرومانى. وفى العصور الوســـطى ظل لهذا الميناء أهميته لأنـــه كان أحد الموانى المهمة التى يعبر منها الحجاج مصر وشمال إفريقيا إلى شـــبه الجزيرة العربية. وذكرها كتاب العرب باسم «عيذاب».

قنا:

لعبت منطقة قنـــا دورا مهما فى التاريخ الفرعونى، فقد كانت بعيدة عن الغزوات القادمة من الشـــمال والجنوب فصارت مركـــزا صالحا لمقاومـــة المعتدين. ولهذا الســـبب تزعمـــت حركات الوحـــدة فى كافة العصـــور الفرعونيـــة. وكانت قنا دائما عامرة بالسكان نظرا لموقعها الإستراتيجى. وأطلق عليها الإغريق اسم «كينوبوليس» وهو أصل اسمها الحالى.

القنطرة:

الاســـم الحديث لمدينة محصنة قديمة كانت تعرف باســـم «ثارو» أيام الفراعنة و«سيلا» أيام الإغريق والرومان. وكانت أهم حصون الدفاع عن مصر جهة الـــشرق ومقرا دائما لبعض فرق الجيش ومركز انطلاق جميـــع الجيوش إلى غرب آســـيا فى الدولة الحديثة. وكانت مدينة «ثارو» القديمة وحصونها على شاطئ إحدى القنوات القديمة وكان فوقها قنطرة يتحتم على كل قادم من سيناء أن يمر عليها بعد حصولـــه على إذن بذلك، وبعد تسجيل اسمه وتاريخ وصوله، وكانت الحقـــول والحدائق تحيط بالبلدة القديمة وكان لنبيذها شهرة كبيرة. وعرفها النـــاس حتى أوائل القرن التاسع عشر باسم القناطر.

قوص:

تقع بلدة «قوص» جنوب مدينة قنا، واشتق اسمها الحالى من اسمها الفرعونى «جوص» الذى تحرف فى العصر القبطى إلى كوس، أما الإغريق فأطلقوا عليها اسم «أبوللونوبوليس بارفا» أى مدينـــة أبوللو الصغيرة، وبها معبد بطلمـــى مازال مطمورا وتعلو المساكن الحالية أكثر أجزائه، وبالقرب منه تمتد منطقة واســـعة من الخرائب الأثرية ترجع إلى عصور مختلفة. وازدهـــرت البلد فى بداية العصر الإســـلامى وأصبحت المدينة الثانية بعد الفسطاط.

القوصية:

تقـــع «القوصيـــة» عـــلى ترعة

الإبراهيمية شمال مدينة أسيوط، وهى مكان المدينة القديمة التى كانت تسمى فى العصور الفرعونية «قسى» وكانت عاصمة الإقليم الرابع عشر من أقاليم الوجه القبلى وأسماها الإغريق «كوسا»، ومن هذه الأسماء جاء الاسم الحالى للبلدة. وعبدت فيها حتحور ولا يوجد بها حاليا أى بقايا أثرية.

كوم أشقاو:

منطقة أثرية بمحافظة أسيوط كانت تسمى فى العصر الإغريقى أفروديتوبوليس أى مدينة أفروديت، ويرجع تاريخها إلى العصور الفرعونية، وكانت من البلاد المزدهرة فى العصر البطلمى ومازالت أكثر بقاياها الأثرية لم تكتشف وإن كان العلماء على يقين من وجود آثار قديمة فى هذه المنطقة وما عثر عليه حتى الآن يعود إلى العصر المتأخر من التاريخ المصرى.

شارونة:

تقع جنوب مدينة مغاغة بمحافظة المنيا، فوق أطلال المدينة القديمة «حت - نسوت»، وفى جبانة المدينة بعض المقابر من الدولة القديمة وجبانة من العصر المتأخر والعصر البطلمى وبقايا معبد بطلمى صغير.

الكوم الأحمر: (نخن)

تقع قرية الكاب «نخن» شمال إدفو، وعرفها الإغريق باسم هيراكينوبوليس أى مدينة الصقر، وكانت لهذه المدينة أهمية كبرى فى عصر ما قبل الأسرات والعصور المبكرة، وظل المصريون بوجه عام والملوك بوجه خاص يحملون لها منزلة خاصة طوال العصور الفرعونية لأن هذه المدينة كانت العاصمة الدينية لملكة الوجه القبلى فى عصر ما قبل الأسرات، كما وجد بها كثير من الآثار التى ترجع لهذا العصر مثل صولجان الملك العقرب وآثار ترجع إلى العصر العتيق وللدولة القديمة كتمثال الملك بيبى الأول (الأسرة السادسة). ولا يزال بالموقع قلعة قديمة من اللبن وبعض أطلال المدينة القديمة.

كوم أمبو:

تقع على بعد أربعين كيلومترا شمال أسوان، كانت تسمى فى العصر الفرعونى «نبت» أى الذهبية، ثم وردت فى القبطية تحت اسم «أمبو» وفى اليونانية أمبوس ومنها اشتق اسمها الحالى. وكشف بالقرب منها فى قرية السبيل عن حضارة مصرية ترجع إلى العصر الحجرى الحديث الأعلى، كما كانت للمدينة أهمية كبرى فى العصور القديمة.

كيمان فارس:

تقع كيمان فارس فى الشمال من مدينة الفيوم الحالية، وهى عبارة عن مساحة واسعة من الكيمان، هى بقايا مدينة «شدت» العاصمة القديمة للفيوم التى عبدت سوبك، ولذلك سماها الإغريق كروكوديلوبوليس أى مدينة التمساح، كما أطلق عليها بطليموس الثانى اسم زوجته أرسينوى عندما اختار إقليم الفيوم لتنفيذ كثير من مشروعاته فى الرى واقتطع الكثير من أراضيها لليونانيين الذين أقاموا فى الإقليم مدنا كثيرة. وازدهرت المدينة بوجه خاص فى عصر الأسرة الثانية عشرة، وأطلالها الحالية أوسع ما عرف من بقايا المدن المصرية القديمة.

مصر والاجانب فى الألفية الأولى قبل الميلاد

تأليف: جونتر فريمان

ترجمة وتقديم: عبد الجواد مجاهد

المركز القومى للترجمة ٢٠٠٨

مرجع هـــام عن الاجانب والاقليات فى مصر القديمة ودليـــل وثائقى على أن مصر لم تكن مجتمعا منغلقا، بل منذ فجر الحضارة، ومهد التاريخ مجتمع يحتوى الاخر، ويعرف التعددية ويؤمن بالتنوع. خلال تســـعة فصول يستعرض المؤلف الالمانى»جونتر فينمان»، ومن خلال ترجمة رائعة وموســـوعية ثقافية شاملة ومتخصصة للمصرى المقيم فى المانيا البروفسيور عبد الجواد مجاهد نـــرى واقع الحياة الاجتماعية والسياســـية المصرية (مصر والليبيون، علاقات مصر بأشور وبابل، مصر والفينيقيون، الوثائق الارامية، مصر والفرس، الكاريون فى مصر، مصر والعرب القدماء، اليونانيون والمصريون قبل العصر الهلينســـتى،تأملات) ثم ملاحق للاشكال والخرائط واللوحات (461 صفحة).

مرجع مهم عـــن الأجانب والأقليات فى مصر القديمة ودليل وثائقى على أن مصر لم تكن مجتمعاً منغلقاً، بل منذ فجـــر الحضارة، ومهد التاريخ مجتمـــع يحتوى الآخـــر، ويعرف التعددية ويؤمـــن بالتنوع. خلال تسعة فصول يســـتعرض المؤلف الألمانـــى «جونتر فينمـــان»، ومن خلال ترجمة رائعـــة ومتخصصة للمصرى المقيم فى ألمانيا البروفسيور عبدالجواد مجاهد نرى واقع الحياة الاجتماعيـــة والسياســـية المصرية (مصر والليبيـــون، علاقات مصر بآشـــور وبابل، مصر والفينيقيون، الوثائق الآراميـــة، مصر والفرس، الكاريون فى مـــصر، مصر والعرب القدماء، اليونانيـــون والمصريون قبل العصر الهلينســـتى، تأملات) ثم ملاحـــق للأشـــكال والخرائط واللوحات (461 صفحة).

مصر عرفـــت التعدديـــة الثقافية والانفتاح منذ قديم الأزل

أحمد سعيد المصرى

كاتب متخصص فى أدب نجيب محفوظ

elmasry.ahmed1966@gmail.com

يتحدث المترجم «اتصلت مصر على مدار الألفية الأولى قبل الميلاد بشعوب أجنبية مختلفة واعتمدت طبيعة تلك الاتصالات ودرجتها بقدر كبير على أصحاب تلك الحضـــارات الأجنبية المعنية الذين ظهـــروا كمجموعات مختلفة توافدت على مصر، تارة غزاة وحكاما وتارة أخرى تجارا وجنودا مرتزقة وحرفيين». فى الفصل الأول (مصر والليبيون) يلاحظ أن الليبيين تسللوا عبر الحدود منذ فترات طويلة حتى تمكنـــوا من تولى زمام الحكم مـــن الداخل، وبدأ عـــصر الليبيين مع تولى «شوشـــنق الأول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين وانتهى مع عصر الأسرة الثالثة والعشرين. وعبر الوثائق يوضح الكاتب كيف تمصر الليبيون وأصبحوا مصريين عقيدة وثقافة، ثم فى الفصل الثانى يتحدث عن «الآشـــوريين والبابليين» الذين سكتت عنهم الوثائق المصرية عكس الليبيين واعتبرتهم أجانب. لكن عبر المصادر الآشورية التى تحدثت عن ســـلب طيبة ونهبها لأنه كان يحكم علاقـــات مصر حتى عهد «آشـــور بانيبال» كثير من الخوف وسوء الظن والعداء. ثم فى الفصل الثالث «مصر والفينيقيـــون» لا نتعرف فقط على صلات مـــصر التجارية والتاريخية القديمـــة بفينيقيا أو وســـاطتهم ونقل الأبجديـــة إلى اليونانيين، بل الإنجاز الحضارى المهم للفينيقيين من خـــلال نشرهم لأشـــياء مادية مصرية أو متمصرة فى منطقة البحر

المتوسط. والوجود الفينيقى فى الواقع الحياتى المصرى بوصفهم تجارا فى أنحاء متفرقة وتراجمة فى جيش الصاويين وحججا فى أبيدوس وسرابيوم سقارة بل ووجود عائلات فينيقية الأصل فى واحة البحرية.

تأثير مصر فى الأدب والفنون ومعتقدات البعث والخلود على الأجانب

ثم يتناول المؤلف فى الفصل الرابع «الوثائق الآرامية» ويدلل على استيطان أعداد كبيرة من الآراميين واليهود فى جاليات كبيرة منتظمة والموروث الأدبى الآرامى مثل النقوش الملونة فى إحدى مقابر مصر الوسطى، وقصة حوار ابن بونيش وقصة الحكيم اخيقار. ثم فى الفصل الخامس «مصر والفرس» حيث فى عام 525 غزا قمبيز مصر. ويلاحظ العداء الشديد للمعتقدات والثقافة الفارسية. ثم يتناول المؤلف فى الفصل السادس «الكاريون فى مصر» أقوام أخرى وفدت إلى مصر بأعداد ضخمة واستقروا بها فى جاليات كبيرة منظمة. مجىء هؤلاء الكاريون جنود مرتزقة، ثم اندماجهم داخل المجتمع المصري، وبرؤية جديدة فى الفصل السابع «مصر والعرب القدماء» نتعرف على علاقات مصرية قديمة ونقوش المخربشات النبطية والثمودية فى سيناء والصحراء الشرقية. ويثبت من خلال الوثائق البردية الديموطية وجود «عرب» واستيطانات عربية فى مصر الوسطى منذ الفترة المتأخرة للقرن الرابع قبل الميلاد، بل فى مناطق أخرى متفرقة ومن خلال برديات يونانية ونقوش بالقرب من أدفو ووادى الحمامات. وعالج المؤلف فى

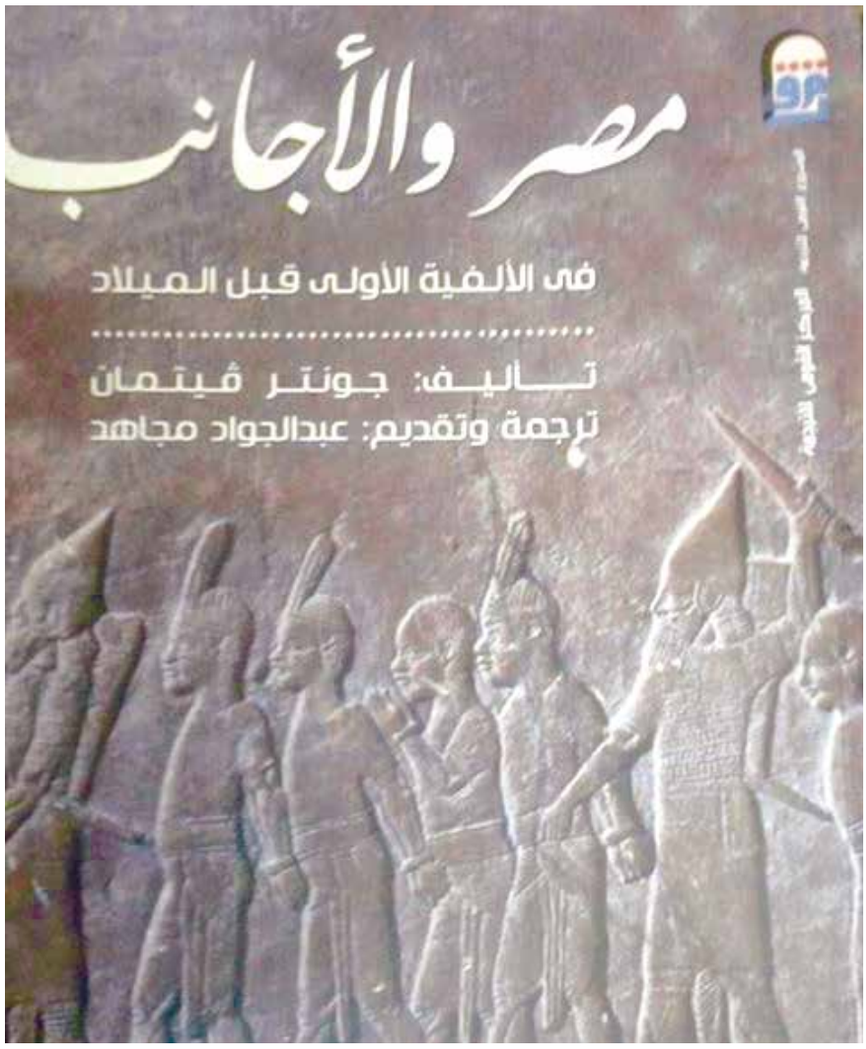

الفصل الثامن «اليونانيون» الوجود اليونانى الذى ظهر واضحا وجليا فى شكل جاليات كبيرة منظمة قبل العصر البطلمى والخلفية العسكرية اليونانية، ثم ينتقل بنا المؤلف إلى الفصل التاسع «مصريون فى الغربة» وهو فصل طريف ومهم للغاية حيث وجود جاليات منظمة فى بلاد العرب والشام وأسرى حرب مصريين فى بابل وآشور وفارس، والنفوذ المصرى من خلال هؤلاء المصريين المغتربين خارج الحدود المصرية. ويستعين المؤلف «جونتر فينمان» بكم هائل من الشواهد الأثرية المتعددة وما تواتر عن الرحالة والمستكشفين والمؤلفين الكلاسيكيين الذين زاروا مصر أو كتبوا عنها فى أعمالهم وما جاء فى الأدب القديم والملاحم الشعرية الهوميرية والعهد القديم. ويتحدث المؤلف عن تعدد الثقافات فى المجتمع المصري، وتأثيرات مصر فى مجال الأدب والفنون ومعتقدات البعث والخلود على الأجانب وتسمية الأسماء والزواج المختلط وانصهار المعتقدات الدينية المختلفة وصور التعايش السلمى بين المصريين والأجانب. ولم يفته وجود احتكاكات دينية ومشاحنات يغلب عليها تطرف دينى مبتذل، لكنه كان فى حالات نادرة وقليلة. «الأجانب فى مصر» مرجع مهم وثرى وصورة شاملة عن مصر التى عرفت التعددية الثقافية والانفتاح منذ قديم الأزل.

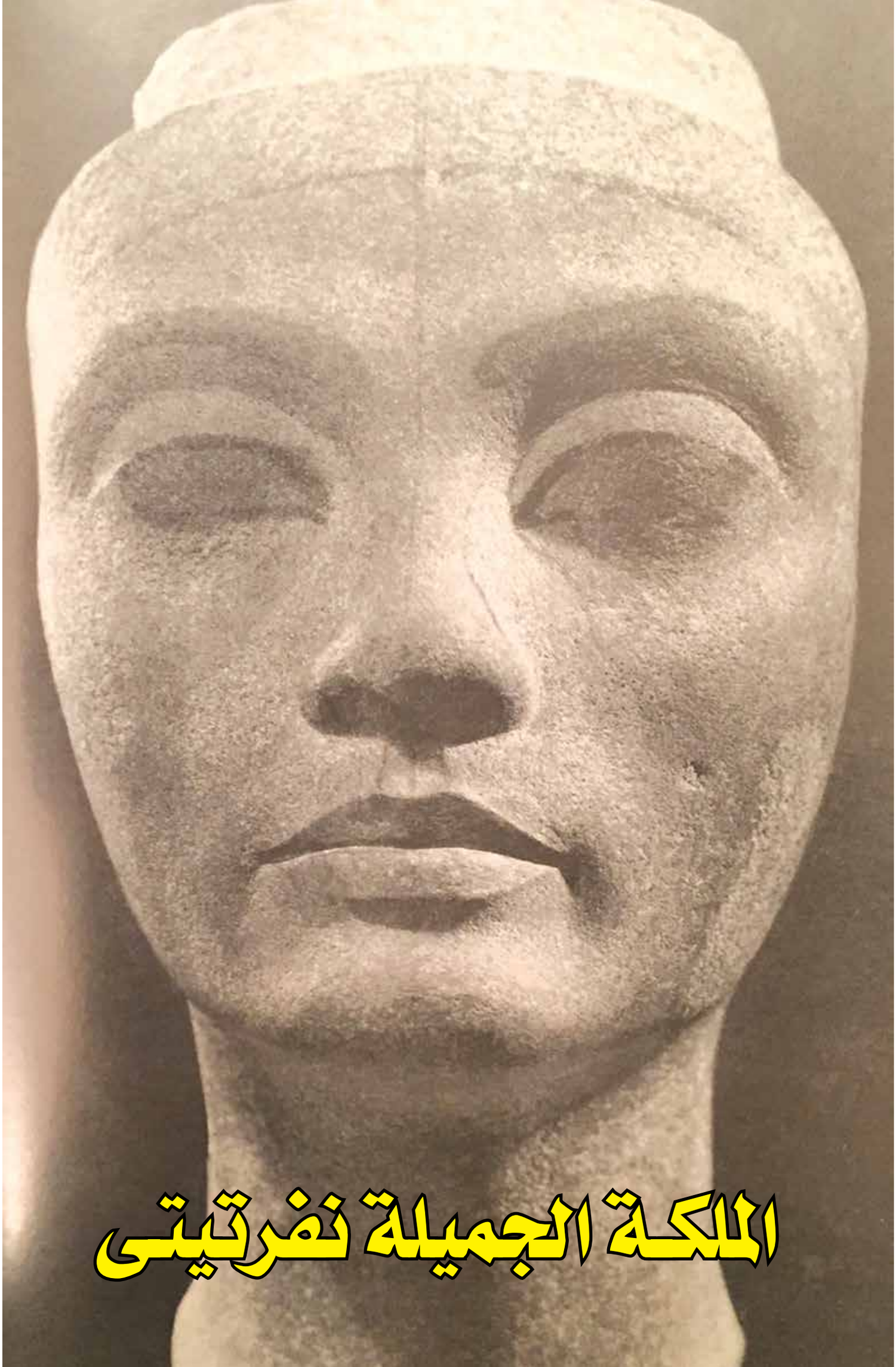
الملكة الجميلة نفرتيتى

لم تشتهر ملكة فى التاريخ بجمالها كما اشتهرت وعرفت نفرتيتي، والتى يعنى اسمها "الجميلة أتت"، وتعد من السيدات صاحبات النفوذ اللاتى لعبن دوراً مهماً فى تاريخ مصر القديمة، وقد بدأت حياتها كملكة تجلس إلى جوار زوجها الملك إخناتون من عصر الأسرة الثامنة عشرة فى الفترة من (1350-1334 ق.م) ولقبت نفرتيتى بالعديد من الألقاب فهى الأميرة الوراثية، عظيمة المديح، سيدة النعمة، عذبة الحب، سيدة الأرضين، زوجة الملك العظيمة، حبيبته، سيدة كل النساء، وسيدة الجنوب والشمال. بدأ الزوجان إخناتون ونفرتيتى حياتهما فى طيبة، ثم انتقلا بديانتهما الجديدة إلى تل العمارنة فى مصر الوسطى. وقد أنجبت نفرتيتى للملك إخناتون ست بنات ولم تنجب له ولداً.

من المعروف أن نفرتيتى لم تكن ابنة الملك، فهى إذا لا تنسب للملك أمنحوتب الثالث. ولا يعرف أصلها على وجه اليقين حتى الآن، وقد اختلف العلماء فيما بينهم، فمنهم من رأى أنها ذات أصول أجنبية، وأنها الأميرة الميتانية تادوخيبا التى وصلت إلى الحريم الملكى فى عصر الملك أمنحوتب الثالث والد إخناتون وعوملت كابنة لأمنحوتب الثالث، وقد أخذت اسماً مصرياً «نفرتيتي» بمعنى الجميلة أتت، ربما ليناسب قدوم هذه الفتاة الجميلة إلى مصر، ثم تزوجها إخناتون إلا أن هذا الافتراض غير مؤكد بمصادر لذا فهو محل نقد من العديد من المتخصصين. ومنهم من يعتقد أنها بنت الكاهن آى الذى جلس على العرش بعد وفاة توت عنخ آمون، خاصة وأن زوجته لقبت بمرضعة نفرتيتي، إلا أنه أيضاً محض التخمين.

وفى الفترة من 2007-2009 أجريت العديد من الفحوص والأبحاث على مومياوات ملوك الأسرة الثامنة عشرة بالمتحف المصرى فى محاولة لمعرفة والدى توت عنخ آمون. ومحاولة التعرف على مومياوى السيدتين اللتين كشف عنهما فى مقبرة الملك أمنحوتب الثانى رقم 35 بوادى الملوك والمعروفتين بمومياء السيدة العجوز (KV 35 EL) ومومياء السيدة الشابة (KV 35 YL) وفحصهما من خلال تحليل الحامض النووى الـ DNA ومحاولة معرفة الصلة الجينية بين السيدتين وأمنحوتب الثالث وإخناتون وتوت عنخ آمون، وخرجت الفحوصات باحتمالية كبيرة بأن السيدة العجوز هى الملكة تى زوجة الملك أمنحوتب الثالث وأم الملك إخناتون، وأن هناك صلة جينية بينها وبين السيدة الشابة والتى يحتمل أنها الملكة نفرتيتي، كما يحتمل أنها قد تكون الملكة كيا، وأنها على أى الأحوال ذات صلة جينية بالملك توت عنخ آمون ويحتمل أيضاً أن تكون أمه، وكلها احتمالات قد ترجح إلا أنها لم تصل لليقين.

وعلى الرغم من أن تحليل الحامض النووى للسيدتين العجوز والشابة أثبت لحد كبير وجود صلة بينهما وبين توت عنخ آمون والملك أمنحوتب الثالث ومومياء الملك التى عثر عليها فى المقبرة 55 بوادى الملوك، التى كثر عليها الخلاف بين الأثريين فيعتقد البعض أنها للملك سمنخ كارع شقيق إخناتون الأصغر وخليفته على العرش، ويعتقد البعض الآخر أنها للملك إخناتون نفسه، ولا يوجد ملك باسم سمنخ كارع بل هو لقب العرش الذى اتخذته نفرتيتى لنفسها

أ. د. ممدوح الدماطى
وزير الآثار السابق

eldamatymamdouh@yahoo.com

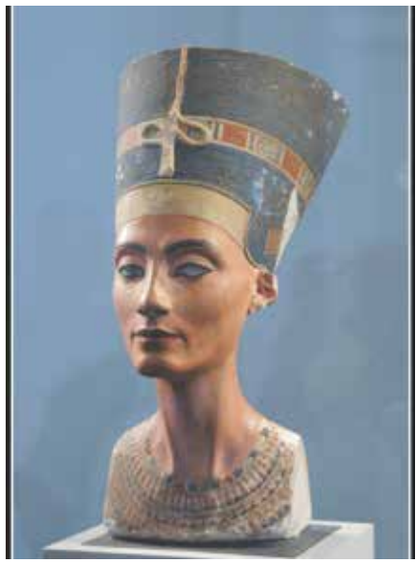

عند انفرادها بالحكم بعد وفاة زوجها الملك إخناتون، وأنها انتقلت إلى طيبة ونقلت مومياء إخناتون وأعادت دفنه فى المقبرة 55 بوادى الملوك. إلا أن هذه الفحوصات لم تقدم لنا دليلا قاطعاً عن ماهية السيدة الشابة، فقد تكون إحدى بنات الملك أمنحوتب الثالث والملكة تي، وقد تكون كيا الزوجة الثانوية لإخناتون وأم توت عنخ آمون وربما ابنة أمنحوتب الثالث من إحدى زوجاته الثانويات، وقد تكون مريت أتون بنت إخناتون ونفرتيتى وزوجة سمنخ كارع، وقد تكون نفرتيتى نفسها، وعلى أى الأحوال فهى أغلب الظن أم الملك توت عنخ آمون، وهنا أستبعد أن تكون نفرتيتى التى ظهرت على آثارها مع إخناتون وفى صحبتهما بناتهما ولم يظهر معهما ولد ذكر قط، كما أستبعد أيضاً مريت أتون لصغر سنها لتكون أم توت عنخ آمون، يبقى إذاً إحدى بنات أمنحوتب الثالث وكيا التى قد تكون أيضاً إحدى بناته، وهى المرجحة هنا.

كانت نفرتيتى تساند زوجها فى دعوته الدينية الجديدة والتى كانت بمثابة ثورة دينية واجتماعية، وكانت داعمة له فى نقل العاصمة إلى مقرها الجديد والتى سميت بـ «آخت أتون» بمعنى أفق أتون وموقعها الآن قرية تل العمارنة بالمنيا، وهناك لعبت إلى جانب زوجها دوراً أساسياً فى نشر تعاليم الديانة الجديدة التى نادى بها، وظهرت معه فى كل المناسبات والاحتفالات الدينية والرسمية، وهو ما يمكن معرفته من المناظر التى صورتهما معاً وصورت بناتهما معهما على جدران معابد آتون ومقابر الأشراف بتل العمارنة، كما ظهرت فى بعض المناظر وهى تقوم بضرب

الأعداء مثلها مثل الملك، وهو ما يؤكد ما تمتعت به من سلطة واسعة ليس لهـــا مثيل فى حكم البـــلاد إلى جوار إخناتون. كانـــت نفرتيتى تصور فى زى رقيق أبيض طويـــل، وتاج ذى ريشـــتين أو ذى ريشتين فوق قرص الشمس.

وبالإضافـــة إلى أن نفرتيتى كانت ملكة نموذجية مـــن ملكات الأسرة الثامنة عشرة، كانت ذات شـــخصية فريدة من نوعها فى التاريخ المصرى. كمـــا ظهر لنا من العـــدد الكبير من الأعمال الفنيـــة التـــى تركتها لنا، ومع كثرة ما ترك لنـــا من آثار هذا العصر والتى تعـــد المصدر الرئيسى لمعرفة تفاصيل هـــذه الفترة المهمة من تاريخ مـــصر، ومازالت نفرتيتى محط الكثير من التساؤلات وحياتها وحكمها وقدرتها على تصريف الأمور السياســـية إلى جوار زوجها موضع نقاش الباحثين ومازالت غير واضحة لنا مما جعل الخلاف بين المتخصصين قائماً منذ سنين وأعتقد أنه لن ينتهى إلا بوجود آثار قاطعة تكشف الستار عن الغامض وتملأ الفجوات التى فى تاريخ تلـــك الفترة وخاصة ما يتعلق بحكم نفرتيتي، فما مقدار سلطتها فى الحكم إلى جانب زوجها؟ وهل ماتت فى العام الرابع عشر من حكم زوجها؟ أم امتد بها العمر وحكمت بعد وفاة زوجها؟ هل دفنـــت نفرتيتى فى تل العمارنـــة أم فى وادى الملوك؟ وهل هى نفسها ســـمنخ كارع كما يعتقد بعض المتخصصين؟ أم سمنخ كارع هو أخو إخناتون الصغير الذى حكم قرابة عامين بعد وفاة إخناتون؟

فى العـــدد القادم نســـتكمل مع نفرتيتى وإشكالية تمثالها فى برلين.

البعد الدولى لإستراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030

تُعد اســـتراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030 الأولى لتمكين المرأة على مســـتوى العالم، فى إطار أهداف التنمية المســـتدامة 2030 وهو مبعث فخر لنا جميعا. فقد أشادت منظمة الأمم المتحدة، بدور الرئيس عبد الفتاح السيسى فى دعم المرأة المصرية، وإعلانه عام 2017 عاماً للمرأة، خاصة وأن مصر كانت أول دولة على مستوى العالم تصدر استراتيجية للمرأة 2030. كما تبنت الأمم المتحدة إطار الإســـتراتيجية، كدليل استرشادى، يمكن أن تستفيد منه دول أخرى لوضع الإستراتيجيات الخاصة بها للنهوض بالمرأة.

إن صـــوت المـــرأة المصرية يصل إلى المجتمـــع الدولى من خـــلال الأداء الدبلوماسى الوطنـــى المحترف المؤمن بقضايـــا المرأة. ومن هنـــا تأتى أهمية التمكين الســـياسى للمرأة المصرية وهو أحد المحاور التى تضمنتها إستراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030، من خلال تحفيز المشاركة السياسية للمرأة بكافة أشكالها.

فالمـــرأة المصريـــة صاحبة تاريخ حافل بالعطاء لوطنها. ومنذ ســـنوات بعيدة والمرأة المصرية تضرب أروع أمثلة الوطنية، أبهـــرت العالم كله – ولاتزال – بإســـهاماتها وفكرها وثقافتها. فهى فنانة مبدعة وعالمة مبتكرة وفدائية محبة لوطنها وهى قادرة عـــلى التأثير ونقل صورة مـــصر الحضارية إلى العالم كله بمنتهى اليسر والسلاسة. فقد حصلت

د. مايا مرسى
رئيسة المجلس القومى للمرأة
mayamorsy@gmail.com

على العديد من الحقوق والمكتسبات إلى أن جاء عام من حكم الإخوان أُعتبر الأسوأ فى تاريخ المرأة المصرية، حيث شهِد ذلك العام محاولاتِ حثيثة للانقضاض على كافة حقوقها وســـعياً جاداً لعزلها من المناصب القيادية، وتصاعدت الفتاوى التى تنتقص من شأنها وترسخ لمبادىء التمييز فى المجتمع.

فـــكل تلك المظاهـــر لتهميش المرأة وغيرها، دفعتها للخروج للميادين بقوة لتتصدر المشـــهد فى ثورة 30 يونيو، لم تُرهبّ ولم تخف ونزلن بالملايين إلى كافة ميادين مصر حتى ذهـــب البعض إلى القول إنهـــا ثورة «حرائر مصر»، كانت نســـاء وفتيات مصر حـــاضرات بقوة يرفعن الأعلام والكروت الحمراء مكتوب عليها كلمة «ارحـــل» مطالبين برحيل نظام أقل ما يوصف أنه قهر المرأة. حقاً صوت المرأة ثورة.

ومنذ تولى الرئيس السيسى مسئولية الحكم، انتصر منـــذ اليوم الأول لجميع فتيات ونســـاء مصر، وحـــرص على ذكرهنّ وتوجيه التحية لهنّ فى خطاباته

الرئاسيه، ووجه إليهنّ الدعوة إلى الإسهام فى بناء الوطن على قدم المساواة مع الرجل. ولأول مرة تم تعيين السفيرة «فايزة أبو النجا» مستشارة لرئيس الجمهورية لشئون الأمن القومى وهو المنصب الذى ظل شاغراً على مدار 40 عاماً، وتعيين المهندسة «نادية عبده» محافظاً للبحيرة لتصبح أول سيدة مصرية تتولى منصب المحافظ، وغيرهن من سيدات مصر فى مواقع مهمة.

وأعلن الرئيس تخصيص عام 2017 عاماً للمرأة المصرية، فى خطوةٍ تاريخية منحتنا نحن فتيات ونساء مصر الثقة والإصرار على مواصلة مسيرة نضال بدأناها منذ عقود مضت.

واتخذ الرئيس عدة إجراءاتٍ وقراراتٍ مهمة تكفل للمرأة المصرية الحصول على جميع حقوقها، من بينها تكليف الحكومة وكافة أجهزة الدولة والمجلس القومى للمرأة، باعتبار الإستراتيجية الوطنية لتمكين المرأة 2030 هى وثيقة العمل للأعوام القادمة لتفعيل الخطط والبرامج والمشروعات المتضمنة فى هذه الاستراتيجية.

وتتضمن الاستراتيجية محاور التمكين السياسى والاقتصادى والاجتماعى للمرأة، ومحور الحماية إلى جانب التدخلات الثقافية والتشريعية. وتُعد هذه الإستراتيجية هى الأولى لتمكين المرأة على مستوى العالم، فى إطار أهداف التنمية المستدامة 2030، وقد أشادت منظمة الأمم المتحدة، بدور مصر كأول دولة تصدر استراتيجية للمرأة 2030. فصوت المرأة المصرية لن يصل إلى المجتمع الدولى إلا من خلال أداء دبلوماسيتنا الوطنية، ومن هنا تتأتى أهمية التمكين السياسى للمرأة المصرية وهو أحد المحاور التى تضمنتها إستراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030، من خلال تحفيز المشاركة السياسية للمرأة بكافة أشكالها، بما فى ذلك التمثيل النيابى على المستويين الوطنى المحلي، ومنع التمييز ضد المرأة فى تقلد المناصب القيادية فى المؤسسات التنفيذية والقضائية وتهيئتهن للنجاح فى هذه المناصب.

لقد استمعت إستراتيجية تمكين المرأة المصرية 2030 إلى أصوات فتيات ونساء فى جميع أنحاء الجمهورية، واستجابت إلى تطلعاتهنّ، وتحقق ذلك من خلال دراسة احتياجات المرأة المصرية عبر دراسة ميدانية أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية قوامها 3000 سيدة فى محافظات مختلفة، وعقد حلقات النقاش حول التمكين الاقتصادى شملت220 سيدة فى 13 محافظة، ودراسة التمكين القانونى للمرأة وهى دراسة أجراها مركز البحوث الاجتماعية ركزت على المرأة الريفية وإجراء مقابلات فردية وجماعية ضمت 160 سيدة.

هذا إلى جانب حملة طرق الأبواب التى أطلقها المجلس القومى للمرأة وجابت القرى والنجوع بمحافظات مصر المختلفة، وتوجهت إلى (72 ألف سيدة فى 27 محافظة)، وحملات التواصل الجماهيرى لرفع الوعى واستهدفت (19ألف سيدة فى حملة مكافحة العنف ضد المرأة)، التواصل مع الشباب من خلال المؤسسات التعليمية بالجامعات والمدارس الثانوية (12.300 طالب وطالبة)، إلى جانب التفاعل من قِبل أعضاء لجان المجلس القومى للمرأة.

إن الإستراتيجية الوطنية لتمكين المرأة المصرية تمثل خطة عمل الدولة المصرية بكافة مؤسساتها وأجهزتها للنهوض بالمرأة وضمان حصولها على حقوقها، وقد تمثلت المرجعية الأساسية لتلك الإستراتيجية فى دستور2014، الذى رسخ قيم العدالة والمساواة، وأرسى مبادئ تكافؤ الفرص، وكفل للمرأة الكثير من الحقوق، قد وضع الدستور أساسا قويا لمواجهة التمييز ضد المرأة، إلى جانب الأهداف الدولية للتنمية المستدامة.

إن الوطن يخوض اليوم معركة مصيرية لإعادة البناء على أسس جديدة بعد ثورتين أسفرتا عن تحولات مهمة فى الواقع المصري، وتتواكب مع تغيرات مهمة فى معطيات ومفاهيم التنمية على المستوى الدولي، لذلك تعين إطلاق هذه الاستراتيجية والعمل على تنفيذها دون تأخير من أجل تحرير طاقات المرأة المصرية وضمان مشاركتها الكاملة دون معوقات سيكون له أهمية حاسمة فى هذا الوقت بالذات، من أجل تحقيق النجاح فى معركة إعادة بناء الوطن؛ المواكبة الزمنية والمنهجية لهذه الإستراتيجية مع استراتيجية مصر للتنمية المستدامة 2030 تعزز استجابة الإستراتيجية لاحتياجات المرأة، إذ لا تفرد استراتيجية مصر للتنمية المستدامة 2030 محور عمل مستقل للمرأة وإنما تدمجها قطاعيا فى محاور عملها الرئيسية؛ وتضمن هذه الخطة وفاء مصر بالتزامها باللحاق بركب التنمية على المستوى الدولى والمتمثل فى تبنيها لخطة 2030 للتنمية المستدامة وأهدافها السبعة عشر، والتى تخصص هدفا بعينه - بغايات محددة مقاسة- لتحقيق المساواة بين الجنسين، كما يُدمج تمكين المرأة فى كافة أهدافه الأخرى، كذلك تتوافق خطة 2030 لتمكين المرأة المصرية مع جوهر خطة 2030 للتنمية المستدامة والتى تتخذ من «ضمان ألا يتخلف أحد عن ركب التنمية» شعاراً لها، ومن ثمّ النجاح فى تحقيق هذه الإستراتيجية يضمن ألا تتخلف امرأة أو فتاة مصرية عن ركب التنمية أو أن تحرم من مكتسباتها.

وبحلول عام 2030 سوف تصبح المرأة المصرية فاعلة رئيسية فى تحقيق التنمية المستدامة، فى وطنٍ يضمن لها كافة الحقوق التى كفلها الدستور، ويحقق لها حماية كاملة، ويكفل لها -دون أى تمييز- الفرص الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تمكنها من الارتقاء بقدراتها وتحقيق ذاتها، ومن ثَم القيام بدورها فى إعلاء شأن الوطن.

أغنيتى حريتى

اسمى بدرية
على اسم القمر
كل ليلة أحلم أنى أغنى
أطير فى السماء وأمسك الشمس
أعزف لحن حياتى على العود
وتغنى معى البنات أول يوم العيد
نحلق معاً فى الأفق ونقول:
أغنيتى حريتى.

أغنيتى حريتى، كلمات جميلة بنكهة نسائية بها رائحة حضارية، حالمة حرة وقوية، كتبتها دكتورة نوال السعداوى فى كتابها بعنوان «كسر الحدود»، وقد وقعت عينى على تلك الكلمات بالمصادفة عندما كنت أبحث أعلى مكتبتى عن كتاب اخترته للقراءة فى الأسبوع الماضى، وهو كتاب قديم عن التاريخ الفرعونى، وقد اخترت أن أقرأ فى هذا الصدد تحديداً ربما لأننى شعرت بشىء من الحزن والقلق وأنا أتابع الواقع المحيط والحاضر الذى نعيشه، وتساءلت حينها عن المستقبل فى ظل كل ما يحيط بنا من إرهاصات على المستوى الأخلاقى الإنسانى بالذات، وقد بدأ هذا الشعور يتملكنى أكثر منذ عدة أسابيع تقريباً حول ما وصلنا إليه أيضاً على مستوى الثقافة السائد الآن حولنا والذى بات يحاصرنا فى كل مكان، بدأ من البيت مروراً بالمدرسة والنادى ووصولاً إلى الشارع، وكذلك ما أصبحنا نعانيه بشكل دائم وعلى كافة المستويات والأصعدة من تدنى وتردى بل وانهيار شديد فى تلك المنظومة شديدة الأهمية والخطورة فى الوقت نفسه نظراً لقوة تأثيرها وتداخلها فى كل منحى من مناحى الحياة المختلفة.

هبة عبدالعزيز

heba.elmolla@yahoo.com

وعلى جانب آخر فقد سيطر علىّ أيضاً شعور من الحيرة صاحبه تفكير طويل فى مسألة الهوية المصرية، «هويتنا المفقودة». فكلما أدقق وأحاول التأمل فيما يحدث حولى أجد أننا قد ابتعدنا عن هويتنا كثيراً فابتعدت هى الأخرى عنا أكثر وأكثر، وأخشى ما أخشاه من استمرار هذا الوضع المؤسف لوقت أطول.

المرأة ركيزة المجتمع

ومما يزيد من همى فى هذا الصدد هو كونى امرأة، تدرك تماما أن النساء لسن بنصف المجتمع فقط كما يقال أحيانا، بل إنهن الأساس والركيزة التى يقوم عليها المجتمع كله، وربما لا أجد أية مبالغة فى قول ذلك.

فالنساء هن من تلدن وتنجبن البشر باختلاف أجناسهم من رجال ونساء، وهن اللائى ترعى وتربى وتعلم من كان صغيرا فى المهد، إذن فالمرأة مسئولة بشكل كبير عن أحوال مجتمعها، وما يؤول إليه سواء من تقدم أو تأخر وتراجع، فهى كالمدرسة بالفعل إن أعددتها جيدا أعددت شعبا طيب الأعراق كما تقول أبيات الشعر الشهيرة التى وصف فيها الشاعر الأم، فالأم هى من تخرج للمجتمع رجاله ونساءه، جميعنا نتربى على يدها ونتأثر بثقافتها التى تنقلها لنا من خلال التعامل والتربية.

وأعود إلى كتابى الذى بدأت مقالى بالحديث عنه حول تاريخنا الفرعونى، وقد كان من أهم وأجمل ما استوقفنى فى ذلك الكتاب الذى انتهيت من قراءته اليوم، ما جاء فيه على لسان حكيم مصرى منذ آلاف السنين حيث كان يقدم بعض النصائح قائلا:

«إذا أردت الحكمة فأحب شريكة حياتك، اعتن بها، ترعى بيتك. وحافظ عليها ما دمت حياً، فهى هبة الإله الذى استجاب لدعائك، فأنعم بها عليك، وتقديس النعمة إرضاء للإله. حس بآلامها قبل أن تتألم، إنها أم أولادك، إذا أسعدتها أسعدتهم، وفى رعايتها رعايتهم، إنها أمانة فى يدك وقلبك، فأنت المسئول عنها أمام الإله الأعظم، الذى أقسمت فى محرابه، أن تكون لها أخاً وأباً وشريكاً لحياتها».

هكذا قال الحكيم المصرى، وبهذا كان يؤمن المصرى منذ آلاف السنين، فقد كانت المرأة المصرية فى الحضارة الفرعونية تملك وترث وتتولى أمر أسرتها فى غياب زوجها وتساعده فى الزراعة والعمل، حتى إن الأطفال كانوا ينسبون لأمهاتهم، ووصل الأمر إلى أن الزوج كان عليه أن يتعهد فى وثيقة الزواج بأن يكون مطيعاً للزوجة فى جميع الأمور! فى وقت كانت فيه المرأة الصينية تتجرع كؤوس المهانة ليلاً نهاراً،

والمرأة الهندية تحـــرم من الميراث، والمرأة الإغريقيـــة ما كانت إلا متاعاً للرجل وراعية للأطفال، بل ووصفها «أرســـطو» بأنها رجل غير كامل! فى حين اعتبرهـــا القانون الرومانى سبباً أساسياً لانعدام الأهلية، بل كان يعطى الحـــق لزوجها فى محاكمتها وإعدامها بنفســـه. بل وفى شريعة «حامورابى» ببابل وضعت النساء فى عتاد الماشية المملوكة للرجال.

انهضى، اقرئـــى، اكتبى، ارقصى، غنى، ارسمى، احلمى

وعندما عقـــدت مقارنة سريعة بين ذلك العصر وعصرنا الحالى، وما جد عليه من أفكار معظمها ظلامية ورجعية وبالية خاصة تجاه المرأة فى مختلف المعاملات سواء على المستوى الشخصى أو العام، أيقنت حينها أو شعرت بأننى وضعت يدى على أهم أسباب ما وصلنا إليه حاليا.

ولعلى أعلم يا رفيقتى أنك تمرين بمرحلة صعبة مـــن تاريخك، ولذا عليـــك أولاً ترتيب البيت من الداخل، ثم اخرجى إلى الحياة. قومى وانهضى سريعاً، اقرئى، اكتبى، ارقصى، غنى، ارســـمى، احلمى، اصرخى لتشقى صمت السكون الغائم فى الكون، فقد تعلمنا مـــن جداتنا كيف ننفض عن أنفسنا غبار الرجعية والفشل لنعود مرة أخرى إلى التقـــدم، هيا قومى لتشاركى فى تغيير وصناعة الحاضر والمستقبل، فكم من النساء فى التاريخ فتحن بأفكارهـــن وكفاحهن أبواباً كانت مغلقة أمام الأجيال، وأصبحن رمـــوزاً تلهم الرجال والنســـاء على حد ســـواء، هيا اصنعـــى بعزيمتك مستقبلك ومستقبل أولادك وبلادك، فالعالـــم بأمس الحاجة لحماســـك الإيجابى للتغيير.

ولعلى أدرك أيضـــا أن مجتمعنا بتأليفـــه القائم يعوق لحد كبير نمو وازدهـــار الشـــخصيات الإيجابية، ولكنى لازلت على يقـــين بأنك أنت من تصنعين هذا المجتمع، من تعلمه فنون الحيـــاة والحـــب. ولربما لا تتمكنين من التحكم فى كل ما يدور من حولك، إلا أنه يمكنك ألا تسمحى له بالتأثير ســـلباً عليك بشكل كامل، فعليك أنت التأثـــير عليه، أنت أقوى وأشـــجع مما تتخيلين، أنت متجددة وملهمة كالربيـــع، وما تخافين منه مهما كانت قوته ستظلين أنت الأقوى منه، فمن سيقدر على إيقافك عندما تشرعين فى أداء أدوارك بإبداع!

فأفكارنا وإحساسنا نحن النساء، هى ما تصنع شخصيتنا، فلنوجهها دائماً للجمال لا للقبح، ولن نستطيع ذلـــك إلا إذا شـــعرنا بالحب، الحب بمفهومه الشـــامل والواســـع، ولن نحس بهذا الحب حتـــى نخرج ما بداخلنا من تميـــز فيما نتميز به فى العلم، الفن، الشـــعر، الرسم، الأدب، وفى شـــتى المجالات. فقـــط ابحثى عن ذاتك الحقيقيـــة داخل دهاليز نفسك، وخارج تلك القوالب الجامدة التى فرضت عليك لتنهضى بنفســـك وبأولادك وببلادك.

وكما بدأت بأغنية الحرية لـــ نوال السعداوى، ســـأختم أيضا بكلماتها عن طريقنا:

قالوا لى: ما مـــن كاتبة مبدعة إلا وانتحرت.

مى زيادة انتحرت فى المستشفى النفـــسى، وأروى صالـــح، فرجينيا والف قتلت نفسها بعد أن وصموها بالجنون.

وأنت يا أنت ماذا تنتظرين؟

قلت لهم لن أنتحر أيها السادة بل أترك لكم

إن شئتم هذا المصير

أما أنا فسوف أمشى وأمشى حتى نهاية الطريق

إلى آخر مدى سأمشى ولا أتوقف

إلى آخر خط فى الأفق عند الشروق والغروب

..حتى نهاية الطريق سأمشى

تقديم: نادية الريس

كان للنشاط الفنى ولمجموعة فنانات الرابطة نشاط متميز ومكثف هذا العام .
أقامت الرابطة معرضها السـنوى بالتعاون مع وزارة الثقافة في شـهر أبريل 2017 والذى اشترك به العديد من فنانات الرابطة وشرفنا بافتتاحه معالى الكاتب حلمى النمنم وزير الثقافة.
كما أقامت الرابطة بالتعاون مع وزارة الثقافة العديـد من الورش الفنية تضمنت كثيرا من الفنون لرفع مستوى فناناتنا وزيادة خبراتهن بمساعدة فنانى وزارة الثقافة لهم الكثير من الشكر والامتنان.
ونقدم هنا بعض أعمال فنانات الرابطة اللاتى شاركن بها في معرض أبريل الماضى.
والأعمال للسـيدات: ابتسام العشيرى - ريهام الألفى - سـحر البحيرى- سلوى الحمامصى - هبة خورشيد - هدى القونى - مايسة حمادة - أميمة خطاب.

لوحة ابتسام العشيرى

لوحة هبه خورشيد

لوحة سلوى الحمامصى

لوحة سحر البحيرى

لوحة هدى القونى

لوحة ميساء حماده

لوحة ريهام الألفى

لوحة اميمه خطاب

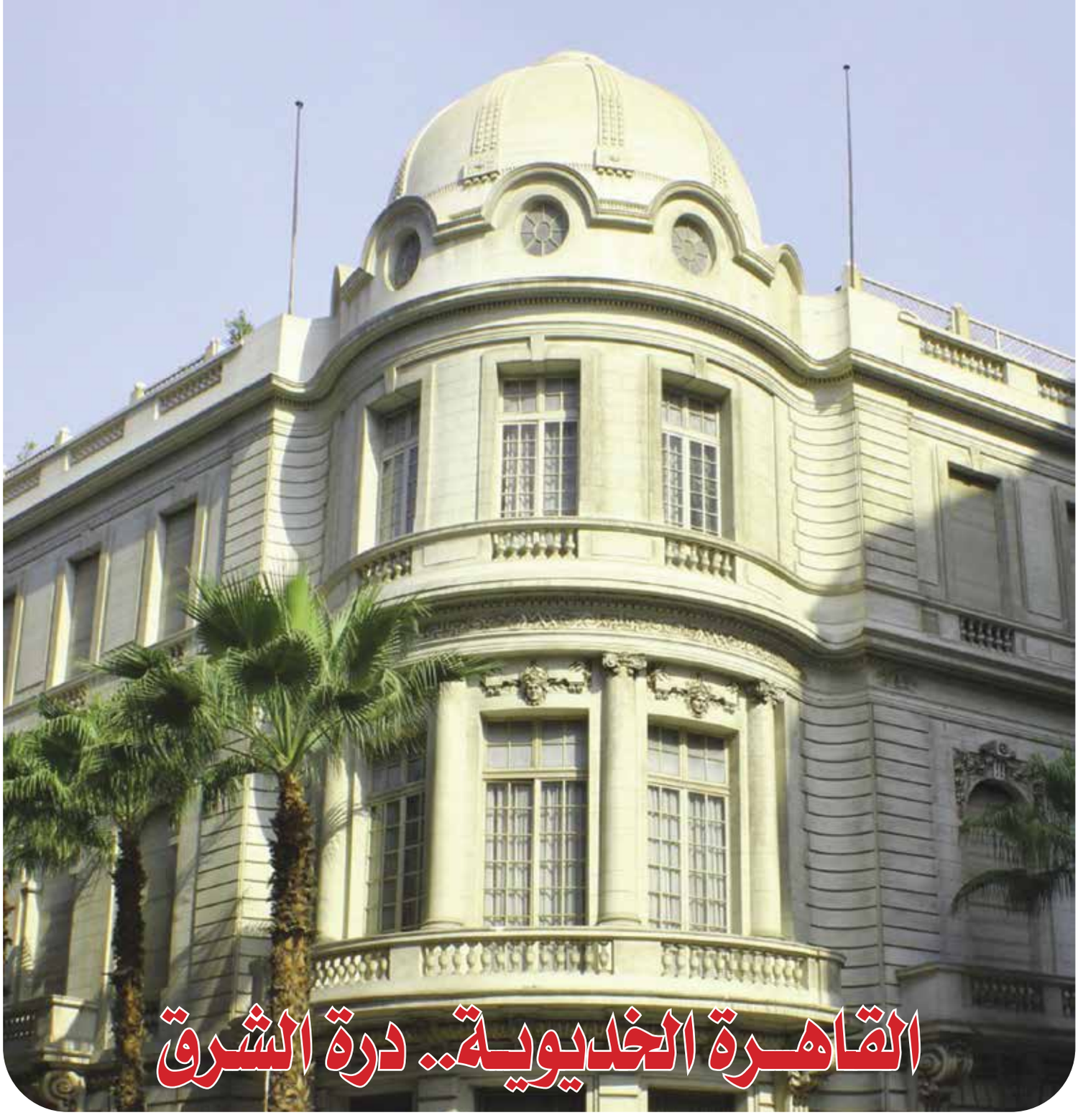

القاهـرة الخديويـة.. درة الشرق

عادل عبدالصمـد

adelabdelsamed@yahoo.com

بين جدران الزمان وصحائـف التاريخ تكون القاهرة الخديوية شـاهدة على تضافر ومزج المدارس المعمارية الحديثة وعلى حضارة نابضة بالـدفء والحياة المتفردة بمواضع الجمال عـلى أن القاهرة التى نعيشـها اليوم ليست بتلك التى نشأت وتطورت منذ فتحها الفاطميون وطورها محمد على وحفيده الخديو إسماعيل.

تعاقبت عـــلى القاهرة الخديوية عصور متباينة وأصابها ما أصابها من قوة وضعف حســـب ما سجله التاريخ ولكنها لم تخل من معانقة الإيمان والفكر والإبداع.

وما بين التاريخ والأدب والفنون والآثـــار والإبداع المعمـــارى كانت حضارة القاهرة التى تبارى عشاقها فى الإعراب عن ســـحرها وسخروا إبداعاتهم وعلمهم لتكون بحق «درة الشرق».

وعندما نقلب صحائف تاريخها يتباين لنا بانوراما فريدة لتنوع خصب فى الطـــرز المعمارية جعلها تتميز بما احتوته من تراث الحضارة الإنسانية المتنوع بين آثار فرعونية خالدة تحكى قصة الإبداع منذ فجر التاريخ البـــشرى وبين آثار قبطية وإســـلامية وعربية وفنـــون إبداع الأوروبيين فى الهندســـة المعمارية البديعة.

مدينة تعكس تاريخ مصـر

وعن تلـــك العراقة الحضارية يقول المفكـــر والفيلســـوف عالم الجغرافيـــا د. جمـــال حمدان فى موسوعته شخصية مصر: «القاهرة مدينة معتقة أكثـــر مما هى عتيقة وهذه العراقـــة التاريخية مقروءة حتى اليوم فى لاند ســـكيب المدينة فالقاهرة الحديثة تقع بين قوســـين معلقين من التاريخ القديم الفرعونى غرباً والإسلامى شرقاً.

ترقد المدينـــة الحديثة فى القاع المنخفض بين القوسين التاريخيين المرتفعين وهى بهذا كله خير نقطة تختزل تاريخ مصر جميعاً».

أما الأديـــب المبـــدع والروائى الدبلوماسى يحيى حقى فيجســـد جمال القاهرة فى لوحة قلمية نابضة بتاريخهـــا العريق: «لم يســـتطع الزمان أن ينال من طابعها الأصيل المتفرد وجلالها المكنـــون هبة لها من حضـــارة الـــشرق ونفحة من سماته.. جدران عتيقة يتراكم عليها

الأوبرا وتمثال إبراهيم باشا

التاريخ، آية فى فن العمارة، فى ذروة الصدق تصون داخلها أمثلة رائعة للجمال تحكى فى صمت قصة آلاف من الفنانين بنـــاة الحضارة عملوا فى ورع. أســـواق لا تزال متشـــبثة بأمكنتها كأن لها جذوراً ضاربة إلى الأعماق».

هذه هى القاهـــرة التى احتفلت محافظـــة القاهرة بها بمناســـبة عيدها القومى خلال شـــهر يوليو 2017 وذكرى مرور 150 سنة على إنشاء القاهرة الخديوية، حيث قال محافظها عاطـــف عبدالحميد: إننا نحتفل أيضاً بمرور 1048 ســـنة على إنشاء القاهرة العتيقة. وتاريخ القاهرة العتيق يرجع إلى نشـــأتها على يد جوهـــر الصقلى عام 969 م لتكون حصنـــا ودار خلافة. مدينة الحكم والحاشية الحامية وتوسعت المدينة مع مرور الأيـــام والأزمان. أنشـــأ جوهر الصقلى حول القاهرة سوراً كبيراً يحيط بها من كل جانب وله عدة أبواب ومـــع مرور الزمن اندثـــرت وجددت بنفس الأســـماء التى أطلقت عليهـــا منذ البداية مع التجديد والزيادة فى مساحة القاهرة من الناحية القبلية لســـور القاهرة كان هناك بابان أطلق عليهما (بابى زويلة) بالقرب من مســـجد عرف أيام المماليك باســـم جامع سام بن نوح، وشاعت بعض المعتقدات حول الباب الكبير الذى بناه أمير الجيوش بدر الدين الجمـــالى وزير الخليفة الفاطمى المستنصر بالله عام 1093، فمنذ دخول الخليفة المعز لدين الله الفاطمى من الباب الملاصق للمسجد تيمن الناس به وصـــاروا يكثرون المرور منه وهجروا الباب الآخر ومن هنا أشـــيع أن من يمر بهذا الباب تقضى حاجته وأشـــيع أيضاً حول الباب الآخر أنه باب منحوس.

ونسب باب زويلة إلى قبيلة زويلة المغربية التـــى جاء مقاتلوها ضمن عســـاكر الفاطميين، وشيد الباب الكبير عامل جاء من الرها (تركيا) مع اثنين مـــن إخوته وكانوا الثلاثة من أشـــهر البنائين وبنى كل منهم باباً مـــن أبواب القاهرة: باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح. وأطلق سكان القاهرة على باب زويلة أسماء تاريخية منها باب المتولى نسبة إلى متولى الحســـبة الذى كان يجلس فى السوق لمراقبة الأسعار، ومنها باب المؤيد نســـبة إلى السلطان المملوكى المؤيد شـــيخ المحمـــودى صاحب المسجد.

وفى الجهـــة البحرية التى كانت تؤدى إلى طريق عين شـــمس بنى جوهر باب النصر وبـــاب الفتوح. وناحيـــة المقطـــم كان هناك بابان باب البرقية والثانى باب القراطين وعرف بعد ذلك باسم الباب المحروق

وعرفت المنطقة بين البابين القديمين باسم «بين السورين» واشتهرت بعد ذلك باســـم «بين الصورين» واسم القراطين، ويعـــود إلى أن المنطقة اشتهرت بزراعة البرسيم. وشيد بهاء الدين قراقوش فى سور القاهرة باب القنطرة وأطلق عليه باب الشعرية نســـبة إلى طائفة مـــن البربر (بنو الشعرية) من قبائل المغرب، وشيد باب الوزير فى القرن الخامس عشر الميلادى. وبـــاب الخرق الذى أطلق عليه باب الخلق ومعروف به حتى الآن. كما شيد فى الجهة الغربية باب سعادة نســـبة إلى سعادة بن حيان الذى كان تابعـــاً للخليفة الفاطمى المعز لدين الله.

واكتســـبت هذه الأبواب شهرة تاريخية عندما أمر ســـيف الدين قطز الســـلطان المملوكـــى، والذى شهد عصره بناء العديد من القصور والقـــلاع والعمـــران الممتد، حين جاء رســـل القائد التتارى هولاكو، يحملون رسالة تهديد رفضها قطز وكان رده إعدام الرسل الأربع وفقاً للروايات الشـــائعة: واحد فى سوق الخيل تحت القلعة، والثانى خارج بـــاب زويلة، والثالـــث خارج باب النـــصر، والرابـــع بالريدانية. وفى عهد العادل الأيوبى وابنه السلطان الكامل أصبحـــت القاهرة عاصمة لمـــصر والمصريين على المســـتوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى. وإلى جانب المدينة القديمة بأمجاد الماضى وتراثه الذى مازالت ملامحه شـــاهدة على أحداثه، قامت القاهرة الحديثة لتعبر عن النهضة الهائلـــة التى تشـــهدها عاصمة مصر التى كانت أرضها تبر ونيلها ســـحر ودورها قصور ونســـيمها كعطر الندى ينعش القلب. وتكونت القاهرة من أربع مدن قديمة كانت كل واحدة منها عاصمة مصر لحقبة من الزمن وهى الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهـــرة المعزية. وتلك المدن تقع جميعا بين شاطئ النيل الشرقى وتلال المقطم.

قصر عابدين

العصر الذهبى للعمارة

التحديث فى مـــصر بدأ مع ولاية محمـــد على باشا حكم مصر حيث أصـــدر قرارا عـــام 1831 بتعمير الخرائب وأنشـــأ مجلساً وأوكل إليه مهمة تجميل القاهـــرة وتنظيفها وتم توسيع شارع الموسكى وترقيم الشوارع وإطلاق الأســـماء عليها. وشـــيد قصر محمد على بحى شبرا. ورغم توالى ثلاثـــة خلفاء على حكم مصر بعد محمد على باشا بدءاً من إبراهيم باشـــا مروراً بعباس الأول وســـعيد باشا إلا أن إســـهاماتهم فى مجال العمارة لم تكن بالشـــئ الملمـــوس إلا فيما نـــدر مثل قصر الروضـــة فى عهد إبراهيم باشـــا، وإنشاء حى العباسية فى عهد عباس الأول، وبداية حفر قناة السويس فى عهد سعيد، على عكس عهد اسماعيل باشـــا الذى تميز بانفجار معمارى على المستويات كافة. وكانت القاهرة أول مدينة مخططة عمرانياً بمحاكاة النظام الأوروبى فى المنطقة العربية بأسرها. وكان عصر اســـماعيل هو العصر الذهبـــى للعمارة والعمران إذ أصبحت القاهرة فى عصره منارة للفنون والثقافة وضمت بين ضفافها كوكبة من كبار الشعراء وأساطين الموسيقى ونجوم الغناء. فقد عشق الخديو اســـماعيل باريس وأراد أن يجعل من القاهـــرة باريس أخرى

احدى عمائر وسط البلد

كوبرى ابو العلا

باب الفتوح

فقرر عمل كل ما هو ممكن ليجعل عاصمته القاهـــرة متحفاً مفتوحاً يبهر العالم وتحفـــة حضارية من حيث تخطيطها وعمرانها وكان ذلك أحد شـــواغله منذ تولى حكم مصر عام 1863م

القاهرة معرضا لعباقرة المعمار وأثناء زيارة اســـماعيل لباريس عـــام 1867 م لحضـــور المعرض العالمى، طلب الخديو من الإمبراطور نابليون الثالـــث أن يقوم المهندس الفرنـــسى هاوســـمان الذى خطط باريس بتخطيط القاهرة الخديوية. وفى مقابلة اسماعيل مع هاوسمان طلب منه أن يحضر معه إلى القاهرة كل بستانى وفنان مطلوب لتحقيق خططـــه. وبذلك أعلـــن مشروعه لتخطيـــط القاهرة عـــلى الطراز الباريسى واســـتقدم مـــن أوروبا عمالقة التصميـــم المعمارى وبدأوا فى تنفيـــذ حلم اســـماعيل فى جعل القاهرة باريس الشرق. واســـتغرق تنفيذ الحلم خمس ســـنوات ونجح هوسمان فى تحويل القاهرة إلى تحفة حضارية تنافس أجمل مدن العالم ليطلق عليها كتاب الغرب «باريس الشرق».

وحول جماليات العمارة جاءت القاهـــرة الخديويـــة خليطا فريدا من الطـــراز الكلاســـيكى وطراز النهضة المستحدثة وطراز الباروك والروكوكـــو والطـــراز القوطـــى الجديـــد، فكانت القصـــور الملكية الفخمة الموقعة بأســـماء مصممين معماريين من ايطاليا وفرنسا، وكان شرط اسماعيل على كل خبير هندسى أجنبى أن يعمل معه أربعة مصريين. وأصبحت القاهـــرة معرضاً لأعمال المعماريين الأجانب الذين شاركوا فى تشكيل ملامحها الغربية بأعمالهم مثل انتينيو لاشياك ومارسيل دور جنون وأوسكار هورفيتس وماريو روسى وفرانسيســـكو باتيجلى وليو نافليان وزارب. ومن المصريين الرواد الذين ظهـــرت إبداعاتهم المعمارية مصطفـــى فهمى باشـــا ومحمود رياض وعلى لبيب جبر بك ومحمـــد شريف وسيد كريم وابوبكر خيرت وغيرهم.

لقد اهتم الخديو اسماعيل أثناء تأسيس عاصمته بكافة التفاصيل بـــدءا من طـــرز العمـــارة حتى

مصابيح الإنارة مرورا بمســـاحات الشوارع وأشجارها والحدائق التى احتوت على نباتات وأشجار متنوعة جلبت واختـــيرت بعناية ودقة من الهنـــد والســـودان للتزين وتوفير الظلال ومن أشـــهر تلك الأشجار التين البرتغالى مـــن عائلة الفيكس البنجالنس وعمرها قرابة 150 عام ونسبت الشجرة إلى الخديو اسماعيل الذى جلبها لتزرع فى حديقة الأزبكية التى شـــيدت عام 1864م بأمر من اسماعيل وجزيرة النباتات بأسوان وشـــارع النيل بالجيـــزة وحديقة الحيوان. وهكذا امتدت المنطقة التى تعرف اليوم بوسط البلد من ميدان التحرير وميـــدان عبدالمنعم رياض وشـــارعى الجلاء ورمسيس حتى ميدان رمســـيس وشارع كلوت بك إلى ميـــدان العتبة ثم ميدان عابدين وشارع الشيخ ريحان. كما يدخل فى نطاق تعريفها شارعا محمـد على وقصر العينى بالإضافة إلى منطقة التوفيقيـــة المنســـوبة إلى الخديو توفيق.

متحف جماليات مفتوح

ومـــن أهم أعمال اســـماعيل الإنشائية التى استحق أن تنسب له قاهرة المعز أنـــه افتتح عام 1872 شارع محمد على بوسط البلد وزانه على الجانبـــين بما يعرف بالبواكى، وفى العام نفســـه افتتـــح كوبرى قصرالنيل وزينـــه بتماثيل برونزية لأربعة من الأسود نحتت خصيصاً فى ايطاليا، كما افتتح كوبرى أبوالعلا الـــذى صممه المهنـــدس الفرنسى جوستاف إيفل صاحب تصميم برج إيفل الشهير، وتم شق شارع كلوت بك وافتتاح دار الأوبرا المصرية عام 1875 وأنشأ خطوط السكة الحديد والترام. وقد افتتح قصر عابدين فى ميدان عابدين الذى يتوســـط قلب القاهرة الخديوية. وترجع تســـمية الميدان إلى أمير اللواء الســـلطانى فى عهد محمد على باشـــا وكان يسكن قـــصراً بناه مكان القـــصر الحالى وبعد وفاته اشتراه الخديو اسماعيل وهدمه وبنـــى مكانه قصره الجديد الذى مازال قائمـــاً حتى الآن وهو قصر عابدين. وهذا النطاق به أعظم وأثمن الجواهر النفيســـة لتشمل تراثنا الحضارى المتجسد فى عمارتها وعمرانها فتكـــون المتحف المفتوح الذى يفخر به المصريون.

وخلال القرن التاسع عشر أصبحت مصر والقاهرة على الوجه الخصوص أعظم ملهـــم للفنانـــين الأوروبيين والمؤرخين فأفاضوا فى وصف عظمتها بما سجلوه عن حضارتها وسحرها وعبقرية المـــكان وعطاء التاريخ كل ذلك وأكثر شكل موضع الجمال لمدينة القاهرة التى ظلت منذ نشأتها مصدراً للإشـــعاع الحضارى والاســـتنارة فتبوأت مكانتها الثقافية والسياسية والاقتصاديـــة والدينية. فأجيال من الرحالة والمؤرخين ســـحرتهم قاهرة الشرق فسجلوا شهاداتهم على سيرة ومسيرة القاهرة فى عصورها المتعاقبة.

ولنقرأ ما كتبه الفنان بريس دافن والذى تســـمى واشتهر بـ «إدريس أفندى» فى يومياته وانطباعاته عن مدينة القاهـــرة: «لا أعرف مدينة تتقابل فيها الأضـــواء تقابلا أروع منه فى القاهرة بالسائر فى الشوارع الضيقة لهذه المدينـــة التى تفوح منها رائحة القرون الوسطى فيشهد فى كل لحظـــة الـــترف إلى جانب المدقع وتتعايش فى القاهرة البهجة

القاعة الذهبية قصرا الامير محمد على (المنيل)

جزيرة الروضة بالمنيل

قصر الزعفران

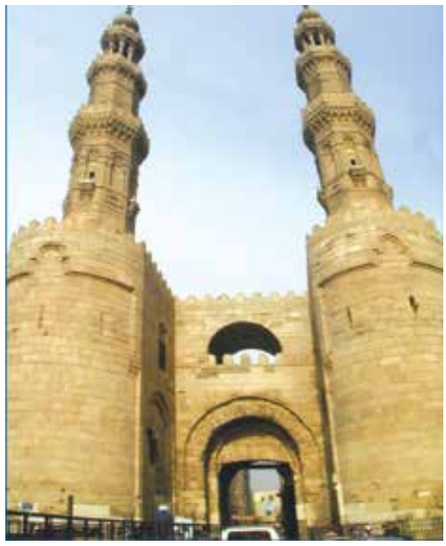

باب زويلة

والآلام، وفى غمـــار هذه المشـــاهد التى تزخـــر بها شـــوارعها يأتى موكب دراويش الصوفية بالإنشاد والترتيل بالطبول والدفوف والأعلام والبيارق والمباخـــر». كما خصص جزءاً طريفاً عن نـــداءات الباعة فى شـــوارع القاهرة. فلمعظم الباعة المتجولين خاصـــة بائعى وبائعات الفاكهة نـــداءات غريبة فيها صور شعرية جميلة فبائع القصب الذى يغلو ثمنـــه كلما كان طويلا أبيض اللون ينادى عليه بـــ «اللى يزور حماته بالنبوت يا أبيض»، وتصيح بائعة البرتقال «يا بردقان يا عسل أو كريـــم عليم يا بردقان»، وينادى على الليمون «عسل يا طرنج عسل»، وبائعات الحنة يرددن تمر حنة من روايح الجنة، «وترمس إمبابة» اللى يغلب اللوز»، و»يا مسلى الغلبان يا لب». وكان من أبـــرز من كتب عن القاهـــرة فى القرن العشرين الأديب البريطانى (ديزموند ســـتيوارت) وقدم له الأديب يحيى حقى والذى ترجم كتابه المعنـــون «القاهرة» إذ كتب ستيوارت عن قصر عابدين بأنه صورة مصغرة من قصر باكنجهام وتحدث عن قـــصر الجزيرة الذى احتفل فيه اســـماعيل بالإمبراطورة أوجينى بمناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس الحدث الأعظم فى عهد

ميدان طلعت حرب

الخديو اسماعيل، وكتب عن جزيرة الروضـــة ومجموعات أشـــجارها ونباتاتها النادرة، واعتبر دار الأوبرا هى درة منجزات اسماعيل.

أما ســـتانلى لين بـــول فوجد فى القاهرة مدينة فريدة تختلف عن كل مدن العالم، وقدم الصورة التى وجد عليها القاهرة ووصفها بمدينة ألف ليلة وليلة. ونختم بما كتبه الشـــيخ عبد الغنى النابلـــسى ـ وهو أديب صوفى من أدباء الشـــام، يقول عن أهل القاهرة:

ولهذا فى أهلها كل لطف وانبساط
وحسن طبع سليم
وإذا جاءهم غريب أناس قابلوه
باللطف والتنظيم

القاهـرة الخديويـة.. بين قاهرتيـــن

تنتمى القاهرة إلى طائفة عريضة من عواصم الأنهار، مثلها مثل واشـــنطن عاصمة نهر البوتوماك، ولندن التيمز، وباريس الســـين، وروما التيبر، وفيينا الدانوب، وموسكو نهر موسكو، وغيرها من عواصم العالم الشهيرة التى اتخذت من ضفاف الأنهار مســـتقراً لها تعبيراً عن المركزية، والحماية، والتجارة النهرية، والنضارة الشـــاطئية، إلخ.. والمعروف الدارج لدى الكثيرين أن القاهرة اكتســـبت اسمها الخالد من الفاطميين، وربما كان هذا صحيحـــاً إلى حد كبير من حيث تعريب الاســـم وصموده، ولكن البعض يقول إن اسم القاهرة ما هو إلا تحريف أو تعريب لاسم «كاهى رع»، أى موطن الإله رع.

حسام نصار

وكيل أول وزارة الثقافة سابقاً للعلاقات الثقافية الخارجية

hossam.nassar@redcondevelopment.com

وســـواء صح هـــذا أم لـــم يصح، فالحقيقة الســـاطعة هـــى أن القاهرة كموقع كانت مستقراً ربما لأول عاصمة عرفها التاريخ، ويعود تاريخ تأسيسها إلى أزمان قديمة مع بداية توحيد القطرين الشمالى والجنوبي، وعُرفت بالتاريخ على اسم «أون» أو عين شمس، أو هليوبوليس كما ســـماها الإغريق، وتوالت مستقرات العواصم عليها تنحرف شمالاً أو جنوباً أو شرقاً أو غرباً، تارة باســـم ممفيس، وتارة باســـم بابليون، ثم الفســـطاط، فالعسكر، فالقطائع حتى اتخذت اسمها الحالى – وربما القديم – القاهرة.

القاهرة هى نبض مصر الأبدي

لقد عرفت مصر العديد من العواصم فى تاريخها، وبقدر ما عكس هذا وحدة الأرض المصرية، بقدر ما كان هذا يحدث فى الأغلب تحت تأثـــير غزو أو تهديد أو ثورة اجتماعيـــة، ولم تخلُ بقعة واحدة من بقاع مـــصر إلا وكان عليها يوماً ما عاصمـــة للقطر المصري، مـــن تانيس الدقهلية، وســـخا كفر الشيخ، وأواريس الشرقية، والإســـكندرية شـــمالاً، حتى طيبة وتل العمارنة وتل بســـطة ونباتا بالنوبة جنوباً، ولكنها سرعان ما كانت تعود إلى مركز القاهرة الفريد جغرافياً حين تزول مخاطر التهديـــد أو الغزو أو الفوضى الناشـــئة عن ثورات مصر الاجتماعية العديـــدة. القاهرة إذن هى بمثابة حتميـــة جغرافية لمصر، وهو ما اكتسب لها تلك المكانة، فإذا كانت مصر عبقرية فى مكانها الوســـيط بالنسبة إلى العالم، فالقاهرة هـــى الأخرى عبقرية فى مكانها الوسيط بين ربوع مصر، ولا عجب إذن حين تُســـمى القاهرة بمصر بين المســـافرين منها وإليها، فالقاهرة هى بالفعل نبض مصر الأبدي، وتطلعها الحضـــارى الدائم نحو الأفضل والأرقى والأقوى تأثيراً وإشعاعاً.

وكانت القاهرة الخديوية أحد هذه التطلعـــات الحضارية لمصر حين أرادت النظر شمالاً إلى الحضارة الأوروبية التى أصبح لها الهيمنة والغلبة بفعل الحداثة والتقدم فى شـــتى مناحى الحياة، أيقنت معها مصر وحاكمها آنذاك أن لا ســـبيل إلى رفعة مصر وتحصينها ضد المطامع الأوروبية الاســـتعمارية إلا عن طريق تحديث مصر – العمران والإنســـان – تماماً كما فعلت أوروبا لتحصين نفسها ضد الفتوحات الإسلامية، ولم تجد مصر حرجاً فى هذا التطلع حين أرادت أن تنهل من حضارة أوروبا الغالبـــة، مثلما لم تجد أوروبا حرجاً فى الأخذ عن حضارة الإسلام حين كانت لها الغلبة.

تكامل حضارى بين عصر وآخر

والعمارة هى الوســـيط بين العمران والإنسان، وإحدى مراحل تقدم العمران الحضرى للدول كما عرّفها ابن خلدون، تدخل فيها الدول فى صراع مع عصبيتها، لأن وجودهـــا أصبح يتنـــافى عملياً مع وجود تلك العصبية التى كانت فى بداية الأمر ســـبباً فى قيامها، وهذا ما حدث فى مصر حين تحولت عمارتها من العمارة الإســـلامية إلى العمارة الأوروبية، نظر البعض لهذا التحول على أنه انســـلاخ، ولكن حقيقته أنه اســـتكمال لمســـيرة مصر الحضارية عبر التاريخ، ومســـيرة عاصمتها أيضاً، من العمارة الفرعونية، إلى العمارة البيزنطية، إلى الإســـلامية، ومنها إلى الأوروبية.

وكل تلك العمارات الدنيوية لم تولد من فراغ، وإنما أخذت عن بعضها، لقد أخذت العمارة البيزنطية على سبيل المثال عن العمارة المصريـــة أفنيتها، وأخذت العمارة الإسلامية عن البيزنطية قبابها، وأخذت العمـــارة الأوروبية القوطية عن العمارة الإسلامية أقواسها، وهكذا حتى انتهت العمارة الأوروبية إلى الباروك ثم الروكوكو، والعابر من القاهرة الإسلامية إلى القاهرة الخديوية عبر ميدان العتبة (انظر غرابة الاسم، وكأنها عتبة انتقالية بين عمـــارة وأخرى) لا يشـــعر بغربة معمارية كبيرة، وإنما يشـــعر بالتكامل الحضـــارى بين عصر وآخـــر، انتقلت القاهرة فيه من المشربيـــة إلى الشرفة،

ومن الأزقة الضيقة إلى الشوراع الرحبة، ومن التخطيط الطولى إلى التخطيط الطولى والعرضى. وكما كانت القاهرة الإسلامية درة عصرها، أصبحت القاهرة الخديوية تاج الشرق، وامتد أثرها الثقافى والحضارى قرابة مائة عام، منذ زيارة الخديو إسماعيل إلى فرنسا فى معرضها الدولى عام 1867، وحتى هزيمة مصر فى 1967، ظلّت القاهرة الخديوية منارة الشرق التى لم تنازعها فيها عاصمة مشرقية أخرى.

تعبير كوزموبوليتانى عن مصر الحديثة

من الصعب تحديد القاهرة الخديوية تحديداً دقيقاً، فقد سبقها شارعا الموسكى وعبد العزيز كأول شوارع عرضية بالقاهرة، وامتد أثر القاهرة الخديوية إلى جاردن سيتى والزمالك والهرم بل وإلى مصر الجديدة بعد ذلك بزمن قصير، وقد اصطلح على تعريف القاهرة الخديوية كمثلث قاعدته ميدانا العتبة ورمسيس ورأسه ميدان التحرير، ولكن القاهرة الخديوية فى الحقيقة تحتل مكاناً أوسع من هذا بكثير، فهى تمتد فى جميع الاتجاهات لتشمل الزمالك، وجاردن سيتى والقصر العينى، والعباسية، وعابدين، إذا ما اعتبرنا طبيعة العمارة فيها وكذلك نمط الحياة.

ومن العسير أن تمر بشارع من شوارع القاهرة الخديوية إلا ووجدته يتميز بتخصص ما، لتتكامل التخصصات وتتداخل أيضاً فيما بينها لتخرج لنا منظومة حضرية مكتملة تعبر عن حداثة مصر كلها، شارع محمد على للموسيقى، شارع شريف للمكتبات ودور النشر، شارع قصر النيل لمحلات الأزياء الكبرى، شارع عدلى للمصارف، طلعت حرب للكافيهات، عماد الدين للسينمات، كلوت بك للمراقص، الجمهورية للمسارح الكبرى والأوبرا، وتنتشر الكنائس بها لكل الطوائف، إضافة إلى المعبد اليهودى بشارع عدلى. لقد كانت القاهرة الخديوية تعبيراً كوزموبوليتانياً عن مصر الحديثة التى اصطدمت مع عصبيتها الإسلامية التى لم تخلُ من تسامح، لتنتقل إلى مرحلة من المواطنة الدستورية جعلت منها مقصداً عالمياً لكل الأجناس والأعراق، وأصبحت القاهرة الخديوية نموذجاً يُحتذى فى بر مصر كله، وانتشر عمرانها مع عمارتها إلى عواصم محافظات مصر جميعها يصكّان معاً قيماً اجتماعية مدنية حديثة، وكأن مصر انطلقت تعيد اكتشاف نفسها وتعيد اكتشاف تاريخ عواصمها القديمة من خلال إطلالة حديثة ومعاصرة.

وكانت القاهرة الخديوية أيضاً حراكاً حضارياً تنويرياً أسهم فى صناعة أمة بتعبيراتها الاجتماعية والثقافية والمهنية دخلت مصر بها القرن العشرين وهى مهيأة تماماً لاستقباله بحركته السريعة غير المسبوقة فى التاريخ الإنسانى، واستمر هذا الحراك الحضارى التنويرى طيلة مائة عام حتى طاله التجريف والترييف اللذان كانا المَعلمان البارزان من منتصف السبعينات وحتى الآن. إن مصر بكل تأكيد تحتاج إلى قاهرة تنوير أخرى، أكبر وأوسع وأرحب تجابه بها ما حدث من انفجار سكانى وعشوائية، وتواجه بها كذلك الهجمة الظلامية التى تخفّت وراء التجريف والتزييف بهدف تدمير قيم مصر الاجتماعية والحضارية، ربما تكون العاصمة الإدارية الجديدة هى تلك القاهرة التنويرية الجديدة، إذا ما أُحسِن تخطيطها وتشييدها بذات السرعة التى تم تشييد القاهرة الخديوية بها، ولكن دون تعجل يجعل منها مشكلة لا حل. وإذا ما أتيح للعاصمة الإدارية الجديدة أن تلعب هذا الدور فى المستقبل القريب، وإلى أن يتاح لها هذا وبعده، لابد من وضع مشروع كبير لا يحيى فقط القاهرة الخديوية من حيث تجديد عمارتها، ولكن يجعل منها ومعها القاهرة الإسلامية وسابقتها الفسطاط (مصر القديمة) مزاراً سياحياً وثقافياً عالمياً، يتم ربطه بخط نقل مباشر مع العاصمة الإدارية الجديدة، ليضيف ثقلاً على ثقل، يتصافح من خلالهما الصقلى مع هاوسمان مع معمارى العاصمة الإدارية الجديدة، ليكونوا جميعاً شاهداً على العبقرية المستمرة والتفرد المستدام للقاهرة الساحرة.

القاهرة الخديوية وعودة الروح

وسط البلد، أو القاهرة الإسماعيلية نسبة لمؤسسها الخديو إسماعيل، مازالت تحتفظ فى شوارعها ومبانيها وعمرانها بالعراقة والفخامة والجمال. ففى كل شبر منها قصص لا تنسى، وأماكن كانت شاهدة على عصر الرقي، فبدءًا من ميدان التحرير «ميدان الإسماعيلية سابقاً»، مروراً بشارع قصر النيل وكلوب محمد على، وميدان سليمان باشا بشوارعه الإشعاعية المنتظمة، وميدان الفلكى وحتى ساحة قصر عابدين، فى كل خطوة تتمتع بعبق الماضى وتفخر بعراقة وسط البلد.

مهندس إستشارى محمد أبوسعدة

رئيس الجهاز القومى للتنسيق الحضارى

abuseada25@yahoo.com

كان حلم الخديو إسماعيل بن إبراهيم باشا، أكبر أبناء محمد علي، أن يحول القاهرة إلى باريس على النيل. وقد تم عمل تخطيط عام لمدينة القاهرة عام 1863 لمضاعفة مساحتها لأكثر من ألف فدان وذلك على يد المهندس الفرنسى «البارون جورج أوجين هاوسمان» مخطط باريس الشهير، وتمثل القاهرة الخديوية بداية العمران المصرى فى صورته الحديثة خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وهى تعد من المشروعات العالمية البارزة التى تمت فى ذلك القرن لما بنى عليه تخطيطها من دراسات للتخطيط، والتعمير الشامل، وتحطيم عوائق التنفيذ لإخراجها سريعًا إلى حيز الوجود، وبالشكل الذى يجعلها تضاهى أجمل مدن العالم.

ومن أهم معالم وسط البلد شارع قصر النيل، والذى صار واحداً من أهم شوارع القاهرة الخديوية، حيث يبدأ من ميدان التحرير لينتهى بميدان الأوبرا وشارع الجمهورية. وكان قرار الخديو إسماعيل بإنشاء الشارع لكبير مهندسى مصر وقتها، على مبارك ليكون طوله 1250 متراً، وعرضه 20 متراً، وبه مجموعة بنايات مميزة معمارياً ومنها مبنى بنك ناصر الاجتماعي، الذى كان فى الماضى مقرا للبنك الإيطالى.

ومن أشهر عمارات القاهرة الخديوية عمارة يعقوبيان، والإيموبيليا -عمارة المشاهير- والتى كانت صيحة معمارية للطراز الحديث بعد إنشائها فى الفترة من (1938-1940) وكانت تعتبر

أضخم مبنى سكنى شهدته القاهرة فى أربعينيات القرن الماضي، وكذلك عمارة ترينج فى ميدان العتبة والتى تتميز بدقة زخارفها المعمارية وكانت علامة مميزة حين إنشـــائها، ومبنى صيدناوى الخازندار والذى كان من أرقى بيوت الأزياء فى القاهرة، وكانت المـــاركات العالمية تحرص دائما على تواجد منتجاتهـــا بداخله. وعمارة ديفيس براين، والتى تعتبر من أجمل وأقدم عمارات وسط البلد والتى تطل على شوارع محمـد فريد وعدلى وعبد الخالق ثروت، أنشـــأها عام 1920 الأخـــوة الإنجليز جـــون وجوزيف وإدوارد ديفيـــس وهى حاليا تابعة لشركـــة الإســـماعيلية، وغيرها من البنايـــات التـــى تم الاســـتعانة فى تصميمها بالمهندســـين الأوروبيين والإيطاليين والبلجيك والفرنســـيين والألمان، فشـــيد كل منهـــم عمارته وفق المدرســـة التى ينتمى إليها، لذا جـــاءت القاهـــرة الخديوية خليطا فريدا من الطراز الكلاسيكى وطراز النهضة المســـتحدثة وطراز الباروك والروكوكو والطراز القوطى الجديد، بذلك أصبحت متحفـــا مفتوحا كل تصميماته وتحفه المعمارية مختلفة ولكن تتناغم فى معزوفة متفردة من الإبداع المعمارى.

إعادة إحياء القاهرة الخديوية

فى عـــام 2009، أطلـــق الجهاز القومى للتنســـيق الحضارى التابع لوزارة الثقافة بالتعاون مع محافظة القاهرة مشروع «إعادة إحياء الوجه الحضـــارى للقاهـــرة الخديوية». ويهـــدف المشروع لإعـــادة صيانة المبانى التراثية ذات الطرز المعمارية المتميزة، وإظهار الزخارف المعمارية المتفردة بها، وإعلاء قيم الفن والجمال الموجودة بالقاهرة الخديوية، لتعود لســـابق عصرها لتتربـــع وبجدارة كأكثر أحياء القاهـــرة تميزاً وتفرداً معمارياً وعمرانياً. والهدف الأسمى للمشروع هو تحويل وسط القاهرة إلى منطقة جذب ســـياحى وعمرانى ذى مـــردود اقتصادى دون الإخلال بالبنية التاريخية للمكان وتحويلها إلى عاصمـــة تراثية يتم إدراجها على قوائم اليونسكو للتراث العالمى.

وقد تم تنفيذ المشروع بالاستفادة من تجارب عديدة فى دول مختلفة من العالم فى الحفاظ على الأبنية التراثية وإعادة اســـتخدامها، ويشكل وسط البلد مثلثا رأســـه ميـــدان التحرير وقاعدته ميدانا الأوبرا ورمسيس وما يتفرع منها من شوارع، وتضم حوالى 500 عقار مسجل على قوائم التراث المعمارى المصرى داخل مســـاحة لا تقل عن ألف فدان.

والجدير بالذكر أنه تم تشـــكيل اللجنـــة القومية للقاهـــرة التراثية برئاســـة المهنـــدس إبراهيم محلب مساعد رئيس الجمهورية للمشروعات القومية للتخطيـــط ومتابعة كيفية تطوير القاهـــرة الخديوية بتنفيذ محافظة القاهرة وإشراف التنسيق الحضـــارى لإعـــادة كل شـــئ فى الخديوية لأصله عندما تم إنشـــاؤها ورفع كفاءتهـــا التراثية والحضارية ودراسة رؤية إعادة استثمار المبانى التراثيـــة بعد تطويرهـــا، لضمان استدامتها والصيانة المستمرة لها.

وقد تم البدء بالفعـــل فى إعادة الوجه الحضارى للقاهرة الخديوية بســـواعد وخبرات مصرية وتظافر جهود الحكومـــة والمجتمع المدني، وسيســـتمر هذا الجهد فى العديد من المناطـــق التراثية فى جميـــع أنحاء الجمهورية، تحت شـــعارنا: «تراثنا هويتنا، نحميه معاً».

قاهرة المعز، وقاهرة الخديوى إسماعيل

خصص العدد الحالى لمجلة «الدبلوماسي» ملفاً مهما للاحتفاء بالقاهرة الخديوية، وهى منطقة (وسط البلد) التى تتميز بمبانٍ ذات طراز معمارى أنيق وفريد لم يكن مألوفا فى مصر من قبل ويطلق عليه المتخصصون الطِّراز الخديوى. أنشأ هذه المنطقة الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على باشا الكبير الذى حكم مصر خلال الفترة من 1863 وحتى 1879 لتكون نسخة شرقية من باريس التى أقام فيها لفترة قبل توليه الحكم وعاد منبهرا بمبانيها الراقية وشوارعها الفسيحة وجسورها المتألقة فوق نهر السين. ولكن هذا المقال لن يتناول ما قام به الخديو من أعمال عظيمة لتنفيذ حلمه القاهرى، فقد تناولت ذلك مقالات أخرى، ولكننا سنحاول رسم صورة للمدينة منذ نشأتها وحتى استلام إسماعيل للسلطة وبدء مشروعه الحضارى الكبير لندرك حجم الإنجاز الذى تحقق.

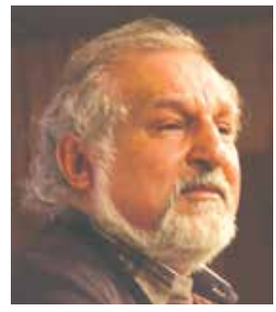

سامح عبد الله

مدير تحرير– جريدة الأهرام

abdallahsameh@hotmail.com

فقبل 1377 عاما لم تكن هناك مدينة تسمى القاهرة. بل لم تكن هناك مدن عامرة من الأساس حيث تقع مدينة القاهرة الآن. كان هناك فقط حصن بيزنطى قديم يسمى بابليون مازالت بقاياه موجودة إلى الآن فى المنطقة الأثرية بمصر القديمة. التاريخ الذى نتحدث عنه هو 19 هجريا – 640 ميلاديا سنة دخول عمرو بن العاص إلى مصر فاتحاً لينهى بذلك الوجود البيزنطى فى مصر، حيث استولى ابن العاص على مصر ونقل العاصمة من الإسكندرية إلى مدينة جديدة أنشأها شمال حصن بابليون وأسماها الفسطاط وأقام مسجدا أصبح يحمل اسمه ولايزال موجودا فى مكانه حتى الآن بالقرب من منطقة الملك الصالح.

مرت 329 سنة ميلادية على ذلك التاريخ قبل أن يعرف المصريون اسم (القاهرة) كعاصمة لهم لأول مرة، وكان ذلك حين دخل قائد الجيوش الفاطمية جوهر الصقلى مصر فى عام 358هـ - 969 ميلادياً بأمر من المعز لدين الله الفاطمى ليقيم خلافة شيعية ستحكم مصر حتى عام 1171. وما بين الفسطاط والقاهرة عرفت مصر عاصمتين أخريين هما (العسكر) التى أنشأها العباسيون عام 750 ميلاديا ومكانها منطقة زينهم حاليا ولم يتبق منها أى أثر، ثم مدينة (القطائع) التى أقامها أحمد بن طولون عام 869 وبقى منها حتى الآن أثر وحيد هو جامع ابن طولون. ثم جاءت القاهرة وتوسعت جغرافياً حتى ضمت باقى العواصم السابقة لتصبح العاصمة للدولة المصرية منذ ذلك التاريخ وحتى الآن.

بنى جوهر المدينة محاطة بسور من الطوب اللبن (الطين المجفف) على شكل مربع طول كل ضلع من أضلاعه ألف وثمانين متراً، ووفقاً لذلك فقد كانت مساحة القاهرة عند تأسيسها 1.166.400 متر مربع، خصص منها 240.141 متراً مربعاً لقصر الخليفة و120.050 متراً مربعاً لبستان أسموه البستان الكافورى ومثلها للميادين وأقيم على الباقى وقدره 686.000 متر مربع أقسام المدينة السكنية، وجعل قسما منها فارغا تحسباً للزيادة السكانية بمرور الوقت. وكان يخترق القاهرة وقت نشأتها شارع رئيسى يمتد من أولها عند باب زويلة جنوباً وحتى نهايتها عند باب الفتوح شمالاً أطلق عليه «الشارع الأعظم»، ولا يزال موجودا إلى الآن ويعرف بشارع المعز. كما كان هناك شارع مواز له ينطلق من باب النصر المجاور لباب الفتوح (وكلا البابين موجودان حتى الآن بالقرب من ميدان باب الشعرية وكذلك باب زويلة ولكن فى الطرف الآخر للمدينة التاريخية نهاية شارع الغورية خلف مديرية أمن القاهرة).

ويقول المؤرخون أن بناة القاهرة كانوا حريصين على أن يكون شارع المعز عريضا ومتسعا بشكل كبير بمعايير ذلك العصر باعتباره الشارع الرئيسى للمدينة وبعد تفكير طويل استقر الأمر على أن يكون عرضه يسمح بمرور جملين كبيرين متقابلين محملين بالقش باعتبار أن هذه هى أصعب المواقف المرورية التى قد يتعرض لها الشارع الرئيسى فى أى وقت وليصبح بذلك أول (High Way)

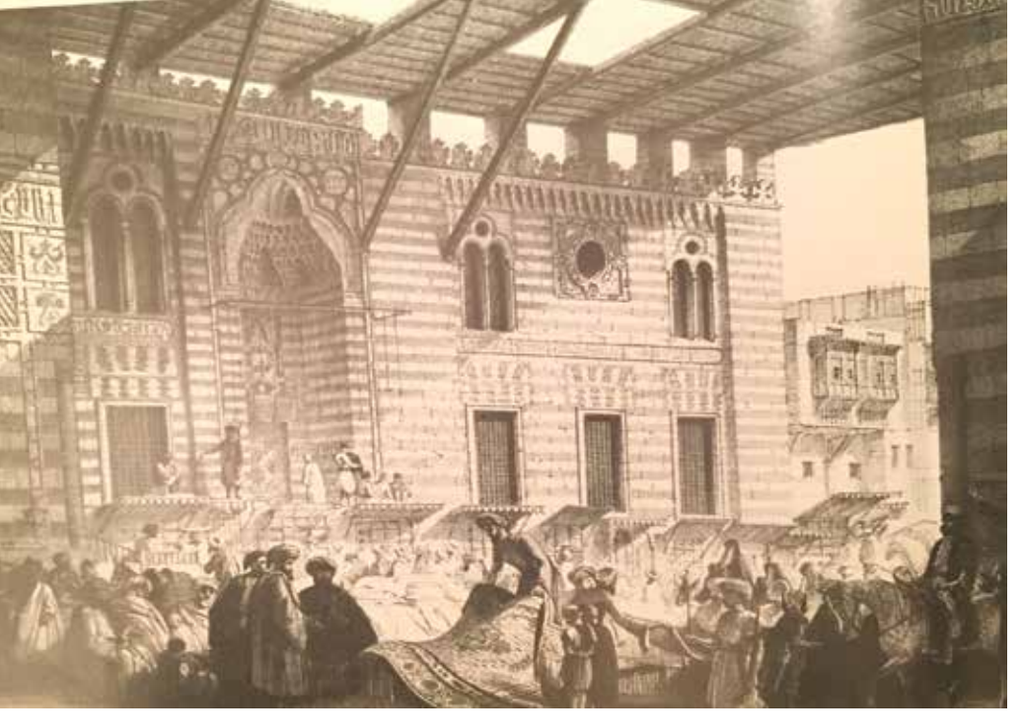

فى تاريخ القاهرة وفقاً لتقديرات ذلك الزمان.

وبقى قصر الخليفة هو مقر الحكم ومركز الاهتمام طوال عصر الدولة الفاطمية حتى جاء صلاح الدين الأيوبى عام 1171 ليقضى على الخلافة الفاطمية ويبنى قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين التى تشرف على شارع صلاح سالم حاليا إلى جوار حديقة الأزهر) وينقل لها مقر الحكم. واستكمل صلاح الدين الأيوبى تحصينات القاهرة فى مواجهة الخطر الصليبى ببناء سور كبير ضم كافة العواصم القديمة من الفسطاط وحتى القاهرة داخله، وكانت هذه هى بداية نشأة (القاهرة الكبرى).

ومع انتقال مقر الحكم إلى القلعة بدأ الأمراء فى العصور المملوكية والعثمانية التالية للعصر الأيوبى ببناء قصورهم إلى جوار الحاكم فى مناطق يقع جزء منها حاليا فى منطقة الدرب الأحمر وسوق السلاح والحلمية الجديدة. وخلال تلك الحقب التاريخية كان تخطيط المناطق الجديدة يتم وفقاً لنهج القاهرة القديمة والعواصم السابقة دون تطوير فى الشكل أو المضمون يتناسب مع اتساع المساحات وزيادة عدد السكان. ولم تذكر كتب التاريخ أن حاكما أبدى اهتماما طوال تلك القرون بإقامة شوارع رئيسية فى القاهرة الكبرى تتفوق على شارع المعز من حيث المسافة أو القدرات المرورية الملائمة لحركة الجمال كبيرة الحجم المحملة بكميات ضخمة من القش.

ثم جاء محمد على وخطط لبناء دولة حديثة تملك جيشا مهيبا وأنشأ صناعات جديدة ومد الترع وأقام الجسور وأصدر أول صحيفة مصرية فى عام 1828 تحمل اسم الوقائع المصرية (مازالت تصدر حتى الآن) وأرسل البعثات واستعان بالخبرات الأجنبية. ورغم نجاحات محمد على فى القفز بمصر خطوات للأمام فإنه لم يهتم بتطوير مدينة القاهرة للمستويات الأوروبية كما فعل فى مجالات الحياة الأخرى واكتفى ببناء قصر له فى القلعة يحمل اسم (قصر الجوهرة) ومسجد ضخم، فى القلعة أيضا، لايزال شاهدا على عظمة عهده الممتد من عام 1805 وحتى 1849.

وفى عام 1850 قرر والى مصر عباس حلمى الأول بناء مقر إقامة له فى منطقة قريبة من مقر الحكم (القلعة) فاختار بيت إبراهيم بك الكبير أحد كبار المماليك وقام بهدمه وألحق به مساحات أخرى كان بعضها بيوتا لأمراء آخرين ليقيم قصرا كبيرا احتل كامل منطقة (الحلمية الجديدة) الحالية وأطلق على المنطقة اسم الحلمية نسبة إليه (عباس حلمي). وكان قصر عباس حلمى يقع إلى جوار قصر على باشا مبارك وقصر أحمد باشا. وقد آلت هذه السراى بعد وفاة عباس باشا حلمى الأول إلى حفيدته أمينة هانم زوجة الخديو توفيق ووالدة الخديو عباس حلمى الثانى. وفى أوائل القرن العشرين هدمت سراى الحلمية وخططت حدائقها إلى شوارع وقطع للبناء وبيعت وعرف هذا التخطيط بالحلمية الجديدة.

الخلاصة أن القاهرة تم تخطيطها وكذلك العواصم الإسلامية التى سبقتها وفقاً لرؤى تقليدية تهتم ببناء أسوار للحماية وقصور فسيحة للحكام والأمراء مقابل شوارع ضيقة لا تصلح إلا لمرور الدواب. وربما كانت هذه الرؤية مناسبة فى عام 969 ميلاديا يوم جاء المعز لمصر ولكن 900 عام تقريبا مرت دون أن تشهد تطورا مناسبا لمكانة أكبر المدن العربية والعاصمة لأهم دولة عربية.

هكذا كان حال القاهرة يوم وصل الخديو إسماعيل لحكم مصر فى عام 1863 مصحوباً بأحلام عريضة لتحويل مصر لدولة متقدمة مثل الدول الأوروبية ورغبته فى تغيير شكل القاهرة لتصبح باريس الشرق التى عاش فيها لفترة قبل توليه للحكم. وبدأ إسماعيل بتنفيذ مشروعه الحضارى ببناء مقر جديد للحكم على النمط الأوروبى هو قصر عابدين بدلا من قلعة الجبل واتبع ذلك بتخطيط مناطق عمرانية جديدة تتضمن شوارع فسيحة ومحلات أنيقة وميادين واسعة وأبنية متعددة الطوابق ودار للأوبرا ومقر للمطافى وآخر للبريد ومسارح لـ (جوقات) التمثيل وكبارى على النيل واختار لذلك مثلثاً جغرافياً يقع بين ميادين العتبة والتحرير ورمسيس فى عصرنا الحالى وهى منطقة (وسط البلد) التى نطلق عليها حالياً القاهرة الخديوية.

إعادة إحياء منطقة درب اللبانــة

تعزيز الهوية والانتماء والارتباط بمصر

امينة شريف عبدالمجيد

مساعدة مشروعات جايا للاستثمار والتنمية المستدامة

a.abdelmeguid@gmail.com

طوال عام 2017، يحتفل المصريون بمرور150عاماً على إنشاء التحفة المعمارية المعروفة بالقاهرة الخديوية، من خلال تنظيم فعاليات اجتماعية ورياضيــة وعلمية، وجهود متصلة لترميم العقارات والبنية التحتية لتلك المنطقة، بما يلقى الضوء ويجذب اهتمام ويعيد تذكير المواطنين بالمدينة الجميلة التى يعيشون بها، والتى أحياناً لا يرونها بسبب الازدحام والمشاغل اليومية، خاصة الشباب الذى نشأ فى المدن الجديدة، ولم يعايش القاهرة التاريخية بشوارعها ومجتمعها وطبيعتها المعمارية، بما يسهم فى تعزيز الانتماء والهوية والارتباط بمصر وبخصوصيتها الثقافية والتاريخية والتى تنعكس فى معالم تلك المدينة الخالدة.

لذلــك تهــدف جهــود الدولة والمواطنين العاشــقين للقاهرة إلى «إعادة إحياء» المناطق الأثرية، بما يدعم اســتخدامها القديم بشــكل يومي، والاســتفادة منها كمواقع للتلاقــى والترفيــه والثقافة، وهو التوجه الذى تتبعه الكثير من دول العالم، التــى حولت الأجزاء الأثرية من مدنهــا إلى ســاحات لتجمع

الشـــباب، ولجذب السياحة، لتصير المدينة وأسلوب الحياه بها مقصداً للزوار.

وضمن تلـــك الجهود القائمة فى مصر، المشروع الذى تتولاه مجموعة من محبى التراث لإعادة إحياء منطقة «درب اللبانة» الشهيرة، والتى تقع فى حى الخليفة بالقاهرة التاريخية وتمتاز عـــن غيرها مـــن الأماكن التراثية بموقعها المرموق، فهى تقع أســـفل قلعة صلاح الدين الأيوبى (التى ترجع إلى القرن الثانى عشر الميلادي) وبجانب مساجد السلطان حســـن والرفاعى وجوهـــر اللالا وقانى بك الرماح والمحمودية وتكية البســـطامى وقبة الكومى. كما أن المنطقة تضم البيمارستان المؤيدي، وهو مستشـــفى أنشـــأه السلطان المؤيد شيخ فى بداية القرن الخامس عشر، وبه بيت كتخدة «بيت الفن» الذى يعد من المنـــازل النادرة التى تمثل الطراز المعمـــارى العثمانى. فبالإضافـــة إلى القيمة التراثية، فإن درب اللبانة تكتســـب أيضا أهمية ثقافية وحضارية حيث كان يسكن بيت كتخـــدة المعمـــارى المصرى الراحل حسن فتحي، صاحب نظرية عمارة الفقـــراء والاســـتفادة من الموروث المعمـــارى التقليدى لعمل تراث الغـــد، والذى حصل على عدة جوائز عالمية وتتلمذ على يده صحبة من المهندسين المرموقين.

وظروف هـــذه المنطقة تؤهلها لعملية إعـــادة التأهيـــل والإحياء على النحو المشـــار إليه، فمساحتها تبلغ حـــوالى 35 ألف مـــتر مربع وهى مرتفعة عن مســـتوى الشارع وكثافتهـــا الســـكانية منخفضة، كما أنهـــا احتفظت بشـــكل كبير بنســـيجها العمرانى وســـاحاتها ومداخلهـــا المحدودة التى تســـهل تأمينهـــا وتجعلهـــا منطقة مثالية للمشـــاة وحيوية. ففى عام 2007 اشـــترت المجموعة خمســـة منازل

قديمة للحفاظ عليها من التجاوزات العمرانية، وتأسســـت شركة فى عام 2010 من أجل تحقيق هذا الهدف. واقتنت المجموعة منـــذ هذا الوقت 2000 متر مربع من الأراضى الفضاء وأجريت عدة دراسات معمارية عن المنطقة ومخططات عامة لتطويرها.

وفى نفس الوقت تقدمت المجموعة إلى عدة جهات رســـمية بالدراسات ومقترح لاســـتخدام آثـــار المنطقة بطريقـــة تكيفيـــة (Adaptive Reuse) تـــدر دخلا وتســـاعد فى جذب الـــزوار للمنطقـــة. ولقيت المبادرة ترحابا مـــن تلك الجهات التى أبدت روحا جيدة للتعاون مع القطاع الخاص نابعة من اهتمامها باستحداث نموذج ناجح يتم تكراره فيما بعد فى إحياء القاهرة التاريخية بهدف حفظ تراثها.

والأمل كبـــير فى أن تتحول درب اللبانـــة إلى منطقة تكـــون بمثابة حضانة للشـــباب لكى يأتوا إليها لتنمية مواهبهم وقدراتهم الفكرية وتكون منـــارة للأمل تقيهم شرور التطرف والشـــطط الفكري، وذلك من خلال إنشـــاء مراكـــز ثقافية متخصصة ومسرح مكشوف وقاعات للمحـــاضرات والفعاليات ومكتبة، بهدف نـــشر التعليم والتوعية بمثل العلوم والموروثـــات المهمة كاللغة العربيـــة والأدب والتاريخ والخط العربى والإنشاد الدينى والمقامات الموسيقية وعزف الآلات الموسيقية، وفنون الترميم وغيرها. هذا إلى جانب إنشـــاء متاحف صغيرة متخصصة وتأسيس ورش للحفاظ على الحرف التقليديـــة مثل أشـــغال الزجاج اليدوى والخزف وتجليد الكتب، إلى جانب إتاحة أنشـــطة لجذب الزوار كالمقاهى والمطاعـــم، وربما فندق صغير، ومساكن واســـتوديوهات للفنانين، وبعض المحلات التجارية ذات البعـــد الثقافى المرتبط بالتراث. وذلك مـــع إتاحـــة الخدمات لأهل المنطقـــة والتعـــاون معهم وتوفير فرص لبعضهم بالمشروع.

ومما لا شـــك فيه أن كثيراً من الـــدول تتمنى أن تكـــون حظيت بالإرث المعمارى والتاريخى والثقافى الغنى والمتنوع، مـــا بين فرعونى وعربـــى وقبطى وغربـــي، كالتى حبى الله مصر بها، لما تشـــكله من عامل لجذب الســـياحة، وللمنفعة الاقتصاديـــة، بل أيضـــاً لما تقدمه كقوة ناعمة، وتسهم فى رسم صورة إيجابية لدى العالم لهوية مصر، ولما تمثله من قيم وأخـــلاق وحضارة. لذلك، تشكل المشروعات لإعادة إحياء المناطق القديمة، سبيلاً للاستفادة منها والحفاظ عليها كموروث ثقافى لأجيالنا القادمة، وللعالم كله.

«القاهرة .. مرفع الرأس»

ذكريات د.نعمات أحمد فؤاد
من كتاب "القاهرة فى حياتى"

ولم يبق إلا القاهرة:
القاهرة الجميلة والعبقرية معا... وقلما يجتمع الجمال والعبقرية.
أما أن القاهرة جميلة فهذا لا يمترى فيه أحد.. أما أنها عبقرية فدليل هذا، وبعد عطائها فى العلم والأدب والفن، أنها لا تعترف إلا بالمستويات الرفيعة فى هذا كله.

يقول الدكتور زكى مبارك:
(فى كل بلد من بلاد الشرق يستطيع الرجل الوسط أن يعيش لأن الدنيا فى بلاد الشرق لا تزال تتسع للأوساط من الرجال.. أما مصر فليس فيها للرجل الوسط مكان..

العالم الوسط لا يستطيع العيش.

والأديب الوسط لا يجد الرزق.

والمغنى الوسط يضيع.

والطبيب الوسط لا يجد ثمن الدواء حين يمرض.

والصحفى الوسط لا يملك الوصول إلى حيز صغير.

والممثل الوسط قد لا يجد الفرصة لشهود رواية صغيرة فضلا عن القدرة على الاشتراك فى التمثيل.

القاهرة تقول فى كل وقت: كن قاهرياً.

أليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الشعراء لأنهم لم يكونوا فى عبقرية شوقى وحافظ وصبرى ومطران؟

أليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الكتاب لأنهم لم يكونوا فى عظمة محمد عبده وعلى يوسف وعبدالعزيز جاويش ومصطفى المنفلوطى ومحمد المويلحى.

القاهرة لا تتسع أبداً لغير الأفذاذ الذين يغلبون الزمان).

والحقيقة أن القاهرة الكريمة لا ترد أحداً فهى تتسع أيضا لغير الأفذاذ ولكن على أن يعيشوا فى الظل.. وليس ذنبها.

أ.د.نعمات أحمد فؤاد

وفى القاهرة عرفت المجامع الأدبية.. وفى القاهرة ارتدت المعارض الفنية، وتزاوج فى نفسى الأدب والفنون.. غدت فى حياتى صحبة.. واصطبغت كتاباتى بالتعدد من تعدد اهتماماتى.. وهى نعمة أحمد الله عليها.. ومن الرزق ما يفوق المال بلا حدود كالموهبة.. إنها حظ عظيم وثراء عريض.

ومن المواهب بهجة الرؤية.. وفن التذوق.

وفى القاهرة التقيت بقمم رفيعة الذرى.

رأيت العقاد ولطفى السيد وأم كلثوم وطه حسين وأحمد حسن الزيات ومحمود تيمور وعبدالوهاب عزام ورامى وبيرم التونسى وزكرياأحمد والسنباطى.

رأيت محمد حسين هيكل ورأيت حسين فوزى.

رأيت من رجال السياسة والدبلوماسية محمود فوزى.

بلا ألقاب سجلت هذه الأسماء لأنها أكبر من الألقاب.. كل الألقاب.. أكبر كثيرا.

وكان الأستاذ العقاد يلقى الناس يوم الجمعة من كل أسبوع وبينهم

طه حسين

رياض السنباطى

زكى مبارك

عباس محمود العقاد

المازني

صفوة من الأدباء والمفكرين ونخبة من مريديه وتلاميذه وكان يلقانى وحدى كل سبت من الخامسة إلى التاسعة مساء.. ويلغى مواعيده فى هذا اليوم من أجلى يحدثنى حديث الأدب والفن والسياسة.

كنت فى ذلك الوقت حديثة التخرج أحضر رسالة الماجستير عن المازنى رفيق عمره وصديقه على امتداد أربعين عاما لم يكدر صفاءهما كدر، أو يشب علاقتهما طائف ينال.

وكان أستاذ الجيل لطفى السيد يطلب من ممرضته أن تدعه معنا زوجى وأنا وترجئ طلباتها فيما يتعلق بصحته حتى الدواء والعشاء كان يرجئهما على الرغم من إلحاحنا عليه بتعاطيه.

ومن الطريف أنه أهدى إلى يوما كتابه "صفحات مطوية" وكتب فى الإهداء "إلى صديقتي".. ثم استدرك فى خفة روح أو كمن يستدرك وقد نظر إلى زوجي، وأضاف كلمة "الشابة" أى إلى صديقتى الشابة.

كم سعدت وكم سمعت وكم تعلمت وكم رأيت وكم وعيت وكم أثريت الثراء الذى يرتفع كثيرا على الأرصدة والمكاسب والأرباح مما يشغل عباد المال.

ويسألوننى فى برامج الإذاعة وفى لقاءات الصحافة فيما يسألونه عن مولدى فأقول المنيا أم التوحيد وأم تل العمارنة حيث أرسل العظيم إخناتون سبحاته.. المنيا التى كرمت المرأة إلى الحد الذى اتخذت معه "نفرتيتي" شعارا لها.. المنيا المعطاء على مسار التاريخ.

ولكن إذا كانت المنيا التى أعتد بها وأعتز بأمجادها مسقط الرأس فإن القاهرة بعد سنوات مرفع الرأس.

فى المنيا ميلادى الأول وفى القاهرة ميلادى الثانى.

فى المنيا نشأت وفى القاهرة شببت وتعلمت وكتبت وتزوجت وأنجبت وحققت ذاتى بألوان من الأمومة ليس آخرها بنوة الأبناء.

شريط طويل حافل حياتى فى القاهرة، والقاهرة فى حياتى. وكم يطيب لى الحديث المفصل عمن ذكرت من الصفوة الأعلام لولا أنى كتبت عن "الأدباء" منهم كتابة مستفيضة فى كتابى "قمم أدبية" وكتبت عن "الشعراء" فى كتابى "خصائص الشعر الحديث" وكتبت عن أعلام الفن الموسيقى فى كتابى "أم كلثوم وعصر من الفن" وكتبت عن التشكيليين فى كتابى "فكر ـ أدب ـ فن ـ سياسة" ولهذا اكتفيت بلمحات منهم اقتضاها السياق فى قصتى مع القاهرة مكتفية بما جاء فى كتبى الأخرى من تحليل متوسع بل أفردت لبعض هذه الأسماء النوابغ كتاباً مستقلاً لكل منهم مثل: العقاد ـ المازنى رامى أم كلثوم.

أم كلثوم

بيرم التونسى

التماثيل العامة فى مصر

التراث، وما يعنيه للمصريين

مصر مهد الحضارة أو كما يقول رجل الشارع "مصر أم الدنيا." ظلت أمة تعتز بتراثها الحضارى على مر العصور رغم تعاقب الغزاة عليها. وكانت مصر الفرعونية التى أرست قواعد الحضارة فى العالم تقوم بإضفاء لمساتها من ملابس الملوك وألقابهم وغيرها من العادات حتى على الغزاة الذين ارتدوا الزى الملكى المصرى القديم واستخدموا شارات الملك وتسموا بأسماء وألقاب الفراعنة. وذلك شيء مفهوم حينما كانت مصر على رأس الأمم القديمة ولم يوجد أعظم من ملوك الفراعنة الذين كان العالم أجمع يقلدهم ويتشبه بهم. ولكن فى فترات الضعف والاضمحلال، جرت العادة أن تتنصل الشعوب والجماعات من كل ما يميزها عن غيرها. ففى فترة البطالمة من حوالى عام 305-30 ق.م، كانت هناك عدة مدن شبه مستقلة ويتمتع فيها اليونانيون بالمواطنة. وكان من ضمنها الاسكندرية التى كانت عاصمة مصر فى العصر البطلمى وكان بها المكتبة الشهيرة ومركز الأبحاث التابع لها والشبيه بالجامعات فى العصر الحالي، والفيوم والشيخ عبادة أو أنطنيوبوليس بالمنيا.

وصارت اليونانية لغة الثقافة. فكان بعض المصريين يتعلمون اليونانية ليرتقوا بأنفسهم ويزيدوا من فرص التحاقهم بالعمل فى المدن، كما بدأ عدد من المصريين فى ارتداء الأزياء والاكسسوارات اليونانية حيث أن هذا الشكل كان مرتبطا بالغنى والرقى. وفى أثناء حكم أسرة محمد على وحتى خمسينيات القرن العشرين، زادت الامتيازات الأجنبية وصار عدد كبير من المصريين يعتبرون أن الرقى أو الشياكة فى التشبه بالجاليات الأوروبية، خاصة الإنجليز والفرنسيين. ولقد استخدمت كلمتين من أصل فرنسى هما "اكسسوارات" بمعنى مكملات الملبس من حلى وشنط وأحزمة وغيرها، وكلمة "شياكة" من كلمة "شيك" الفرنسية بمعنى أنيق. واستمر هذا التقليد فى الشعب المصرى وانتشرت الأزياء الأوروبية فى طبقة الحكام وأرقى طبقات المجتمع، بل انتشر الملبس الغربى حتى على مستوى القرى والنجوع فنجد أن أطفال المزارعين أنفسهم

أ. د. راندا بليغ

أستاذة الآثار المصرية بجامعة المنصورة

randa.baligh@gmail.com

فى العصر الحالى صاروا يرتدون الملابس المستوحاة من الغرب والمصنعة فى دول جنوب شرق آسيا وبنجلاديش.

فماذا عن الشعب المصرى مقارنة بالشعوب الأخرى؟ للأسف لا يعتبر شعبنا فى عصرنا الحالى من الشعوب التى تهتم كثيرا بتراثها وهويتها، فنرى أن الشعب صار يبتعد شيئا فشيئا عن الألحان الشعبية المميزة ونجد كثيرا من المؤلفات الحديثة أسرع إيقاعا وأقرب للموسيقى الغربية حتى فى آلاتها الموسيقية وأصواتها. كما نجد أن الغالبية لا تهتم بزيارة المتاحف والمواقع الأثرية وربما زارت بعض المواقع مرة واحدة طوال حياتها فى رحلة تعليمية أو تثقيفية. ولا يهتم أغلبنا بالحفاظ على التراث المعمارى النادر لبلدنا على مصر العصور، بل إن المبانى الخديوية أو العلوية من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، تكاد تنقرض الآن من مدن مصر. فعلى سبيل المثال عندما تقرر الاستغناء عن مترو مصر الجديدة الذى كان يربط الضاحية التى أنشئت فى القرن العشرين بالعاصمة، لم تقم حركة مقاومة قوية أو ضغط شعبى لإسناد إدارة المترو لشركة مستقلة بأموال أكثر على أن يستمر المترو الذى يعطى الضاحية طابعا مميزا. ونتمنى ألا يباع حديد المترو الذى يمكن أن يكلف مليارات الجنيهات الآن، كحديد خردة كما كاد كوبرى دمياط الذى بناه المثال الفرنسى الشهير جوستاف إيفل أن يباع كحديد خردة بالكيلو.

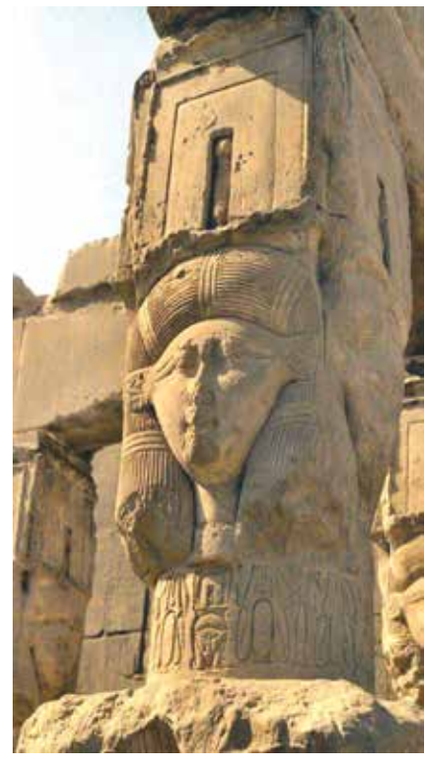

الالهه حتحور

امنتحتب الثانى

الأله جحوتى

تقدير الأجداد بالحفاظ على تراثهم

ولكى نعرف الفارق بين المصرى الذى صنع أعظم حضارة فى العالم القديم، والمصرى فى عصرنا الحديث، يجب أن نعلم أن المصرى القديم اهتم بآثار من سبقوه. فنعرف أن ابن رمسيس الثانى "خع إم واس"، وكان يشغل عدة مناصب مهمة بالدولة أثناء حكم والده بالأسرة التاسعة عشرة، اهتم بترميم وصيانة آثار الأجداد بمنف. وكان ترتيب خع إم واس هو الرابع فى الأبناء كما كان ولى عهد الملك رمسيس الثانى لفترة. وجرت العادة أن يرسل الملوك أكبر أبنائهم لمدينة منف بالجيزة لأهميتها. وأثناء عمل خع إم واس بمنف متدرجًا فى كهنوت الإله بتاح، ثم فى منصب إدارى يجعله بمثابة محافظ منف، قام بترميم عدد كبير من آثار الأجداد مثل هرم ونيس بسقارة وأهرام ملوك الأسرة الخامسة مثل وسركاف، وتماثيل مثل تمثال كا وعب. وترك خع إم واس كتابات على القطع تؤكد حبه للآثار وما هو قديم، وتقديره للأجداد وأهمية الحفاظ على تراثهم. ومن عادات الأجداد أيضا الحفاظ على الأعمال الفنية وأدوات الطقوس الدينية وغيرها بالمبانى المهمة كالمعابد، ودفنها فى خبيئة إذا ما استشعر المصريون خطرا. وقد تم العثور على خبيئة شهيرة فى معبد الكرنك فى آخر ديسمبر 1903 وبها أكثر من 20.000 قطعة، منها حوالى 900 تمثال وبهذا تكون أكبر خبيئة أثرية بالعالم. وتم العثور على خبيئة أخرى بمعبد لقصر بالأقصر أيضاً، حوالى 1989 وبها حوالى 22 أو 23 تمثالاً أنشئت لها قاعة عرض جديدة بمتحف الأقصر. وأنشأ المصريون من فراعنة الأسرة الحادية والعشرين خبيئتين للمومياوات فى المقبرة 320 بالدير البحرى وهى الخبيئة الأكبر، والخبيئة الصغرى بمقبرة الملك أمنحتب الثانى بوادى الملوك. وقد كشف عن كليهما لص آثار من عائلة عبد الرسول الشهيرة بالأقصر ما بين 1881-1889. أما الطريف فهو العثور على خبيئة أثرية بالمتحف المصرى بالتحرير، وكأن أحفاد الفراعنة يسيرون فى خطى أجدادهم فى الحفاظ على الآثار. وكانت الملكة حتشبسوت تفخر فى كتاباتها أنها قامت بترميم وإعادة بناء معابد هدمت فى عصر أمنحتب الرابع أو أخناتون.

الكنيسة القبطية حافظت على التراث

ومن أهم الجهات التى قامت بدور فى حماية التراث المصري، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، حيث حافظت على اللغة والموسيقى والأعياد التى ربطتها بالأعياد المصرية القديمة، وحافظت على التقويم والنتيجة المصرية القديمة من خلال نتيجتها التى سميت بنتيجة الشهداء وأنشئت عام 84 م. ومن المعروف أن هذه النتيجة بها أسماء الشهور على أسماء مصرية قديمة، مثال توت (الإله جحوتي)، بابة (با أوبي)، هاتور (الإلهة حتحور)، أمشير (مخر إله الزعابيب والعواصف). وهناك أيضا نتيجة للنوات أو الطقس غير المستقر بمصر تابعة للنتيجة القبطية، وهى دقيقة للغاية ويعتمد عليها سكان السواحل لمعرفة الجو فى

مواسم كثيرة، كما يعتمد المزارعون كثيرا على النتيجة القبطية لأنها أكثر نتيجة تعرف طقس مصر فى مختلف الفصول. وهى مكونة من ثلاثة عشر شهرا، آخرها شهر مكون من خمسة أيام، كما أن النتيجة القديمة لمصر كان بها ثلاثة فصول بالسنة بدلا من أربعة. وتعتبر طقوس كنسية كثيرة منها استخدام الزيت الخاص والبخور وغيرها، من الأشياء التى تأثرت بها الكنيسة من التراث المصرى وحفظتها لنا.

مصر مهد الحضارة الإنسانية ومهد الأديان السماوية وأرض التوحيد بالإله. وربما تسببت كثرة الآثار فى شعور الإنسان المصرى العادى بعدم أهمية الحفاظ على موقع أثرى أو قطعة أثرية من منطلق أن هناك الكثير من الآثار. ولا يشاركنا الأخوة العرب نفس النظرة فى الغالب، فهناك دول عربية كالأردن وتونس وليبيا والمغرب تحافظ على آثارها وتراثها وتعتز به. فمثلا تترك دول شمال أفريقيا المجاورة مواقع المدن القديمة كما هى وتبنى المدن الجديدة بأماكن أخرى. ويحتفظ سكان دول أخرى باعتزازهم بزيهم الوطنى ويرتدونه خاصة فى المحافل الدولية كنوع من الفخر بالتراث الوطنى. لكن الوضع الاقتصادى الذى أثر على جميع نواحى الحياة، أثر أيضاً على نظرة المصرى لبلده. فصارت الأناقة فى التشبه بالدول الغربية فى الملابس والطعام وكل شيء حتى عادات الزفاف كالثوب الأبيض ورمى باقة ورد العروس لصديقاتها. بل إن استخدام لفظ "بلدي" قد تغير كثيرا، فبعد أن كان كل ما هو بلدى كالسمن البلدى والخبز البلدى واللحم البلدي، يعنى شيئا عالى الجودة، صارت لفظة

تمثال إبراهيم باشا فى ميدان الأوبرا بوسط-القاهرة

تمثال محمد على باشا ميدان القناصل المنشية الإسكندرية

"بلدي" تستخدم للتعبير عن شيء سيىء الذوق أو رديء الصنع أو منخفض المستوى، أو تعبر عن عمل شيء خطأ مثل "اللفات البلدي" بالطرق التى يحفرها البعض كى لا يضطروا للسير أو القيادة لمسافة كبيرة قبل أن يقوموا باللف والعودة.

التماثيـل العامة فى مـــصر

اعتاد المـصريون منذ عصر الأسرة العلوية أن يقيموا الميادين على هيئة دائرة بها تمثال لشخصية مهمة مرتبطة بالسياسة فى المنتصف، وهو تأثير فرنسى أوروبى. ثم كانت هناك ميادين أو ساحات مستطيلة وهو تأثير بريطانى أكثر، وبه حدائق ويسمح بمساحة أكبر للميدان. وفى العصر الحالي، ورغم إلغاء إشارات المرور من أغلب الميادين واستبدالها بلفة للخلف أطلق عليها الشباب المصرى اسم "شمبرلاح" بدلا من ميدان، إلا أن تماثيل الميادين قد اختلفت فى الشكل والطابع. وقد شهدت الأعوام من 2015 إلى 2017 انحدارا كبيرا فى الذوق العام بالقاهرة والمحافظات فأنتجت مجموعة من الكوارث الفنية أثارت جدلا واسعا، حتى تم اتخاذ قرار بعدم إقامة تماثيل عامة إلا بعد استشارة وزارتى الثقافة والآثار تبعاً لنوع التمثال. وبالفعل أزيلت بعض التماثيل التى أثارت تعليقات ساخرة من الشعب المصرى خفيف الظل الذى اعتاد أن يلجأ للفكاهة عند الشدائد وللتنفيس عن ضيقه حتى بأبسط الأشياء. وسنعرض هنا لبعض النماذج المنتقاة من التماثيل القديمة والحديثة.

تماثيل لأهم رجال الدولة

عندما أنشئت القاهرة الخديوية فى فترة حكم الخديو إسماعيل، أراد الخديو اسماعيل أن يزين الميادين الرئيسية بتماثيل مختلفة. تماثيل لأهم رجال الدولة فى عصر محمـد على. فتم تكليف المثال الفرنسى الشهير آنذاك ألفريد جاكمار Alfred Jacquemart Henriبعمل عدة تماثيل: منها تمثال محمـد على الكبير على صهوة حصانه الموجود حالياً بميدان المنشية بالاسكندرية (وكان يعرف بميدان القناصل

الأسكندر الأكبر

لاظ أوغلى

أحد أسود قصر النيل

سابقاً)، وتماثيل الأسود التى تزين كوبرى قصر النيل، وتمثال لاظوغلى وأصل اسمه لاظ-أوجلو بك، وتمثال سليمان باشا الفرنساوى الذى كان اسمه الأصلى الكولونيل جان أنثيلمى سيف Jean Anthelme Sève. ولكل من هذه التماثيل قصة. وقد عرض أغلبها بفرنسا قبل عرضه بمصر. بالنسبة لتمثال محمد على بالمنشية، فيقال أن أولاد البلد آنذاك قد اعترضوا على شكل الميدان المستدير حتى لا يصير التمثال بمثابة صنم يدور الناس حوله. فتم تغيير تصميم الميدان ليكون مستطيلا وليس مستديرا حتى لا يطوف الناس حوله. وكان من المفروض أن تحيط الأسود الأربعة بتمثال محمد على باشا بربع حجمها الحالى. وكان تغيير الخطة الأصلية بفضل اقتراح من لينون دو بيلفون Linant de Bellefonds (أو لوى موريس أدولف لينون دو بيلفون) الذى كان مرتبطاً بمشروع قناة السويس ككبير مهندسى القناة والمسئول عن الأشغال العامة بالدولة. أما عن تمثال لاظوغلى باشا الذى كان وزيرا للدفاع فى عصر محمد علي، فقد مات قبل أن يتم عمل التمثال حوالى 1872، فعثروا على سقاء قريب الشبه من لاظوغلى باشا كان يحمل قربة ماء، فألبسوه الملابس الرسمية وطلبوا منه أن يقف بعظمة لينحته المثال. لذلك سمى التمثال بتمثال لاظوغلى السقا. وكان سليمان باشا رجلاً فرنسياً عهد له محمد على باشا بتدريب الجيش وأطلق عليه محمد على اسم سليمان. وكانت حفيدة سليمان باشا الملكة ناظلى فيما بعد زوجة للملك فؤاد الأول وأم الملك فاروق. وقد استبدل تمثال سليمان باشا لاحقا بتمثال طلعت حرب مؤسس بنك مصر من صنع المثال فاروق إبراهيم، بينما يوجد تمثال سليمان باشا الآن بالمتحف الحربى بالقلعة. وقد صنع الفنان فاروق إبراهيم أيضاً تمثال الشهيد عبد المنعم رياض، وتمثال عمر مكرم أيضا بالتحرير. وبالقرب منه تمثال آخر حديث هو تمثال سيمون بوليفار محرر أمريكا الجنوبية، وقد صنعه المثال مانويل يسلفيه.

أما عن تمثال إبراهيم باشا قريب الشبه للغاية من تمثال محمد علي، فقد صنعه المثال الفرنسى كورديه في1872 بأمر من الخديو اسماعيل، وباستشارة جاكمار. وتم صنع قاعدة للتمثال وصنع كورديه لوحتين لوضعهما على القاعدة تمثلان معركتى نزيب وعكا. واعترضت السلطات التركية آنذاك على وضع اللوحتين لأنهما تمثلان هزيمة تركيا أمام الجيوش المصرية. وفى عام 1948 وبمناسبة مرور مائة عام على وفاة إبراهيم باشا، حاولت السلطات المصرية الحصول على اللوحتين من فرنسا، فلم يتم العثور عليهما عند حفيد المثال كورديه. وتم العثور على صور لهما. وعهد إلى الفنانَين المصريين أحمد عثمان ومنصور فرج بصنع لوحتين شبيهتين بلوحتى كورديه تم وضعهما على قاعدة التمثال تبعاً للخطة الأصلية.

وهناك مثّال مصرى عظيم هو محمود مختار الذى سافر لاستكمال

دراساته الفنية بفرنسا على نفقة الأمير يوسف كمال حوالى 1911. وقام بعمل عدة تماثيل تاريخية مِثال تمثال نهضة مصر الموجود الآن عند كوبرى جامعة القاهرة، وتمثال سعد زغلول بالجزيرة عند كوبرى قصر النيل وصنعه عام 1928. وعند وفاته تنازلت أسرته عن تماثيله للدولة شريطة أن يقام متحف لأعماله. وبالفعل أقامت الدولة متحفاً لأعمال محمود مختار بحديقة الحرية بالجزيرة، افتتح عام 1962.

وهناك تمثال محمـد فريد الذى قام بصنعه المثال منصور فرج. وقام المثال حلمى يوسف بصنع تمثال أحمد ماهر باشا حوالى عام 1948، وأقيم أمام كوبرى الجلاء بالجزيرة. أما عن تمثال مصطفى كامل الشهير بالردنجوت أو السترة الطويلة، وأبى الهول فقد صنعه المثال الفرنسى ليوبولد سافين Léopold Savine قبل الحرب العالمية الثانية، ولم تسمح الظروف بإسدال الستار عنه لفترة بسبب ظروف الحرب. وكان ميدان مصطفى كامل فى عصر الخديوى يحمل اسم ميدان الهيبودروم Hippodrome وهو مضمار لسباق الخيل، فأسماه الأهالى ميدان البدروم تبسيطا لاسم الهيبودروم. ثم سمى باسم ميدان سوارس وهو اسم رجل أعمال يهودى هو رافائيل سوارس الذى كان قد بنى عمارة باسمه فى المنطقة، ثم نقل تمثال مصطفى كامل الذى تم صنعه بالثلاثينيات من القرن العشرين بمدرسة الحقوق حتى عام 1940 حين تم نقله للميدان الذى سمى باسم مصطفى كامل بوسط البلد.

أشهر المعماريين والفنانين فى

تمثال نهضة مصر

تمثال الشهيد عبد المنعم رياض

العالم

وبالإضافة لتماثيل الميادين العامة والطرقات، كان تكليف أعظم فنانى العالم بعمل أعمال فنية للتزيين نظاما منتشرا فى عصر الأسرة العلوية، فكانت هناك تماثيل كاملة وتماثيل للرأس أو حتى الصدر وضعت بالمبانى العامة أيضا كالمتحف أو الأنتكخانة، والجامعة والوزارات، وقاعات الموسيقى والمسارح، والقصور الملكية والفنادق وغيرها، وحتى المدارس التى كانت تحتوى على تماثيل لمؤسسيها، أو لوحات بورتريه. وقد ظل عدد من هذه الأعمال الفنية خاصة بالقصور التى تحولت إلى فنادق بعد ثورة 1952.

وكما هو معلوم فقد استعان الخديو إسماعيل فى العصر الذهبى للمعمار الذى شهدته القاهرة الخديوية وقصورها الملكية الفخمة، بمجموعة من أشهر المعماريين والفنانين فى العالم، وإن غلبت الجنسية الفرنسية والإيطالية على من استعان بهم فى المعمار والفن. واستمر هذا الاتجاه فى الاستعانة بمصممين أوروبيين حتى عصر الملك فاروق. وفى بعض الأحيان كان هؤلاء المبدعون الذين كان حكام الأسرة العلوية يستعينون بهم، يضيفون عناصر من العمارة الشرقية أو العمارة الفرعونية وغيرها ليخلقوا فناً مميزاً مثال قصر المنتزه الذى جمع بين طراز المشهَّر وهو فن مستوحى من العمارة الرومانية واستخدم كعنصر زخرفى فى العمارة الإسلامية، والعمارة الإيطالية ومنها البرج بقصر الحرملك بالمنتزه، الاسكندرية، الذى بنى على شاكلة برج بالاتزو فيكيو Palazzo Vecchio بفلورنسا، إيطاليا. والجدير بالذكر أن حكام الأسرة العلوية وعلى رأسهم الخديو اسماعيل، كانوا لا يستعينون إلا بأفضل الخبراء فى كل التخصصات. وقد طلب الخديو إسماعيل من الإمبراطور نابليون الثالث أن يستعين بهاوسمان مصمم باريس ليس فقط لتصميم القاهرة الخديوية، بل لإحضار العمالة اللازمة بما فيها خبراء الحدائق من الخارج. لذلك عندما أنشئت الجامعة

تمثال مصطفى كامل

تمثال محمد فريد

تمثال طلعت حرب

المصرية (التى صارت جامعة فؤاد الأول عام 1937، ثم صارت جامعة القاهرة)، تمت الاستعانة بمجموعة من أفضل العلماء بكل التخصصات من أطباء وعلماء وخبراء ليعلموا الطلاب المصريين. وكانت القاهرة الخديوية مقامة بالقرب من النيل، وتبدأ من نهاية كوبرى قصر النيل وتضم ميادين وسط البلد وشوارعها حتى ميدان العتبة ورمسيس (شارع الملكة ناظلى سابقا)، والأوبرا والأزبكية، وشارع محمـد على الذى كان يربط بين منطقة الإسماعيلية بالقلعة، وشارع كلوت بك الذى كان طبيباً فرنسياً أقام مستشفى القصر العينى ووضع قواعده. وصممت أوبرا القاهرة بواسطة مهندس إيطالى وعلى غرار أوبرا لاسكالا بميلانو. وقد احترقت دار الأوبرا الخديوية فى 1971 ولا زال الجيل القديم يذكر أنها كانت لا تقل فخامة عن أوبرا باريس.

أما عن الإسكندرية، فكان بها عدد كبير من التماثيل خاصة فى فترة الأسرة العلوية حيث شهدت المدينة رواجا اقتصادياً كبيراً خاصة فى عشرينات القرن العشرين وحتى الخمسينات منه. وكان منها تمثال للخديو إسماعيل عند نصب الجندى المجهول بالاسكندرية الآن. وتمثال بوغوص نوبار باشا أمام أوبرا الاسكندرية الحالية. وهناك تمثال الاسكندر بمدخل مدينة الاسكندرية، وهو من صنع مثال يونانى معروف هو كونستانتينوس باليوغوس Constantinos Baliou Loghos. وكان يونانيو الإسكندرية القدامى الذين عادوا لليونان قد تبرعوا بتكلفته حباً منهم للإسكندرية، وأهداه قنصل اليونان فى احتفالية كبيرة.

وفى العصر الحالى أقيمت بعض تماثيل أحدث بالميادين بالقاهرة الكبرى التى تشمل الجيزة، منها تمثال نجيب محفوظ بميدان سفينكس بالجيزة، وتمثال أمير الشعراء أحمد شوقى بالقرب من حديقة الأورمان وجامعة القاهرة، وتمثال عميد الأدب العربى د. طه حسين الذى تم وضعه فى ميدان الجلاء بالدقى على قاعدة شديدة الارتفاع. وصنعت التماثيل الثلاثة من البرونز وتبلغ عدة أطنان، وهى لرموز أدبية وشعرية وليس لشخصيات سياسية كما جرت العادة. وتظل التماثيل الأقدم هى الأجود، وفى نطاق الجيزة يظل تمثال نهضة مصر الشهير للمثال محمود مختار والذى صنع من الجرانيت الوردى وظل لفترة فى ميدان محطة مصـر قبل أن ينقل بالقرب من كوبرى جامعة القاهرة، هو الأكثر رونقا من التماثيل الأحدث بالمنطقة.

وهناك تماثيل تنحدر بالذوق العام، حيث صنعت بعض التماثيل مؤخرا تمثل تشويهاً للميادين وفساداً للذوق العام، منها تمثال رأس نفرتيتى الشهير بسمالوط بالمنيا، وهناك تماثيل قبيحة بجامعة المنصورة إن جاز لنا أن نطلق هذا المصطلح على عمل فنى حيث إن الجمال شيء نسبى. فمن الأفضل ألا تقام تماثيل لتخليد العظماء تظهرهم بشكل يثير السخرية، وعند الشك يستحسن ألا يصنع أى تمثال غير فنى حفاظاً على الذوق العام.

سفير
فخرى عثمان

ساقيه الصاوى ومعرض الربيع

أقامت مؤسسة ساقية الصاوى معرضاً فنياً تشكيلياً لأعمال عدد كبير من شباب الفنانين غالبيتهم من المصريين والبعض الآخر من الدول العربية. وانحسر محتوى موضوعات اللوحات فى التعبير عن فصل الربيع وقد اختلف أسلوب تعبير كل فنان وفنانة عما يراه طبقاً لفكره ورؤيته وبصمته ومدى تمتعه بروعة فصل الربيع ومناخه وزهوره وأعياده وجمال طبيعته والتمتع بعطاء الخالق لعباده.

لقد سعدت كثيراً وأعجبت جداً بما شاهدت من الإبداع الفنى المتميز سواء فى لوحات الورود أو البورتريه أو تكوينات الألوان المتناغمة أو فن النحت فى الخشب أو فن التجريد غير المعقد سهل الاستقبال. ولقد رأيت أن أنشر صور بعض اللوحات التى تمثل فى مجملها ثراء مصر بقدرات أبنائها فى مجال الإبداع الفنى وحركة الفن التشكيلى سواء على المستوى المحلى أو الدولى.

هنيئا لمصر الدولة .. وللإنسان المصرى ابن وادى النيل المبدع بقدرته على العطاء والبناء فى كافة المجالات.

كل تقديرى لمحتوى معرض الربيع بساقية الصاوى.

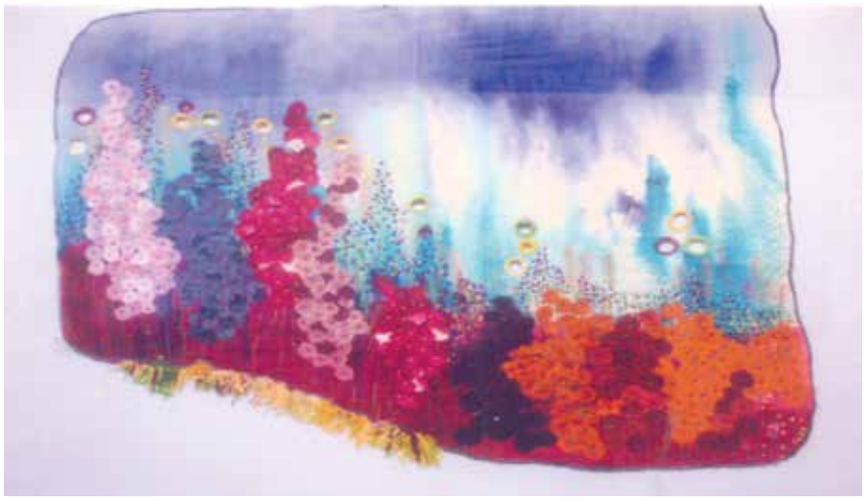

الفنانه المهندسة غاده مختار

أقامت الفنانة المهندسة غادة مختار معرضها الأول الشخصى فى قاعة المكتبة الموسيقية التابعة لدار الأوبرا وقد غلفت لوحاتها جدران طابقى القاعة الدائرية الجميلة. وكانت غالبية أعمالها فى فن البورتريه. وقد تضاعف إعجابى ودهشتى بطاقاتها الإبداعية عندما أابلغتنى أنها الهواية فقط، فلم يسبق لها دراسة الفن التشكيلى وسبحان الوهاب.. فهناك الكثير من مشاهير الفنانين العالميين الذين لم يدرسوا الفن التعبيرى التشكيلى ومنهم من أبدعوا المذاهب والمدارس الفنية كالتعبيرية والرمزية والتجريدية. قد يكون فى دراسة الهندسة وخاصة فى بعض تخصصاتها الهندسية كالهندسة المعمارية على سبيل المثال تتخذ من الحس الفنى والخيال أساساً للنجاح والتفوق.

كل تقديرى للفنانة المهندسة التى أبدعت فى فن البورتريه التى تفوقت فى مجاله ويخشاه الكثير من الفنانين.

التراث والتنمية المستدامة

التنمية كما يراها المتخصصون هى نشاط أو فعل إنسانى متصل ومستمر يستغرق زمنا قصيرا أو متوسطا أو طويلا، وفقا للفلسفة التى تقوم عليها التنمية المرجوّة. ونحن عندما نتحدث عن تنمية «التراث الثقافى غير المادى» Intangible Cultural Heritage فإننا لابُدّ أن نؤكد أن إدارة هذه التنمية ينبغى لها أن تســـتند إلى رؤية مستقبلية لوضع هذا التراث ودوره خلال فترة معينة واضعين فى اعتبارنا أن هذه الرؤية لا تصدر من فراغ ولا تتجه إلى فراغ، وإنما تقوم على استقراء لطبيعة الدور وحقيقة الدور ماضيا وحاضرا ومستقبلا..

هذا التصور المســـتقبلى لوضع التراث الثقافى غير المـــادى ودور المبدعين له، المحافظين عليه، وعلاقاتهم بهذا التراث والمجتمع الذى ينتمون إليه، إنما يلخصُ فى واقع الأمر جملة الأهداف الكبرى التى ينبغى أن تقوم عليها أية خطة للحفاظ عليه، والاستفادة منه فى خطط التنمية خلال آجال قصيرة أو متوســـطة، أو طويلة أيضا. كما أن إدارة هذه التنمية لابد أن تتضمن أيضـــا تصورا محددا للأسلوب الذى يمكن أن يتم التعامل به مع هذا التراث، أو الطريق الذى علينا أن نسلكه لكى نحافظ عليه وعلى استمراره وتنميته فى المستقبل القريب والبعيد فى ضوء ما يمكن توقعه أو التنبؤ به، ومن ثم العمل من أجل تحقيقه.

لقد عرّفت اتفاقية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونســـكو 2003) الخاصة بصون التراث الثقافى غير المادى والتى كان لى شرف المشاركة فى مناقشـــة بنودها وصياغتها، بأنه: الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات والأماكن والمواقع الثقافية التى يعتبرها الأفراد والجماعات جزءًا من تراثهم الثقـــافى ويتوارثونه جيلا عن جيل، وأنه ينمى لديهم الإحســـاس بالهويّة والشعور بالاستمرارية ويعزز احترام التنوع.

ويتجلى هذا الـــتراث الثقافى غير المادى (ICH) وفقاً للاتفاقية فى:

1 - التقاليـــد (المأثورات) وأشـــكال التعبير الشـــفاهى بمـــا فى ذلك اللغة كوسيط للتعبير عن التراث الثقافى غير المادى. (على ســـبيل المثـــال لا الحصر الأمثال الشـــعبية والحواديت والسير الشعبية كســـيرة بنى هلال، والألغاز والمواويل والشعر الشـــعبى والتاريخ الشفاهى إلخ).

أ. د. أحمد على مرسى
عضو المجلس الأعلى للثقافة
amorsi9@yahoo.es

2 - فنـــون وتقاليد أداء العروض مثل الموسيقى الشـــعبية والغناء والرقص الشعبى والعروض المسرحية كالأرجوان وغيره.

3 - الممارســـات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات (على سبيل المثال: العادات والتقاليد المرتبطة بدورة حياة الإنسان، والاحتفالات الشعبية الخاصة كالسبوع والزواج إلخ، والعامة كالاحتفال بموالد الأولياء والقديســـين والأعياد وزيارة الأماكن ذات القداسة إلخ).

٤- المعـــارف والممارســـات المتعلقة بالطبيعة والكـــون (المعارف المرتبطة بالعـــلاج والتداوى، الطب الشـــعبى، طرق الزراعـــة ومواعيدهـــا، وحفر الآبار وتوزيع المياه، والجبال والأنهار، والنجوم ومواقعها وتأثيرها إلخ).

٥- المهارات المرتبطة بالفنون والحرف التقليدية (وهى المهـــارات والمعارف المأثورة عن حرفـــة معينة أو مجموعة من الحـــرف، أو منتجات فنية تقليدية كالخيامية والتـــلّى والنجارة التقليدية والأزياء والمصاغ الشعبى إلخ).

وعرّفت الاتفاقية المقصود بالصون بأنه التدابير الرامية إلى ضمانات لاستدامة التراث الثقافى غير المـــادى بما فى ذلك تحديد هذا الـــتراث وجمعه وتوثيقه، وإجـــراء البحوث بشـــأنه، والمحافظة عليه وحمايتـــه وتعزيز تنوعه وتنميته وإبرازه ونقله لاسيما عن طريق التعليم النظامى وغير النظامى وإحياء مختلف عناصره.

وقد نبهـــت الاتفاقيـــة إلى أنه لوحظ أن عناصر التراث الثقـــافى غير المادى تتعرض منذ فترة طويلة لمجموعة من المخاطـــر التى هددت وتهـــدد بقاءها واستمرارها وقد تؤدى - وهى بسبيلها إلى ذلك بالفعل- إلى تدهورها واندثارها، ومن ثم تدهور هذا التراث واندثاره كله شيئا فشيئا. وعلى ذلك تمت الدعوة إلى ضرورة إيجاد ســـبل للحفظ والصون والحمايـــة الفعالة لهذا التراث وتنميته سواء فى جانبه المادى أو غير المادى؛ لما يمثله ذلك على صعيد الفرد وعلى صعيد المجتمع، ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا

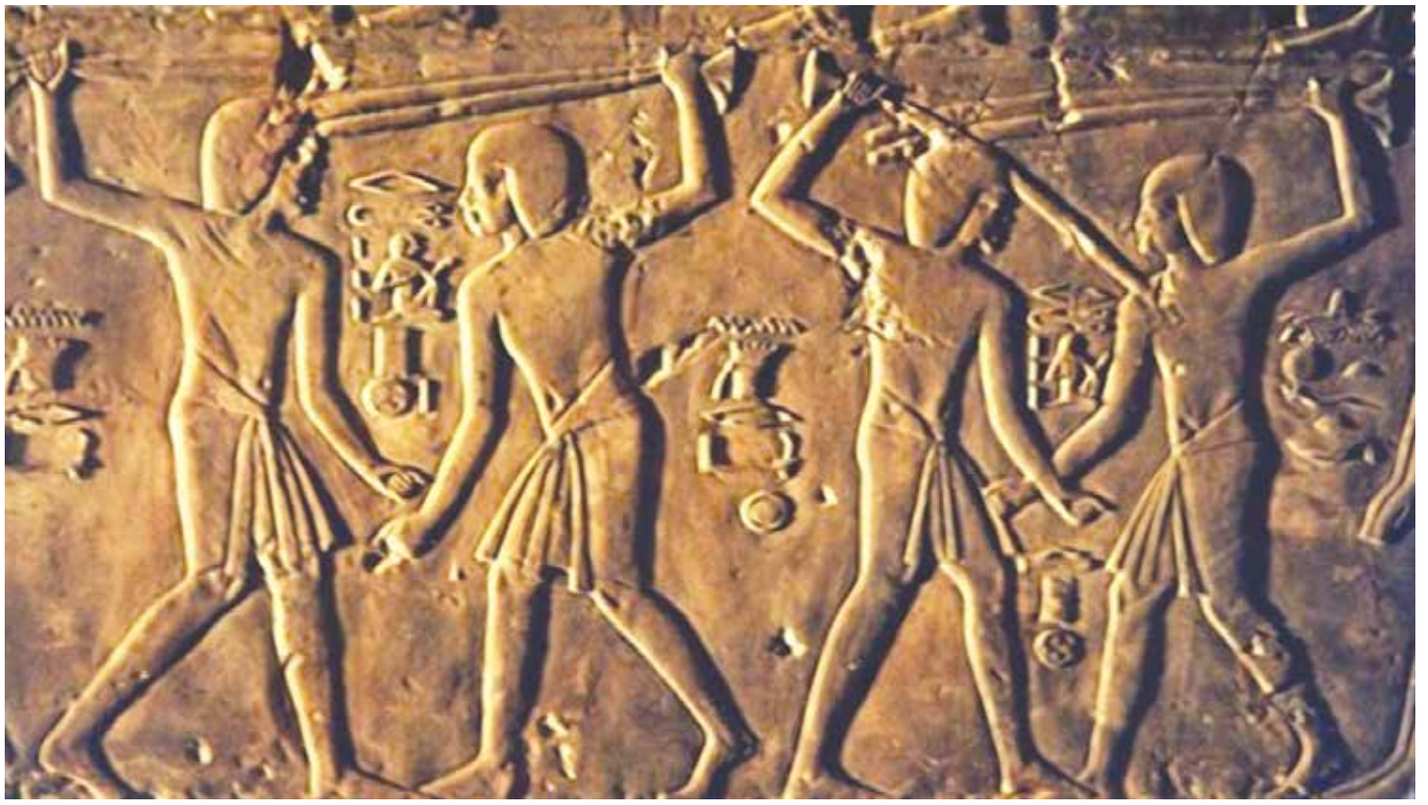

التحطيب تراث فرعوني حافظت عليه الاجيال

ووطنيا بصفة عامة.

إن هذا الذى ذكرناه يقتضى فى الحقيقة مجموعة من الإجـــراءات التى لابد من اتخاذها بشـــكل عاجل وهو ما سبقتنا إليه دول كثيرة تحترم تاريخها وتحترم تراثها بالتبعية حفاظـــا على هويتها وتعميقا لهـــا، وليس من أجل أغراض السياحة والتجارة فحسب.

وأول هذه الإجراءات، العمل على زيادة الوعـــى وتعميقه بقيمة هـــذا التراث ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا باستخدام كافة الطرق المتاحة عبر منهج التعليم والبرامج الثقافية التى من المفترض أن تقوم أجهزة الثقافة بتحقيقها، ووسائل الاتصال المعاصرة، والتنسيق بينها فى إطار خطة علمية مبنيـــة على معرفة حقيقية بواقع هذا التراث والمشاكل التى تواجه أصحابه الحافظين له (إلى الآن).

وثانيها: بناء أرشيف (قاعدة بيانات) علمى يقـــوم على جمـــع عناصر هذا التراث وتوثيقها توثيقا علميا صحيحا، ودعم هذا الأرشيف بشريا بالجامعيين المدربين والخبراء المتخصصين، وماديا بتوفـــير الميزانية اللازمـــة التى تيسر له القيام بوظيفتـــه الوطنية ومهمته الجليلة فى الحفاظ عـــلى تجليات هذا الـــتراث وعنـــاصره المتنوعـــة الثرية ودراستها وتنميتها واستلهامها وإعادة إنتاجها والحفاظ على استمرارها وعلى أصالتها وقيمتها.

وثالثها: توفـــير الحمايـــة القانونية - على الصعيدين الوطنـــى والدولى- لعناصر هذا التراث فى مواجهة التحقير والانتهاب والاســـتلاب والتشويه وسوء الاســـتخدام مما يهـــدد قيمتها ثقافيا واقتصاديا ويقضى على دورها الذى لا يمكن تعويضه فى الحفاظ على الهوية، وكذلك على إمكانات اســـتخدامها من أجل إحداث تنميـــة ثقافية اقتصادية حقيقيـــة لا تكلف كثيرا، وتعود بالخير على أصحاب هذا التراث ومن ثم الوطن كله.

لقد دعونا إلى ذلـــك مرارا وتكرارا على مدى العقود الماضيـــة، ولايزال الأمل يراودنا فى أن يلقى هذا التراث الثقافى ما هو جدير به من اهتمام حقيقى نابع من إرادة قوية تتم ترجمتها إلى عمل علمى منظم لصالح الوطن وأهله حافظى هذا التراث. ولدينا تجارب وطنية حقيقية يمكن الاستفادة منها والبناء عليها إذا توفرت النية وصدق العزم.

ولا شـــك أن بعثاتنا الدبلوماســـية فى مختلـــف دول العالم، خاصة تلك التى خطت خطوات جديرة بالنظر والتأمل والاحترام فى هذا المجال، تســـتطيع أن تســـهم بدور كبير فى تعريفنا بتجارب هذه الـــدول وما حققته مـــن تنمية حقيقية اعتمادا على تجليّات ثقافاتها على مختلف الأصعدة ثقافيا واقتصاديا واجتماعيـــا، وفى نقل هـــذه التجارب إلينا للاســـتفادة منها فلسفةً وإعدادًا وتنظيما وإدارة.

إن أمامنـــا تجارب متميـــزة لدول فى آسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية جديرة بالدراســـة والتأمل للاســـتفادة منها.

ولعلى أشـــير هنا إلى مفهوم خطأ شاع ويتردد كثيرا على ألسنة رجال الاقتصاد والصناعة وهو «الصناعات الصغيرة»، إذ أن ما أقصده، وأؤكـــد عليه فى هذا المجـــال، هو مصطلح آخـــر يعبر عن فلسفة أخرى ورؤية مختلفة وأعنى به «الصناعـــات الثقافية»، وهو المصطلح الـــذى يتم تداولـــه الآن عالميا مرتبطا بالتنمية الثقافية، والتنمية المستدامة، والتنوع الثقافى. ولا يتســـع المقام هنا للإفاضة فيه.

زمن التصوير الضوئى الجميل

خلال العام 1964 الـــذى قضيته لدى عائلـــة أمريكية فى مدينة كليفلاند بولاية أوهايو فى إطار برنامج للتبادل الثقافى أقيم فى المدرسة الثانوية التى التحقت بها مهرجان للفنون شـــاركت فيه بالرســـم والنحت والزجاج المعشـــق وفق ما تدربت عليه بتفوق فى مدرستى بمصر

سفير د محمد حسونـة

mohammad.eternitynow@gmail.com

وفى هذا المهرجان تمت اســـتضافة نخبة من كبار الفنانين من بينهم المخرج الســـينمائى Joshua Logan، مخرج الفيلم الغنائى السياسى الرائع «كاملوت» حيـــث ألقى كلمة أوضـــح فيها أن من يستطيع أى شيء أن يعيقه أو يثنيه عن الإخراج الســـينمائى فليتخلى عنه! أى أن الفن ليس ترفيهاً مؤقتا وإنما خيار إستراتيجى يستحق أن تكرس له حياتك كلها ويعتبر قدراً لا فكاك منه. ولا أنسى فنانا آخر عرض لنا صورا ضوئية بالغة الشاعرية لسلســـلة متنوعة من صنابير المياه والنوافير فى الحدائق، فأدركت أن الجمال حولنا فى كل مكان إذا عرفنا كيف نكتشفه. أى أن الجمال فى عين الرائي! وأدركت فى هذا المهرجان أن كل الفنون تشكل منظومة واحدة تسعى لاقتناص الجمال بمختلف تجلياته. ومن بين هذه الفنون التصويـــر الضوئى الذى يرجع إلى اخـــتراع Niepce للكاميرا. وتابعت كيف تطور من مجرد تقنية إلى فن راق حين صادفت أول كتاب فنى وقعت عليه عينى بعنوان «الخلـــق» للمصور الفذ Ernest Haas.

وبـــدأت تجربتـــى المتواضعـــة فى التصوير خلال أســـفارى المتتالية حيث يتيح السفر للإنســـان مشاهدة الأشياء لأول مرة بدهشة الطفولة.

وعند زيارتى للبتراء فى الأردن دخلت إحدى المغارات المظلمـــة فوجدت فيها طاقة يتســـلل منها الضوء فشرعت فى تصويرها مسلطا الكاميرا صوبها، وفى لحظة ضغطى عـــلى الزر ظهر كائن أو شـــبح فى بؤرة هذه الفتحة! وبمجرد أن أشـــحت الكاميرا عن عينى اختفى ولم أر أى شيء فى تلـــك النافـــذة إلا الفراغ! فشـــككت فيما رأيت هـــل كان وهما أم هلوســـة؟! وســـارعت بالخروج من المغارة لأنظر مقابـــل النافذة، فوجدت فتاة بدوية ســـاحرة الجمال شاء القدر أن تمـــر فى هذه اللحظـــة الفريدة غير المسبوقة ولا الملحوقة عند ضغطى على زر الكاميرا، لحظة لن تتكرر! فبدت فى قلب الصورة محاطـــة بالألوان المبهرة للإبداع الجيولوجى الذى تتميز به البتراء وقد كشـــفها ســـطوع الفلاش فتجلت بكل روعتها! ولم أكن أنا ســـوى وسيط لهذه المصادفة الموضوعية كما يسميها السرياليون، وقد حصلت هذه الصورة على شـــهادة تقدير فى صالون القاهرة للتصوير الضوئى عام 1995.

كذلك علمنى التصوير كيف يختلف الشيء نفسه وفقا لتعرضه للضوء، وهذا ما أوضحه الفنان التأثـــيرى مونيه فى لوحات «الكاتدرائية» الخمسة. ويلاحظ هذا التفاعل إذا حاولنا تتبع مراحل تفتح الزهور والتى برع فى تصويرها Louie Schwartzberg مـــن خـــلال تقنية Time Lapse.

ويلاحظ أيضا قـــدرة الكاميرا على تثبيت اللحظـــة عندما يكون موضوعها سريع التحرك مثل الطيور أو الفراشات أو سريـــع الزوال مثل قـــوس قزح أو قطرة الندى أو غروب الشمس أو فقاعة الصابون أو زبد البحر أو حتى البرق!

وهناك من ناحية أخـــرى الأحداث الاســـتثنائية كالثورات ونزوح اللاجئين حيث تقـــوم الكاميرا بدور ســـياسى لا يطـــارد الجمال وإنمـــا يفضح الظلم والقمع وينصف المظلوم.

وقد ظهـــرت فى الســـنوات الأخيرة

الصور الملتقطة من الطائرات وأشهرها كتاب «الأرض» الذى نشره المصور الفرنسى Yann Arthrus Bertrand وقد مسح فيه بيئات القارات الخمسة.

وكذلك كتاب «عين حورس» الذى نشرته مكتبة الجامعة الأمريكية ويتضمن صوراً جوية لآثار مصر وشواطئها وريفها.

وكيف ننسى الصور التى التقطها الرحالة الفرنسىCousteau للبحار والأنهار والمحيطات وما تحويه من أحياء مائية؟ أو صور المصور النرويجي Nilsson الذى قام لأول مرة فى التاريخ برصد تطور حياة الجنى. وأذكر كيف اقشعر جلدى حين شاهدت لأول مرة عملية نقل قلب على التليفزيون.

وقد ارتقى التوثيق إلى الشاعرية فى مجموعة من الأفلام التى ساهمت فى إيقاظ الوعى الكوكبى وعلى رأسها سلسلة «الكون» Cosmosالتى قدمها عالم الفلك الكندى Carl Sagan، ثم أفلام Frederic Rossif عن مملكة الحيوانات والتى تضمنت أول تصوير ليلى للحيوانات المفترسة.

وكذلك الفيلم الجميل الصامت Microcosmos عن مملكة الحشرات.

وظهرت مؤخرا تلك المجموعة الرائعة «كوكب الأرض» و»الكوكب الإنساني» التى أعدهاDavid Attenborough. والتى ينبغى أن تدرج ضمن مقررات المدارس لمحو الأمية البيئية. فقد تفوقت فى حصر الكائنات المتنوعة بلا نهاية فى مختلف البيئات، سواء الصحراوية أو الجبلية أو الغابية أو الجليدية أو البحرية وتأقلمها المعجز معها. فهل يسفر هذا الوعى عن تحرك دولى من أجل إنقاذ السلالات العديدة المهددة بالانقراض؟

«وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها. كل فى كتاب مبين».

ومع التطور التكنولوجى فى مجال الفضاء ظهرت الصور المذهلة التى يلتقطها ويرسلها المرصد الفضائى Hubble للمجموعة الشمسية بل وللمجرات: إن كل هذه الصور تساعد الراكع على فهم معنى «سبحان ربى العظيم» وتعين الساجد على إدراك معنى اسم الله الأعظم! لدرجة أننى لا أفتح المصحف فى السنوات الأخيرة إلا وبجانبى تلك الآيات الكونية التى التقطها مرصد هابل!

هناك أيضا بورتريهات المشاهير التى ترصد أسرار الوجه الإنسانى أو ألغاز الجسد العارى والتى سعى الفن التشكيلى طوال تاريخه لفكها، وجاء المصور الفرنسيLucien Clergue ليمزج بين جسد المرأة وموج البحر على اعتبار أن «فينوس» وفقا للأسطورة الرومانية من قرارة الموجة. فجدير بالذكر أن هذه الأسطورة ترجع إلى «حتحور» إلهة الجمال فى الحضارة المصرية القديمة، والتى أصبحت الجميلة «ميريت» فى عصر البطالسة ثم تحولت إلى «أفروديت» فى الحضارة الإغريقية قبل أن تستعيرها الحضارة الرومانية.

ولعل المصور البولندى Waclaw هو من أعاد اكتشاف الجسد الإنسانى من مختلف زواياه رغم اقتصاره على التصوير بالأبيض والأسود فقط.

إن اختراع الزووم سمح لنا بالاقتراب من الأبعد والأشهق والأخطر فيصبح الأقصى قاب قوسين أو أدنى.

كما أن اختراع العدسات المكبرة Macro أتاح لنا رؤية الأعجب والأدق والأندر والأجدد والأجمل والأروع والأغرب والأرق والأرشق والأشهى والأصفى والأقدس والأبدع والأحب والأحن والأجن. بل ورؤية ما لا يرى وما لا يتكرر وما لا رجعة فيه أى اللحظة بامتياز.

إن لمحة واحدة تستطيع أن تلخص حكاوى طويلة، وطلة واحدة قد تختصر عمرا بكل أفراحه وأحزانه!

كما أن الصورة قد تهتك المحظور وقد تمتد للأقبح والأقسى والأبشع. هل تذكرون أفلام تضحية داعش بالأسرى؟ ولعل فن التصوير الرقمى هو الذى ساهم فى إزالة الفرق بين الواقع والخيال. وهذا امتداد للفن السريالى الذى يعد مفاعلا لتخصيب الخيال والذى جعل من الحلم محورا للحياة.

إن الأعوام الأخيرة شهدت ثلاثة اختراعات مهمة فى مجال الصورة:

الجولة الافتراضية 360 درجة والتى تنقل المشاهد فى قلب المكان فيحيط به المشهد من حوله سواء كان معبد رمسيس السادس أو كنيسة السيكستين أو المسجد الأقصى أو حتى الحرم المكى. وقد أصبح هذا التصوير متاحا فى متناول الجميع بفضل كاميرا Gear 360 التى أطلقتها شركة سامسونج فى الأسواق. ثم الهولوجرام وهو الصورة المجسمة ذات الأبعاد الثلاثة سواء باستخدام نظارة أو بدون. ولقد شهدنا إبان انتخابات الرئاسة الفرنسية المرشح اليسارى Melenchon يقيم حملته الانتخابية من خلال تقنية الهولوجرام فيشاهده الناخبون فى أكثر من مدينة فى نفس اللحظة وكأنه ماثل أمامهم.

وأخيرا Drone وهى كاميرا طائرة صغيرة يتم التحكم فى حركتها بالريموت كونترول مما يسمح باكتشاف آفاق جديدة فى كل لحظة. إلا أن استنساخ الواقع من خلال التقنيات الجديدة لا يعتبر بالضرورة فنا، فهذا مجرد تسجيل، إذ لا بد أن يحمل العمل الفنى بصمة صاحبه الفريدة وأن يكتشف زاوية جديدة غير مسبوقة لرؤية هذا الواقع. الحداثة فى الفن تقوم على رفض محاكاة الواقع والغوص فى النفس البشرية باعتبارها مزيجاً من الجنة والنار. وباعتبارها رمانة الميزان بين الحيوانية والملائكية. فالنفس كالبحر تتغير فى كل لحظة!

وخلاصة القول إن فن التصوير الضوئى هو فى جوهره محاورة ومراودة ومداعبة ومغازلة للضوء فى مراقصته للظلال واحتفال العين بميلاد الألوان.

عمر الشريف الأسطورة

أسطورة فنية عالمية لأكثر من خمسين عاما. شخصية عالمية الأسلوب والفكر والثقافة ومصرية أصيلة حتى النخاع، أحبه مئات الملايين من البشر على اختلاف قومياتهم وأديانهم فانبهروا به يمثل شخصيات أبطالهم ومواطنيهم التقليديين، فرأيناه مصريا، وبدويا، وتركيا، ويهوديا، وقديسا، وإيطاليا، ويونانيا، وروسيا، ونمساويا، وشاهدناه عاشقا رومانسيا، وبطلا تاريخيا، وأميرا أوروبيا، وثائرا لاتينيا، وحكيما تركيا، وقائدا عربيا، فما هذا الثراء فى الشخصية! وما تلك الجاذبية والقبول! وهل كان للعامل النفسى دخل فى إصابته بالزهايمر ووفاته؟ لا أدعى أننى أعرفه بل مثل الملايين تابعت أخباره ولقاءاته، وربما لا أملك إجابات قاطعة، لكنه كشخصية عامة ساحرة يغرى بالمحاولة واستقاء العبر.

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

نشأته الأرستقراطية منذ ثمانين عاما لأبوين مصريين من أصل لبنانى كاثوليكى فى الإسكندرية متعددة الأعراق والأديان حينئذ أضافت إلى تعليم متميز بمدارس لغات عالمية المستوى وإلى طموح والدة أصرت أن تجعله نجما، فكان متوقعا وهو من جيل جمع بين أفضل ما فى الشرق والغرب من قيم وأساليب وصفات أن يشق طريقه فى حياة دفعته موهبته فيها إلى شهرة، زادتها محليا زوجته النجمة السينمائية الأشهر التى أحبها وظل وفيا لذكراها حتى بعد دخوله إلى العالمية وانفصالهما ووفاتها. بل توفاه الله بعدها بأشهر.

التربية المفتوحة والتعليم المتميز والمناخ السائد ساعدوه على امتلاك عقل حر ناقد محب متواضع، فهو أنضج من أن يتعصب وأصدق من أن يغتر بمباهج الحياة الثرية والمجد والشهرة فى الغرب أو أن يغترب عن نفسه بالذوبان فى مجتمعاته والقبول بعروض عديدة لاكتساب جنسيات أخرى، فظل على اعتزازه بمصر التى أحبها وحن إليها حتى عاد يعيش فيها رغم شهرته وإمكانياته. بل ومثل مسلسلا يقول إنه يروى قصته باسم «حنان وحنين» عن عائد من الخارج، وقام بدور سياسى من خلال اتصالاته مهد لزيارة الرئيس السادات للقدس.

يقول إنه لم يكن يحلم بالشهرة الدولية بل كان قانعا بدوره كزوج سعيد يحلم بأسرة كبيرة فى وطنه حتى التقطته هوليوود، وأغرته محبة ملايين النساء فلم يشأ أن يستمر فى زواجه نفاقا للمرأة الوحيدة التى أحبها وظل رافضا للزواج بغير مصرية تشاركه الفكر والتقاليد وأسلوب الحياة والمرح، وبقى متحضرا فى التعامل مع طليقته بعد الانفصال ونادما عليه رغم كل مغريات المجد والحياة الرغدة المخملية لنجم بشهرته فى الخارج.

يسألونه عن سبب شهرته فيقول إنه كان محظوظا، فهو إذن لا يريد أن يتكبر،

وداخله يشـــعر بالعرفان والتفاؤل، فهل كانت الشهرة لمجرد الوســـامة والأناقة والقدرة على التواصل بدفء الصوت ورقى وعالمية الأســـلوب وتميز الموهبة، وتشعب العلاقات أم أيضا إن وراء ذلك بســـاطة تنبذ التكبر وصدق يتواصل مع البسطاء ووفاء لأسرته ووطنه وفكر وثقافة وثقة وتفرد وأصالة تأبـــى التقليد والانقياد، ونفس حرة كريمة تبحث عن ذاتها؟ لكن لماذا انتهت حياته بهذا الشكل؟

يقول عمر أنه وقد كبر لا يريد أن يجتر الذكريات بل أن يعيش الحاضر بقوة، بما يعنى عمق الوعـــى ورفاهة الحس، فهل كان ذلك دافعا حقيقيا أم يخفى عجزا عن استعادة مجد وصحة وزوجة ووطن أحبه لكن أناسه تغيروا؟ وهل دفعه ذلك لا وعيا إلى تعمد النسيان فأصبح العامل النفسى مهيئا للإصابة بمرض لعنته النســـيان؟ وهـــل أبدل المـــرض شـــعورا بالاعتزاز والتمكن والحرية والقدرة على الإســـعاد بإحســـاس بالعجز واليـــأس والمهانة والاحتياج، فأصبح من الصعب التعايش مع حاضر نقيض للماضي، وكان الامتناع عن الطعام ثورة لنفســـه الحرة على قدر أعطاه الكثير وســـلب منه أحب ما كان يتمناه وأعز ما كان لديه؟

صدقت يا عمر، فمـــع قدر لا يعرف الاستثناء، وحياة هى منحة مؤقتة، يزول منهـــا كل حال، فلا مفر مـــن العيش فى الحاضر بعمق الوعـــى ورفاهة الحس، مع التســـليم بقضاء الله وحكمة الحياة، لكن عـــلى ألا يكون الحـــاضر مهربا من الســـلام مع الماضي، وعلى ألا يكون الموت اعتراضا عـــلى وحدة النفـــس وتدهور الحياة والصحـــة. ولعلنا نحن المصريين نعـــترف بجميل أنك جعلـــت الملايين فى العالم يتوقعون فى بعـــض منا صفاتك، ويتفتحون لتقاليدنا وإمكانياتنا، ولزيارة بلادنا وأثرت الإعجاب بتمسكك بمصريتك فى كل الظـــروف فاخـــترت مصر وطنا، واخترت شـــعبها لمحبتك، واخترت حبك الوحيد منها، وتميزت، وأبدعت، ووفيت، وجعلت من نفسك قدوة وأملا لمن يستلهم التميز والطموح والبســـاطة والتواضع والوفاء والأصالة والعالمية.

نفتقدك يـــا عمر، يا رمز جيل، وفخر شعب.

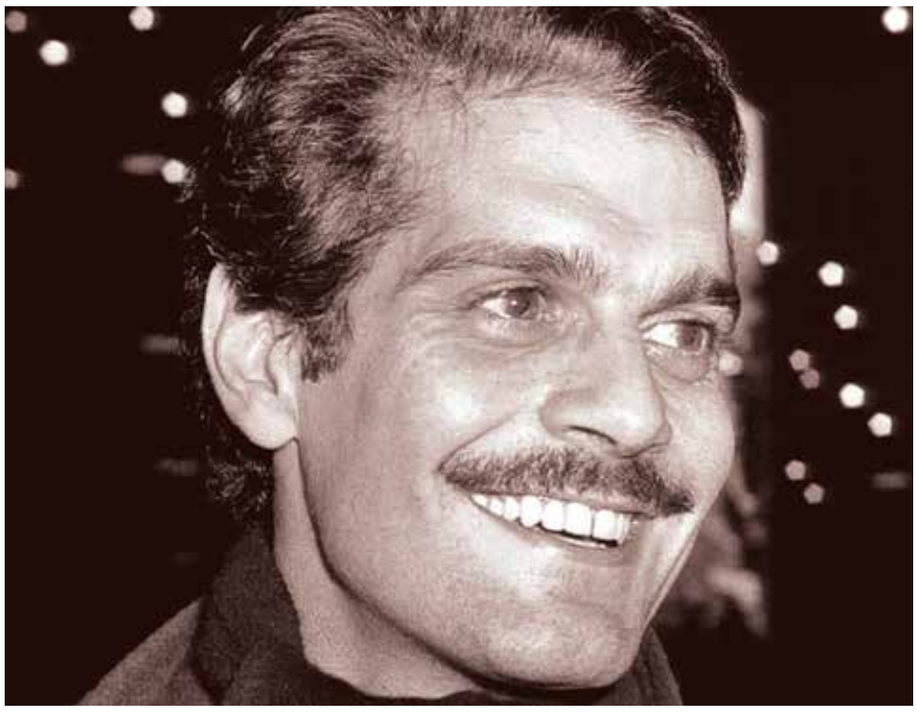

مشاهدة نقدية لفيلم «دانكيرك»

لا تزال ذكريات أحداث الحرب العالمية الثانيـــة تحمل الكثير من التفاعلات والأفكار والدوافع التي تستمر في إلهام وحث الكثير من الفنانين، وفي مقدمتهم كتاب القصص والسيناريو والحوار والمخرجون، أو المعنيون بالفن السابع، وفي مقدمتهم المنتجون، على إنتاج وإخراج المزيد من الأفلام الســـينمائية حول ما دار قبلها وخلالها وبعدها، حول أســـبابها ومســـاراتها ونتائجها، وذلك بالرغم من أن العالم احتفل منذ عامين بذكرى مرور ســـبعين عاماً على انتهاء تلك الحرب، والتـــي حملت الكثير من الدمار والخراب للإنسانية، وفي الوقت ذاته فتحت أمامها فرصاً وآفاقاً غير مسبوقة .وينطبق ذلك بشكل خاص على الســـينما الأوروبية والأمريكية، ولكنه يمتد أيضاً إلى السينما الآســـيوية، خاصة اليابانية، وبدرجة أقل إلى الســـينما في أمريكا اللاتينية وأفريقيا والوطن العربي.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

وقـــد عـــرض مؤخـــراً في دور السينما الأوروبية والعالمية الفيلم البريطانـــي «دانكيرك»، وهو ليس أول إنتـــاج ســـينمائي حول هذه النقطة الفاصلة والمهمة في تاريخ الحرب العالميـــة الثانية في أوروبا، ولكنه الأخير في سلسلة أفلام حول هذا الحدث المهم، وإن كان الكثير مـــن النقاد والمعلقـــين يرون هذا الفيلم الأخير الأفضل في سياق هذه الأفلام المنتجة حـــول «دانكيرك»، ربما لاعتبارات تتعلق، جزئياً على الأقل، بالتقدم التكنولوجي النوعي المتســـارع الحـــادث في تقنيات الأعمال السينمائية، خاصة عناصر المؤثـــرات الصوتيـــة والضوئية، وكذلـــك دقة الصـــورة والصوت ووضوحهما، وغير ذلك من تقنيات إخـــراج المعـــارك الحربية في البر والبحر والجو على حد سواء.

وإذا عدنا إلى الحدث محل التناول ودلالاته، نجـــد أنه كان أحد نقاط التحول في تاريـــخ الحرب العالمية الثانيـــة في أوروبا، ســـواء إذا ما قارناه بما حـــدث قبله أو بما جاء بعـــده. فالمؤكد تاريخيـــاً هو أن «دانكيرك» شـــهدت أكـــبر عملية إجلاء وإخـــلاء لقوات على الإطلاق خلال الحرب العالميـــة الثانية، في ظل خســـائر محدودة نسبياً لتلك العملية الضخمة، ســـواء من جهة الخســـائر البشرية أو المادية، بما شمل المعدات والأسلحة والإمدادات وغير ذلك مـــن عناصر ذات صلة. وجاءت هـــذه العملية بواســـطة بريطانيا وشملت في الأساس قوات نظامية بريطانيـــة كانت تحارب قـــوات ألمانيا النازية في فرنســـا، وكان المستهدف نقلها إلى بريطانيا للدفاع عن «الوطـــن»، الذي بات مهدداً بشكل مباشر من قبل ألمانيا، التي كانت تضاعـــف من غاراتها الجويـــة على الجـــزر البريطانية، وكان تحقيق الإجلاء بأقل الخسائر نتـــاج تجمـــع عوامـــل عديدة، بعضها مرتبط بمحاولات القوات البريطانية، خاصة ســـلاح الجو الملكي البريطاني وسلاح البحرية الملكية، حماية هذه العملية، ولكن بعضها الآخر، وهو ما يبرزه الفيلم الأخير بقـــدر كبير من الموضوعية، مرتبط من جهة بالمقاومة الفرنسية التي كانت تحمي ببسالة، وبالرغم من فـــارق الإمكانيـــات، ظهرت

هذه القوات البريطانية الساعية للرحيل ومغادرة فرنسا من قصف القوات الألمانية لها وإصرارها على مطاردتها حتى النهاية، ومتصل من جهة أخرى بجهد تاريخي لمدنيين بريطانيين من المواطنين العاديين الذين توجهوا، هم وأبناؤهم، بسفنهم البسيطة وغير المجهزة عسكرياً إلى «دانكيرك» استجابة لنداء رئيس الوزراء البريطاني آنذاك «وينستون تشرشل» لهم بالتوجه إلى هناك للمساعدة في عملية الإجلاء تلك حتى تتم في أسرع وقت وبأقل خسائر ممكنة.

والفيلم الأخير يسعى في جانب منه بالطبع للتأريخ للحدث وما أحاط به وقتها، وذلك بحسب ما تكشف منذ وقوعه وحتى اليوم من تفاصيل، تزداد بمرور الوقت، حيث يلعب مرور الزمن هنا دوراً إيجابياً في جعل الفيلم أثرياً وأشمل وأكثر وضوحاً وتفصيلاً من أفلام سابقة تناولت نفس اللقطة التاريخية. فالفيلم طرح بوضوح الهدف المحدد من عملية الإجلاء وهو تلبية حاجة «تشرشل» في ذلك الوقت إلى تأمين عودة 300 ألف مقاتل بريطاني من فرنسا ليوفروا الحماية لبريطانيا ذاتها. وكان في «دانكيرك» حوالي 450 ألف مقاتل بريطاني ينتظرون الإجلاء، إلا أن المعطيات الأولى للعملية بدت متشائمة في ضوء ما واجهتها من عقبات جدية نتيجة القصف الجوي والبري الألماني إلى الدرجة التي تشكك فيها بعض القادة العسكريين البريطانيين من أن يحصل تشرشل حتى على 10% مما يريده، ولكن بدخول عناصر الصمود والإصرار والعزيمة، من القوات المغادرة، وكذلك من الطيران الملكي والبحرية الملكية البريطانيين، بجانب تحرك السفن المدنية البريطانية إلى «دانكيرك»، تحولت التوقعات بشكل إيجابي بحجم 180 درجة، وبدأ الحديث عن أن «تشرشل» سوف يحصل على أكثر مما يحتاج، وانتهى الأمر إلى أن أكثر من 350 ألف مقاتل بريطاني عادوا إلى بلادهم في تلك العملية وسط ترحاب شعبي واستقبال الأبطال الذي رفع من عزيمتهم وخفف عنهم ما عانوه من قبل في فرنسا. وهنا يتعين أن نقر بأن الفيلم تحلى في القصة والتصوير والسيناريو والإخراج بقدر لا بأس به من الموضوعية، خاصة عندما كشف مثلاً عن وجود تباينات داخل القيادات العسكرية البريطانية بين من أصر على أن عملية الإجلاء مقصورة على القوات البريطانية، ومن رأى أنه من واجب

بريطانيا أيضاً أن تجلي قوات المقاومة الفرنسية التي أمنت ظهر عملية الإجلاء، حتى ولو كان إجلاء الفرنسيين عليه أن ينتظر إلى ما بعد إجلاء آخر الجنود البريطانيين. ولكننا يجب أن نأخذ في الاعتبار أيضاً أن الفيلم هو إنتاج بريطاني، واستهدف في جانب منه على الأقل شحذ همم البريطانيين، خاصة من الشباب والشابات، وذلك لحثهم على الافتخار بتاريخهم، سواء كشعب ساهم في نجاح عملية الإجلاء في «دانكيرك»، أو كجيش وطيران وبحرية ضحوا جميعاً في سبيل تحقيق هذا الإنجاز، أو كأمة دافعت ليس فقط عن نفسها، ولا حتى عن بقية أوروبا، بل عن العالم بأسره، في مواجهة الهجمة النازية الفاشية. ويظهر هذا جلياً عبر العديد من اللقطات والمشاهد في الفيلم وما شهدته من حوارات، وإشارات من وقت لآخر إلى تصريحات لتشرشل يؤكد فيها هذه المعاني، وعبارات على لسان شخصيات الممثلين في الفيلم تحتوي ضمناً نفس المعنى وتحمل نفس الرسالة. فالفيلم من هذا المنطلق يدخل في سياق ما يسمى بـ «الأفلام الوطنية»، بالإضافة إلى كونه يندرج ضمن طائفة «الأفلام التاريخية».

أما الخاصية الثالثة لفيلم «دانكيرك» فهو أنه يتضمن أيضاً عناصر مما يمكن تسميته الدعاية السياسية، فالفيلم يشمل في العديد من مشاهده، بل وفي المسار العام لأحداثه، الحديث عن دور بريطانيا في الحرب العالمية الثانية باعتبارها قائدة العالم الحر، على الأقل في أوروبا وفي مستعمراتها خارج القارة القديمة، والمدافعة عن بلدانه التي سريعاً ما سقطت في براثن الاحتلال النازي والفاشي، كما نلحظ في الفيلم الإشارات إلى أن بريطانيا كانت آنذاك تنتظر وتتوقع وتدعو إلى التدخل الأمريكي عبر الأطلسي في الحرب في أوروبا لصالح «العالم الحر» ولبناء «شراكة» أمريكية بريطانية تحرر أوروبا وتلحق الهزيمة النهائية بألمانيا وإيطاليا وحلفائهما. ومما يلفت النظر في آخر الأفلام التي تتناول واقعة «دانكيرك»، والذي نتناوله هنا، هو عدم وجود أية شخصية نسائية لها دور رئيسي أو حتى مساعد أو ثانوي في الفيلم، بل اقتصر الحضور النسوي في الفيلم على بعض «الكومبارس» اللاتي لعبن دور ممرضات أو مشرفات في السفن التي كان من المفترض أن تحمل القوات البريطانية المغادرة لميناء «دانكيرك»، ولم يتفوهن إلا بكلمات قليلة في أفضل الأحوال.

وبالإضافة إلى تميز فيلم «دانكيرك» في العوامل المكونة لصناعة الفيلم من إخراج وتصوير وصوت ومؤثرات، حملت جميعها معنى الإبهار وعكست توظيفاً جيداً للإمكانيات التقنية المتقدمة التي تتيحها صناعة السينما الأوروبية عموماً، والبريطانية على وجه الخصوص، اليوم، فإن الفيلم حاول من خلال ما قدم من مضمون الجمع بين التأريخ الموضوعي، أو شبه الموضوعي، للحدث محل التناول، وهو حدث له دلالاته وأهميته التاريخية، وكونه فيلماً بريطانياً يقدم واقعة تاريخية يفخر بها البريطانيون ويسعى الفيلم أيضاً للتذكير بها وتمجيدها، وكذلك تضمن الفيلم رسالة تروج لنموذج فكري بعينه وتسعى أيضاً للتذكير بأهمية دور بريطانيا في إلحاق الهزيمة بالنازية والفاشية وحماية الحرية وقيم «العالم الحر» مثل الليبرالية والديمقراطية وغيرها، وهو ما أدى إلى نجاة الإنسانية من مخاطر جمة ونذر لم يكن أحد ليعرف المدى الذي ستصل إليه.

دانكيرك (بالإنجليزية: Dunkirk) هو فيلم حربي من إخراج وتأليف وإنتاج كريستوفر نولان، بطولة فيون وايتهيد، وتوم جلين كارني، وجاك لودين، وهاري ستايلز، وانيورين بارنارد، وجيمس دارسي وباري كوجان، وكينيث براناه وكيليان مورفيومارك رايلانس وتوم هاردي. موسيقي هانز زيمر، وهو إنتاج دولي مشترك بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وهولندا، وقامت وارنر برازرز بتوزيعه وحقق ايرادات حوالى ١١٥ مليون دولار.

خمس عقبات ثقافية أمام التنمية

ا الإنســـان هو أهم ركيزة فى خطط التنمية فى أى بلد فى العالم. بالتأكيد أن عوامل أخرى مؤثرة تتداخل بها وتؤثر فيها، منها بالطبع حجم الموارد وتنوع مصادرها وطبيعة التحديات القومية سواء أكانت جغرافية أم ديموغرافية، أو مشاكل الإقليم المحيط إن وجدت، وكذلك الاستقرار السياسى. بل لعل هذا «الاستقرار السياسى» أحد أهم العوامل قاطبة من حيث إنه يتيح الهدوء اللازم لتأصيل المشـــكلات أو استباقها ثم التخطيط المحكم المتزن لتحديات الحاضر واستشراف المستقبل.

كل ما ســـبق يجئ - على عظم أهميته- بعد العنصر البشرى فهو المحرك والمؤثر فى كل ما ســـبق. وأهم ما يتحكم فى الإنسان - بطبيعة الحال- هو ما يحمله فى عقله من أفكار مسبقة أو متجددة وعواطف مشبوبة ومخاوف.

وزير مفوض محمد مصطفى عرفى

mohammed.orfy@yahoo.com

هل يجوز لنا إذن أن نقول إن الثقافة السائدة فى كل مجتمع - والتى هى تفاعلات كل ما ســـبق فى اطار وعاء شـــامل من مخزون التأثير الدينى والموروث التاريخى والأفكار السائدة فى المجتمع والتى تتوارثها الأجيـــال - هى عنصر حاكـــم مؤثر فى حياة الشـــعوب ومستقبلها؟

إذا كانـــت الإجابة بنعم، فإن تلك المقالة تســـتهدف تســـليط الضوء على خمسة معوقات بالغة الصعوبة تكبـــل حركة المجتمع وحـــراك أطيافـــه وأجياله نحو التنمية المستقبلية. وبداهة، فإن هناك عوامل أخرى تزيد أو تقل فى التأثير، ولكن العوامل الآتية تتسم بأنها تقض أحلام التنمية بوأدها فى مكمنها:

استعذاب الفقر

لكل شئ سلبياته وإيجابياته، ومن ثم فإن إحدى سلبيات ثورة يوليـــو هو ما آلت إليـــه العقلية المجتمعيـــة من تحقير فى شـــأن التميز المادى وتحبيذ الفقر، حتى إن بعضاً من الميسورين مادياً باتوا يدعون الفقر لاستجلاب التعاطف والبعد عن التميز الذى يستدعى القلق المجتمعى. هذه الثقافة التى تم ترسيخها عبر الأعمال الدرامية ترسخ ما مؤداه أن النجاح المادى والارتقاء فى السلم الاجتماعى، لابد أو غالبا ما يكون نتاج مســـببات غير إيجابية. وفى هذا قتل للإبداع والتفـــرد والاجتهاد لتحســـين مستوى الحياة، ليس هذا فحسب بل تفـــضى إلى تزكية مســـتمرة للحقد الطبقى والقلق الاجتماعى ودعوة للميسورين للنأى بأنفسهم والانعزال عن المجتمع.

التنميط الاجتماعى

مثلما يقول أســـتاذنا الراحل عبد الوهاب المسيرى فإن المجتمع التقليـــدى ينزع دائما إلى الضبط أو التنميـــط الاجتماعى وهو ما لا يسمح بوجود مساحة للإبداع الفردى أو التمايز الإنسانى. المعنى المراد ببساطة هو مفهوم القرية التى تفضل التكرارية وتستمرئ الرتابة بأن يكون كل الناس على نفس الشاكلة فى الملبس والسلوك

خمس عقبات ثقافية أمام التنمية

والتصرف، ووصـــولا لذلك فإن المجتمع - أو لنقل الأكبر ســـنا أو مكانة- يمارس ضغطاً اجتماعياً على الأجيال الجديدة سواء لحملها للتصرف أو عدم التصرف بشكل معـــين إزاء موقف ما مثل اختيار نوعية دراســـة أو عمل أو زواج أو حتـــى الإنجاب مـــن عدمه، وهكذا. للحق فإن إحدى مقومات الانطلاق فى التنميـــة والتحديث بالمجتمعات الغربية هو غياب هذا العامل، فالخصوصية واحترامها وثقافة أخذ المخاطرة والاستباق والمبادرة. كلهـــا عوامل إيجابية تزيد الخبرة الحياتية وتشـــجع على ارتياد آفاق جديدة وفضاءات متسعة للتفوق والتميز.

المفهوم المغلوط للتدين

بسذاجة فكر وضحالة مضمون يظن بعض المتدينين - أو بمعنى أصح من يظنون أنفسهم كذلك - أن التدين يســـتوجب الزهد التام فى الدنيـــا تطلعاً للآخرة ونعيمها رغم أن الهدف الرئيسى للإنسان - وفقا للمفهوم الإســـلامى- هو إعمار الأرض بعد شئون العبادة. وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة فى هذا الصدد وكلها تعلى من قيمة العمـــل وإتقانه، والعلم وتحصيله ولو فى الصين، والســـعى وترك النتائج للمولى. ووفقاً للمفهوم الإســـلامى أيضاً، فلا انقطاع عـــن العمل بدعوى التعبـــد، بل العمـــل للدنيا كأننا نعيش أبـــدا وللآخرة كأننا نموت غدا. ولو كان بيد أحدنا فسيلة قبل قيام الساعة لوجب عليه غرسها رغم أنه لن يجنى ثمارها. الكسل بدعوى الاتكال على الله، والتخاذل بزعم أن الرزق مقسوم فلا داعى للقلق الإيجابى الذى يحفز الهمة ويســـتنهض العزيمة، كلها أمور تفضى إلى المـــوات المجتمعى الذى يضر حتماً ولا يفيد يقيناً. كما أن حب الحياة والسعى لنيل نصيب من ملذاتها هو أمـــر إيجابى لا ينبغى إغفالـــه، حتى إن الخليفة عمر بـــن الخطاب ذكـــر أثناء احتضاره ما يفيـــد أن «»للحياة نصيبـــا فى القلـــب وأن للموت لوحشة، فهو لم يعلم أن مسلمين مـــن بعده ســـيتخذون الدين أو التدين الشكلى تكئة للعزوف عن الدنيا والســـعى لمكابدتها. هذه

نقيصة تجدهـــا للحق فى ديانات أخرى، ســـواء إبراهيمية أو غير إبراهيمية، ولكن تأثيرها بمنطقتنا يبدو أحيانا أكثر وضوحا لضعف المستوى الثقافى والتعليمى.

العدل الاجتماعى

ليـــس المقصود هنـــا مثلما يتبادر للذهن آليـــات التقاضى وحكم القانون، ولكن الســـلوك العام أيضا. فنحـــن نعانى من نقـــص الاحـــترام الواجب لقيم العدل والانحيـــاز التلقائى له فى كافة المعاملات، فتشـــيع لدينا مفاهيم الوســـاطة والمحسوبية وتفضيل ذوى القربى أو الجوار الجغـــرافى عمن ســـواهم حتى إن فاقوهم أحقيـــة وكفاءة. بل أحيانا تشـــيع المفاهيم الجهوية بلا مسوغ من منطق، أى ينحاز مواطن لأبناء قريته أو محافظته أو عشيرته تلقائيا بغض النظر عن صواب الموقـــف أو مجانبته الصواب. هذا الســـلوك المعيب كفيل بـــأن يفشـــل أى تنمية من خـــلال إقصـــاء الكفاءات أو تهميشها وشـــيوع الإحباط المجتمعى بصوره المختلفة.

الكسل المجتمعى

فى السنوات الأخيرة، تلاحظ أن حتى الحافز المادى ما عاد كافيا لحمل الفئـــات الأقل تعليماً - أى العمالة الحرفية- على العمل. بل إن أحدهم لن يتجه للعمل اليومى ما دام لديـــه ما يكفى قوت يومه أو احتياجاته المعيشـــية لمدة يوم أو اثنين. غابت إذن قيمة الطموح وتراجعـــت وتقلصـــت الحمية لتحسين الوضع الحياتى وتآكلت. فلا يعقل أن يكـــون ملايين من العاطلـــين فى بلادنـــا فى حين أن بعض أصحاب العمل يشكون من نقص العمالة أو ســـيادة أنماط فكرية فى المجتمع تحقر من قيمة بعض الأعمال أو حتى ترفض بذل الجهد الـــلازم للارتقاء المجتمعى وهكذا.

تلك هى بعض معوقات التنمية فى بلادنا التى يستوجب تجفيف منابعها باســـتخدام سياســـات إعلامية وتعليمية واضحة يشارك فى وضعهـــا خبراء علـــم النفس والاجتماع لتقويم الخلل الكائن فى المجتمع بغية وضعه على الطريق الســـليم من خلال ترسيخ ثقافة تســـاعد على التطـــور والتنمية الفردية والمجتمعية حتى لا يكون ما نقوم به حرثا فى الماء.

ألوان من القصص، مع محمد التابعى أمير الصحافة

يحلـــو لى من آن إلى آخر أن أقرأ المذكرات التى أوردها أمـــير الصحافة محمد التابعى فى كتابه «ألوان من القصص «والتى تحكى تجمع الأصدقاء فى شـــاليه التابعى فى رأس البر، وكان هؤلاء الأصدقـــاء لا يتمتعون فقط بخفة الظل، بل بالذكاء الحاد، كيف لا وكل واحد منهم عملاق فى مجاله! كيف كانت تمضى هذه الأيام والأمسيات والتى كانت تضم العمالقة محمد عبد الوهاب، وتوفيق الحكيم، وفكرى أباظة، وســـليمان نجيب، ومصطفى أمين، وكامل الشناوي، وأحمد الصاوى محمد، وإحسان عبد القدوس، وكان كل هؤلاء يقيمون إقامة دائمة فى الشاليه، وهناك مجموعة أخرى كانوا يسمونها أعضاء الشرف، أو الأعضاء المنتســـبين التى تأتى وتذهب وكانت تضم حفنى باشـــا محمود ويوسف وهبى ونجيب الريحانى الذى كان يصحب معه دائما استيفان روستى وحسن الأعور ودكتور سعيد عبده وعلى يوســـف الشريعى وأحمد الألفى عطية، وأخيرا وليس آخرا ســـيدة الغناء العربى أم كلثوم التى كانت تقيم فى الشاليه الخاص بها.

يقـــول التابعى واصفـــاً هذه اللقاءات الثرية:

عندمـــا قامت الحـــرب العالمية الثانية فى أوائل خريف 1939 وأقبل صيف 1940 والطـــرق إلى أوروبا مســـدودة أمام المصريـــين الذين اعتـــادوا تقضية فصل الصيف على ضفاف بحيرات إيطاليا وســـويسرا أو فى مصايف جبـــال الألب أو على شواطىء الريفيرا، اضطر هؤلاء أن يقنعوا، راضـــين أو كارهين، برمل الإسكندرية وشـــاطىء بورسعيد وبور فؤاد. ولكـــن غارات طائرات المحور أفزعت المصيفين فاضطروا أن ينزلـــوا فى تواضعهم درجة بل درجات، وأن يلجـــأوا إلى مصيف رأس البر المتواضع الهادىء لأنه كان يومئذ المصيـــف الوحيد الآمن الذى ليس فيه أهداف عســـكرية تغرى طائرات المحور بقصفها.

ولأول مـــرة فى تاريخـــه عرف مصيـــف رأس البر معنـــى الإقبال ومعنى العز ومعنى الزحام، ولأول

شريفة محمد التابعـى

sherifa.eltabeikhairat@gmail.com

مرة ســـمعت رأس البر فى شوارعها ألقاب أصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى بل ألقاب الجلالة والسمو. فصاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر وبناتها صاحبات الســـمو يقمن فى فندق كريستال على الضفة الشرقية للنيل أمام رأس البر، ورفعة النحاس باشا وأسرته يقيمون فى أحد ملاحق فنـــدق كورتيل، وصاحبـــا الدولة إسماعيل صدقى باشا وعبد الفتاح يحيى باشا يقيمان فى فندق مارين فؤاد، ومعـــالى مكرم عبيد باشـــا يقيم بجناح بفنـــدق كورتيل لكى يكون بالقرب من صديقه وزعيمه الجليـــل، وعلى الشـــاطىء الرملى البدائى ظهرت الغزلان يرتدين ثياب الاســـتحمام وأحدث أزياء الصيف التـــى كن اشـــترينها – فى الصيف الســـابق- من دور الأزياء فى دوفيل ونيس وكان وروما وباريس. والآن فى رأس البر؟ رأس البر بعد دوفيل وفينســـيا وكان ومونت كارلو؟ ما أبعد المسافة ولكنها الحرب.

ويضيف التابعى فى كتابه «ألوان من القصص:»

وكانـــت لى عشـــة صغيرة على شـــاطىء البحر مباشرة. وأنا من هواة رأس الـــبر حتى من قبل قيام الحرب.

وكانت عشـــتى الصغيرة أشبه بدار ضيافة للأصدقـــاء. فقد كنت أرجوهم أن يقيموا معى ويؤنســـوا وحدتى. وكانـــوا يتفضلون بقبول الرجاء. وكان يحدث أن أترك رأس البر إلى القاهرة لعمل ما ثم أعود إلى عشتى بعد يومين أو ثلاثة فأجد أن

صديقا أو صديقين قد حضرا أثناء غيابى واحتلا غرفة نومى. وهنا كان نزلاء العشة يجتمعون فى هيئة لجنة طوارئ ويبحثون لى عن كنبة أو مقعد طويل يضعونه فى حجرة الطعام مثلا لأنام عليه. أو يجرون قرعة بينى وبين الصديقين اللذين احتلا حجرتى وفراشى. وكان فى العشة ثلاث حجرات للنوم وفى كل حجرة منها سريران. وكانت هذه الأسرة تتسع أحيانا لعشرة من الأصدقاء عدا كنبتين أو أريكتين فى قاعة الطعام ومثلهما فى الشرفة التى تطل على البحر. كنا إذن عشرة. وكان العدد يرتفع فى عطلات الأسبوع إلى خمسة عشر عدا الأصدقاء الذين كانوا يقيمون فى الفنادق ويفدون على العشة للزيارة أو لتمضية السهرة.

وفى شهر رمضان كان بيننا من يصوم، ولكن لا يؤدى فروض الصلاة، ومن لا يصوم ولا يصلى، ومن يصلى ولكنه لا يصوم الشهر. والوحيد الذى كان يصوم ويؤدى فروض الصلاة هو سليمان نجيب. ولكنه رحمه الله كان فى يومى السبت والأحد يتصل بالتليفون بمكاتب المراهنات فى الإسكندرية ليملى رهانه فى سباق الخيل! ثم يجلس فى المساء إلى جانب التليفون ينتظر نتيجة السباق.

وسخر أحدنا - ولعله جمال جبر أو محمد على رسمى- ذات مرة وتساءل كيف يمكن الجمع بين الصلاة وصيام رمضان والمراهنات.

واحمر وجه سليمان نجيب غضبا ونفرت عروق جبهته وفتح فمه لكى يسب ويلعن، ولكنه تذكر أنه صائم، واستطاع بعد جهد أن يحكم أعصابه ثم قال بهدوء للذى سخر منه اللهم إنى صائم! اللهم إنى صائم ولكن بعد أذان المغرب سأعرف كيف أتفاهم معك يا ابن ستين.

وكان طاهى العشة الأوسطى أحمد – رحمه الله فقد توفى منذ بضعة شهور - كان يعد طعام الغداء والعشاء للمفطرين ويعد طعام الإفطار والسحور للصائمين. وكان محمد عبد الوهاب يجلس إلى المائدة مع المفطرين وأحيانا مع الصائمين. وكان على الطاهى أن يذكر دائما ولا ينسى أن يرسل فى الصباح الباكر إلى صديقنا توفيق الحكيم – وهو لا يزال فى فراش النوم – يرسل إليه فصين من الثوم النىء كان القصصى المشهور يتناولهما

على الريـــق ويمضغهما جيدا وهو يتلمظ ويمصمص شفتيه ويقول إن فص الثوم على الريق يقى من واحد وأربعين مرضا منهـــا الروماتيزم وتصلب الشرايـــين واليرقان وذات الرئـــة أو الدرن وتجلـــط الدم إلى آخره..

أمـــا صديقنا الصـــاوى فكان ينصحنا دائمـــا بالإقلال من طعام العشاء ويقول: قلل طعامك تحصد منامـــك. ومن ثـــم كان يعزف عن تناول اللحوم الحمراء فى العشـــاء ويكتفى بطبق من البسطرمة المقلية بالسمن مع خمس أو ست بيضات. وكان يســـمى هذا طعامـــاً خفيفاً يحصد معه المنام.

أما سليمان نجيب فكان يحضر معـــه دائما من القاهـــرة برطمانا مملوءا بالشـــطة الحمراء والفلفل الأحمر المسحوق وكان طبق الشطة يوضع دائما أمامه على المائدة يرش منه على الحســـاء وعلى الأرز وعلى الملوخيـــة أو البامية أو أى نوع من أنواع الخضراوات.

وكانت أم كلثوم تضحك وتقول لســـليمان نجيب وهو ينثر الشطة بسخاء على طعامه، لو تشرب الشطة بالملعقـــة برضه ما فيـــش فايدة، والذين يفهمون النكتة اللاذعة كانوا يضحكون.

أما توفيـــق الحكيم فكان دائما يسأل: يعنى إيه؟ عاوزة تقول إيه؟ ما فيش فايدة فى إيه؟

وكنا نخرج للنزهة على شاطىء البحر ســـيرا على الأقدام، وغالبا إلى حيث كانت تجلـــس أم كلثوم التى كانت تقيم فى عشة فى آخر المصيف إلى الجنوب، وكانـــت تجلس دائما أمام عشـــتها على الشاطىء تحت مظلة وفى يدها كتاب. وكنا نحييها ونجلس على الرمـــال حولها وبعد أن تـــوزع نكاتها علينـــا بالعدل والقســـطاس كانت أحيانا تسألنى طابخين إيه النهارده عندكم؟

وكنت أحيلها على سليمان نجيب لأنه كان الوحيد الذى يهتم بالمطبخ وما يجرى فيـــه والوحيد الذى كان يشترك مع الطاهى الأوسطى أحمد فى إعـــداد قائمة الطعـــام وكانت الأطبـــاق المفضلة عند أم كلثوم هى البط على الطريقة الدمياطية والأوز بالملوخيـــة والرقـــاق وورق العنب والكوارع واللحم والحمام.

فإذا تصادف أن يكون أحد هذه الأطباق فى قائمة طعام اليوم قالت المطربة الذواقة عـــلى الفور: طيب اعملوا حسابى بأه.... جاية أتعشى النهارده معاكم.

وكانت السهرات التى تحضر أم كلثوم على رأســـها تسخر من الذين يأكلون بشـــهية ومن الذين يأكلون بدون شـــهية وتروى القصص أو تتحدث عن الحرب أو فى السياســـة الداخليـــة أو خبرا عـــن هذا وذاك، نتناول ســـيرة أحد المصطافين أو إحدى المصطافـــات، وغالبا الاثنين معا.

وتصرخ أم كلثـــوم -ولكنها مع ذلك تشـــترك معنا بنصيب الأسد فى الحديث - أعوذ بالله من لســـانكم اللى زى المبرد.

وفجأة ننتبه لـــشىء ما وتخفت الأصوات ثم تسكت تماما. فقد بدأت أم كلثوم تدندن وهى تبتســـم لنا كأنها تتحدانا أن نستمر فى حديثنا إذا اســـتطعنا. ويعلو النغم قليلا.. قليلا.. ويتجمع ويرتفع.. ثم ينطلق قويا يجلجل. وتختفى الابتســـامة وتتوه عيناها فقد نســـيتنا جميعا ونسيت كل ما حولها وهى تغنى.

أدور بعينى على الحاضرين، هذا أحمد الألفى عطية قد أطبق بأسنانه على راحته يعض فيها لكى يحبس فى حلقه صرخـــات الإعجاب. وإذا أفرجت أســـنانه عن الراحة الملتهبة خرج من بين شفتيه زفير وحشرجة.

وســـليمان نجيب يشـــد شعر رأســـه، ثم يركل بعصبيـــة. وهنا يتراجع توفيـــق الحكيم بمقعده إلى

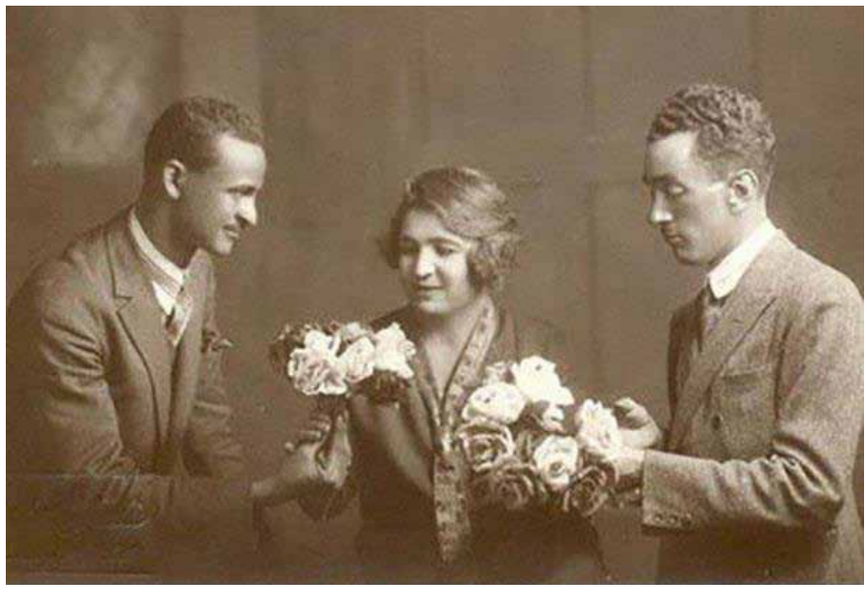

الوراء بعيدا فقـــد أصيب بإحدى رفصات ســـليمان نجيب. وحفنى محمود مغمض عينيه ورأســـه بين يديه. وتوفيق الحكيم يهز رأســـه ويمصمـــص شـــفتيه، والصاوى أحمر العينـــين يغالب النعاس فقد كان صديقنا الذى يســـهر فى عمله الصحفـــى إلى الصباح وكان فى تلك الأيام لا يطيق السهر بعد العاشرة مساء.

وإذا ما انتهت أم كلثوم من الغناء سمعنا دوى التصفيق خارج العشة ونخرج إلى الشرفة المطلة على البحر لنجد عشرات وعشرات من ســـكان العشش المجاورة الذين كانوا أقبلوا على غناء أم كلثوم قد افترشوا رقعة الرمال التى تفصل بين العشة ومياه البحر.

ويســـتأذن الصاوى وينسحب إلى غرفة نومـــه، ونجلس نحن على الشرفة ونمضى السهرة فى الحديث...

وكم ســـمعنا وكم روينا فى هذه السهرات، يوسف الشريعى وقصصه عن ثارات أبنـــاء الصعيد الأعلى، أم كلثـــوم والصفحـــات المجهولة من تاريخ كفاحها الكبير فى دنيا الغناء، محمد عبـــد الوهاب وكيف أتى يوم كاد يفقد فيه صوته وكان غلاما سنه بضع عشرة سنة، والذين يدين لهم بالفضـــل والجميل: مصطفى رضا وأحمد شوقى وحسن أنور. ويوسف وهبى ومغامراته أيام الشـــباب فى إيطاليا. وأحمـــد الصاوى وجولاته وغزواته فى باريس. وتوفيق الحكيم وسرحانه عندما كان يسرح ويسير على غير هدى فى أزقـــة مونتمارتر أو شـــوارع الحى اللاتينى الضيقة أو يجلـــس فى مقهى أو فى بار قديم يستوحى من الجو المحيط به مادة لقصة أو لونا يرسم به شخصية ما

فى قصة ما.

وفى رأس الـــبر وعلى شرفة هذه العشة كتب صديقنا الصاوى قصته «الشيطان لعبته امرأة» وكان يقوم مبكرا ويجلس فى مقعد كبير ويسند الـــورق إلى ركبتيه العاريتين إلا من شورت قصير ويكتب، ثم ينظر إلى البحر ويطيـــل النظر كأنه يريد أن يجمع من وراء الأفق البعيد ذكريات الماضى البعيد.

وفى رأس البر وعلى نفس الشرفة ولـــدت فى رأس أديبنا الفيلســـوف توفيق الحكيم نظرية «التعادلية» وقد ولدت يومئذ فى لفائف من الغموض والإبهام. فكان توفيق الحكيم يحدثنا أو يحاضرنـــا فيها وهو لا يدرى على وجه التحديد فى أى موضوع يتحدث فقد كان المولود – أو كانت الفكرة– يومئذ شـــيئا لا ذات له ولا كيان ولا اسم يعرف به بين الأسماء. وكان لابد لصديقنا الأديب أن ينتظر اثنتى عشرة سنة قبل أن يعثر على الذات والكيان والاســـم وينضو عن المولود لفائف الغموض والإبهام.

نشاهده من نوافذ الوزارة

قصر عائشة فهمى

عـــلى الضفة المقابلة لـــوزارة الخارجية، وفى مدخل الزمالك الشمالى، يقع قصر «عائشة فهمى» التاريخى، الذى استمرت أعمال ترميمه أكثر من خمس عشرة سنة، إلى أن أعيد افتتاحه فى 17 مايو 2017، أى بعد مائة عام وعشرة من تشـــييده فى عام 1907، وهو مجمع للفنون يســـتضيف المعارض الفنية لكبار الفنانين وتعقد فيه الندوات وحفلات الموسيقى والعروض السينمائية، ويقوم بدور تنويرى ثقافى مشهود له ويقدره الجميع.

وقد بنى القصر على مســـاحة 2700 متر مربع على الطراز الكلاسيكى على يد المهندس الإيطالى أنطونيو لاشاك عام 1907، وتتنوع تصميمات غرفة ما بين الطراز الأوروبى واليابانى حيث تم تصميم غرفه على الطراز اليابانى ونقشت على جدرانها كلمات وصور يابانية خصيصًا للأميرة عائشـــة فهمى التى توفيت عام 1962 حان الوقت لزيادة هذا القصر الجميل والاستمتاع بكل ركن من أركانه.

الملكة تويا (الأسرة التاسعة عشرة)

بطاقة فيزا البلاتينية

مزايا متعددة

- إمكانية السحب النقدي والشراء بجميع أنحاء العالم
- أطول فترة سماح تصل إلى ٥٧ يوما لسداد استخدامات البطاقة (سحب نقدي ومشتريات)
- إمكانية تقسيط عمليات الشراء التي تتم بالبطاقة حتى ٣٦ شهرا
- التمتع بالعديد من العروض الخاصة والتخفيضات في العديد من المراكز التجارية داخل وخارج مصر
- التمتع بخدمة مد فترة الضمان للمشتريات التي تمت بالبطاقة، وخدمة حماية المشتريات ضد مخاطر السرقة والتلف
- الدخول لصالات رجال الأعمال مجاناً لدى أكثر من ٢٥ مطار في مختلف دول العالم والمتعاقد معها منظمة فيزا

*تطبق الشروط والأحكام

بنك مصر
BANQUE MISR
نعمل معاً لخير بلدنا

BM Phone 19888
بي إم فون
www.banquemisr.com
/BanqueMisr.1920 /banquemisr1920